وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة– كلية الآداب والحضارة الإسلامية

رقم التسجيل:..... قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

الجزائريون وحركة الجامعة الإسلامية (1930-1876)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

منى صالحي أحمد صاري

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الرئيسية	الصفة
أ.د. احميده عميراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	رئيسا
أ.د.أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	مشرفا
أ.د. علي غنابزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	عضوا
أد. علي أجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا
أ.د. جميلة معاشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة	عضوا
د. نور الدين ثنيو	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 1436–1437هـ/ 2015–2016م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

"واعتصمُوا بحبلِ الله جميعًا ولاتفرّقُوا

واذكرُوا نعمتَ اللهِ عليكُم

إذ كنتم أَعداءً فألّفَ بين قلوبِكم فأَصبحتُم بنعمتِهِ إخوانًا

وكُنتم على شَفا حُفرةٍ من النّارِ فأنقذكُم منها

كذلك يبيّنُ اللهُ لكم آياتِه لعلّكم تهتدُون"

سورة آل عمران الآية 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء

إلى أمي الكريمة

إلى روح أبي تغمدها الله برحمته

إلى كل الداعين إلى وحدة المسلمين

أهدي ثمرة جهدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات:

تر: ترجمة

د.ت: دون تاريخ

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ع: العدد

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

م: المجلد

***M**inistère des **A**ffaires **E**trangères (la Courneuve)* ***A.D.M.A .E :** Archives **D**iplomatiques.*

A.F *: l'**A**frique **F**rançaise*

***A.O.M : A**rchives d'**o**utre-**m**er*

***B.S.G.A.A.N : B**ulletin de la **S**ociété de **G**éographie d'**A**lger et de l'**A**frique du **n**ord*

G.G.A : *G**o**uvernement **G**énéral de l'**A**lgérie.*

***P.U.T** : **P**ublications de l'**u**niversité de **T**unis*

***R.A : R**evue **A**fricaine*

***R.C : R**enseignements **C**oloniaux*

R.D.M : *R**e**vue des **D**eux **M**ondes*

R MM *: **R**evue de **M**onde **M**usulman*

***R.H.M : R**evue d'**H**istoire **M**aghrébine*

***R.M.F : R**evue **M**ilitaire **F**rançaise*

***R.P** : **R**evue de **P**aris*

***R.Q.D.C : R**evue des **Q**uestions **D**iplomatiques et **C**oloniales*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

التعريف بالموضوع:

تعد الجامعة الإسلامية من الحركات الإصلاحية الحديثة التي واجهت الاستعمار الأوربي والضعف الداخلي للمجتمعات الإسلامية باجتهادات جديدة، حيث عالجت كبرى قضايا المسلمين وبخاصة السياسية منها، ولم تغفل عن الجوانب الدينية والاجتماعية. ظهرت حركة الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومن روادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، كما حمل مشروعها عدة شخصيات إصلاحية وسياسية منهم السلطان عبد الحميد الثاني.

تميزت هذه الفترة بهيمنة استعمارية وكانت أولويات الحركات الإصلاحية هي التحرر من الاستعمار وإصلاح النظم السياسية الدستورية، لذلك اهتمت الدراسات بالجانب السياسي والوحدوي للجامعة الإسلامية وأغفلت الجانب الإصلاحي، كما كانت دراساتهم عن المشرق الإسلامي، ولم تخصص أطروحة –حسب علمي– عن الجزائر. لذلك رأينا تناول الموضوع بكل جوانبه "الوحدة والإصلاح بفرعيه: السياسي والديني"، وخصصناه للجزائر وحددنا بحثنا بعنوان:

الجزائريون وحركة الجامعة الإسلامية (1876–1930)

وعلى الرغم أنه من التعسف ربط حركة فكرية بنقطة تاريخية معينة، إلا أننا حددنا بداية دراستنا بسنة 1876 وهي بداية حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ونهايتها بسنة 1930 حيث يرى الباحثون أن الإصلاح الإسلامي الحديث الذي عالج كبرى قضايا المسلمين؛ بدأ من نهاية القرن التاسع عشر وامتد إلى العشرينيات من القرن العشرين، لتبدأ بعد ذلك مرحلة الفكر الإسلامي المعاصر وقضاياه: "الهوية والوطنية". حيث فقد المسلمون في نهاية العشرينيات كل أمل في الوحدة بعد سقوط الخلافة، وفشل مؤتمراتها. وتحول تفكيرهم نحو الوطنية والقومية والقطرية.

الإشكالية:

لم يتفق الباحثون على مفهوم محدد للجامعة الإسلامية هل هي فكرة أو مشروع أو حركة أو تيار؟. ثم هل الجامعة الإسلامية هي نفسها الإصلاح الإسلامي الحديث أم أن هناك اختلافا بينهما؟ وهل الجامعة الإسلامية تقتصر على الجانب السياسي والوحدوي فقط، أم أنها تشمل جميع مجالات الإصلاح؟ ولتحديد هذه المفاهيم أخذت مني وقتا لفهمها، ولعل الدراسات الحديثة زادتني التباسا في الموضوع،[1] حيث لاحظت أن الباحثين يركزون على الجانب الوحدوي والسياسي. وعلى الرغم من إشارتهم إلى جانب الإصلاح الديني والاجتماعي فإنهم لايتوسعون في دراسته (؟). ومن المفاهيم التي اختلف فيها الباحثون وامتدت أزمتها في الصيرورة التاريخية مدة طويلة مفهوم "الإصلاح" ومجالاته. هذه التساؤلات شغلتني كثيرا، وكنت أراها هي الأساس والمنطلق للبحث.

ولمعالجة الموضوع سننطلق من إشكالية أن الإصلاح كان موجودا في العالم الإسلامي قبل القرن التاسع عشر، والذي يسميه بعض الباحثين "الإصلاح التقليدي"، لكن التحولات التاريخية التي حدثت في أوروبا والعالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر طُرحت إشكالية تطوير الإصلاح لمواجهة المشاريع الاستعمارية. ولم يتوقف الأمر عند الإصلاح الداخلي المنعزل بل طُرحت فكرة الاستفادة من الغرب، وتحديث النظم السياسية والقانونية بما يتناسب والقضايا المستجدة، كما كانت فكرة الوحدة والتضامن بين المسلمين بمساعدة الدولة العثمانية ضرورة ملحة في الفترة.

ننطلق أيضا من أن الجزائر جزء من العالم الإسلامي، والذي كان يعاني الضعف السياسي والهجوم الاستعماري والتخلف في شتى الميادين. والجزائر هي أول بلد عربي إسلامي سقط بيد الاستعمار، وقد بذل الجزائريون مجهودات إصلاحية لمواجهة هذا الوضع، قد تكون سابقة للمشاريع المشرقية. انطلاقا من هذه القناعة التي اعتمدناها كخلفية فكرية موجهة لمقاربات الموضوع، لم تمنعنا من الاقتناع أن هناك لجوءا جزائريا إلى المشرق أو تأثيرا مشرقيا في الجزائر. لذلك سندافع عن وجود إصلاح جزائري ذاتي، مع إثبات وجود صلات وتأثيرات مشرقية ومغاربية.

بالإضافة إلى الاشكالية الرئيسية وهي:

[1] من المفكرين الذين توسعوا في تحليل مفهوم الحركات الإصلاحية ونشأتها علي مراد.

مدى تأثر وتأثير الجزائريين بحركة الجامعة الإسلامية، فإننا نطرح تساؤلات فرعية تتمثل في:

مامدى تأثر الجزائريين بالإصلاحات في الدولة العثمانية؟

مامدى سبق الجزائريين إلى فكرة الجامعة الإسلامية، باعتبار أن الجزائر أول بلد عربي إسلامي وقع بيد الاستعمار؟

هل اكتفى الجزائريون بالإصلاح الديني أم كان لهم نشاط سياسي في إطار حركة الجامعة الإسلامية؟

هل خطر الجامعة الإسلامية كان كما صورته وسائل الإعلام الفرنسية؟

المنهج المتبع:

موضوعنا من نوع المواضيع التي تستلزم دراسة تأثير وتأثر بين قضيتين. حيث توجد علاقة وطيدة بين الجامعة الإسلامية وتطور وسائل ومناهج الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي لدى الجزائريين، إلا أن حضور هذه العلاقة لايلهينا عن واقع التأثير والتأثر بينهما، أي تأثير الجامعة الإسلامية في الجزائريين، وتأثيرهم فيها. لذلك ندعم حضور العلاقة بين الطرفين، وندعم أيضا وجود سببية مركبة، فلا نركز على بعض الأسباب ونتجاهل بعضها، كما لا ينبغي أن نركز على جانب الوحدة والإصلاح السياسي ونتجاهل الإصلاح الديني والاجتماعي. وضمن هذه الطريقة في المعالجة كان لابد من تناول الطرف المؤثر "الجامعة الإسلامية"، من ظروف نشأتها وأسسها وجوانب اهتمامها، ثم بيان ارتباط التطورات الإصلاحية في الجزائر بها. وذلك باتباع المنهج الوصفي والمقارن.

لابد لنا أيضا من ربط العلاقات المتشابكة في الموضوع، فإذا انطلقنا من أن الجامعة الإسلامية التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والسلطان عبد الحميد الثاني. وكانت منتشرة في نهاية القرن التاسع عشر، فإن أصولها موجودة في مبادئ الإسلام حيث ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تدعو المسلمين إلى الوحدة وتنبذ الفرقة والتشتت منها قوله تعالى: "واعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعًا ولاتَفرّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُم إِذْ كُنْتُم أَعداءً فَأَلّفَ بَيْن قُلُوبِكُم فَأَصْبَحتُم بِنِعْمتِهِ إِخوانًا وكُنْتُم عَلى شَفَا حُفرةٍ مِنَ النَّارِ فَأنقَذَكُم مِنْها كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكم آيَاتِه لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ".[1] وفي التاريخ الإسلامي نماذج كثيرة من دعاة الإصلاح والوحدة، وهي المبادئ التي نادى بها الجزائريون في

[1] سورة آل عمران الآية 103

بداية الاحتلال، ثم استفادوا من مستجدات الفكر الإصلاحي الحديث في نهاية القرن التاسع عشر. وسنتبع هنا المنهج المقارن والتحليلي.

كما ينبغي لنا دراسة الطرف الثالث والفاعل في الموضوع وهو الاستعمار، فهو من الأسباب المؤثرة في تطور الفكر الإصلاحي الإسلامي، كما طور هو الآخر أسلوب تعامله مع الجامعة الإسلامية ومحاولة استغلالها لصالحه. حيث سنعتمد بصفة أساسية على تحليل وثائق الفترة من وثائق فرنسية وصحف وغيرها.

ولامناص لنا من تتبع تطور الفكر الإصلاحي لمدة حوالي قرن من الزمن، مع التركيز على فترة دراستنا التي هي مرحلة وسيطة ومهمة بين مرحلتين.

مصادر البحث:

الصنف الأول: وهو كتابات رواد الجامعة الإسلامية والمتأثرين بهم من الجزائريين، فقد رجعنا إلى أعمال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ومذكرات السلطان عبد الحميد الثاني بترجمتيه العربية والفرنسية التي قدم لها علي مراد. كما رجعنا إلى أعمال شكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي.

أما كتابات الجزائريين فتتمثل في أعمال عبد القادر المجاوي ومحمد المصطفى بن الخوجة وغيرهم من رواد الإصلاح، إضافة إلى مقالاتهم في الصحف، وقد وجدت صعوبة في الحصول عليها وفي قراءتها، نظرا لوضعها المتردي، ومنها صحف الحق الوهراني وذو الفقار ومجلة الجزائر والفاروق. كما استعنت بعدد لابأس به من الصحف التونسية والمشرقية مثل: المشير والوزير والهلال العثماني. وهي الصحف التي كانت تنشر أفكار الجامعة الإسلامية.

الصنف الثاني: رجعت إلى أرشيف ماوراء البحر وبخاصة السلسلة 9H والتي جُمعت تحت عنوان مراقبة الأهالي وتحتوي على تقارير صادرة عن جهات ومصالح إدارية مختلفة، اعتمدت على العلبة 9H5 التي بها تقارير عن زيارة محمد عبده للجزائر وتقارير عن دعاية الجامعة الإسلامية، كما اعتمدت على العلب 9H102 9H103 التي تحتوي على تقارير عن الحجاج الجزائريين، أما السلسلة 16H والتي تهتم بالشخصيات الدينية ونشاطهم، فقد اطلعنا على العلب 16H56 و16H57 بها تقارير هامة عن الطريقة السنوسية وعلاقاتها بالدولة العثمانية وبالجزائريين. لكنني استفدت أكثر من رصيد

عمالة قسنطينة ففيه تقارير والي قسنطينة ومراسلات وتقارير مسؤولي الدوائر والبلديات والشرطة الفرنسية في الشرق الجزائري عن: تأثير حرب البلقان ومدى انتشار الصحف المعادية لفرنسا وغيرها من الموضوعات.

وفي نظري إن الأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية هو الأغنى في الموضوع، وللأسف الشديد فإن الظروف لم تسمح لي بالاطلاع على كل الوثائق، ففيه كم هائل من الوثائق عن الجامعة الإسلامية، منها تقارير القناصل الفرنسيين والحاكم العام بالجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسي، وأيضا مراسلات الأخير إليهم. ولعل من العوائق التي واجهتني هو وجود أغلب الوثائق على شكل ميكرو فيلم مع صعوبة قراءتها وضيق وقتي، فاكتفيت بالاطلاع على سلسلة المراسلات الديبلوماسية والسياسية فيما بين 1897-1914، والسلسلة الخاصة بفترة الحرب الكبرى.

كما اعتمدت على كتابات الفرنسيين المنشورة في شكل كتب أو مقالات في مجلات، خاصة الصحفيين الفرنسيين الذين شنوا حملة إعلامية على الجامعة الإسلامية وتضخيم دورها، لفرض رقابة أكثر على الأهالي. ومن أهمهم: غبريال شارم (Gabriel Charme) وديسبارمي) (Joseph Desparmet وأندري سيرفييه (André Servier)، ألفرد لوشاتلييه(Alfred Le Chatelier) أوغستين بيرنارد(Augustin Bernard)، جون مليا (Jean Melia) .

أما الأرشيف الوطني التونسي فلم أستفد منه كثيرا، فالعلب التي أحتاجها لم تكن في الخدمة، وما أحضرته وجدته يخدم الجامعة الإسلامية في تونس أكثر من الجزائر. كما كانت لي زيارة إلى سورية، فلم استفد كثيرا من مكتباتها في موضوع بحثي.

الدراسات السابقة:

اهتم الباحثون بالجامعة الإسلامية والفكر الإسلامي الحديث عامة، وإن كان تركيزهم على المشرق أكثر، أما الجزائر ونظرا لقلة مصادر الفترة فإن الدراسات حسب علمي قليلة. فأول من تناول موضوع الجامعة الإسلامية في دراسة أكاديمية هو أحمد فهد بركات الشوابكة، ولكن دراسته كانت عامة لكل العالم الإسلامي حيث وضع الأسس للدراسات التي جاءت من بعده، كما تناول الموضوع أيضا التليلي العجليلي "صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي" وعلى الرغم مما يبدو من العنوان فإن تركيزه كان على تونس بالدرجة الأولى، بينما بقية المغرب العربي فقد جاءت دراسته شبه

سطحية، كما أن الباحث تناول الجانب السياسي وصلة المغاربة بالدولة العثمانية أو الجامعة الإسلامية –الحميدية– ولم يعط أهمية لبقية الجوانب الأخرى، ولعل الملاحظات نفسها توجه إلى أطروحة دكتوراه الصادق دهاش " البعد التحرري للجامعة الإسلامية، في المغرب العربي"، فهو لم يتناول الجانب الإصلاحي من الموضوع، كما أنه ومن خلال اطلاعي على مصادر بحثه لاحظت أن هناك نقصا كبيرا افي الوثائق الأرشيفية، خاصة الوثائق الفرنسية والجرائد العربية في فترة الدراسة، فلم يعتمد سوى على علبة أرشيفية واحدة، واعتمد على المصادر المنشورة من كتب ومقالات وصحافة فرنسية.

وعندما أشرفت على إنهاء بحثي وجدت رسالة ماجستير لمحمد دراوي بعنوان "الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924"، فقد حاول فيها الباحث إبراز مدى عمق العلاقات بين الجزائريين والدولة العثمانية. ويظهر ذلك جليا من اختيار فترة الدراسة، وعلى الرغم من كتابته عن زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر وترجمته لابن سماية ومصطفى بن الخوجة، إلا أنه لم يعط اهتماما للجانب الإصلاحي للجامعة الإسلامية، وطغى على بحثه الترجمة لشخصيات الجامعة الإسلامية وبعض من المتأثرين بهم من الجزائريين. أما مصادر بحثه فيعترف أنها مفتقدة للمصادر الأرشيفية. فبالإضافة إلى الكتب المنشورة اعتمد على صحف: النجاح والشهاب والفاروق، وبعض المجلات والصحف والمصادر الفرنسية. وأظن أن مصادره قليلة لمعالجة موضوع مهم كموضوع الجامعة الإسلامية.

وأرى أن الموضوع مازال في حاجة إلى دراسات أخرى بالاعتماد على الأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية، وبخاصة في مجال مواجهة السلطات الفرنسية للجامعة الإسلامية.

مراجع البحث:

لعل تعدد متغيرات الموضوع فرض عليه تعدد وتشعب المراجع، فهو يتعلق بعدة محاور رئيسية هي الدولة العثمانية وما يتعلق بها من إصلاحات ومشروع السلطان عبد الحميد الثاني لوحدة المسلمين، والحركة الإصلاحية المشرقية عامة والجامعة الإسلامية بصفة خاصة ومشروعها المتعدد الجوانب، وبوادر الحركة الإصلاحية وتأثيرات الجامعة الإسلامية في الجزائر. بالإضافة إلى الحركة الاستعمارية عموما والاستعمار الفرنسي ومشروعه لمواجهة الجامعة الإسلامية. فقد رجعت إلى قيس جواد العزاوي "الدولة العثمانية، قراءة جديدة في عوامل الانحطاط"، و قيصر فرح "السلطان عبد الحميد والعالم الإسلامي" وهي كتابات بنظرة ومصادر جديدة للموضوع، كما اعتمدت في مجال

الحركة الإصـــلاحية والجامعة الإســـلامية في المشـــرق على كتابات كثير من المفكرين مثل محمد عمارة وفهمي جدعان وزكي الميلاد ومحمد الصـــالح المراكشـــي وغيرهم، أما جذور الإصـــلاح في الجزائر فاعتمدت على مراجع متعددة منها كتابات أبو القاســم ســعد الله واحميده عميراوي، أما الإصــلاح الحديث وتأثيرات الجامعة الإســـلامية فاعتمدت على كتابات علي مراد وأحمد صـــاري ومولود عويمر ومحمد الصالح الجابري ومحمد علي دبوز ومالك بن نبي ومحمد ناصر وغيرهم.

خطة الدراسة:

قسمنا بحثنا إلى مدخل وأربعة فصول أساسية، مضمونها فيما يلي:

المدخل: من خلال تعريف الإصـلاح وجدنا أنه يمتد في أعماق التاريخ الإسـلامي، وحتى لا نبتعد كثيرا عن فترة الدراســة اكتفينا بدارســة بداية ضــعف الدولة العثمانية وماصــاحبه من محاولات الإصـــلاح المختلفة، والذي تزامن مع بداية التدخل الأوروبي في الدولة العثمانية، وبينا خلال ذلك مدى تفاعل الجزائريين مع محاولات الإصـلاح في الدولة العثمانية، وفكرة الجامعة الإسـلامية في الجزائر في بداية القرن التاسع عشر.

الفصـــل الأول: بينا فيه أســس الجامعة الإســلامية عند بعض روادها الذين كان لهم تأثير في الجزائر، كما درسنا علاقة الجزائريين بالمشرق الإسلامي ومدى استجابتهم لدعوات الجامعة الإسلامية بالهجرة، كما بينا بعض نشـــاطاتهم في المشـــرق الإســـلامي، ومدى دعم الدولة العثمانية للثورات الجزائرية. كما درسـنا الحركة السـنوسـية والتي هي مظهر من مظاهر الجامعة الإسـلامية ودورها في ربط الجزائريين بالدولة العثمانية والمشرق الإسلامي عموما.

الفصـــل الثاني: درســنا فيه تطور الســياســة الفرنســية في الجزائر، وأفق الإصــلاح الإســلامي الحديث في الجزائر وتأثيرات الجامعة الإسـلامية، فقد بدأ بالمطالبة بإصـلاح القضـاء والتعليم، وهي من أسـس الإصـلاح الإسـلامي الحديث، ثم تناولنا سـبل انتقال المؤثرات المشـرقية إلى الجزائر، خاصـة عن طريق العلماء والصـحف. ثم موقف الجزائريين من قضـايا المسـلمين التي كانت مطروحة في الفترة منها الدفاع عن الإسـلام وقضـية تخلف المسـلمين وسـبيل النهوض بهم، وكذلك بعض القضـايا السـياسـية وعلى رأسها الاستبداد.

الفصـــل الثالث: تطرقنا فيه للعمل الســياســـي والوحدوي للجامعة الإســـلامية ومدى تأثر الجزائريين بذلك، ونشاطهم في حركة الجامعة الإسلامية لأجل التحرر. والذي تجلى في صور التضامن مع الدولة العثمانية، أثناء الحرب العالمية الأولى، ومدى تأثرهم بالدعاية الألمانية- العثمانية، وكذلك موقفهم من التجنيد الإجباري. أيضـا تناولنا مسـألة الخلافة وموقف الجزائريين منها وعلاقتها بالقومية العربية، ثم تطور الفكر السياسي والوحدوي الإسلامي بعد الحرب الكبرى وأشكال هذا التطور، وكان تركيزنا أكثر على الجزائريين وتفاعلهم وموقفهم من كل هذه القضايا.

الفصـل الرابع: خصـصـناه للوسـائل التي اتخذتها السـلطان الفرنسـية لمنع تأثر الجزائريين بحركة الجامعة الإســـلامية، وذلك بمنع اتصـــالهم بالمشـــرق فراقبت الحج ومنعت الهجرة، ومنعت الصـــحف المشرقية، وقامت بدعاية مضـادة، حيث سـخرت صـحافتها ومفكريها وجواسيسـها. وكل طاقتها لمنع تأثير الجامعة الإسلامية في الجزائريين.

أما الخاتمة فقد أجبنا فيها عن الإشكالية المطروحة، وبما أن مصادر البحث اليوم قليلة فإن الموضوع مازال مفتوحا للدراسة، خاصة بالاعتماد على وثائق جديدة أو طرق تحليل مختلفة.

صعوبات البحث:

أول صعوبة واجهتني شح المادة العلمية، فمصادر القرن التاسع عشر فيما يخص الجزائر قليلة، ومعظم الدراســات عن الإصــلاح لم تركز كثيرا على بداياته في الجزائر، أما المصــادر الفرنســية فتوجه التفكير إلى خطورة الجامعة الإســلامية وتركز على الجانب الســياســي، وتضــخم ذلك، أما الصــحافة الفرنسية فقد وجهت الساسة الفرنسيين نحو الضغط أكثر على الأهالي، بإظهار عدم ولائهم لفرنسا. فكان من الصعب استكشاف حقيقة الأوضاع في الجزائر من خلال الوثائق الفرنسية مع قلة المصادر الجزائرية.

الصــعوبة الثانية هي ارتباط الموضــوع بقضــايا كبرى في مرحلة تاريخية مفصــلية وحاسمة، وهذا تطلب مني مجهودا أكبر لقراءة تاريخ الإصـــلاح في الدولة العثمانية، والحركة الإصـــلاحية المشـــرقية وتشعباتها، والحركة الاستعمارية في القرن التاسع عشر. وعلاقة الجزائريين بكل ذلك لنستنج في الأخير تأثير وتأثر الجزائريين بحركة الجامعة الإسلامية.

بعد شكر الله تعالى على إتمام بحثي، أقدم شكري للمشرف الأستاذ الدكتور أحمد صاري الذي أنار لي طريق البحث في جو من الاحترام والتقدير والإثراء العلمي، ولم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته رغم كثرة انشغالاته. وأقدر قيامه بتصحيح البحث وتتبع الأخطاء اللغوية والتركيبية وتصحيحها مما يدل على إخلاصه لمبادئه في إتقان العمل. كما أشكر أفراد أسرتي الذين وفروا الجو المناسب للبحث. وأشكر صديقتي الدكتورة سهام قالي، وكل من قدم لي مساعدة أونصيحة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل:

الإصلاحات في الدولة العثمانية

والتوسع الاستعماري في ممتلكاتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بدأ انفتاح العالم الإسلامي المباشر والواسع بالغرب الأوروبي في القرن التاسع عشر. وكان الغرب يمثل تحديا تاريخيا ضاغطا على المسلمين من جهة، وتجربة متقدمة في النمو والتطور على الصعيد العلمي والصناعي وكذا في النظم والقوانين من جهة أخرى. وكانت أوروبا تسعى لتفتيت المنطقة واقتسام تركة الدولة العثمانية، وإحكام قبضتها على مناطق النفوذ، وقد تلاحقت خلال تلك الفترة التطورات التي قلبت معها الموازين السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للدولة العثمانية. فتعددت مشاريع الإصلاح واختلفت مشاربها. كما ظهرت في الفترة مفاهيم جديدة بعضها بتأثير الثقافة الأوروبية، وطرحت إشكالية تحديد المفاهيم ومدى ارتباطها بالثقافة الإسلامية، وامتدت أزمتها في الصيرورة التاريخية مدة من الزمن، منها ما تعلق بموضوع بحثنا لذلك نرى من الضروري تحديدها لنبني عليها دراستنا.

كما نرى من الضروري دراسة ضعف الدولة العثمانية وبداية الإصلاح والمساهمة الجزائرية في ذلك. ومدى تأثر الجزائريين بتغيرات بداية القرن التاسع عشر، ثم الضعف العام للدولة العثمانية والتوسع الاستعماري لتظهر مشاريع إصلاحية إسلامية حديثة تحاول الاستفادة من الحضارة الأوربية، لمواجهة تحديات الفترة.

1- تحديد المفاهيم

سنقتصر هنا على المفاهيم الرئيسية التي بنينا عليها البحث وهي الإصلاح والجامعة الإسلامية.

أ- مفهوم الإصلاح: وردت كلمة إصلاح في المعاجم اللغوية بمعنى "الإصلاح نقيض الإفساد"، وأصلح الشيء بعد فساد أي أقامه، ويأتي الإصلاح أيضا بمعنى الإحسان وبمعنى التهذيب.[1] والإصلاح يظهر كتعاليم أساسية أصولها موجودة في القرآن الكريم. وتعطي لنا نصوص القرآن والسنة مفهوما للإصلاح الذي أصبح أساسيا في التصورات الدينية والاجتماعية للمسلمين، فقد جاء في عدة مواضع وبعدة معان. منها قوله تعالى في سورة هود: "إن أريدُ إلا الإصلاحَ

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، مصر، د. ت

مااستطعتُ وماتوفيقي إلا باللهِ"[1]، والمقصود منه كما جاء في تفسير القرطبي: "أن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم بالعبادة"،[2] ووردت في سورة الأنفال "فاتّقُوا اللهَ وأصْلِحوا ذاتَ بينِكم"[3] أي كونوا مجتمعين على أمر الله في الدعاء،[4] ويأتي الإصلاح بمعنى التجديد في بعض النصوص منها قوله (صلى الله عليه وسلم):"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ".[5] وهو الحديث الذي يستدل به دعاة الإصلاح المسلمون لتأكيد ضرورة التجديد والإصلاح، ويرى محمد الحداد[6] أن كلمة الإصلاح استعملت في التاريخ الإسلامي لكن استعمالها لم يتجاوز المعنى اللغوى، ثم حدث تحول دلالي في المعنى مع حركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويرى أن هذا الحديث له مرجعية قديمة والتي ترتبط بفكرة الإمامة لدى الشيعة والولاية الصوفية، بينما الأفغاني وعبده أدخلا عليه مرجعية جديدة منفتحة على تجربة حدثت خارج الفضاء الإسلامي، ويقصد بذلك المسيحية. بينما يرى علي مراد[7] أن مفهوم الإصلاح أو التجديد معقد نسبيا، وهو يعطي مجموعة دلالات تبدو مترابطة، من بينها: التذكير بالرسالة الأساسية للإسلام، وإحياء الممارسة الدينية، بحيث تبعد الممارسات الدينية التي هي انحراف عن الدين، كما يمكن أن يصحبها نشاط على السلوك الأخلاقي أو الاجتماعي.

وتنبغي الإشارة هنا أن كثيرا من الباحثين في تاريخ الفكر الإسلامي يفرقون بين مفهوم الإصلاح في التراث الإسلامي ماقبل القرن التاسع عشر، ويطلقون عليه "الإصلاح الإسلامي

---

[1] سورة هود، الآية 88.

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج9، دار التراث العربي، بيروت، 1966، ص.90.

[3] سورة الأنفال، الآية 1

[4] القرطبي، المرجع السابق، ج7، ص.364.

[5] رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال البيروتي في أسنى المطالب: رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وقال الزين العراقي: سنده صحيح. وقال السيوطي رحمه الله في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه، منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في المدخل، وممن نص على صحته الحافظ ابن حجر.

[6] **محمد عبده قراءة جديدة في الخطاب الإصلاحي الديني**، ط.1، دار الطليعة بيروت، 2003، ص.30

[7] **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الاجتماعي، من 1925إلى 1940**، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص.34.

التقليدي"، وبين إصلاح القرن التاسع عشر ويطلقون عليه "الإصلاح الإسلامي الحديث" أو "الإصلاح الإسلامي السلفي الحديث". وبناء على ذلك يرى علي أومليل أن المفهوم الإسلامي للإصلاح في نظر المصلح التقليدي وبصورة دقيقة "هو دعوى لوضع الإسلام الاجتماعي في مستوى الإسلام المعياري (أي ماينبغي أن يكون عليه المجتمع إسلاميا)، ومادام الإسلامان الاجتماعي والمعياري لم يتطابقا في وقت من الأوقات، وحتى الفقهاء يسلمون بهذا واستثنوا فترة الجيل الأول من المسلمين، فالفارق بين الإسلام الاجتماعي والمعياري مستمر"[1]. أما عبد الله العروي فيرى أن الإصلاح في التاريخ الإسلامي الحديث لم يكن له معنى واحد بالنسبة للسلطان وللرعية، فبالنسبة للأول هو تقوية السلطة التي يتمتع بها، وبالنسبة للرعية هو القضاء على أسباب الانحطاط وفي مقدمتها الاستبداد.[2]والإصلاح عادة مايكون في فترة تدهور وضعف في جميع النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية، ومادام الدين لاينفصل عن هؤلاء فإنه يمكن إقامة علاقة بين هؤلاء وظهور الحركات الإصلاحية.[3]

ومن خلال كل هذه التعريفات يمكننا أن نحدد مفهوم الإصلاح الذي نقصده في بحثنا، وهو الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، ولانقصد بالإصلاح الديني إصلاح نصوص الدين أو جوهره، كما كان الحال لدى الإصلاح الديني المسيحي في أوروبا، وإنما المقصود هو العودة إلى الممارسة الصحيحة للدين، وبما أن الدين لاينفصل عن المجتمع فقد أضفنا إليه الإصلاح الاجتماعي، كما سنتناول محاولات الإصلاح السياسي والذي تطور في نهاية القرن التاسع عشر مع الجامعة الإسلامية.

ب-مفهوم الجامعة الإسلامية: من الحركات التي اهتمت بالإصلاح ماعرف بـ"الجامعة الإسلامية" أو "الحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة" أو "المشروع التحرري الحديث"، فلم يستقر رأي مؤرخي الفكر الإسلامي على مصطلحات محددة لها، والجامعة الإسلامية تشمل حركات متعددة،

---

(1) "ماهو الإصلاح بمفهوم إسلامي"، **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**، أيام دراسية من 20 إلى 23 أفريل، 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص.21.

(2) **مفهوم الدولة**، ط9، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2011، ص-ص.175-176.

(3) علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، المرجع السابق، ص.34.

ومصـــلحين فرادى ومفكرين متعددين، لاتربط بينهم رابطة أو نظام،[1] لذا يشـــير محمد عمارة[2] إلى جانب مهم وهو أن شـعار الجامعة الإسـلامية، كان من الشـعارات التي عرفها الشـرق في نهاية القرن التاســع عشـــر. وهناك عدة تيارات حملت نفس الشـــعار، لكن بمنطلقات غير متحدة، ولأهداف متعددة، وإن جمعت بينها بعض القســـمات والغايات، وهذا الخلط –كما يقول– جعل أصـــحابه يعتقدون أن الجامعة الإســـلامية تيار واحد وليس عدة تيارات. لذلك نجد اختلافا كبيرا بين مؤرخي الفكر الإصلاحي في تحديد مفهوم الجامعة الإسلامية.

–مفهوم الجامعة الإســـلامية عند الكتاب الغربيين: اهتم الكتاب الغربيون في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالكتابة عن الجامعة الإسلامية، في وقت سيطر فيه الاستعمار الأوروبي على مساحات شاسعة من العالم الإسلامي، وبدأت ألمانيا تبرز قوة استعمارية على الساحة الدولية. ولإحكام السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية سخر الأوروبيون مفكريهم، للبحث في كل ماهو مؤثر على السياسة الاستعمارية ومنها الحركات الفكرية.

يُرجع بعض الكتاب تأســـيس "الجامعة الإســـلامية" إلى جمال الدين الأفغاني، في نهاية القرن التاسع عشر، في حين أن مجلة العالم الإسلامي (R .M.M)[3] تُرجعها إلى نادر شاه في القرن الثامن عشـر، والسـنوسـي في منتصـف القرن التاسـع عشـر، وتقول إنهما سـبقا الأفغاني، بينما الموسـوعة الإسـلامية[4] تورد أن المصـطلح باللغة التركية اسـتعمل سـياسـيا من طرف الكتاب والصـحفيين منذ 1860، وحســـب الموســـوعة فإن (Panislamis) هو من ابتداع أرمنيوس فيبري (Arminius) Vabéry في أوائل 1878، ووجد له تأييدا من الصحفي الفرنسي غبريال شارم (Gabriel Charme) حيث كتب مقالة عن الجامعة الإســـلامية صـــدرت في مجلة العالمين (R.D.M) ثم صـــدرت في ســـنة 1883 على شـــكل كتاب (L'avenir de Turquie, Le Panislamisme) بينما يشـــير لويس

---

[1] عبد المجيد النجار، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج3، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص.9.

[2] **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976، ص.47.

[3] X, "Les courants politiques dans la Turquie contemporaine", in: **R.M.M,** T21, 1912, p.169

[4] ***The Encyclopaedia of Islam new Edition***, edited by: C.E. Boswrth, Van Donzel, and others, Volume 8, Lneiden, 1995 .

ماسينيون (Louis Massignon)[1] إلى أنها ظهرت منذ أواخر القرن الثامن عشر في كتابات مختلف الكتاب ومنهم مسيحيو المشرق من الأرميني (Mouradgea d'Ohssion) في 1788 إلى اليوناني (Savvas) في 1898. وجاء في الموسوعة الإسلامية أن الجامعة الإسلامية تهدف إلى جمع المسلمين في كيان واحد، واستعادة وضعية كانت مسيطرة في بداية الإسلام، لكنها اكتسبت أهمية مضاعفة في نهاية القرن التاسع عشر.[2]

فبعض الكتابات الغربية تعطي للجامعة الإسلامية مضمونا على أنها وحدة سياسية دينية، حيث تُشبّه بُنى العالم الإسلامي مع نظيره المسيحي في القرون الوسطى، فهي تشبه جماعة المسلمين بالمجمع الكنسي، والخليفة السلطان بالبابا في روما، وهو مايعرف بالسلطة الدينية، وكلمة (Panislamisme) في نظرهم كلمة مقلدة عن (Panislavisme) و (Pangermanisme) وهي لاتصلح إلا أن تكون مثل (Pancatholisme) لكن هذا تشبيه مغلوط كما بينه لويس ماسنيون،[3] وقد حاول الكتاب الأوروبيون إعطاء نظرة سيئة عن الجامعة الإسلامية، باستعمال الأفكار الرائجة في الفترة مثل الوحدة الألمانية والوحدة السلافية والخطر الإسلامي والهلال ضد الصليب.[4] بينما لخصت نشرية إفريقيا الفرنسية(A.F) [5]معناها في أنها: "استعادة المجد السابق للشرق ببهائه الروحي والزمني بقوة الإسلام...ويمكن أن تُلخص في تعريف أضيق بأنها صون وتعزيز السلطة الزمنية للإسلام".

ومن الذين كتبوا عن الجامعة الإسلامية كارل بيكر (C.Becker) المستشرق الألماني والأستاذ بجامعة هايلدربرغ، فقد وصفها في كتابه الجامعة الإسلامية "Panislamismus" بأنها حركة ذات نزعة موازية للحركات المعاصرة غير الإسلامية، التي تدعو إلى التضامن والاستناد إلى الجماعة الإثنية أو الدينية. وأكد بيكر ضرورة إجراء تمييز قاطع بين الجامعة الإسلامية كفكرة والجامعة الإسلامية كحركة،

---

[1] "introduction à l'étude des revendications islamiques, in: **R.M.M**, T39, juin 1920, p.3 .

[2] لمعرفة المزيد حول جذور وأصول حركة الجامعة الإسلامية، يراجع: الصادق دهاش، **المشروع الوحدوي التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي فيما بين (1876- 1919)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص.ص88-96.

[3] Louis Massignon, art.cité, p. 4.

[4] *Ali Merad, **L'Empire Ottoman et l'Europe**, Publisud, Paris, 2007, p.74*

[5] *Renseignements Coloninaux*, N°2, Fevrier , 1906, P.18

فالأولى هي نتاج فهم الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) للرسالة، على حين الثانية تعكس نزعة عالمية لفهم الرسالة خارج منبعها المكي.[1]

لقد أحدثت الجامعة الإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر استفهامات وقلقا لدى الحكومات الأوربية وبخاصة الاستعمارية ومنها فرنسا، وكان من المهتمين بدراسة الموضوع غبريال شارم (Gabriel Charme)، الذي قال إن السلطان عبد الحميد الثاني أراد بالجامعة الإسلامية حث المسلمين على الوحدة ضد الاستعمار الفرنسي لتونس.[2] فالصراع لم يكن سياسيا فحسب بل هو صراع حضاري أيضا، فحسب الموسوعة الإسلامية أن الجامعة الإسلامية سياسة دفاعية تهدف أساسا إلى حماية المسلمين من الهيمنة الأجنبية، وقد ظهرت إلى الوجود في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، عندما بلغت الهيمنة الأوربية أوجها في العالم الإسلامي.[3]

يرى علي مراد[4] أن ضبابية مفهوم الجامعة الإسلامية لدى الغربيين، يعود سببه من غير شك إلى نقص معرفتهم بعادات وثقافة المسلمين، حيث إن هذه الكلمة جديدة في اللغات الأجنبية، يستنتج منه أنها كلمة لحدث جديد في التاريخ السياسي لبلاد المسلمين ولكنها في الحقيقة تدل على فكرة ثقافية وسياسية ودينية قديمة قدم الإسلام. فالتعريف الغربي للجامعة الإسلامية يسعى إلى تبيان خطر وحدة المسلمين على الحركة الاستعمارية الامبريالية، فظهرت دراساتهم في شكل تحذير وهجوم في وقت واحد. فقد أشار لوثرت ستودارد[5] إلى قِصر الفهم الغربي للجامعة الإسلامية، فقال: "إنها بمعناها الشامل ومفهومها العام هو الشعور بالوحدة العامة، ويرى أنها قديمة، كانت موجودة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهي ترتكز إلى ركنين لاثالث لهما، وهما: الحج إلى بيت الله الحرام والخلافة، وقد غلب على الكثير من رجال الغرب وهمٌ في هذا الموضوع، فهم يخالون الخلافة لاالحج العامل الأكبر في وحدة المسلمين".

---

[1] قيصر.أ. فرح، **السلطان عبد الحميد والعالم الإسلامي**، تر:محمد. م. ط.1، الأرناؤوط، دار جداول، بيروت، 2012 ، ص. 248،نقلا عن: C.H. Becker, Panislamsmus" in: Archive fur Religionswissenschfit, Band 7:170

[2] ***Encyclopeadia of Islam***, op cit, P.248.

[3] Ibid

[4] ***L'Empire Ottoman et l'Europe,*** op.cit, P.75.

[5] **حاضر العالم الإسلامي**، تر: عجاج نويهض، مج1،ج.1، ط.4، دار الفكر، بيروت، 1984، ص.289.

-مفهوم الجامعة الإسلامية في نظر الكتاب المسلمين: لعل من المفارقات العجيبة أن عبارة "الجامعة الإسلامية" التي اشتهر بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والسلطان عبد الحميد الثاني، لم ترد في العروة الوثقى، والتي يذهب الباحثون المسلمون إلى أنها كانت لسان حال الجامعة الإسلامية، ولكن العبارة التي استعملها الأفغاني هي "الوحدة الإسلامية" أو "الاتحاد الإسلامي" أو "الوحدة الدينية". لكن محمد رشيد رضا هو الذي استعمل بكثرة "الجامعة الإسلامية"، وهنا نتساءل من أين جاء المصطلح؟

يرى قيصر فرح[1] أن الجامعة الإسلامية عرفت بأسماء مختلفة منها "الوحدة الإسلامية" و"التعاون الإسلامي و"التضامن الإسلامي"، ويقول أن بعض زعماء المسلمين قد شاركوا في استخدام مصطلح "الجامعة الإسلامية Pan-islamism" الذي أطلقه الناطقون باسم القوى الامبريالية، إلا أن المسلمين كانوا يقصدون به "الوحدة الإسلامية".

يبدو لي أن مفهوم الجامعة الإسلامية يختلف من شخص لآخر، مادامت الجامعة الإسلامية ليست مشروعا واحدا وإنما فكرة تبنتها عدة شخصيات سياسية وإصلاحية، تباينت منطلقاتهم ووسائلهم وأهدافهم، وإن كان هناك نقاط التقاء بينهم، ولكن يمكننا أن نميز فيها اتجاهان: اتجاه فكري وعلى رأسه جمال الدين الأفغاني واتجاه سياسي وعلى رأسه السلطان عبد الحميد الثاني، ومن هذا المنطلق فقد نفى محمد رشيد رضا[2] ما كان يروج عن الأفغاني أنه كان يسعى إلى جمع المسلمين على خليفة واحد، ويقول: "كان له من حياته مقصدان: أحدهما تنبيه المسلمين إلى الإصلاح الديني والعلمي بالكتابة والخطابة، والثاني سياسي اجتماعي".

يرى كثير من الباحثين أن السلطان عبد الحميد الثاني كان هدفه من الجامعة الإسلامية سياسيا بحتا، فقد كان السلطان يستند إليها لإسباغ شرعية على دولة آل عثمان، واستعملها كأداة للسياسة الخارجية لاسيما مكافحة النفوذ البريطاني.[3] وهذا الرأي لم يقبله بعض المؤرخين الأتراك، حيث

---

[1] مرجع سابق، ص.203.

[2] **تاريخ الأستاذ الإمام لشيخ محمد عبده "1849-1905"**، 4ج، ط.2، لدار الفضيلة، القاهرة، 2006، ج1، ق1، ص.73.

[3] علي مراد، **الإسلام المعاصر**، تر: محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994.ص. 116.

يؤكدون على أن السلطان عبد الحميد ليس مؤسس الجامعة الإسلامية السياسية في جهوده لحشد العالم الإسلامي حول الخلافة.[1]

ومن المفكرين من يرى الجامعة الإسلامية في جانبها السياسي ومن خلال شخصية الأفغاني، يقول عنها محمد عابد الجابري أنها "حركة ثورية براغماتية،[2] وظف فيها الدين للتعبئة والتجنيد من أجل النهوض، والدفاع عن النفس أمام تهديدات الغرب الاستعماري من جهة، واكتساب القوة والمنعة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل من جهة أخرى"،[3]ليس هذا فحسب بل إن الجابري أرجع مشروعات النهضة العربية منها الجامعة الإسلامية "أو مايسميه بـ"الاتجاه السلفي الإصلاحي" إلى تأثره بالحداثة الأوربية، واقتباس شعاراتها ومنها الوحدة والتقدم، فشعار الوحدة كما يقول هو مشروع ألماني، فقد كانت ألمانيا تطمح إلى تحقيق وحدتها ومنافسة فرنسا وبريطانيا في التقدم.[4]وقد يكون الجابري في تحليله متأثرا ببعض المستشرقين.

يركز بعض الباحثين على الأبعاد السياسية لمشروع الأفغاني، فيرى مالك بن نبي أن له أبعادا ثورية سياسية دون أبعاد أخرى اجتماعية أو ثقافية أو تاريخية، حيث يقول: "لو أننا نحلل النزعة الثورية التي تتمثل في شخص الأفغاني، نرى تقريبا لها بعد واحد وهو البعد السياسي. يريد أن الأفغاني ينادي بتغيير التنظيمات السياسية والأوضاع الإسلامية لتحقيق ما يسميه بـ"الجامعة الإسلامية"، فهو يطمح إلى هدف نبيل، لكن آلة التغيير لم تكن بيده.[5]ولعل تعريف محمد عمارة [6] للجامعة الإسلامية كان شاملا، حيث يرى أن الجامعة الإسلامية هي ذلك التيار الذي رأى أصحابه التحديات الداخلية والخارجية، فأرادوا تشخيصها والتغلب عليها لإعادة الشعوب الإسلامية إلى دائرة العطاء الحضاري. وهو قريب من قول علي مراد[7] إذ يرى أن هذه الحركة معقدة؛ ذلك لأن تعاليمها الأساسية لاتنحصر

---

[1] قيصر,أ. فرح، المرجع السابق، ص.208.

[2] **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**، ط.1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص.84.

[3] **المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية**، ط.3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص.87.

[4] **المشروع النهضوي العربي...**، مرجع سابق، ص.58.

[5] "مشكلة الحضارة"، **الأصالة**، السنة السابعة، ع.55/54، فيفري/مارس 1978، ص.148.

[6] **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل**، مرجع سابق، ص.48.

[7] « Origines et vois du réformisme en Islam », in : ***Annales de l'Institut d'études orientales***, Université d'Alger, T.18/19, 1960 /1961, P. 394.

في الجانب الديني، وبرنامجها العملي يعتمد على مصطلحات دينية واجتماعية وسياسية، ومبادؤها الأساسية سلفية، فهي تريد أن ترجع إلى السلف في عقيدتها، مع الاستفادة الحداثة الأوربية في المجالات العلمية والتقنية لاستدراك تأخر المسلمين. فمجال بحث حركة الأفغاني لاتقتصر على المجال الديني حسب رأي علي مراد.[1]

لايتسع المقام هنا لإعطاء كل الآراء في مفهوم الجامعة الإسلامية، ولكن ما استنتجته هو أن الجامعة الإسلامية اهتمت بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي لمواجهة التحديات الداخلية، كما نادت بالوحدة كضرورة مستعجلة لمواجهة التحدي الخارجي والاستعمار. ولهذا سيكون بحثي مبنيا على هذا الأساس.

2 –ضعف الدولة العثمانية وبداية الإصلاح

ارتبط الإصلاح في الدولة العثمانية بعوامل ضعفها، حيث شكل الأنموذج الأوربي طريقا إصلاحيا في نظر بعض المتأثرين بالغرب، في حين رأى دعاة الإصلاح الإسلامي سبلا أخرى للإصلاح، لذا كان الصراع في هذه الفترة حادا بين الشرق والغرب ليس في الجوانب العسكرية والسياسية فحسب بل تعداها إلى النظم والقوانين والأفكار.

تختلف الدولة العثمانية عن بقية الدويلات الإسلامية في ظروف نشأتها وتكوينها وطبيعتها، ويرى عبد العزيز الشناوي أنها "دولة عسكرية ثيوقراطية–أي دينية– وعالمية وذات حكم مطلق، ولها طبيعة إقطاعية من نوع خاص"[2]. ولعل طبيعتها العسكرية هي التي جعلت بعض الباحثين[3]يرجعون سبب ضعفها إلى النظام الإنكشاري،[4] وقد كانت بداية الضعف بصراع الإنكشارية مع السلطة

---

(1) Ibid, P.393

(2) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص.49.

(3) عبد العزيز نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص.39؛ محمد فريد بك المحامي، **الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط.1، دار النفائس، بيروت،1981، ص.252.

(4)**الإنكشارية**: كلمة محرفة عن عبارة تركية عند ترجمتها وهي: "يني تشاري" فكلمة "yane" تعني جديد، و"cery" بمعنى نظام، فيأتي معنى النظام الجديد، وهو مجموعة من فرق المشاة النظاميين التي كونها أورخان العثماني

الحاكمة، بينما يرى[1] آخرون أن الصراع بين المؤسسة العسكرية والسلاطين هو نتيجة لعوامل أخرى، فكان ضعف الإنكشارية واجهة الضعف وليس الضعف نفسه، وترى أماني بنت جعفر بن صالح المغازي[2] والتي خصصت أطروحة دكتوراه للموضوع، أن الانكشارية التي كانت السلاح الرهيب الذي خاضت به الدولة العثمانية أشد معاركها تحول مع الزمن إلى سلاح موجه ضد سلطة الدولة، مما أصاب الدولة العثمانية بالضعف وتوقف فتوحاتها، وقد ساهمت في ذلك عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية. ولعل الصراع بين الإنكشارية والسلاطين هو العامل الأساسي في إضعافهما معا، وبدأ ذلك في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) حيث ثارت الإنكشارية ضد الصدر الأعظم وقتلوه.[3] ومما زاد من ضعف الجيش الإنكشاري هو القانون الذي أصدره سليمان القانوني[4]،[5] والذي يقضي بعدم خروج السلطان على رأس الجيش، وأصبحت الجيوش تحت إمرة قائدها العام، وهذا جعل الإنكشارية بعد سليمان القانوني يتمردون ويطالبون بخروج السلطان على رأس الجيش، وازداد تدخلهم في السياسة حيث أصبحوا يعينون السلاطين والصدور العظام أو يعزلونهم.

وفي أواخر القرن السابع عشر قام العثمانيون بآخر غزواتهم لجزيرة كريت واستولوا عليها من البنادقة، وبذلك توقف الفتح العثماني وضعفت الخزينة حيث عجزت عن تسديد نفقات الجنود،

في القرن الرابع عشر الميلادي ودربوا على وسائل حربية وأسلحة حديثة"، للمزيد ينظر: أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، ط.1، دار القاهرة، القاهرة، 2007. ص.21.

[1] قيس جواد العزاوي، **الدولة العثمانية، قراءة جديدة في عوامل الانحطاط**، ط.2، الدار العربية للعلوم، بيروت،2003، ص.ص.13-14.

[2] المرجع السابق، ص.154.

[3] قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.13.

[4] **سليمان القانوني**: الابن الوحيد للسلطان سليم الأول، وعاشِر سلاطين بني عثمان، امتدت ولايته من (1520-1566)، بدأ عهده بحملات واسعة ضد القوى المسيحية في أوروبا الوسطى، وفي حوض البحر المتوسط، أحاط نفسه برجال دولة يتمتعون بكفاءة مميزة، لقبه الأوربيون بالعظيم ولقبه الأتراك بالقانوني، نظرا لما أدخله من تعديلات ضرورية على الجانب القانوني. علاوة على اشتهاره بالعدل. المرجع: عبد الوهاب الكيلاني، وآخرون، ج.3، **مرجع سابق**، ص-ص.233-234.

[5] محمد فريد بيك المحامي، مصدر سابق، ص.252.

فازداد تمردهم. كما لم يهتم العثمانيون بتطوير الجيش من حيث التنظيم والأسلحة، في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوربية قد طورت جيوشها. وفي بداية القرن الثامن عشر كان الجيش العثماني متخلفا عن الجيوش الأوربية ولكن ليس بالدرجة التي يصعب علاجها[1].

بينما يرجع بعض الباحثين السبب الرئيسي لضعف الدولة العثمانية إلى نظام الامتيازات[2]، والذي فتح المجال للدول الأوربية للتدخل في شؤون الدولة، ويعرف ياسر عبد العزيز قاري[3] الامتيازات بأنها "الحقوق القانونية للأجانب والتي تنظم إقامتهم ومعاملاتهم وعباداتهم" بينما يرى باحثون آخرون أن الامتيازات الأجنبية كانت تمنح من السلطان للدلالة على كرمه أو للاعتراف بتفوقه.[4] وتعود بدايات الامتيازات إلى عهد محمد الفاتح، لكن المعاهدة المشهورة والتي أثارت اهتمام الباحثين واعتبروها البذرة الأولى للتدخل الأجنبي هي التي منح سليمان القانوني بموجبها امتيازات للملك الفرنسي فرنسوا الأول (1515-1547)،[5] ويرى قيس جواد العزاوي[6] أن هذه المعاهدة كانت حماية لفرنسا من الخطر النمساوي في أوربا، وكانت فيها تنازلات عن السيادة العثمانية، ومنح

---

[1] ألبرت حوراني، **تاريخ الشعوب العربية**، تر: نبيل صلاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999، ج.2، ص.79.

[2] قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص-ص.15-25 .

[3] **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف يوسف علي الثقفي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. 2002، ص.392.

[4] المرجع نفسه، ص.24.

[5] فرنسوا الأول "François Premier " (1494-1547)، ملك فرنسا من (1515-1547) والده شارل دي فالو المعروف بشارل دي أورليان، اعتلى فرانسوا العرش بعد وفاة لويس 12 الذي لم يكن له وريث، وذلك بصفته صهره. تميزت سياسته بالتسامح مع البروتستانت وحقق الرخاء الاقتصادي في المملكة. وقع مع البابا ليون العاشر اتفاقا يسمى اتفاق بولونيا في 18 أغسطس 1516 يقضي بوضع يد الملك على الأكليروس الكاثوليكي، إذ يسمي الملك المطارنة والآباء مما قلص سلطة البابا إلى حد إعطائهم البركة فقط، بالإضافة إلى ذلك كان فرانسوا الأول يتمتع بامتيازات كنسية. واشتهر بتقربه من العثمانيين. المرجع: عبد الوهاب الكيلاني، ج.1، مرجع سابق، ص.485.

[6] المرجع السابق، ص-ص.19-25.

لفرنسا الحرية التجارية في البحر المتوسط،[1] وقد كُلف خير الدين بربروس بالدفاع عن جنوب فرنسا، وهذا ما لم تكن تحلم به أي دولة أوربية. وبعد موت سليمان القانوني وتولي الحكم سلاطين ضعاف، واتخذت فرنسا والدول الأوربية من الامتيازات مطية للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية.[2]

يخالف ياسر عبد العزيز[3] هذا الرأي، حيث يرى أن الباحثين يخلطون بين الامتيازات المتقدمة والامتيازات المتأخرة. فالامتيازات المتقدمة كانت منذ عهد محمد الفاتح إلى سليمان القانوني، وكان لها أثر إيجابي على أمن الدولة، وقد منحت لفترة تربو عن قرنين من الزمن ولايمكن أن تكون السبب في انهيار الحكم، وقد كانت أداة فعالة استخدمها السلاطين العثمانيون بمهارة فائقة لتفريق الدول الأوروبية، وكانت مطابقة للشريعة الإسلامية.[4] بينما الامتيازات المتأخرة هي التي منحها السلاطين في بداية القرن الثامن عشر، وقد تباينت الامتيازات المتقدمة عن المتأخرة شكلا ومضمونا، حيث أضيفت بنود تنص على تنازلات تجارية أو مواقع جغرافية، فينبغي أن نفرق بين الفترات الزمنية أو الظروف السياسية التي منحت فيها الامتيازات.[5]

ومهما يكن من أمر، فالامتيازات التي أعطيت للدول الأوربية وفرنسا خاصة، منحت لها حق حماية الكاثوليك الأوربيين بكنائسهم وكهنتهم في أراضي الدولة العثمانية، ثم توسعت إلى حماية الكاثوليك العثمانيين والإرساليات الأوربية العاملة بينهم، وهذا مازاد الطوائف الدينية المسيحية ثروة ونفوذا فاغتنى اليونانيون والأرمن والمسيحيون العرب وارتفع مستواهم الثقافي واشتد شعورهم

---

[1] من بين الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا من الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني، امتياز صيد المرجان في سواحل عنابة بالجزائر ثم القالة، حيث أُنشِئ باستيون (وهو مجموعة منازل لإقامة التجار، ثم تحول مع الزمن إلى مايشبه مدينة صغيرة لها بوابات رئيسية، وسمح لهم بالتسلح في فترة متأخرة)، وإن لم يعرف نشاطا كبيرا في البداية لكنه في القرن الثامن عشر اتسع، وأصبح محل نزاع بين الجزائر وفرنسا، ينظر: جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية** (1790-1830)، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 2005، ص-ص.224-232.

[2] قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.25.

[3] مرجع سابق، ج.1، ص، ص.23،392.

[4] المرجع نفسه، ص.392.

[5] المرجع نفسه، ص.31.

الطائفي[1]، وزاد من تفكك الدولة داخليا. وأعطت الامتيازات الدول الأوربية الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية لحماية الرعايا المسيحيين، وفتحت أيضا المجال للتجار الأجانب بشكل أضر بالتجار المحليين، وأصبحت معاهدات الامتياز سيفا مسلطا على رقاب الأتراك في فترة ضعفهم، وسببا في فقدان كثير من المناطق التابعة للدولة العثمانية.

ومع نهاية القرن الثامن عشر بدأ ميزان القوى بين الدولة العثمانية وأوربا يتغير، فقد تحولت سياسة الدولة العثمانية من الهجوم إلى الدفاع،[2] ففي (1768-1774) أنزلت روسيا بواخرها في اليونان وتوغلت في البلقان والقوقاز، واضطر السلطان إلى التخلي عن القرم، وكانت بذلك أول قطعة إسلامية تسلخ من الدولة العثمانية. كما أن البواخر الفرنسية والبريطانية أصبحت تمخر في شرقي البحر المتوسط حتى توصلت فرنسا لاحتلال مصر في سنة 1798.[3]

وفي بداية القرن التاسع عشر ظهرت النزعات الاستقلالية في البلاد العربية وفي أوروبا، فقد حاول محمد علي الاستقلال بمصر بعد إخراج الفرنسيين منها. وعجز الجيش العثماني عن قمع الثورات التي كان أساسها دينيا أو قوميا، وانتهت بتدخل الدول الأوربية وبالاعتراف باستقلال اليونان في 1831، وهذا ماشجع بقية الأقليات الأوربية على المطالبة بالاستقلال.[4] كما نمت العصبيات والقوميات المحلية، وتطلعت إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية، ووجدت في قومياتها صلابة كافية للصمود أمام القوات العثمانية، وفي البلاد العربية ظهرت كثير من الأسر المحلية الحاكمة.[5]

---

[1] ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939)**، تر: جميل عزقول، ط.4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986، ص.58.

[2] كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص.532.

[3] ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، مرجع سابق، ص.57.

[4] محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.382

[5] عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص.142.

وكما حدث تحول في المسار السياسي للدولة العثمانية بعد نهاية عهد سليمان القانوني،[1] ضعف أيضا اقتصاد الدولة وانكمشت الموارد المالية، وزادت نفقات السلاطين على القصور.[2] وفيما كانت الدولة العثمانية تعاني من الضعف الاقتصادي ظهرت قوة الدول الأوربية البحرية واكتشافاتها الجغرافية، حيث اتجهوا شرقا وغربا، وسيطروا على التجارة الدولية، فتدفقت الأموال والمواد الأولية والذهب على أوربا، وكان لغزو الفضة الأمريكية للأسواق العثمانية بداية من عام 1580 أثره في التضخم الاقتصادي، فارتفعت الأسعار مع ثبات رواتب الموظفين والجنود، واتسع عجز الخزينة وتعددت الضرائب وزادت وبخاصة في الولايات العربية، ففي الفترة ما بين (1583-1681) ارتفعت الضرائب على الأفراد بمعدل ثلاث عشرة مرة، مما زاد من استياء المواطنين، وكثرت الاضطرابات،[3] وفي نهاية القرن الثامن عشر كان الاقتصاد العثماني متزعزعا، وأنزل الضرر بالطبقات المنتجة، وكانت النتيجة أن تقهقرت الزراعة والحرف وجلا السكان عن الأرياف.[4]

بالإضافة إلى التحديات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي واجهتها الدولة العثمانية، هناك تحد آخر وهو الثورة العلمية، ففي الربع الأخير من القرن الثامن عشر اتسعت الهوة بين المهارات التقنية لبعض الدول في غربي وشمالي أوربا، وبين بقية بلدان العالم. وفي الدولة العثمانية لم يكن هناك أي تقدم تقني، حيث تدنى مستوى المعرفة العلمية والفهم. وأدى تطور الطب في أوروبا إلى إيقاف أضرار الطاعون التي كانت تفتك بالمدن الأوربية، وذلك بتطبيق نظام الحجر الصحي، فتزايد عدد السكان.[5] بينما كان سكان الدولة العثمانية يتناقصون بفعل الأوبئة، لأن علماء المسلمين كانوا آنذاك لا يجيزون الحجر الصحي لاعتقادهم أن الوباء بلاء من الله. وعُد تعويضا عن الجهاد الذي تقلصت سبل ممارسته ولم يعد متيسرا، والفكرة التي كانت سائدة أن من مات بالطاعون فهو شهيد في

---

(1) أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، مرجع سابق، ص.203.

(2) قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.33.

(3) إكمال الدين إحسان أوغلى وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج.1، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث والفنون والثقافة، إستانبول، 1999، ص.49.

(4) ألبرت حوراني، **تاريخ الشعوب العربية**، ج.2، مرجع سابق، ص.53.

(5) المرجع نفسه، ص.80.

سبيل الله مثل المستشهد في ساحات الوغى.[1]وفي خضم هذا التدهور السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي الذي أعقب ذروة المجد مباشرة، ظهرت بوادر الدعوة إلى الإصلاح.

إن اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الإصلاح،[2] فإنهم اتفقوا [3]على أن للإصلاح في الدولة العثمانية تيارين رئيسين هما:

-الإصلاح الإسلامي التقليدي: ويسمى في بعض المراجع بـ" الإصلاح السلفي"، وهو العودة إلى ماكان عليه المسلمون في القرون الأولى للإسلام، ففي نظر هؤلاء المصلحين أن المسلمين يصلحون أنفسهم بأنفسهم، فالخلل الداخلي هو الذي سمح بالغزو الخارجي، ويكون الإصلاح بالاعتماد على الإسلام، أما مسألة الاقتباس من الغرب فقد كانت محل نزاع بين رواد هذا التيار ومن أشهر دعاته ولي الله الدهلوي في شمال الهند [4] وكانت دعوته ردا على التحديات الخارجية[5]وهي الاستعمار والغزو الفكري الذي صاحبه، وعلى تحديات داخلية واجهت المجتمع الهندي في القرن الثامن عشر ميلادي (الثاني عشر الهجري). أما حركة محمد بن عبد الوهاب، فقد

---

(1) محمد الحداد، **حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 2002، ص.117.

(2) إسماعيل زروخي، "مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة"، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة منتوري بقسنطينة، ع.14، ديسمبر، 2000، ص. 87؛ عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي العربي، ط.9، الرباط، 2011، ص.176.

(3) ينظر: مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص.43؛ علي مراد، **الإسلام المعاصر**، تر: محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص.22؛ ألبرت حوراني، **الفكر الإسلامي في عصر النهضة**، مرجع سابق، ص.ص.79-81؛

B.Tlili, ***Nationalisme, Socialisme , et Syndicalisme dans le Maghreb des années 1919-1934*** , ***Fondement et positions des réformismes,*** T1, publications de l'université de Tunis, 1984 , p.45-44

(4) **أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي**، الملقب بشاه ولي الله (1703-1762): فقيه من المحدثين، له مؤلفات في التفسير وعلوم الحديث والعقيدة ...، ومنها "حجة الله البالغة" و"عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد". المرجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج.1، ص.149.

(5) ألبرت حوراني، **تاريخ الشعوب العربية**، ج.2، مرجع سابق، ص.77.

عدها محمد عمارة[1] أقدم تيار فكري يندرج تحت شعار "الجامعة الإسلامية"، ويرى أن هدف ابن عبد الوهاب هو تجديد شباب الإسلام والمسلمين عن طريق إنكار البدع والخرافات وقد كان سياسيا مناهضا للعثمانيين. ولعل اصطدام حركة ابن عبد الوهاب بالعثمانيين وبمحمد علي[2] والي مصر وتمركزها في الحجاز أعطاها شهرة، وعلى الرغم اشتراك منهجها الإصلاحي للمعاصرين لها في المشرق والمغرب الإسلاميين.

-الإصلاح المتأثر بالغرب: لعل اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم الإصلاح جعلهم يختلفون أيضا في بدايته، فمنهم من يرجع بدايته إلى عهد السلطان سليم الثالث، بينما يفرق قيس جواد العزاوي[3] بين الإصلاح المتأثر بالغرب والإصلاح الداخلي، والأخير بدأ بدعوات إصلاحية قدمت للسلاطين العثمانيين منذ منتصف القرن السادس عشر، فقد كتب المؤرخ مصطفى علي أفندي جيليولو (1541-1599)، للسلطان مراد الثالث رسالة بعنوان: "مفاخر النفائس في كفاية المجالس" يصف فيها الحكومة العثمانية ويركز على بذخ الطبقة الحاكمة.

وبحلول القرن الثامن عشر كشفت الهزائم العسكرية بجلاء عن هرم بنيان الدولة العثمانية، وبدأ تفكير السلاطين في إصلاح المؤسسات[4] خاصة العسكرية منها، متبعين الأساليب الأوربية. وتشير الوثائق العثمانية إلى أن أول مسؤول سياسي عثماني سعى للإصلاح متأثرا بالغرب هو الدامادا إبراهيم الذي أصبح صدرا أعظما مابين (1718-1730)، وتأثر به السلطان أحمد الثالث (1703-1730)، مما جعل الإنكشارية رافضي التحديث يقتلون الصدر الأعظم ويعزلون السلطان.[5] لكن

---

(1) **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص-ص.48-49.

(2) **محمد علي باشا**(1770-1849) مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، ولد باليونان واشتغل بالتجارة، تعلم القراءة في الخامسة الأربعين من عمره، قدم لمصر على رأس قوة من المتطوعة لرد العزو الفرنسي، جامل المماليك إلى أن أصبح واليا، قتل المماليك غدرا في سنة 1824، توسع شمالا وجنوبا وجعل الحكم وراثيا في عقبه. أرسل البعثات العلمية إلى أوروبا. المرجع: الزركلي، **الأعلام**، ج.6، ص-ص.298-299.

(3) مرجع سابق، ص.38 .

(4) B.Tlili, ***Nationalisme Socialisme..,*** T1, op.cit, p.45

(5) قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.44.

إصلاحات العسكر المشهورة بدأ بها السلطان سليم الثالث (1788-1808) فالإصلاح البارز في عهده يتمثل في إقامة أول تجربة في الإطار الإسلامي عرفت باسم "نظام جديد" مرفقا بإصلاح اقتصادي سمي "إيراد جديد"،[1] وأنشأ فرقا عسكرية على شاكلة النظام الأوربي. وكان الغرض من ذلك هو ترتيب العساكر النظامية والاستغناء بهم عن الإنكشارية.[2] ويرى بعض الباحثين أن تنظيم الجيش على الأساليب الأوربية كان نتيجة الحاجة الملحة والضرورة القصوى أكثر من كونها إعجابا عشوائيا شعر به المسؤولون تجاه أوروبا[3].

عارضت القوات التقليدية بقوة "النظام الجديد"، وطلب الإنكشارية دعم الشيوخ لإيقاف الإصلاح على النمط الغربي، واتهم السلطان سليم الثالث بتغريب المجتمع العثماني، لقد كان هذا الإصلاح في نظر القوة المحافظة مساويا للخيانة، ومنافيا للشريعة الإسلامية.[4]وحدث صراع بين المحافظين والإصلاحيين أدى إلى عزل السلطان، كما أفتى شيخ الإسلام بأن كل سلطان يدخل نظام الافرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها، لايكون صالحا للملك، فعُزل السلطان سليم الثالث وفي 1808 وجد مقتولا في قصره[5].

إن هذه المحاولة الأولية للتحديث التي أخفقت في إستانبول في بداية القرن التاسع عشر، تزامنت معها حركة إصلاحية أخرى بمصر، فقد قام محمد علي بحركة إصلاحية مستمدة من التجربة العثمانية في تجديد القوة العسكرية.[6] حيث بدأ بإزالة العقبات الرئيسية التي تعيق إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فقام بتنظيم مجزرة المماليك في سنة 1811.

تزامنت إصلاحات محمد علي بمصر مع توتر العلاقات الدولية في البحر المتوسط، خاصة بين فرنسا وبريطانيا، وتنافسهما للتوسع على حساب الدولة العثمانية، والتي كانت منشغلة بحربها مع روسيا، ومع الأقليات القومية والدينية التي تريد الانفصال عنها، بالإضافة إلى حركة محمد بن عبد

---

(1) المرجع نفسه، ص.46.

(2) محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.371.

(3) إكمال الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ص.79.

(4)B.Tlili, ***Nationalisme…*** , T.1, op.cit ,.p.46.

(5) محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.392.

(6) B.Tlili, ***Nationalisme…*** T.1, op.cit , p.46

الوهاب في الحجاز، والتي حاول محمد علي القضاء عليها، والتوسع في بلاد الشام وشمال إفريقيا، لذلك كان تركيزه على تنظيم الجيش وحداثته ليقوم بدوره خارج الحدود المصرية. وحتى يتمكن من إصلاح بقية المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أنشأ مؤسسات تعليمية على النمط الأوربي، وأرسل بعثات علمية إلى أوربا، وشجع الترجمة والنشر، وأنشأ الصحف والمدارس العليا المتخصصة[1].

لقد أثرت التجربة الإصلاحية المصرية على بقية المقاطعات العربية والإسلامية وحتى على الدولة العثمانية نفسها، فقد استبدل السلطان محمود الثاني[2] الإنكشارية بقوات نظامية، وفي 1826 قضى على الإنكشارية وعلى الطريقة البكداشية التي ينتمون إليها. وبذلك دخلت الدولة العثمانية مرحلة جديدة من الإصلاح.

تعد سنة 1839 نقطة تحول تاريخي[3] في إصلاحات الدولة العثمانية، فقبل هذا التاريخ كان مفهوم "الإصلاح" هو إقامة مؤسسات جديدة إلى جانب المؤسسات القديمة من دون المساس بها، لكن بعد هذا التاريخ أصبح الاتجاه نحو التخلص من المؤسسات القديمة وإقامة مؤسسات جديدة، معتمدين في ذلك على القوانين والنظم الأوروبية،[4] وهذا ما يسميه الباحثون بمرحلة "التنظيمات" ويسميها قيس جواد العزاوي[5] ب"الإصلاح المفروض" من قبل الدول الأوربية على السلاطين، وتميل بعض الدراسات إلى تسميتها بالإصلاح "Réforme"،[6] إلا أن المصادر التركية استخدمت كلمة

---

[1] Ibid .p. 47

[2] **السلطان محمود الثاني(1785-1839)** ابن السلطان عبد الحميد الأول تلقى تعليما تقليديا قاعدته الأدب والموسيقى واللغة العربية، ترسخ في ذهنه مثل الأمراء العثمانيين مفهوما روحيا لسلطة الإمبراطورية. لم يكن إعداده جيدا ليلعب دوره في الإصلاح. ولى الحكم في 1808 وكان عهده عهد اضطراب سياسي في الداخل وتهديد روسي من الخارج. حاول الإصلاح الداخلي والتنظيم، وفي عهده فتحت أبواب الدولة للتأثير الأوروبي، ولم تؤد إصلاحاته إلى النتائج المرجوه. المرجع: عبد الوهاب الكيلاني وآخرون، ج.6، ص.ص.108-109

[3] يُرجِع إكمال الدين إحسان أوغلي البداية الحقيقية للتنظيمات إلى سنة 1826، مرجع سابق، ص.98

[4] المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[5] مرجع سابق، ص-ص.58-59

[6] نادية ياسين عبد، **الاتحاديون، دراسة تأريخيه في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية "أواخر القرن التاسع عشر-1908"**، ط.1، دار عدنان، بغداد، 2014، ص.74.

"تنظيمات" "وهو من المفاهيم المنقولة عن الغرب، حيث ترى هذه المصادر أنه علم على عهد بعينه. فلا هو انقلاب ولاحتى إصـــلاح...بل أنه عهد تنظيم وتقنين واع يعتمد على "مبدأ التدرج" خارج هذين الحدين. فيجدر بنا أن نضـــع المغزى لاصـــطلاح "التنظيمات" ليس بالنظر إلى المعاجم وإنما بالنظر إلى الاستخدام الاصطلاحي في ذلك العصر. وهو بهذا المعنى تنظيم وتشريع لعهد بأكمله"[1].

بدأت حركة التنظيمات رسميا بخط كلخانة في 3 نوفمبر 1839 حيث كان الصـــدر الأعظم رشيد مصطفى باشا المسؤول الأول عن صدوره،[2] وأول خطوة في هذا التنظيم هي ضمان الأمن الكامل للرعايا الأوربيين على حياتهم وممتلكاتهم.[3] والهدف منه هو تحويل الســـلطة الإســـلامية إلى سلطة يكون فيها أتباع الأديان متساوين في جسم الجماعة السياسي، ومشتركين معا في الشعور الوطني، لاسترضاء الدول الأوربية.[4] وعلى الرغم ردود الفعل القوية المعارضة للقانون في أنحاء الدولة العثمانية فقد أصدر السلطان خط همايون أثناء حرب القرم في 18 نوفمبر 1856، ونص على منع أي تمييز تبعا للعرق أو الدين، وضـــمان الحقوق الدينية لجميع الرعايا، مع مراعاة أوضـــاع الطوائف والأقليات والتي توطدت علاقتها آنذاك بالدول الأوربية.[5]أما عن النتائج الأولية للتنظيمات فقد رافقها تغير حقيقي في ذهنية ساسة الدولة العثمانية، وتغير محسوس في الهياكل وسير عمل الدولة، وتجاوز الأشخاص ليمس العادات والتقاليد، وفهم الدولة لطبيعة واقعها ومهامها المفروضة.[6]

انتقلت عدوى الإصلاحات إلى الدول العربية حيث أصدر محمد باي في تونس "عهد الأمان" في سنة 1857، والذي ينص على الأمان والحرية والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، كما صدر في تونس أول دستور في بلد إسلامي في سنة 1861، وأُسس في مصر في عهد الخديوي إسماعيل "مجلس شورى النواب" قال عنه جمال الدين الأفغاني إنه يتم فيه التصديق رسميا على امتصاص قُوت

---

(1) إكمال الدين إحسان أوغلي، ج.1، المرجع السابق، ص.321

(2) قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.59

(3) نادية ياسين عبد، المرجع السابق، ص.74

(4) ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، مرجع سابق، ص.67

(5) سليمان البستاني، **عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**، تحقيق: خالد زيادة، ط.1، دار الطليعة بيروت، 1978، ص.25.

(6) نادية ياسين عبد، مرجع سابق، ص.77.

الفلاح واستغلاله.[1] وقد كان رجال الإصلاح في تلك الفترة حذرين من تلك المؤسسات لأنها مبنية على قوانين غربية، وأُبعد التشريع الإسلامي في مجال السياسة والتجارة والاقتصاد. واكتملت الإصلاحات على النمط الغربي بإقرار دستور مدحت باشا في 1876.

3-المشاريع الإصلاحية الجزائرية:

تمثل مشاريع الإصلاح في القرن التاسع عشر نقطة يقظة، أو محاولة للحد من السيطرة الخارجية. ويُركز معظم الباحثين في تاريخ الفكر والإصلاح على المشاريع الإصلاحية في الدولة العثمانية وفي مصر وإصلاحات خير الدين التونسي.[2] ولا نكاد نجد إشارة إلى المشاريع الإصلاحية في الجزائر فهل يعود ذلك إلى أنها فقدت سيادتها أو الأداة السياسية، والتي هي في نظر بعض الوسيلة الأولى للإصلاح؟ أم ما كان يحدث في الجزائر هو مجرد ثورات ومقاومات وليس مشاريع إصلاحية؟، فإذا ما دققنا في العناصر الأساسية لكل فكر إصلاحي في العالم الإسلامي، سواء في نظر الحكام أم الشعوب أم المفكرين والعلماء والفقهاء، فإنهم يطرحون عناصر أساسية وهي: الوحدة الداخلية والتضامن الإسلامي وإصلاح نظام الحكم وإقامة العدل، ورفع الظلم والاستبداد والاستعمار، والقضاء على أسباب الانحطاط، وتقوية المجتمع، وتقوية الاقتصاد والجيش، وإصلاح نظام القضاء والتعليم،[3] وباختصار تقوية الدولة داخليا وخارجيا.

فإذا انطلقنا من هذا المفهوم، ودرسنا المشاريع الإصلاحية في الجزائر قبيل الاحتلال وفي بدايته، نجد أن هناك مشروعين يمكن أن نسميهما "إصلاحيان"، هدفهما واحد ووسائلهما مختلفة. الأول

---

[1] قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، ص.ص.61-62

[2] **خير الدين باشا التونسي**(1810-1890): سياسي ومصلح، شركسي الأصل قدم إلى تونس صغيرا، اتصل بصاحبها (الباي أحمد) وأثرى، وتعلم وتقلد مناصب عالية، آخرها الوزارة، أعلن الدستور في تونس في 1861، لكنه ظل حبرا على ورق، وفي سنة 1877 أبعد عن الوزارة، فخرج إلى الآستانة وتقرب من السلطان عبد الحميد الثاني فولاه الصدارة العظمى، ثم استقال ونصب عضوا في مجلس الأعيان، إلى ان توفي، له كتاب "أقوم المسالك في معرفة الممالك". المرجع: الأعلام للزركلي، ج.2، ص.327.

[3] للمزيد حول أهداف السلطة من الإصلاح ومجالاته، وأهداف المحكومين، وأيضا شكل الإصلاح في المرحلة العثمانية وفي المرحلة الاستعمارية. ينظر: عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، مرجع سابق، ص-ص. 176-179؛ B.Tlili, ***Nationalisme***…T1, op.cit.p.44

عبارة عن دعوة لإصلاح الأوضاع في الجزائر وربطها بالدولة العثمانية، وهو مشروع ابن العنابي وحمدان بن عثمان خوجة، والثاني مشروع طبق في الواقع وهو مشروع الأمير عبد القادر.

نلمح بدايات الدعوة إلى الإصلاح قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر في أعمال المفتي ابن العنابي، الذي تنقل كثيرا إلى المشرق العربي وإلى استانبول وأقام بالقاهرة حيث تأثر بإصلاحات السلطان محمود الثاني ومحمد علي والي مصر وكان له رأي فيها، كما نجد حمدان بن عثمان خوجة يبدي آراءه الإصلاحية خاصة بعد نزول القوات الفرنسية بالجزائر، فقد أعلن كل من ابن العنابي وحمدان خوجة عن ارتباطهما الوثيق بالدولة العثمانية، فابن العنابي يقول: "لولا أن الله سبحانه جبر حال الإسلام بظهور الدولة العثمانية أعلى الله مقامها ورفع بالتأييد والنصر أعلامها، فجدد القائمون بأعبائها معالم الدين وأحيوا ماالدرس من شريعة سيد المرسلين..."[1].

كما كان حمدان خوجة متمسكا بالدولة العثمانية، وراسل السلاطين العثمانيين ليتدخلوا ويسترجعوا الجزائر من يد الفرنسيين، فقد قال لأحمد بوضربة الذي كان مؤيدا للفرنسيين: "فأنا لاأقيم في الجزائر إلا إذا كانت بيد الدولة العلية.."[2]. وكانت نصائحهم ونداءاتهم للسلطان العثماني أن يصلح حال من هم تحت ولايته من المسلمين، فابن العنابي نصح السلطان العثماني بالإصلاح السياسي، حتى لاتعرف دولته مصير الدول الإسلامية السابقة، ويحذره أن تؤول الدولة العثمانية إلى ماآلت إليه الخلافة العباسية، وقد عالج ابن العنابي بعض القضايا التي كانت مطروحة آنذاك،[3] وأهمها سياسة الحكم حيث يقول: "إن السياسة الشرعية تقوم على ثلاثة أمور: "اللين وترك الفضاضة والمشاورة وأن لايستعمل على أعمال الولايات راغب فيها ولاطالب لها"[4]، وربط ابن العنابي بين عدة أمور أخرى تُعد من صميم نجاح الحكم وقوته، وهو العدل لأن الظلم مصدر خراب الدولة وبين أهمية

---

[1] محمد بن محمود العنابي، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.88.

[2] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي**، تونس، الجزائر، ليبيا، من 1816 إلى 1871، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.ص .176.

[3] أبو القاسم سعد الله، رائد **التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى سنة 1850**، دار الغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، 2005، ص.78.

[4] محمد بن محمود العنابي، المصدر السابق، ص.205.

الجيش لقوة الدولة، وكذلك وفرة المال وانتشار العمران وقد حذر من مغبة التبذير والإسراف.[1]ولعل كل من ابن العنابي وحمدان خوجة كانا من المبادرين في عصرهما إلى طرح مشكلة الإصلاح السياسي، ورأيا ذلك ضرورة قصوى، في وقت كان بعض يرى الأولوية للإصلاح العسكري، فقد كان حمدان خوجه يرى أنه: "يجب على السلاطين وعلى أولي الأمر...أن يبادروا بإصلاح مايدخل عليهم الضرر إن تحقق مدخل الضرر وإمكان دفعه.."[2] وذهب حمدان خوجه إلى أبعد من ذلك إذ يقول:"إن كل عصر له متطلبات وخصائل ولدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم حتى يتفادى حدوث اضطراب وقلق في الشعب وحتى لايعرقل ذلك تسيير دولاب الإدارة الناجحة"،[3] ثم انتقد الحكام الذين لم يطبقوا الشريعة الإسلامية، ولم يفهموا مبادئها السمحة، والتي من بينها ظروف تتسرب عبر الزمن وحاجات الإنسان لم تتوقعها القوانين، لذلك يجب على كل مشرع أن يفهم هذه الضرورات ليعمل على إيجاد طريقة حكيمة لتطبيق هذه القوانين.[4] إن كلا من ابن العنابي وحمدان خوجة حملا السلطة العثمانية مسؤولية الإصلاحات السياسية وفقا للشريعة الإسلامية، في الوقت الذي بدأ فيه التفكير في الاستعانة بالتنظيمات الغربية للإصلاحات داخل الدولة العثمانية.

يمثل حمدان بن عثمان النضال السياسي الجزائري المتقدم في الزمن، فقد كان يطالب برحيل القوات الفرنسية سلميا، وهو من الذين يحملون أفكارا محتواها أن فرنسا أمة عظيمة، ومن المعجبين بالنظم والسياسة الأوربية وبحضارتها، استقى ذلك من رحلاته إلى أوربا وتعامله التجاري،[5] فقد كان يحسن اللغة الفرنسية. ومواقف حمدان خوجة السياسية كثيرة جدا وقد خصها الباحث احميده عميراوي بدراسة، فقد كان حمدان بن عثمان خوجة حاضرا في العاصمة منذ الأيام الأولى للاحتلال وحتى سنة 1833، وقَبِل التعاون مع السلطات الفرنسية، وكان في الوقت ذاته يفضح أعمال خرق

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد**...، المرجع السابق، ص.77.

(2) حمدان خوجة، **أتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968، ص.78.

(3) عبد الجليل التميمي، المصدر السابق، ص.170.

(4) احميده عميراوي، **دور حمدان بن عثمان خوجة في القضية الجزائرية**، (1827-1840)، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1978، ص.81.

(5) المرجع نفسه، ص.ص. 103-104

اتفاقية الاستسلام (5جويلية 1830) وخاصة السند الخامس الذي ينص على احترام الدين وحرية الشعب وممتلكاته ...

لكن السلطات الفرنسية خالفت وعودها خاصة في عهد الجنرال كلوزال الذي اتبع سياسة الإبادة والاستئصال،[1] وقد قام حمدان خوجة بفضح السلوك البربري الذي قامت به السلطات الفرنسية، فقد كانت له مراسلات كثيرة إلى السلطات الفرنسية لذلك الغرض، ويرى الباحث احميده عميراوي[2] أن حمدان خوجة قدم وجهة نظر متطورة لنظام حكم عصري في الجزائر يكون في خدمة الطرفين الجزائري والفرنسي. وعندما نزل بباريس في أواخر أفريل 1833 رفع مطالبه الخاصة ومطالب الجزائريين الى السلطات الفرنسية، ومن أهم مراسلاته عريضة أرسلها الى الحكومة الفرنسية ووزير الحربية سولت (Soult) بتاريخ 3 جوان1833، تضمنت ثمانية عشر بندا عدد فيها مظالم الإدارة الفرنسية ضد الجزائريين.[3] "كان حمدان خوجة ينتقد السياسة الفرنسية بحجج منطقية مستخدما أسلوبا يغلب عليه روح التفتح والاطلاع... وكان يشيد بعظمة فرنسا ويعرض في نفس الوقت بالسياسة الفرنسية في الجزائر،[4] وكانت آراؤه هناك أعمق.[5] حيث قام رفقة الطرابلسي حسونة الدغيس بجهد إعلامي ودعائي في الأوساط الباريسية المعارضة للاستعمار فنشر لهذا الغرض المرآة (1833) ويمكن اعتبارها البيان الأول للحركة السياسية الجزائرية،[6] غير أن طريقته الدبلوماسية في فضح جرائم فرنسا في الجزائر والمطالبة بالجلاء عن الجزائر لم تؤد الى أي نتيجة.

فبالإضافة إلى مجهوداتهما لدى السلطات الفرنسية، كان حمدان خوجة وإبراهيم بن مصطفى باشا، قد أخذا على عاتقهما مسؤولية إعلام وتنبيه السلطان العثماني لما يجري، فأثناء إقامة حمدان

---

(1) للمزيد: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982،ص. ص.37-38

(2) **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين امليلة، الجزائر، 2005، ص.107.

(3) عبد الجليل التميمي، مصدر سابق، ص.137

(4) احميده عميراوي، **حمدان خوجة**، مرجع سابق، ص.143

(5) احميده عميراوي، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، مرجع سابق، ص.107.

(6) عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، تر: سليم قسطون، ط.1، دار الحداثة، بيروت،1984، ص.154

خوجة بباريس كانت له مراسلات كثيرة مع السلطات العثمانية ومع أصدقائه.[1] وقد حاول دفع الباب العالي للتدخل لإنقاذ البلاد، كما كتب إلى السلطان محمود الثاني: "إذا تفضل الباب العالي بإرسال لقب الباشا إلى أحدنا ليكون الرئيس الأعلى، فإن على الشعب جميعا أن يطيعه".

ولم يكتف حمدان خوجة بهذا بل كان يرى أن على الحاكم الجديد أن يحكم بالعدل، مؤكدا بهذا أن الاستبداد هو من أسباب ماآلت إليه الجزائر: "يجب على الباشا الجديد أن يسعى للتفاهم معنا، وأن لايحكمنا باستبداد بل عليه أن يستشيرنا في المسائل، وبهذه الطريقة يستطيع أن يجلب إليه اهتمام الشعب، ونتمنى أن يكون مثلا للعدل والحق اقتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم)،[2] وفي تحليله لأوضاع الجزائر يرى أنه يجب التغيير حسب متطلبات العصر ذلك أنه"لكل عصر متطلبات وخصائل جديدة، ولدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم حتى يتفادى حدوث اضطراب، وحتى لايعرقل ذلك تسيير دولاب الإدارة الناجحة"، وبهذا الرأي يدل على سعة ثقافته، وإدراكه ناموس تطور المجتمعات وشمول وعمق نظرته الإصلاحية.[3]كما كان مدركا لما يحدث في العالم آنذاك.

إن الصدام بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي قد هز الضمير الإسلامي، وطرح بشدة إشكالية الأخذ عن الغرب والاستعانة بعلومهم، فقد رفض بعض علماء الفترة ذلك، بحجة عدم وجود نصوص في الشريعة الإسلامية تبيحه، وهذا ما دعا حمدان خوجه إلى تسميتهم بالمتعصبين، لوقوفهم عند النصوص دون اجتهاد أو فهم. هذه الإشكالية جعلت دعاة الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي وفي الجزائر لمواجهة أمرين، الأمر الأول تصحيح العقيدة الخاطئة، وفهم النصوص الشرعية بشكل صحيح، والأمر الثاني هو مدى الأخذ عن الغرب وما هي الجوانب التي يمكن الأخذ منها من دون المساس بالإسلام؟

ففي كتابات ابن العنابي دعوة للأخذ عن غير المسلمين في الأمور الحربية والصناعية والعلوم العملية، ولايرى ذلك بالنسبة للتشريع والعلوم السياسية،[4]حيث يقول:"إن ما عليه الكفرة من سياستهم العقلية فنحن في غنى عنه لأن للمسلمين الكتاب والسنة، وفيهما من التشريعات السماوية

---

[1] عبد الجليل التميمي، مصدر سابق، ص.137

[2] المصدر نفسه، ص.171

[3] المصدر نفسه، ص.170

[4] أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد...**، مرجع سابق، ص.76.

مايغني عن قوانين الأوربيين الوضعية"، وهذا يدل على اطلاعه على أحوال الأوربيين، وعلى معايشته أحداث العصر ومشاركته في الإصلاحات وتأييده للسلطان محمود الثاني وماذهب إليه من إصلاحات، وكتاب ابن العنابي "السعي المحمود في نظام الجنود" في سنة 1826 وهي السنة التي قضى فيها السلطان محمود الثاني على الإنكشارية، وبدأ السلطان يواجه المعارضة في الأخذ عن النظم الأوربية، فوجد ابن العنابي الوقت المناسب ليطرح أفكاره في قضية جد خطيرة حينئذ، وهو ما يفسر انتقال نسختين من الكتاب إلى استانبول، كما يفسر تكليف محمد علي والي مصر للسيد إبراهيم السقا باختصار الكتاب وجعله في متناول القراء، لأنه يساير اتجاه محمد علي.[1]

وكان حمدان خوجة لايرى حرجا في اتباع الأوربيين فيما فيه خير المسلمين ومصالحهم الدنيوية، وليس فيه مضرة في أمور دينهم. فقد جاء في كتاب إتحاف المنصفين[2]: "لابأس أن يستعان برأي الإفرنج إذا مااقتضى الحال ذلك"، ويورد لنا مثالا على ذلك الاحتراز من الوباء "إلا أن الإفرنج بمقتضى اعتنائهم بأمر الدنيا قد جربوا الاحتراز وحققوا قواعد الطب حين أهملهما المسلمون، وقطع أثر الوباء في "كرنتييهم" وهو مشكل فلابأس من الاستعانة برأيهم كيف لا، والله سبحانه يقول في حقهم "يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا" ... ثم يبين أننا قد أخذنا بعض مهاراتهم وصناعاتهم مثل صناعة البارود والآلات وغير ذلك فلماذا لانستعين بهم في الطب؟. كما قدم حمدان خوجة كل الأدلة النقلية والعقلية للاستعانة بالطب الغربي وإقامة المحاجر الصحية، وهاجم العقول الراكدة لعدم فهمها نصوص القرآن والسنة، وألف لهذا الغرض كتاب "اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز من الوباء"، وهذا الكتاب دليل على الفكر المتحرر في وقت كانت تطرح فيه قضية الوباء على أنها قضاء وقدر من الله يجب أن يستسلم له.

لقد ساهم حمدان خوجه في علاج قضية مهمة جدا طرحت في هذه الفترة، ليست مواجهة الوباء بعده مرضا عرفه العالم الإسلامي منذ العصور الوسطى، وإنما مواجهة "الوباء الذي هو علامة لغوية تحيل إلى عالم ذهني له قيمته الخاصة"،[3] أوقعت آلاف المسلمين في الهلاك ليس لغياب الترياق وإنما القيمة الإيجابية لكلمة "الموت" التي ترادف الشهادة والنعيم في الآخرة، إذ انتشر لدى المسلمين

---

[1] المرجع نفسه، ص.60.

[2] حمدان خوجة، **إتحاف المنصفين**... ، مصدر سابق، ص.148.

[3] محمد الحداد، **حفريات تأويلية**...، مرجع سابق، ص.20

أن الوباء فضـــل من الله اختص به المســـلمين لأن المصـــاب بالوباء يموت شـــهيدا وتلك أمنية المســـلم.[1]واقتصـــر عمل حمدان خوجة على المســـاعي لدى الســـلطان العثماني ولدى الســـلطات الفرنسية، وهذا يختلف تماما عن ماقام به الأمير عبد القادر.

المشروع الثاني هو مشروع الأمير عبد القادر فنزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج وعقد معاهدة الاســتســـلام في 5 جويلية 1830، كان يعني نهاية الحكم العثماني في الجزائر، حتى وإن جاهد بعض بقاياه للإصـلاح والمقاومة إلا أنها كانت محاولات فاشـلة. وقد شـكل انهيار البنية الفوقية للحكم فراغا ولم تكن المجموعات القبلية متحدة ولاخاضـعة لسـلطة مركزية يسـمح لها بمواجهة الفرنسـيين، ولم يكن الشـــيخ محي الدين وابنه عبد القادر بعيدين عن الأحداث الداخلية ولا الخارجية، فقد ذهبا إلى الحج وبقيا لفترة زمنية مكنتهما من الاطلاع على أحوال مصـــر والشـــام والعراق والحجاز، وكانا يعرفان الفرنسـيين فقد قال الشـيخ محي الدين: "يشـكل الفرنسـيون أمة حربية غنية بالرجال، ومليئة بالموارد تتآكلها روح الاحتلال، ماذا لدينا لنواجهها به؟ قبائل متناحرة ترفض كل قيد، بعضـــها يغتني بالنهب وبعضـــها الآخر يتعلق يائســـا بممتلكاته، الفريقان بالغا التفاوت. أما وضـــع كهذا تصـــور مجرد معركة منصورة ضـد الكفار قد يكون حماقة، أما المحاولة فقد تكون جنونا"[2] من خلال هذه المقولة يتبين لنا لماذا رفض الشـــيخ محي الدين والد الأمير بيعة أعيان وعلماء غريس بمعســـكر، فالمكانة لاتكف للمواجهة، بل لابد أن يكون هناك نظام متكامل، لذلك اقترح عليهم الذهاب إلى ملك المغرب الأقصى، ولم يكن الحل مناسبا بسبب الضغوط الفرنسية.[3]

لقد شـعر الناس أن الهجوم المفكك لم يكن حربا، ورأوا بكل وعي أن جهودهم سـتكون بلا طائل، وأن تضـحياتهم سـتكون بلا نتيجة إذا لم يكن هناك قائد مسـؤول عن التنظيم. لذلك تجمهر الناس حول الشـيخ محي الدين ثانية وألحوا أن يكون سـلطانا عليهم فاقترح ابنه عبد القادر الذي بويع أميرا للمؤمنين في 22 نوفمبر 1832.[4] ومن هنا يمكن القول لأول مرة في تاريخ الجزائر منذ التحاقها

---

[1] المرجع نفسه، ص-ص.20-140

[2] عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص.ص. 34-35، نقلا عن:
Charles Hanry Churchill, La vie d'Abed el Kader, SNED Alger, 1974

[3] الأمير محمد، مصدر سابق، ج.1، ص.91.

[4] شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص. 81-83.

بالدولة العثمانية بزعامة خير الدين بربروس، صدر قرار نابع من إرادة السكان وتحقق عمل سياسي بإجماع أهل الحل والعقد وليس بأوامر رجال البايلك أو توجيه شيوخ الزوايا. وإنما بدافع الوازع الديني وجهاد المعتدين.[1]

أُختير عبد القادر أميرا ولم يتجاوز سن الرابعة والعشرين، فضل أن تكون البيعة على شكل بيعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فكانت هناك بيعة خاصة وبيعة عامة اتخذت طابعا وطنيا وصبغة شرعية، وكانت البيعة بهذا التمثيل والتلاحم بحق ولادة جديدة أساسها نظام عادل يتم فيها اختيار الحاكم لمؤهلاته ولرضى العامة عنه.[2] كان الأمير عبد القادر يعرف أن الاحتلال الفرنسي ليس مغامرة عسكرية ولايرتبط نجاحه أو فشله بالشجاعة ومصير القتال فقط، بل وبشكل أعمق بقدرة المجتمع على تغيير بناه والارتقاء على مستوى الخصم،[3] كان مشروعه تحرريا فقد بويع أساسا للجهاد واعتمد تغيير النظام السابق، وبذلك تخلى عن المفاهيم التقليدية التي كانت تؤسس عليها الدول العربية الممتدة في الزمن وحتى عصره، وحاول إعادة الدولة الإسلامية إلى غابر مجدها الزاهر،[4] وبذلك كان له فضل السبق في علاج المشكلة السياسية والتي طرحت في العالم الإسلامي بشدة في نهاية القرن التاسع عشر .

أدرك الأمير أن مقاومته للفرنسيين لاتكون بشكل عشوائي أو غارات خاطفة، وإنما يكون بإقامة دولة مركزية، فالحكم العثماني في نظر الأمير قد انتهى، وارتباط الجزائر بالدولة العثمانية لم يعد واردا، لذلك اقتنع بتغيير القوانين والأنظمة، فاتخذ القرآن الكريم مصدرا للتشريع، حيث صرح: "وأنا بدوري لن آخذ بقانون غير القرآن، ولن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن، والقرآن وحده. فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات"[5]على هذا الأساس بنى الأمير دولته، فكانت دولته التي كانت مشبعة بروح الدين الإسلامي، ففضل الصلاة والجهاد على مناسك الدين الأخرى لأن

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، الكويت، 2000، ص.205.

[2] المرجع نفسه، ص.207.

[3] عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص.35

[4] إسماعيل زروخي، مقال سابق، ص.91.

[5] تشرشل، مصدر سابق، ص. 85

الظروف التي عاصرها اقتضت ذلك.[1] واعتمد على الشورى المعروفة عند سلف المسلمين، كان يجمع الناس ليسمع رأيهم في الأمور الخطيرة كالحرب،[2] وكان يستفتي العلماء من خارج الجزائر مثل علماء فاس الذين راسلهم لمعرفة مدى شرعية معاهدة التافنة.[3]يرى إسماعيل زروخي[4] أن الأفكار التي اعتمدها الأمير عبد القادر تعد أعظم إنجاز قام به العقل العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر.

كانت الحركات الإصلاحية في القرن التاسع عشر تهدف إلى استرجاع مكانة الإسلام وهيبته، وقد اختلفت وسائل المصلحين في العالم الإسلامي للوصول إلى هذا الغرض، ففي الجزائر حيث كان شرخ الاستعمار كبيرا، فقد اتخذ الأمير عبد القادر الكفاح المسلح إحدى وسائله كما أنشأ دولة حديثة، واتخذ وسيلة التعليم وإصلاح القضاء من أولى اهتماماته للحفاظ على اللغة والهوية، والتي أصر الاستعمار على تغريبها ومحوها.

ارتبط نظام القضاء في دولة الأمير عبد القادر بالتنظيم الإداري، الأمر الذي جعل الولاة والقضاة تحت الرقابة المستمرة والمشددة،[5]اتسم نظام القضاء في عهد الأمير بالدقة وعدم الاهتمام بالشكليات الإدارية حيث لاتسند مهمة القضاء إلا لمن توفرت فيه شروط الكفاءة القضائية واتصف بالعدل والنزاهة كما أن الأمير كان يُعدُّ المسؤول الأعلى عن القضاء، وكان للقضاة رواتب بالإضافة إلى علاوات يأخذونها لقيامهم بواجبات أخرى،[6] حتى لايتطلع القضاة إلى الرشوة، والتي كانت من عيوب القضاء في العهد التركي، وحتى يحافظ الأمير على ثقة الناس وهي أساس قوته ودعامة سلطته، وكان يحرص على تحقيق العدل بين رعيته، وهذا مادفعه على إرسال المنادين في الأسواق وإلى مواطن القبائل ليعلنوا للناس: "أن كل من له شكوى على خليفة أو آغا أو قائد أو شيخ فليرفعها إلى الديوان الأميري، من غير وساطة فإن الأمير ينصفه من ظالمه، وإن وقع ظلم على أحد ولم يرفع ظلامته إلى

---

(1) إسماعيل زروخي، مقال سابق، ص.93

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** (1860-1900)، ج.1، ق.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص.200

(3) ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مرجع سابق، ص.210

(4) إسماعيل زروخي، مقال سابق، ص.91.

(5) ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، المرجع السابق، ص.215

(6) شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.201

الأمير فلا يَلُومَن إلا نفسه"[1]، وكانت نتيجة معاقبة المجرمين والنظام الدقيق الذي وضعه الأمير أن "الطرق أصبحت آمنة...وقد أصبحت سرقة الخيول بالليل غير معروفة... وأصبحت المرأة تستطيع أن تخرج وحدها دون أن تخاف الإهانة".[2]

وقد أدت إصلاحات الأمير عبد القادر إلى الارتقاء بالروح والآداب العامة، يقول الأمير: "ولو شاء الله لانتهيت بإعادة العرب إلى طريق القرآن الذي ابتعدوا عنه كثيرا، فقد منع التبذير ومنع الخمر والميسر تماما، ومنع التدخين وفعلا لقد ترك معظم الناس التدخين".[3] وكان الأمير يقوم بنفسه على مراقبة خططه الإصلاحية ويدبر القضاء ويراقب التعليم ويفتش جنوده ومخازنه،[4] وكان كما قال عن نفسه: وقد سرت فيهم سيرة عمرية وأسقيت ضاميها الهداية فارتوى

وإني أرجو أن أكون أنا الذي ينير الدياجي بأمتنا بعد ما لوى

ولإيقاظ الشعور الوطني وتوحيده وتوجيهه، أسس الأمير عبد القادر نظاما للتعليم العام بين جميع القبائل قائلا: "إن واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين بين القبائل وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون القرآن ويحفظون تعاليمه، ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب. [5]

4- التوسع الاستعماري وتقسيم الدولة العثمانية

على الرغم قدم العلاقات بين المسلمين وأروبا إلا أنها عرفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطورات لم تشهدها من قبل. فقد اختل ميزان القوى بين الدولة العثمانية ممثلة الخلافة الإسلامية وجامعة شمل المسلمين وبين أوربا، حيث استكملت الرأسماليات الأوربية أسس بنائها المادي والفكري وبدأت في نقلها إلى فضاءات غير أوربية، تتناسب وشروط نموها العام. بينما الدولة العثمانية أصبح يطلق عليها اسم "الرجل المريض" لأنها فشلت حتى في حماية مناطق نفوذها، وقد طُرح في العالم

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مرجع سابق، ص. 215

[2] شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.201.

[3] المصدر نفسه، ص.202.

[4] المصدر نفسه، ص.203.

[5] المصدر نفسه، ص.200

الإسلامي عدة أشكال للإصلاح، لإنقاذ بلاد المسلمين من الاستعمار، ومن بينها ما يعرف بـ"الجامعة الإسلامية".

يصنف الباحثون الجامعة الإسلامية ضمن الحركات الإصلاحية، التي نشأت تعبيرا لدفاع المسلمين عن أنفسهم ضد التحديات الداخلية والخارجية. وبناء على ذلك فإنه ينشأ تناسب بين الحركة الإصلاحية والبيئة التي نشأت فيها، فيما تهيأت فيها من أسباب الإصلاح ودواعيه، باعتبار أنها تمثل رد فعل على تلك الدواعي والأسباب. وضروري أن المدافع تتناسب أساليب دفاعه مع طبيعة خصمه وأساليبه في الهجوم. ومن ثمة فإنه من الضروري من أجل فهم حركة إصلاحية معينة، لابد من فهم الظروف التي نشأت فيها. ومن هنا نرى من الضروري معرفة التطورات التي حدثت في أوربا والتوسع الاستعماري على حساب المسلمين، في القرن التاسع عشر وفي النصف الثاني منه على وجه الخصوص.

إن التوسع الإمبريالي الذي عرفته أوروبا في القرن التاسع عشر، كان نتيجة إرهاصات سياسية واقتصادية وفكرية، فجرت الطاقة الأوربية على شكل حركة استعمارية، فقد تجلت أوربا في نهاية القرن التاسع عشر أكثر شراسة وأكثر إمبريالية، وبدأت تحقق آمالها في السيطرة على العالم البشري بعد أن سيطرت على الأراضي والثروات من قبل. وليست الإمبريالية جديدة في التاريخ الإنساني، ولكنها أصبحت كذلك عندما صارت عالمية، واقترنت بصناعة قائمة على العلم[1].

لن نغوص كثيرا في التاريخ الأوربي، لكننا سنتعرف على بعض المحطات المهمة التي وصلت اوربا من خلالها إلى قوة عظمى تفرض وجودها بالتعالي على المسلمين. فالنهضة الأوربية بدأت باحتكاكها بالحضارة الإسلامية، ثم خروجها من قوقعة العصور الوسطى، وانفتاحها على العالم عن طريق الكشوفات الجغرافية، وكان للتخلص من سيطرة الكنيسة وحركة الأنوار والثورة الفرنسية 1789 الأثر البارز في تغير النظم السياسية والفكرية لدى الأوربيين.

أجمعت الدول الأوربية الكبرى بعد مؤتمر فيينا (1815) ومعاهدة باريس الثانية 22 نوفمبر 1815 على كبح جماح فرنسا. ويعد مؤتمر فيينا نقطة تحول تاريخي في أوربا، ففيه عملت الدول الأوربية العظمى على مبدأ إنشاء توازن القوى، بين مجموعتين: إنجلترا وفرنسا في غربي أوربا من

[1] هشام جعيط، **أزمة الثقافة الإسلامية**، مرجع سابق، ص.64.

جانب، وروسيا وبروسيا والنمسا من الدول الشرقية من جانب آخر. ولم تكن واحدة من هذه الدول العظمى قوية بالدرجة التي تعطيها حق السيطرة بمفردها على شؤون أوربا أو القدرة على المغامرة بدخول الحرب والانتصار. ويقع بين هاتين المجموعتين إقليم وسط أوروبا ويشمل ألمانيا وسويسرا والأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولندا) وكانت محايدة، أما إيطاليا فكانت مجزأة إلى دويلات وإمارات صغيرة.[1]

أعقبت هزيمة نابليون فترة طويلة من السلم في أوروبا ويرجع ذلك إلى سياسة الدول الأوربية العظمى التي اتفقت من أجل السلم وتطبيق التوازن بين دول أوربا، ويجمع الباحثون[2] على أهمية نتائج مؤتمر فيينا، ومنهم من يرى أن تأثير نتائج المؤتمر وضع الخطوط العريضة للخريطة الأوربية التي بقيت إلى حرب 1914-1918[3].

ومهما يكن من أمر فهذا المؤتمر عُقد لإيقاف القوى التي أطلقتها الثورة الفرنسية، وأُبرمت التسويات لتنسيق مطامع الدول الكبرى الإقليمية لا لإرضاء المطالب القومية. بينما مزقت وأُلحقت الدول الصغرى بالكبرى، لكن هذا التقليد الديبلوماسي ورّثَ أوربا النظام القديم واصطدم شيئا فشيئا مع مطالب القومية للشعوب الأوربية.[4] ولقد لعب المستشار النمساوي مترنيخ دورا كبيرا في الديبلوماسية الأوربية، حيث كانت سياسته قائمة على حفظ التوازن الدولي وضمان شرعية الحكومات ومصالح الحكام،[5] ولكن هذه السياسة القائمة على قمع الشعوب والتنكر لرغباتها القومية وأمانيها في الحرية أدت إلى سقوط مترنيخ في ثورة 1848.

كما شهدت هذه السنة موجة من الثورات في أوربا، ومنها فرنسا التي رفضت النظام الملكي للبوربون، كان من نتائجها إنشاء الجمعية الوطنية أو التأسيسية التي تم انتخابها بواسطة الاقتراع العام،

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1914)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص.35.

[2] ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، **أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)**، تر: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1978.ص.275.

[3] Pierre Milza, ***Les Relations internationales de 1871 à1914***, 2Ed, Librairie Armand Colin, Paris, 1968, p.72.

[5] ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مرجع سابق، ص.17.

لتضع دستورا للبلاد ونجحت الجمعية في إصدار قانون ينص على أن الرئيس يجب أن يختار بالاقتراع ويشغل منصبه خلال مدة أربع سنوات فكان اختيار الشعب الفرنسي بالأغلبية للويس بونابرت ابن أخ نابليون الأول فتولى رئاسة فرنسا في ديسمبر 1848، ولكنه بعد أربع سنوات أعلن نفسه إمبراطورا على فرنسا، وبذلك قضى على جهود الثورة، وعكست سياسته ومواقفه تناقضات المجتمع الفرنسي، وعبر عن توجهات الشعوب الأوربية. وإن وجد نابليون تأييدا في البداية إلا أنه وجد معارضة من أسرة البوربون وكان يقف ضده المثقفون من ذوي الأفكار الجمهورية، والذين كان لهم وجود قوي في المدن وفي طليعتهم فكتور هيجو (Victor Hugo) والمفكر رينان، انتهى حكم نابليون الثالث في 1870 بعد أن عرفت فرنسا في فترته تطورا اقتصاديا ولكن ميوله كانت معادية للنخبة المثقفة المؤثرة في المجتمع، وكانت جهوده موجهة للتوسع فيما وراء البحر.[1]

أما ألمانيا فقد نمت فيها الروح التحريرية في سنة 1848، وذلك من تأثيرات الثورة الفرنسية ثم قيام النظام الجمهوري في فرنسا، بالإضافة إلى عوامل داخلية ومنها الظروف الاقتصادية الجديدة والحركة الفكرية. حيث كان الشعب يطالب بحقوقه وحريته، ولكن الثورة فشلت في إقامة اتحاد مع بروسيا لرفض ملكها فريدريك غليوم الرابع التاج خشية من معارضة الأمراء الألمان.

لم يحقق الشعب الجرماني طموحه إلا تحت حكم بسمارك[2] الذي تولى رئاسة الوزراء البروسية في سبتمبر 1862. وكان بسمارك شخصية معروفة في الدوائر الديبلوماسية الأوربية.[3] أول ما بدأ به هو تقوية الجيش، واحتفظ بوجهة نظره بأن الجيش في بروسيا أمر مقدس يجب أن لايخضع لأي سيطرة برلمانية.[4] وحقق أول انتصاراته على الدنمارك ثم النمسا، وشكل ذلك خطرا على فرنسا،

---

[1] المرجع نفسه، ص-ص.21-22

[2] **بيسمارك** (Bismark Oto prince von): (1815-1898) رجل سياسة بروسي حقق الوحدة الألمانية تحت قيادة بروسيا من 1864-1871، بعد أن انتصر على الجيش النمساوي في سنة 1864، ثم أنشأ فدرالية ألمانيا الشمالية، ثم ألحق إقليم الألزاس واللورين بالدولة الفتية بعد انتصاره على فرنسا في حرب (1870-1871) وأُعلن قيام الإمبراطورية الألمانية في يوم 1871/01/18، ثم صار مستشارا لهذه الإمبراطورية (الرايخ الثاني)، مارس سلطات استبدادية. المرجع: ***Le Petit Larousse illustré***, Paris, Larousse, 2007, P.1217

[3] ا.ح. جرانيت وهارولد تمبرلي، مرجع سابق، ص.487

[4] عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص.174

وانتظر بسمارك حدوث أزمة داخل فرنسا أو أزمة دولية لإتمام الوحدة الألمانية. وقد أدت مشكلة العرش الإسباني إلى قيام حرب بين بروسيا وفرنسا حيث أعلنت فرنسا في 19 يوليو 1870 الحرب على بروسيا ومنيت فرنسا بهزيمة ثقيلة في حربها مع ألمانيا حيث فقدت الألزاس واللورين، وسقط النظام الامبراطوري الفرنسي، وفي يوم 18 يناير 1871 أعلن عن تأسيس الإمبراطورية الألمانية في بهو المرايا في قصر فرساي قرب باريس، وأصبحت ألمانيا قوة رئيسية في القارة الأوربية يحسب الجميع حسابها وكان اتحادها انتصارا للحركة القومية وبداية مرحلة جديدة في تاريخ أوربا وتاريخ العالم.[1]

لم يكن انتصار ألمانيا على فرنسا 1870 انتصارا للجيش فقط، بل هو انتصار للعلم والتقنية والفكر والقدرة على العمل، وكلها صفات استطاع الألمان بواسطتها تجاوز جيرانهم، بل المسلمون أيضا الذين كانوا يكتفون باجترار ذكريات امجادهم في الماضي.[2] وقد ساعد ألمانيا في نجاحها وسيطرتها العوامل الديمغرافية فهي الدولة الأكثر سكانا في أوربا، كان عددهم واحدا وأربعين مليونا في سنة 1871 وأصبح خمسين مليونا في 1890.[3]

إن انتصار ألمانيا كان نتيجة إرادة القوة والوحدة الوطنية والاعتزاز بالعرق والاهتمام بالتنظيم والتربية والتعليم، وكان اهتمام ألمانيا في البداية بشؤونها الداخلية، وبعد ثماني سنوات قاد بسمارك ألمانيا نحو السياسة الخارجية. وعلى الرغم تفوق ألمانيا قاريا إلا أنها لم تتجه في البداية للتوسع خارج أوربا، واكتفت بالمحافظة على قوتها داخل أوروبا، مع سياسة إبعاد فرنسا وعزلها عن الدول الكبرى، لذلك أسرع بسمارك للتحالف مع النمسا وروسيا حيث عقدوا مايسمى بتحالف أو عصبة الأباطرة الثلاث في سنة 1873.

أما إيطاليا فكانت فقيرة للموارد الطاقية ووسائل المواصلات، وفاقدة للوحدة الداخلية ولم يكن لها ديبلوماسية في المستوى، فقد اتجه إليها بسمارك ليشجعها على عدم البقاء منعزلة والمشاركة الفعالة في الحياة الدولية. وقد أزال العقبات أمام إيطاليا للتوسع خارج أوروبا، لكن هذا دفع بفرنسا لاحتلال تونس في 1881، بحجة أن إيطاليا تتوسع على حساب الأراضي الفرنسية في شمال إفريقيا.

---

[1] جلال يحي، مرجع سابق، ج.2، ص.452.

[2] جاك فريمو، **فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران**، تر: هاشم صالح، ط.1، دار الأرض للنشر المحدودة، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، 1991، ص.91.

[3] P. Milza, op.cit, p.12

مماجعل إيطاليا تتحالف مع ألمانيا في 2 ماي 1882، وكانت ألمانيا هي المستفيد الوحيد لأنها استطاعت إبعاد فرنسا عن الألزاس واللورين،[1] ودفعت فرنسا لاحتلال الكونغو في 1884، وتونكان بالهند الصينية في 1885، ودفع المستشار الألماني بسمارك الحكومة الفرنسية لاتخاذ موقف صارم للغاية تجاه بريطانيا في المسألة المصرية، حيث احتلت بريطانيا مصر في 1882.[2] لكن تخوف ألمانيا بقي مستمرا وبخاصة بعد مجيء جول فيري (Jules Ferry) إلى السلطة حيث أدخل فرنسا في المسائل الاستعمارية الكبرى. وكان حرص ألمانيا في أن لاتفكر فرنسا في استرداد الألزاس واللورين، لذلك قال بيسمارك للسفير الفرنسي سأساعدكم لاحتلال كل المناطق التي تريدون وترغبون، كما جدد التحالف الثلاثي في سنة 1887.[3]

كانت سياسة بسمارك دافعة لفرنسا للتوسع خارج أوربا وبخاصة في إفريقيا. ونظرا للصعوبات التي واجهتها فرنسا في حركتها الاستعمارية والمقاومة الشديدة من قبل المسلمين في إفريقيا، فقد اتبعت سياسة التوغل، فبعد أن احتلت الجزائر وتونس، بدأت في التوغل والاختراق في إفريقيا، وبخاصة بعد تصريحات بسمارك المشجعة في مؤتمر مدريد في عام 1880، ومنذ هذه السنة أيضا نشر جوزيف رايناك رئيس مكتب غامبيتا ومدير تحرير جريدة الجمهورية الفرنسية، مقالا يدعو فيه فرنسا لاستعمار سورية، وفي الوقت نفسه تقريبا اقترح شارل تيسو سفير فرنسا في القسطنطينية برنامج عمل من أجل إعادة وضع فرنسا في الشرق.[4]

أما بريطانيا الدولة الاستعمارية القديمة والأقوى في بداية القرن التاسع عشر، والتي احتفظت بقوتها الصناعية والبحرية إلى نهاية القرن، فقد اتجهت لاستعمار العالم الإسلامي الشرقي، وقويت قبضتها على الهند ودعمت سيطرتها على أراضي الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، كما بسطت هولندا يدها على إندونيسيا. وبدا العالم الإسلامي وكأن موجة الاستعمار تسعى للإطباق عليه من كل جانب مما حدا بقادة المسلمين وعلمائهم ومنهم السلطان عبد الحميد الثاني وجمال الدين الأفغاني للتفكير في جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم لمواجهة الاستعمار الغربي.

---

[1] Ibid, p.45

[2] جلال يحي، ج.2، مرجع سابق، ص.485

[3] P. Milza, op.cit, p.49

[4] جاك فريمو، مرجع سابق، ص.95

لقد كانت سياسة بسمارك تقوم على إرضاء الدول الكبرى، وحفظ السلام في أوربا وبالتالي المحافظة على تفوق ألمانيا. ولم تكن للألمان في البداية أطماع في الدولة العثمانية، غير أنها شجعت روسيا والدول الكبرى لإشباع رغباتهم، وعلى الرغم ضعف روسيا إلا أنها تغذت من الإمبريالية الأوروبية، وبتشجيع من ألمانيا بدأت تفكر في التوسع نحو البحر المتوسط.

يعد الاقتصاد من أهم دوافع التوسع الاستعماري، فقد عرف القرن السابع عشر والثامن عشر وبداية التاسع عشر اتساع التجارة الأوربية عبر البحار، وصحبه العناية بالأساطيل، فغدت بريطانيا تملك أكبر أسطول بحري وسيدة البحار، كما كانت الأقوى صناعيا إلى نهاية القرن التاسع عشر. وفي أعقاب الحرب النابليونية نشطت حركة الاختراعات في مجالات النقل البري والبحري على المستوى العالمي، فأصبح القطار والباخرة أداة النقل الحديثة وظهرت المشروعات العديدة لمد خطوط ملاحية تجارية أو خطوط سكك حديدية بين أوربا والشرق الأقصى، عبر الشرق الأدنى، فأخذت فرنسا بحماس تفكر في شق قناة السويس، وأخذت بريطانيا تفكر في مد خط حديدي من الأسكندرونة والموصل وبغداد والبصرة للاتصال السريع بالشرق.[1]

سجلت سنوات 1870-1880 سرعة كبرى للاستعمار وهي السنوات التي عرفت سرعة التطور الصناعي والتقدم الاقتصادي الأوربي،[2] ومايميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو السعي الحثيث للدول الأوربية لإيجاد أسواق للمنتجات ومصادر للمواد الخام، والبحث عن أماكن للهجرة للتخفيف من ضغط النمو الديموغرافي، وتجنب المشاكل التي طرحها النمو المتزايد للسكان والذي أصبح ظاهرة عامة في أوربا،[3] فقد ازداد عدد سكانها من 260 مليونا إلى 450 مليونا.[4]كما أن أصحاب الشركات وأصحاب رؤوس الأموال والصناعيين كانت لهم مصالح في الإمبريالية، حيث إنها تساعدهم في الحصول على أكبر كم من المواد الأولية، والمحافظة على ممتلكاتهم الاستعمارية وإمكانات جديدة للمكانة المالية. ولم يكن لأوروبا أن تتطور سياسيا واقتصاديا إلا بوجود نزعات فكرية مؤثرة.

---

[1] عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص.17.

[2] P. Milza, op.cit, p. 57

[3] سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مرجع سابق، ص.47

[4] P. Milza, op.cit, p. 58

برزت في أوربا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عدة نزعات فكرية تطورت عن فكر الأنوار للقرن الثامن عشر، وتصب كلها في مصب واحد هو تكريس فكرة تقدم الإنسان الأوربي وجدارة أوربا بالهيمنة على العالم وتمدينه، ونشر الحضارة في أرجائه.[1] دفعت هذه النزعات حركة الاستعمار من جهة، وأثرت على المسلمين فكريا من جهة أخرى، حيث نشأت حركات فكرية بين مؤيد ومعارض للفكر الغربي. ومن أهمها حركة الجامعة الإسلامية التي تصدت للاستعمار سياسيا وفكريا، ونرى من الضروري أن نتعرض لبعض النزعات الفكرية الغربية التي لها علاقة ببحثنا منها:

-التفاوت الإنساني: سادت في أوربا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكرة تفوق الإنسان الأوربي، وجدارة سيطرته على العالم، وارتبط ذلك بنظرية عرقية كان أساسها نظرية التطور الإنساني لداروين، واكتشف التفاوت الإنساني الأساسي في ثلاثة مجالات: التفاوت بين أجناس البشر، وتفاوت بين الأمم وتفاوت بين الأفراد، وكتب الكونت جوبينيو(Count Gobineau) في حوالي سنة 1853 عن "التفاوت بين الأجناس والأعراق"،[2] ولايمثل هذا عنوانا لأهم كتبه فحسب بل إنه يمثل مفتاحا لجدله العرقي المضاد للأمم السامية، وبخاصة العرب. ذلك أنه يذهب إلى حد الاعتقاد المتعالي بأن تاريخ العالم ينزع إلى عزل الآريين الشقر الطوال القامة، من أجل أن يكونوا "أسياد الأرض"[3]. وقد كانت هذه الكتابات وغيرها تدرس ظاهرة التقدم والتخلف على مستوى الاجتماع والحضارة وترجعها إلى سبب واحد وهو العامل العرقي.[4] وقد ساهمت هذه النظرية في دراسة الإنسان وتاريخه، كما أنها جعلت من العرق الأبيض أنقاها وفي مقدمته العرق الآري، ليشمل اليونان والرومان قديما وهم سكان أوربا حاليا.

إن هذا التفكير دعم فكرة القومية، ومن غير المتنازع فيه أن القرن التاسع عشر هو قرن القومية، ففي الدول المتعددة القوميات أظهرت الأقليات تعلقها بتقاليدها ولغتها ودياناتها وتاريخها،[5]

---

(1) محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية**، مرجع سابق، ص.24.

(2) فرانكلين-ل-باومر، **الفكر الأوربي الحديث الاتصال والتغيير في الأفكار (1600-1950)**، ج.3، تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989. ص.106.

(3) محمد الدعمي، **الاستشراق. الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت، 2006، ص.61

(4) محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي**...، مرجع سابق، ص.25.

(5)P.Milza, op.cit, p.100

وهذا ماأثر سلبا على وحدة الدولة العثمانية. وقد حقق الأوربيون في توجههم القومي وعيهم بذاتهم وتجاوزوا السلوك الفردي المحدود ولم يعودوا يجدون في الأفكار ذات الصبغة المسيحية ما يعبر عن اهتمامهم أو يعكس مصالحهم وحققوا الانتقال من الولاء للحكام وخدمتهم إلى الارتباط بالوطن والتضحية من أجله.[1]

لقد دفعت التيارات الفكرية ومنها القومية، الإمبريالية الأوربية بشكل مدهش، فقوة ألمانيا كان من وراء قوميتها، وقد برهنت على عبقريتها وتكبرها القومي بإعطاء الحرية الواسعة لإرادتها في السيطرة. وفي فرنسا كانت هزيمة 1871 جرحا عميقا دفعها إلى النفوذ الواسع والاحتلال، وأظهر جول فيري (Jules Ferry) مهارته في نهضة ضميره القومي في المسائل الاستعمارية.[2] فالمركزية العرقية ذات الصبغة الاحتقارية تبرر السيطرة، وهذه بدورها تعود لتغذي العرقية، فكل العالم غير الأوربي وجد نفسه من دون أهمية ومجردا من قيمه التاريخية وأُدين الإسلام باعتباره رديفا للتعصب واعتبرت فكرة الجامعة الإسلامية مؤامرة ضد أوروبا.[3]

-التاريخانية: يُعد القرن التاسع عشر قرن النقد التاريخي والتاريخانية أو الروح التاريخية، فقد تنبأ المؤرخ الفرنسي أوجستان تيري (Thierry) في شبابه بأن التاريخ سيضع طابعه على القرن التاسع عشر مثلما وضعت الفلسفة طابعها على القرن الثامن عشر، وحسب رينان أن التفكير الأوربي بلغة التاريخ من المبتكرات الأصلية في أوربا القرن التاسع عشر،[4] فقد انكب الأوربيون على إعادة كتابة تاريخ أوربا وفلسفته. فانتشرت أفكار تفوق الحضارة الغربية على باقي العالم وتفوق الجنس الأوربي وخصائصه الفكرية والسلوكية والفيزيائية المميزة، وهذا ماساعده على النهوض[5] حسب اعتقادهم. كما أن فلسفة القرن التاسع عشر هاجمت الديانات السماوية، وكانت تنفر من الخوارق والميتافيزيقا، وكانت تؤكد على العلم والفكر الحر (نقد التقاليد الدينية)، [6]وانتشر شعار "من الدين إلى الفلسفة"

---

[1] جلال يحي، ج.2، مرجع سابق، ص.487

[2] P.Milza, op.cit, p.62

[3] هشام جعيط، **أوربا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة**، ط.1، دار الطليعة، بيروت،1995، ص.17.

[4] فرانكلين-ل-باومر، ج.3، مرجع سابق، ص.15.

[5] المرجع نفسه، ص. 106

[6] المرجع نفسه، ص.53.

ولم يتوقف نقدهم للمسيحية بل هاجموا كل الديانات السماوية، ومنها الإسلام، فباسم العلم والعقل هوجم الإسلام. وسنرى كيف تصدى لهم علماء الإسلام أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد بن رحال.

-الاستشراق: نتيجة للصراع بين المسلمين والمسيحيين، ونظرا للرغبة الجامحة للدول الاستعمارية للسيطرة على الانسان وبخاصة الشرقي منه، والذي يقف ودينه عقبة كأداء أمام التوسع الإمبريالي. فقد كرست الدول الاستعمارية علماءها وفلاسفتها ومؤرخيها، لدراسة الإنسان الشرقي في جميع نواحيه التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية والدينية، وكلها مهدت الطريق للمد الاستعماري، وفي وسط الجموح العلمي الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر، والدعم المادي والمعنوي الذي لقيه المهتمون بالدراسات الشرقية، فقد نما وترعرع الاستشراق. إن المستشرق الذي انكب على دراسة الشرق سكانه وأحواله وحضارته كان بصورة أو بأخرى يكرس تفوق الإنسان الأوربي تاريخيا وحضاريا وبيولوجيا وعقليا، ويبرر هيمنة أوربا.[1] ويرى هشام جعيط "أن الاستشراق استخدم المسيحية والعلمنة المعاصرة لاتهام الإسلام اعتباطيا إما بنقص في الروحانية وإما بالجمود التيوقراطي".[2]

ولعل من أهم جوانب الدراسات الاستشراقية هو دراسة الإسلام ومكانته في تاريخ الحضارات، وشهد القرن التاسع عشر إعادة التركيز على الإسلام في الفكر الأوربي، بوصفه حدثا تاريخيا استثنائيا ذا أثر ما انفك يتواصل عبر الماضي وحتى الحاضر.[3] كما ركزت بعض الدراسات على دراسة تاريخ الديانات ولعب الدارسون الألمان دورا كبيرا في ذلك. حيث كانوا ينظرون إلى الدين والتراث الإسلامي بعقول شكلتها ثقافة عصرهم، حيث طبقوا الدراسات النقدية على النصوص المقدسة لاكتشاف التطور المبكر للتراث الديني وتسجيل وتفسير الحياة والعادات والمعتقدات لشعوب آسيا وإفريقيا.[4] وذلك بغرض السيطرة على هذه الشعوب.

كانت القوتان المسيطرتان هما بريطانيا وفرنسا ويعتبر الإسلام بالنسبة لهما خطرا معنويا وعسكريا يجب مقاومته. وكان الخوف ماثلا في أذهان الحكام البريطانيين والفرنسيين من "ثورة

---

(1) محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي**...، مرجع سابق، ص.27.

(2) هشام جعيط، **أوروبا والإسلام**، مرجع سابق، ص.39.

(3) محمد الدعمي، مرجع سابق، ص.54.

(4) ألبرت حوراني، **تاريخ الشعوب العربية**، ج.2، مرجع سابق، ص. 134

المسلمين" كحركة فجائية بين الشعوب المجهولة التي كانوا يحكمونها.[1] ولم تهتم بريطانيا وفرنسا كثيرا بممتلكات الدولة العثمانية قبل نهاية القرن الثامن عشر، لانشغالهما بمستعمراتهما في القارة الأمريكية وشرق آسيا، بينما كانت أطماع روسيا في الدولة العثمانية قديمة، فمنذ سقوط القسطنطينية معقل المسيحية الشرقية بيد العثمانيين ادعت روسيا أنها وريثة هذه الإمبراطورية، وأن موسكو أصبحت روما الثالثة.[2] ويعد أول هجوم روسي على الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس حيث استولى على ميناء آزوف الواقع على نهر الدون في سنة 1695، وكان لذلك صدى في أوربا،[3] كما استطاع الروس تدمير الأسطول العثماني في سنة 1774، واستولوا على القرم، ووقعوا مع العثمانيين معاهدة كوتشك قينارجة، والتي تعد نقطة تحول في العلاقات الروسية العثمانية حيث تعهد السلطان في بنود المعاهدة بحماية الدين المسيحي الأرثوذكسي، ومنح لروسيا حق بناء كنيسة في إستانبول، واستخدمت روسيا هذه البنود للتدخل في الشؤون الداخلية لإستانبول.[4]

ولم تكن الأسباب الدينية هي الوحيدة التي دفعت روسيا للتوسع على حساب الدولة العثمانية بل هناك أسباب اقتصادية واستراتيجية، فهي تريد أن يكون لها معابر إلى المياه الدافئة جنوبا. وهذا ما وجد معارضة من الدول الأوربية الكبرى خاصة بريطانيا، التي اتخذت سياسة موالاة الدولة العثمانية منذ 1791 واستمرت في موالاتها إلى نهاية القرن التاسع عشر، وذلك لحماية تجارتها الشرقية، ومنه كانت مناهضتها لروسيا.[5]

لقد كانت الحرية الدينية هي المهماز الذي كانت روسيا والدول الاستعمارية تثير به الأقليات الدينية المسيحية في الدولة العثمانية، ثم تتدخل بحجة حمايتها. ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأت روسيا تتسلل إلى جنوب البحر الأسود شاخصة ببصرها إلى القسطنطينية. وكانت روسيا تستغل كل فرصة للتوسع على حساب الدولة العثمانية، فحين رفضت الدولة العثمانية مقررات مؤتمر لندن

---

(1) المرجع نفسه، ص.135

(2) عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة"، القسم1، **تاريخ العرب والعالم**، ع.74/73، بيروت، 1984، ص.107.

(3) جلال يحي، مرجع سابق، ج.2، ص.107.

(4) عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثمانية..." القسم 1، المقال السابق، ص.51.

(5) ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، مرجع سابق، ص. 402.

(1827)، والداعية لاستقلال اليونان، سارت الأساطيل الأوربية للتدخل وتدمير الأسطول العثماني من دون سابق إنذار قرب نافرين حيث استقلت اليونان نهائيا، ثم مالبثت روسيا أن أعلنت الحرب وعبرت جيوشها الأراضي العثمانية، حتى وصلت إلى أدرنه قرب القسطنطينية، فعقد صلح أدرنة في (1829) وتخلت الدولة العثمانية بموجبه على مقاطعة القوقاز وجزر الدانوب.[1] وزاد من ضعف الدولة العثمانية توسعات محمد علي والي مصر، فقد تدخلت فرنسا وبريطانيا لحل النزاع وعقد بينهما صلح كوتاهيا في 1833، وابتداء من هذا التاريخ بدأت بريطانيا تتقرب من الدولة العثمانية بينما راحت فرنسا تمزق أوصالها في البحر المتوسط، فبعد استعمارها للجزائر سعت لتحقيق مشروعها الاستعماري، واشتد تنافسها مع بريطانيا على مصر والشام.[2]

استمرت أطماع روسيا في تقسيم الدولة العثمانية، ففي سنة 1843 بدأ التقارب البريطاني الروسي، وفي حزيران 1844 زار قيصر روسيا بريطانيا، وكان الهدف من الزيارة هو الاتفاق مع بريطانيا لتقسيم الدولة العثمانية، والتي أطلق عليها لأول مرة قيصر روسيا "الرجل المريض على البوسفور"، فقال: "إن تركيا أشبه برجل يحتضر وقد نسعى لإبقائه على قيد الحياة لكن مسعانا لن يكلل بالنجاح، فسيموت بل يجب أن يموت، وعندها ستسود لحظة حرجة"[3]. لكن بريطانيا امتنعت عن التقسيم خوفا على مصالحها وخوفا من روسيا أن تمتلك المعابر إلى البحر المتوسط، وقد كان موقفها هذا من الأسباب الرئيسية التي أجلت تقسيم الدولة العثمانية إلى نهاية القرن. وعلى الرغم ذلك نجد أنها كانت كل مرة تقتطع أجزاء من الأراضي العثمانية. ومنها حرب القرم (1853-1856).

يرجع الباحثون حرب القرم إلى أسباب دينية، فقد أثيرت مشكلة حماية الأماكن المقدسة في القدس بعد أن دأبت الدولة العثمانية على حفظ التوازن بين الأرثوذكس والكاثوليك، فالأرثوذكس الذين هم تحت حماية روسيا وفق معاهدة 1774، والكاثوليك تحت حماية فرنسا، وهو حق تقليدي لها منذ الحروب الصليبية، لكن مشكلة حيازة مفاتيح كنيسة بيت لحم أثارت عواطف الطائفتين المسيحيتين اللتين وجدتا التأييد من روسيا وفرنسا،[4]كما طالبت روسيا بحق حماية مسيحي البلقان،

---

[1] عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثمانية...." القسم 1، مقال سابق، ص-ص.54-55.

[2] ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، مرجع سابق، ص. 402.

[3] عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثماني..." القسم2، مقال سابق، ص.35.

[4] ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، مرجع سابق، ص. 422.

فقد أولت روسيا العوامل الدينية دورا رئيسا في برنامجها للقضاء على الدولة العثمانية بعدما أدركت تطلعات شعوب البلقان نحو الاستقلال، وقد أعطاها هذا مجالا واسعا لتحركها السياسي والديبلوماسي والعسكري،[1] وكان الهدف الرئيس هو إضعاف الدولة العثمانية وتقسيمها، وخلال أربعينيات القرن التاسع عشر كان هناك تنافس بين روسيا وبريطانيا، هذه الأخيرة التي كانت تسعى للمحافظة على الدولة العثمانية، ففي جانفي 1853 أعاد قيصر روسيا طرح مشروع تقسيم الدولة العثمانية على سفير بريطانيا بروسيا هاملتون سيمور(Hamilton Seymour)، ووصف الدولة العثمانية بأنها آخذة في الانهيار وأشار إلى تسوية الأمر بين روسيا وبريطانيا وأهمل فرنسا، لكن بريطانيا لم تبد تجاوبا مع المشروع واحتفظت بسياستها التقليدية.[2]

اتخذت روسيا من حماية الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية ذريعة لاحتلال الأفلاق والبغدان في منتصف 1853. وبإعلان الحرب، تحركت الأساطيل البريطانية والفرنسية إلى المضايق لإرغام روسيا على الانسحاب واستمرت الحرب إلى 1856 حيث عقد صلح باريس فيما بين 25-30 مارس 1856، وكانت نتائج هذا الصلح في صالح بريطانيا وفرنسا بالدرجة الأولى، فقد عُد البحر الأسود حياديا ومباحا لتجارة جميع الأمم وكذلك نهر الدانوب،[3] وكان قصد هذه الدول ليس إضعاف روسيا وحدها بل إضعاف الدولة العثمانية أيضا، حتى لاتقوى على معارضتهم وتبقى حاجزا بين روسيا والبحر المتوسط، لذلك نصت المعاهدة على تكوين حكومة مستقلة للأفلاق والبغدان، ثم أثاروا الأقليات الدينية والعرقية في بقية المناطق مثل الصرب والجبل الأسود لمنحها الاستقلال ولتكون حاجزا بين الدولة العثمانية وأوربا.[4] لكن من أسوأ نتائج حرب القرم أنها أوقعت الدولة العثمانية في ضائقة مالية جعلتها تستدين لأول مرة في سنة 1854 وهذا ماسمح بالضغط الإمبريالي عليها.[5] كما

---

[1] عبد الرؤف سنو، **النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية (1877-1881)، بلاد الشام والحجاز وكردستان وألبانيا**، ط.1، بيسان للنشر، بيروت، 1978، ص.23.

[2] ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، مرجع سابق، ص.421.

[3] محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.518.

[4] المصدر نفسه، ص.523.

[5] عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثمانية..." القسم 2، مقال سابق، ص.39

أرغمت على إصدار خط همايون الذي ينص على حقوق المسيحيين ومساواتهم بالمسلمين.[1] وكان من نتائجها أيضا أن انتشرت الإشاعات في البلاد الإسلامية التي تزعم أن الدول الأوربية ستقف إلى جانب مسيحيي الدولة العثمانية لو ثاروا ضدها، وساعد هذا على وقوع فتن في الشام حيث تدخل الأمير عبد القادر الجزائري لوقفها. وفتن في لبنان حيث اتجه إلى الحكم الذاتي[2].

كانت السياسة الروسية وإلى حرب القرم تعتمد على الجامعة الأرثوذكسية لزعزعة استقرار الدولة العثمانية، من دون اعتبار للعرق لكن بعد حرب القرم أولت روسيا العوامل القومية والعرقية دورا رئيسيا في برامجها نحو القضاء على الدولة العثمانية، بعدما أدركت تطلعات شعوب البلقان نحو القومية، وتوقفت الجامعة الأرثوذكسية عند ظهور الجامعة السلافية.

لقد استغلت دول البلقان ضعف الدولة العثمانية والحالة الاقتصادية السيئة التي كانت عليها في سنة 1875 للمطالبة بالاستقلال، فقد شهدت هذه السنة اضطرابات في الصرب والبوسنة والهرسك، كما شملت الاضطرابات مقاطعات البلغار، وفي جوان 1876أعلن الصرب والجبل الأسود حربهما ضد الدولة العثمانية.[3]وقد ساهمت الجمعيات السرية الروسية والنمساوية والسلافية في إثارة الأقليات، وتوزيع المال والسلاح سرا، لإثارة البوسنة والهرسك،[4] وكانت روسيا تأمل في وضع العالم السلافي تحت سيطرتها، والسيطرة على العاصمة العثمانية، واستغلت ثورة البوسنة والهرسك وخوفا من أن يتم الصلح بين هذه الدويلات والدولة العثمانية أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في 24 أفريل 1877 وتخلت بريطانيا عن سياستها في المحافظة على الدولة العثمانية، بعد أن بينت لها روسيا أنها لن تمس المصالح البريطانية.[5] وفي اليوم الذي أعلنت فيه روسيا الحرب ذكَّر الباب العالي الدول الأوربية الموقعة على معاهدة 1856 بالتزاماتها في الدفاع عن السلطنة وسيادتها، لكن الأوضاع الأوربية

---

[1] عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص. 175.

[2] المرجع نفسه، ص.175.

[3]P. Milza, op. cit, p. 30

[4] عبد الرؤف سنو، **النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية**، مرجع سابق، ص.23.

[5] محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.628.

كانت قد تغيرت وظهرت قوة ألمانيا، التي لم تكن مكترثة بالمسألة الشرقية، وكانت تفضل أن تلتهي الدول الاستعمارية باقتسام الدولة العثمانية على أن تشتغل بوسط القارة الأوربية.[1]

أحرزت الجيوش الروسية انتصارات سريعة حتى أصبحت العاصمة العثمانية مهددة مما اضطر السلطان العثماني إلى عقد معاهدة سان استيفانو (San Stéfeno) في 3 مارس 1878،[2] وكانت شروط الصلح لصالح روسيا حيث ضاعت أجزاء من الدولة العثمانية، وأُنشئت بلغاريا الكبرى، ولكن بريطانيا والنمسا طالبا بعقد مؤتمر دولي ووافقت روسيا على المؤتمر وعلى تعديل اتفاقية سان استيفانو،[3] وعقد مؤتمر برلين في 13 جويلية 1878 لمدة شهر،[4] وقسمت البلقان إلى إمارات حسب مصالح الدول الاستعمارية الكبرى، حيث سعت كل دولة إلى نهب جزء من الدولة العثمانية، وأهملت آراء العثمانيين، فاحتلت بريطانيا قبرص واتجهت أنظارها إلى مصر، أما فرنسا فبدأت توسع مستعمراتها في شمال إفريقيا، حيث استعمرت تونس في 1881، وبدأ النزاع حول ليبيا والمغرب. لقد خسرت الدولة العثمانية في مؤتمر برلين ما لم تفقده في أي حرب سبقت،[5] وتسببت الحرب أيضا في تهجير آلاف المسلمين من المناطق المحتلة في الولايات العثمانية في شرق أوربا وتدهورت الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة العثمانية.

---

(1) عبد الرؤوف سنو، **النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية**، مرجع سابق، ص. 24

(2) بنود المعاهدة ينظر: محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص.ص. 652-664.

(3) P.Milza, op.cit, p.34.

(4) بنود المعاهدة 64 بندا محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص-ص. 678-697.

(5) عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص.181.

الفصل الأول

علاقة الجزائريين بالجامعة الإسلامية

في نهاية القرن 19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رأينا في مبحث سابق مدى ما وصلت إليه أوربا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر من نمو اقتصادي ونشاط فكري وتطور سياسي وسيطرة استعمارية، وكانت أحوال الدولة العثمانية في انحدار سريع وديونها تتضخم باستمرار. كما نشطت الجمعيات المسيحية والصهيونية التي كانت لها أطماع في فلسطين، بالإضافة إلى ثورات الأقليات العرقية بإيعاز من الدول الاستعمارية، وفشلت التنظيمات التي استمدها السلاطين من الغرب وحرصت بريطانيا على تطبيقها، لأنها تخدم مصالح الطائفة المسيحية بالدرجة الأولى، وتشجع الامتيازات الأوربية في الدولة العثمانية. وفي هذه الظروف ظهرت مشاريع إصلاحية إسلامية حديثة، منها حركة الجامعة الإسلامية والحركة السنوسية في محاولة لجمع شمل المسلمين وتحرير البلدان التي وقعت تحت نير الاستعمار، والتي كانت آمال شعوبها في نهاية القرن التاسع عشر مازالت معلقة بالدولة العثمانية.

وفي هذا الفصل سنتناول أسس حركة الجامعة الإسلامية، ولجوء الجزائريين إلى المشرق ومدى استجابتهم لنداءات الجامعة الإسلامية الداعية للهجرة، ثم مدى الدعم المشرقي عموما والعثماني بصفة خاصة للثورات الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر. كما سنتناول دور السنوسية ومدى مساعدتها للجزائريين وربطهم بالدولة العثمانية وبالجامعة الإسلامية.

المبحث الأول: أسس الجامعة الإسلامية

لاشك أن مظاهر الانحطاط والضعف بالعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر كثيرة، لكن أعراض الضعف السياسي والتفكك الإداري والاستعمار الأوربي، ولدت لدي مفكري المسلمين وعيا مباشرا بواقع الانحطاط، لذلك كانت هناك عدة مشاريع لإنقاذ المسلمين، أهمها مشروع الجامعة الإسلامية أو "الحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة"، ويسمى في مصادر تلك الفترة من كتابات المستشرقين ب"حركة التجديد الديني. يتفق دعاة الجامعة الإسلامية على أساسين مهمين هما: وحدة المسلمين لمواجهة الاستعمار، والإصلاح وفق المنهج الإسلامي. ولكنهم يختلفون في طريقة الإصلاح. وسنقتصر في بحثنا على آراء شخصيات الجامعة الإسلامية الذين نرى أن تأثيراتهم وصلت إلى الجزائر أو كان لهم فضل الريادة في حركة الجامعة الإسلامية.

يمثل جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني رواد الجامعة الإسلامية في المشرق الإسلامي وأكبر دعاتها. ويركز الباحثون على جمال الدين الأفغاني، وهنا تتبادر لنا تساؤلات: هل لأنه تحدى الغرب والحكام المسلمين الضعفاء، أم لأنه أزعج الاستعمار بمشروعه؟ وقد تعددت الدراسات حول الأفغاني نظرا للدور الذي لعبه في انبعاث الفكر الإسلامي الحديث والذي يهتم بالقضايا الكبرى، منها النظم السياسية والادارية والتشريعات القانونية والدستورية.[1] فالأفغاني عند محمد إقبال "أعظم مفكر دعا إلى بعث الإسلام والديمقراطية في العالم الإسلامي الحديث ورفض الاستعمار والأوتوقراطية"[2]، وقد استطاع الأفغاني أن يبعث نهضة في أمة متعددة المذاهب والقوميات واللغات من الهند وأفغانستان ومصر واستانبول... فسماه محمد عمارة "موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام"، وسماه مالك ابن نبي[3] بـ"ضمير العالم الإسلامي" حيث يقول:"شاءت الأقدار أن تجعل من هذا الرجل في التاريخ الشاهد الصادق والحكم الصارم على مجتمع انتهى أمره في هدوء إلى الانحلال بينما أخذ الاستعمار يستقر على أرضه". وكان للثقافة الواسعة التي حصل عليها الأفغاني والتجربة السياسية التي عاشها في عدة أقطار إسلامية، واطلاعه عن كثب على أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية، دور واضح في تحليله لأسباب تدهور أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية والفكرية ووسائل الإصلاح التي يراها كفيلة بإنهاض المسلمين.[4]

أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد كثرت الكتابات حوله من قبل الغربيين وبخاصة جرائد تلك الفترة، يقول عنه (Jean Paul Garnier)[5] إنه قليل من الأشخاص الذين تعرضوا للنقد اللاذع مثل ماتعرض له السلطان عبد الحميد الثاني، فقد وصفه (Glodstane) بـ"السفاح الكبير" ووصفه

---

(1) زكي الميلاد، "جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي"، **جمال الدين الأفغاني، عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي**، وقائع الحلقة الدراسية، عمان (الأردن)، 19 نوفمبر 1998، ص.327.

(2) المقال نفسه، ص.332.

(3) **وجهة العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص.44.

(4) احمد فهد بركات الشوابكة، **حركة الجامعة الإسلامية**، ط.1، مكتبة المنار، الزرقاء، 1984، ص.126.

(5) ***La fin de l'Empire Ottoman, du Sultan Rouge à Mustafa Kemal***, Plon, 1973, p. 20.

(Vandal Albert) بـــ"السلطان الأحمر" وصفه (Anatole France) بـــ"الحاكم المجنون والمفزع"، وعلى الرغم هذا يعترف (Garnier) بأنه ذكي وخدم إمبراطوريته التي كانت تحتضر.

وقد كتب الســـلطان عبد الحميد الثاني مذكراته ودافع فيها عن مواقفه، وترجمت هذه المذكرات إلى عدة لغات منها الترجمة العربية التي اعتمدناها في بحثنا هذا، وكذلك الترجمة الفرنسية التي قام بها علي مراد وقدم لها. ومن الذين دافعوا عن الدولة العثمانية والســـلطان عبد الحميد الثاني بقوة عبد العزيز الشناوي في كتابه "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها"، كما عد أنور الجندي أن ماأُتهم به الســـلطان عبد الحميد من قتل وأخطاء هو من فعل الصـــهيونية، التي كانت لها أغراض في فلســـطين، وكتب "تصـــحيح أكبر خطأ في تاريخ الإســـلام الحديث الســـلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية". كما كتب قيصر.أ. فرح "السلطان عبد الحميد والعالم الإسلامي" رد فيه على التهم التي وجهت للسلطان معتمدا على وثائق أرشيفية بريطانية وألمانية. ومازال الموضوع يحتاج إلى البحث وإلى دراسات أعمق، نظرا إلى الهجمة الإعلامية الكبرى التي تعرض لها المسلمون وخليفتهم في نهاية القرن التاسع عشر، من قبل الاستعمار وأعوانه في العالم الإسلامي.[1]

وفي تحليله لحال المســـلمين والحلول الممكنة يقول الأفغاني: "أمران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة، ويهدي إليهما الدين تارة أخرى، وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب، وكل منهما يطلب الآخر ويســـتصـــحبه بل يســـتلزمه، وبهما نمو الأمم وعظمتها ورفعتها واعتلاؤها، وهما: الميل إلى وحدة تجمع، والكلف بسيادة لاتوضع".[2] وبهذا أثار الأفغاني كبرى القضـــايا التي يجب الاهتمام بها وهي الوحدة والسيادة أو الإصلاح السياسي.

---

[1] يحتوي موقع أرشيف الدولة العثمانية على أحدث الدراسات العربية حول العثمانيين منها عدة مقالات عن السلطان عبد الحميد الثاني: http://www.ottomanarchives.info

[2] جمال الدين الأفغاني، **الوحدة الإسلامية والوحدة والسيادة**، مطبعة الأنوار، القاهرة، 1938، ص.21.

المطلب الأول: وحدة المسلمين

الوحدة من المبادئ الكبرى في الإسلام يقول سبحانه وتعالى: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"[1]، وعلى أساس وحدة العقيدة والدين يتوحد المسلمون في بقية المجالات، كما حفلت الأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامي بالدعوة إلى الوحدة وعدم تفرق الصف وبخاصة في حالة مواجهة الأعداء، لكن الوحدة التي دعا إليها الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني هي وحدة كل المسلمين، حتى الذين هم ليسوا تحت حكم العثمانيين لمواجهة الاستعمار الأوربي، وهذا ما دعا محمد عابد الجابري إلى القول أن الأفغاني قد تأثر بالوحدة الجرمانية، فشعار الوحدة كما يقول: "هو مشروع ألماني، فقد كانت ألمانيا تطمح إلى تحقيق وحدتها، ومنافسة فرنسا وبريطانيا في التقدم"[2]، وهذا التحليل يخالف تماما منطلقات الأفغاني ونظرته إلى الوحدة.

إن المتأمل في مشروع الأفغاني، يجد أنه يحاول البحث عن الحلول الشاملة لكل المسلمين، وقد حذر من نتائج الاستعمار قبل أن تسقط كل بلاد المسلمين في يد الغرب، وكان يسمي مشروعه بـ "الوحدة الإسلامية" أو "الاتحاد الإسلامي". ولم ينظر إلى الغرب استعمارا عسكريا فحسب، بل كان ينظر إليه ثقافة ودينا، والمشروع الاستعماري مشروع للقضاء على الإسلام، لذا كان أول من اعتبر الشرق والغرب خصمين متصارعين،[3] وكان يشغله معادلة القوة والضعف، التي يقابلها الشرق والغرب، فمختصر هذه المسألة هي كما يقول: "العراك بين الغربي والشرقي، وقد لبس كل منهما لصاحبه درعا من الدين"[4] وبعبارة أخرى إن المسلمين لابد لهم من القوة لمواجهة الغرب ولايكون

---

[1] سورة الأنبياء الآية 92، جاء في تفسير الجلالين:" «إن هذه» أي ملة الإسلام «أمتكم» دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها «أمة واحدة» حال لازمة «وأنا ربكم فاعبدون» وحدون. **تفسير الجلالين**، مكتبة الملاح، دمشق، 1964.

[2] محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية**، ط.3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص.58.

[3] عبد الله العروي، **الأيديولوجية العربية المعاصرة**، ط.1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1995، ص.50.

[4] محمد عمارة، **مجموع الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن جمال الدين الأفغاني والحقيقة الكلية**، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص.228

ذلك إلا بـــ"الاتحاد": "ففي مشـرق إسـلامي داؤه انقسـام أهله وتشـتت آرائهم، واتحادهم على الاختلاف واختلافهم على الاتحـاد"،[1] لايمكن أن يواجهوا الغرب إلا بـالقوة، وبـالتـالي كـان من الضروري تقديم صيغة اجتماعية سياسية لهذا النهج، تتم بالدعوة إليها بشكل واضح وصريح. وبالفعل اتخذت هذه الدعوة صيغ "الجامعة الإسلامية" أو "الوحدة الإسلامية".[2]

رفع نداءه إلى المسـلمين لكي يتحدوا، وكان يرى أنه السـبيل الوحيد لخلاصـهم وليس ذلك بعزيز عليهم "أيا بقية الرجال وياخلف الأبطال ويانسـل الأقيال هل ولى بكم الزمان هل مضـى وقت التدارك؟ هل آن أوان اليأس لا. لا. معاذ الله أن ينقطع أمل الزمان. إن من أدرنة إلى بيشاور دولا إسلامية متصلة الأراضي متحدة العقيدة يجمعهم القرآن ولاينقص عددهم عن خمسـين مليونا وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشـجاعة والبسالة، أليس لهم أن يتفقوا عن الذب والدفاع والإقدام كما اتفق عليه سائر الأمم؟ ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم فالاتفاق من أصول دينهم هل أصاب الخدر مشاعرهم فلايحسون بحاجات بعضهم على بعض؟!! أليس كل واحد أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله بقوله (إنما المؤمنون إخوة)، فيقيمون الوحدة سـدا يحول عنهم هذه السـيول المتدفقة عليهم من كل جانب".[3] ويبين الأفغاني معنى الوحدة فيقول:"لاألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شـخصـا واحدا، فإن هذا أمر عسـير، ولكن أرجو أن يكون سـلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر مااستطاع، فإن حياته بحياته، وبقاءه ببقائه، إلا أن هذا يعد كونه أساسا لدينهم تقضي به الضرورة، وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات"[4].

لقد كانت جهود الأفغاني للدعوة إلى الوحدة منذ عهد السـلطان عبد العزيز، وواصـلها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، حيث كتب للسلطان رسالة وصفها عبد الحكيم الطيبي[5] بأنها

---

[1] المصدر نفسه، ص.13.

[2] فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ص.260.

[3] جمال الدين الأفغاني، **الوحدة والسيادة**، مصدر سابق، ص.19.

[4] المصدر نفسه، ص.19.

[5] "جمال الدين الأفغاني"، **جمال الدين الأفغاني والمشروع الإصلاحي**، مجموع مقالات المؤتمر الدولي للسيد جمال الدين الأفغاني الأسد أبادي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مديرية النشر والمطبوعات، ط.1، طهران، 2004، ص.17.

في غاية الأهمية، لقد كان الأفغاني يريد أن يقوم بالدور الذي قام به أبو مسلم الخرساني من قبل. وفي خطابه خطوات محددة لإثارة المسلمين في آسيا، وخطة الأفغاني كما وردت في هذه الرسالة وكما بين نكي كيدي[1] خطة ثورية تفوق كل ماكان يفكر فيه السلطان. جاء في الرسالة: "لذلك يرغب العبد الفقير إلى ربه (أي الأفغاني) حبا في ملة الإسلام في التوجه إلى تلك الأصقاع (يقصد المسلمون في آسيا: الهند وأفغانستان...) والالتقاء بكافة النواب والأمراء والعلماء والأعيان واطلاعهم فردا فردا على النتائج التي تحققها الوحدة والتضامن في العالم أجمع والأضرار التي أسفر عنها التفرق والانقسام..."[2].

الجامعة الإسلامية أو "وحدة المسلمين" من الأفكار التي كانت رائجة في نهاية القرن التاسع عشر، فإن اشتهر جمال الدين الأفغاني داع لها فقد اشتهر السلطان عبد الحميد الثاني منفذا للمشروع، باسم الخلافة العثمانية، وتعد وحدة المسلمين إحدى الركائز الأساسية التي اعتمدها السلطان عبد الحميد الثاني في سياسته، فقد رأى أن: "الإنجليز استطاعوا بدعايتهم المسمومة أن يبثوا بذور القومية والعصبية في بلادنا، وظهر القوميون في الجزيرة العربية وفي ألبانيا، وظهرت في سورية بوادر تحرك مماثل"،[3] هذه التحركات هي بوادر التشتت الداخلي لأسباب خارجية. إضافة إلى سقوط كثير من بلاد الإسلام بيد الاستعمار، إن الحل في نظر السلطان هو كما جاء في مذكراته: "يجب علينا أن نقوي صلاتنا بالبلدان الإسلامية، وأن يكون التقارب أحسن مما هو عليه الآن، ولا أمل لنا في المستقبل إلا بالوحدة، فإن بقاء الوحدة الإسلامية يعني بقاء إنجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا تحت نفوذنا. حيث إن كلمة واحدة من الخليفة تكفي لإعلان الجهاد في البلدان الإسلامية الواقعة تحت سيطرة هذه الدول مما يؤدي بوقوع الكارثة بالنصارى. ولابد أن يأتي يوم يقوم فيه المؤمنون قومة رجل

---

(1) المقال نفسه، ص.17.

(2) ملحق المقال نفسه، ص.22.

(3) السلطان عبد الحميد، **مذكراتي السياسية**، ط.2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979، ص.177 .

واحد ويحطمون أعلامهم"[1]. وقد كان نداؤه للمسلمين في جميع أنحاء العالم أن يقفوا معه صفا واحدا في مواجهة النفوذ الغربي، ومن هنا كانت صيحته المعروفة والمشهورة "يا مسلمي العالم اتحدوا".[2]

كان الأفغاني رافضا للطريقة التي كان يحكم بها السلطان عبد الحميد الثاني وعدّها استبدادا بالحكم، في حين أن السلطان رأى أن تلك هي الوسيلة الوحيدة لحكم المسلمين نظرا للظروف التي تمر بها الدولة العثمانية مع كثرة نفوذ المسيحيين والصهاينة في الداخل والضغط الإمبريالي في الخارج، فمفهوم الجامعة الإسلامية عند الأفغاني مفهوم ثوري حركي أساسه الوحدة السياسية والمذهبية بين المسلمين، مهما كان النظام السياسي باستثناء السلطة الفردية المطلقة. حيث يقول:"لاتحيا مصر ولايحيا الشرق بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منهم رجلا قويا وعادلا، يحكمه أهله على غير التفرد بالقوة والسلطان"[3]. ويقول محمد الصالح المراكشي: "لم أجد دليلا فيما كتبه الأفغاني يشير إلى إرادته في العودة إلى الخلافة الدينية المركزية القديمة أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلافة الصحابة".[4]

ويرى كثير من الباحثين أن الجامعة الإسلامية -الحميدية-هدفها سياسي بحت، حيث يقول توفيق برو[5]: إن الجامعة الإسلامية هي أهم الأساليب التي حاول بها السلطان عبد الحميد أن يستقطب بها نفوس المسلمين، وقد رمى من وراء تمسكه بها إلى أهداف عديدة، فهي التي توطد موقعه في الداخل وتعزز موقعه الخارجي، أما علي مراد[6] فيرى أنه من المتعارف عليه أن السلطان عبد الحميد هو الذي اعتنى بفكرة الجامعة الإسلامية، وكانت فكرة رائدة في عهده، ويمكن أن نعتبر أن هذا المشروع يهدف إلى الضغط على الدول العظمى بإظهار التهديد الذي تظهره هبّة كل المسلمين

---

[1] السلطان عبد الحميد، المصدر نفسه، ص.175.

[2] أنور الجندي، **تصحيح أكبر خطا في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، ط.1، دار ابن زيدون، بيروت، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1407هـ، ص.79.

[3] محمد باشا المخزومي، **خاطرات الأفغاني، آراء وأفكار**، ط.1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002، ص. 52-53. والعروة الوثقى، ص.50.

[4] محمد الصالح المراكشي، **الإيديولوجية والحداثة**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت، ص.105.

[5] **العرب والترك في العهد الدستوري (1908-1914)**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1991، ص.47.

[6] Ali Merad, ***L'Empire Ottoman et l'Europe***, Publisud, Paris, 2007 P.73

لحماية الدولة العثمانية بقصد إحداث ضغط على الدول الكبرى. والواقع أن الجامعة الإسلامية نتجت عن تفطن العالم الإسلامي لمواجهة هجوم الدول المسيحية، وتوسعها الاستعماري، ونفوذ عملائها، ولكن رد الفعل الأيديولوجي للشعوب الإسلامية التي كانت ضعيفة جدا، منعها من التنظيم المحكم والوحدة للدفاع عن أرض وهوية الإسلام[1].

إن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في نظر بعض الباحثين[2] ليس فقط لتقوية العلاقات بين الشعوب المسلمة حتى الموجودة منها تحت الاستعمار الأجنبي، ولكنها أيضا تقوية للمراقبة الإدارية المركزية للمقاطعات العربية التي يعد سكانها بعشرات الملايين، وهم احتياطي يقدم للعسكر العثماني. لذا سعى السلطان عبد الحميد لتوطيد العلاقة بين المسلمين بمختلف الوسائل ومنها الأيديولوجية.

عند تتبع الخطوات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني فقد كانت عملية –على علاتها– واستحسنها كثير من علماء الفترة، وعد كثير من المؤرخين والباحثين أن السلطان عبد الحميد الثاني كان آخر الحصون التي دافع بها الإسلام عن وجوده العالمي.[3] ولكن يبدو أن جهوده جاءت متأخرة حيث استفحل خطر القوى الاستعمارية الإمبريالية في داخل الدولة وخارجها، كما استفحلت الصهيونية، كما ذكر ذلك السلطان عبد الحميد في مذكراته، وتكاتفت جهود الدول الاستعمارية وأتباعها داخل الدولة العثمانية لإسقاط الخليفة ثم نظام الخلافة والانتقال إلى دولة علمانية مقلدة لأوربا.

إن فكرة الوحدة الإسلامية التي استعملها السلطان عبد الحميد الثاني ليس فقط لتقوية النظام الداخلي وخنق مطالب الليبراليين والدستوريين ولكن أيضا لمواجهة الإمبريالية الأوربية.[4] لعل أول خطوة بدأ بها هي إعادة الاعتبار للخلافة الإسلامية، ويتميز عهده بالتركيز على الجانب الديني للخلافة، والتي تهدف إلى توطيد الصلات بين المسلمين في اتحاد كالذي كان يدعو إليه الأفغاني.

---

(1) Ibid, P.73.

(2) B. Tlili, ***Crises et mutations dans le monde islamo-méditerranéen contemporain (1907-1918), T1-Fondement et positions des réformismes,*** Publications de l'université de Tunis, 1978, p.83.

(3) أنور الجندي، **تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث**، مرجع سابق، ص.80.

(4) B.Tlili, ***Crises et mutations.***., T1,op.cit, , p.82

والخلافة في نظره هي الجامعة الوحيدة للمسلمين، يقول في مذكراته: "علينا أن نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون عثمانيين، وأن تكون صفة خليفة فوق صفة الإمبراطور العثماني، فإن الدين هو أساس البناء السياسي والاجتماعي للدولة"[1]. وقد أصر على تضمين دستور 1876 قرارا رسميا بدور الخلافة حيث ينص على أن: "السلطان هو خليفة المسلمين وحامي الإسلام".[2] ويرى علي مراد[3] في تحليله للجامعة الإسلامية –الحميدية– أنها تبدو متناقضة مع تأكيد الهويات الوطنية، بسبب أهداف الوطنيات التفريقية وثانيا لأنها تمثل تحديا للخليفة حارس وحدة الإمبراطورية العثمانية، ويرى أيضا أنه يمكن اعتبار الجامعة الإسلامية حيلة سياسية من أجل الضغط على القوى العظمى، بتحريك ثورة عامة في العالم الإسلامي لنجدة الخلافة العثمانية، ولصد هجمات الدول الاستعمارية والمؤسسات التبشيرية.[4]

عمل السلطان عبد الحميد الثاني على جمع المسلمين من الصين إلى المغرب الأقصى، وكان له اهتمام خاص بالبلاد العربية قلب العالم الإسلامي، فقد أخذ يستميل العرب بكل الوسائل فكون له منهم حرسا خاصا وعين بعض الموالين له في وظائف كبرى منهم "عزت باشا العابد" من أهل الشام الذي أصبح مستشار السلطان للشؤون العربية وكان له نفوذ لدى السلطان،[5] وخير الدين التونسي (وهو من أصل شركسي) الذي كان قد خدم ثمانية شهور صدرا أعظم قبل أن يُعيّن في مجلس الأعيان ويبقى المستشار الرئيس للسلطان.[6] كما قرب إليه شخصيات بارزة وعلماء مثل أبناء الأمير عبد القادر الجزائري وجمال الدين الأفغاني وأبو الهدى الصيادي،[7] وحصل على تأييد شريف مكة الذي

---

[1] السلطان عبد الحميد، مصدر سابق، ص.165.

[2] قيصر.أ. فرح، مرجع سابق، ص.167.

[3] ***L'Empire Ottoman et l'Europe***, op.cit, 24

[4] Ibid, 73

[5] موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض**، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1984، ص.113.

[6] قيصر.ا.فرح، مرجع سابق، ص.189.

[7] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص.110.

وجه له دعوة للقدوم إلى مكة للحج بصفته خليفة المسلمين.[1] وجمع السلطان حوله شيوخ الطرق الصوفية وذلك لحشد اتباعهم، منهم ظافر المدني[2] الذي لعب دورا مهما في الدعوة إلى تضامن المسلمين فقد أرسل الشيخ المدني مبعوثين له من إستانبول إلى المغرب للدعوة للوحدة الإسلامية. منهم شيخ الطريقة السنوسية، وكان ينظر إليه على أنه خير معين له في شمال إفريقيا، أما الشيخ المكي بن عزوز فقد توجه إلى إستانبول في سنة 1908 وخصص له السلطان راتبا وسكنا.[3]

كما بدأ في إرسال دعاة وحدة المسلمين إلى كل أنحاء العالم الإسلامي، وكان هؤلاء يعدون في مراكز خاصة على رأسها "معهد تدريب الوعاظ والمرشدين" الذي أقيم خصيصا لهم"،[4] إلى جانب مدرسة أبناء العشائر التي أنشئت في إستانبول لاستقبال أبناء العشائر من مختلف الولايات العثمانية. حيث يتلقون العلوم الحديثة ومبادئ الإسلام والرد على مفتريات المبشرين، وتذكر ألماوتلن (Watlin Alma)أنه في الآستانة وحدها حوالي أربعين ألفا من طلاب المعاهد الدينية الذين يمكن الاستفادة منهم في مجال حركة الجامعة الإسلامية.[5] كما أخذ يبذل المساعدات المالية بسخاء للمدارس الدينية في داخل الدولة وخارجها،[6] وفتح جامعة حميدية في بيكين وكانت إنجازاته في كل العالم الإسلامي حملت توقيع (حميدية)،[7] إلى جانب تسخير الصحافة للدعاية، ومن بين الصحف

---

(1) قيصر. أ. فرح، مرجع سابق، ص.316.

(2) **ظافر المدني**:(1829-1903) محمد بن محمد بن حمزة ظافر الطرابلسي، من فقهاء المالكية، ولد في مسراتة بليبيا، وسكن المدينة فنسب إليها، واستقر شيخا للشاذلية بالآستانة، وتوفي بها. من مؤلفاته: "الرحلة الظافرية" و"الأنوار القدسية" و"النور الساطع والبرهان القاطع". المرجع: خير الدين الزركلي: مرجع سابق، ج7، ص.76.

(3) المرجع نفسه، ص-ص.186-188.

(4) أحمد فهد بركات الشوابكة، مرجع سابق، ص.271.

(5) المرجع نفسه، ص.272، نقلا عن كتاب "عبد الحميد ظل الله في الأرض".

(6) إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط.1، مكتبة الكعيبات، الرياض، 1996، ص.202.

(7) Sureyya Sirma, ***Bir kaç sahife tarih***, kapa asir ajans Dizgi –Baski- Cilt nur Matbaacilik, Konya, من مقدمة الكتاب قام بترجمتها لي من اللغة التركية مشكورا الدكتور محمد دراج.

التي كانت تروج للوحدة الإسلامية تحت قيادة الخليفة جريدة "المؤيد" في القاهرة وجريدة "الاتحاد العثماني" في بيروت،[1] وقد لعبت صحيفة "العروة الوثقى" التي أصدرها جمال الدين الأفغاني في باريس بمساعدة الشيخ محمد عبده الدور الرئيس في بلورة المحتوى الأيديولوجي للجامعة الإسلامية.

أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مبعوثيه إلى الصين والهند وبخارى وشمالي إفريقيا، وبخاصة المقاطعات التي كانت تابعة للسلطة العثمانية مثل مصر والبوسنة وتونس...، وتبين لنا وثائق وزارة الخارجية الفرنسية مراسلات وتقارير القنصل الفرنسي بإستانبول عن سياسة الجامعة الإسلامية التي اتبعها السلطان عبد الحميد بعد حربه مع اليونان، وفي تقرير طويل بتاريخ 27 أكتوبر 1897، أن دعاة أرسلوا من إستانبول إلى شمال افريقيا ومختلف البلاد[2].

أولى السلطان العثماني عناية خاصة بتقريب المسلمين من بعضهم، وذلك باعتنائه بموسم الحج فالحج لدى دعاة الجامعة الإسلامية أحد مظاهر الوحدة، فأنشأ خطا حديديا بين دمشق والمدينة المنورة ومكة المكرمة، وعهد إلى خبراء ألمان في تنفيذ المشروع، وبدأ العمل به في 1901 وانتهى في 1908، لكن جورج انطونيوس يقول: " إن خطة مد سكة حديد من دمشق إلى المدينة ومنها إلى مكة الهدف الوحيد والظاهر هو تيسير سبل الحج لكن في الحقيقة ذات أهداف سياسية وحربية قبل كل شيء...قد أهاب بالمسلمين في كل العالم أن يتبرعوا لإنشاء الخط فأنشئ على مسافة 900 ميلا، وبلغ مجموع النفقات ثلاثة ملايين جنيه، جمع أكثر من ثلثها من الهبات... لقد كان في أشد الحاجة إلى وسائل النقل البري لنقل جنوده إلى شبه الجزيرة وعودتهم منها، وكان من قبل يستخدم النقل البحري عبر قناة السويس"، ولكنه يعترف أن هذا من حنكته السياسية،[3]وقد لاقى هذا المشروع استحسانا لدى المسلمين فقد كتب عارف الحسني، عن أهمية المشروع:" لقد أسفر عن ثروة البلاد والعباد والراحة للحجاج، وتوطيد الأمن والرفاهية، وتعمير البلاد الخربة وتأهيل العامرة الخالية. ثم

---

(1) قيصر.أ. فرح، مرجع سابق، ص.314.

(2) A.D.M.A.E, La politique du Sultan et le Panislamisme après la guerre Turco-Grècque, politique étrangère : relation avec les Puissance N°2, 27 Octobre 1897. P.202.

(3) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص.ص. 142-143.

هذه السكة تقارب المسلمين من بعض وتزيد في تقاربهم وتآلفهم واتحادهم واتفاق كلمتهم، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبعد بلادهم"[1]، كما كتب الأمير علي باشا بن الأمير عبد القادر رسالة إلى السلطان يشيد بالمشروع ونشرت في مجلة العالم الإسلامي ومما جاء فيها:" عبر الناس إلى بيت الله أفواجا يسبحون بحمده ويشكرون له الأداء ويدعون بحفظ ملكهم...وينظرون إلى هذه الهمة الشماء والحكمة الغراء بعين الدهشة والاستغراب، ويتلون على صاحبها آيات الإطراء والإعجاب والمسلمون في كل صقع من البلاد يجأرون بالدعاء إلى رب العالمين أن يطيل عمر سلطانهم كفيل عمرانهم ودافع أركابهم ومشيد بنيانهم بما أنزل الله على قلبه من العلم الصحيح والنهج الصريح وشد أزره..." وختم الرسالة بقصيدة في مدح السلطان.[2]

إن خط سكة حديد الحجاز ساعد في الواقع على تحطيم النفوذ البريطاني في العالم الإسلامي المتوسطي عامة والمنطقة العربية خاصة.[3] لذلك أوجد قلقا لدى الدوائر الاستعمارية فقد كتب السفير البريطاني لدى الباب العالي في تقريره السنوي لعام 1907: " ومهما يكن فليس هناك غير عاملين اثنين يظهران بوضوح من بين عوامل الحالة السياسية العامة خلال العشر سنوات الأخيرة. أما الأول فهو تلك السياسة الماهرة التي حدت بالسلطان إلى أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين بمظهر الخليفة والزعيم الروحي للإسلام، وبث في نفوس رعاياه الحماسة والاستجابة لشعوره الديني حين مد سكة حديد الحجاز حتى يتيسر لكل مسلم في المستقبل القريب سبيل الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة... فكان نتيجة ذلك أن أصبح رعاياه يدينون له بالطاعة العمياء إلى حد لم يسبق له مثيل وأصبحوا يقبلون عن رضى استبداده المطلق الذي لم يشهد له التاريخ مثيل..."[4] وفي هذا اعتراف من أعداء السلطان أنه خلق المشاريع التي توحد بين المسلمين وتقربهم من بعض، وساعد المستعمَرين منهم باستقبالهم في البلاد العثمانية.

ويُعد تشجيع الهجرة من الديار الإسلامية المستعمرة إحدى سياسات السلطان عبد الحميد، فقد نشطت الدعاية السلطانية بعد مؤتمر برلين الأول حول مساعدة السلطان للمهاجرين المسلمين. وقد دعت بعض الصحف ومنها صحيفة "ثمرات الفنون" المسلمين الذين سقطت بلادهم بيد

---

[1] أحمد فهد بركات الشوابكة، مرجع سابق، ص.194، نقلا عن مخطوط لمحمد عارف الحسني "أعظم المآثر العثمانية السكة الحديدة الحجازية الشامية".

[2] **R.M.M**, t.3, Paris 1907, p.526

[3] B.Tlili, ***Crises et mutations…,*** T1, op.cit, , p.84.

[4] جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص-ص.143-144.

الاحتلال إلى الهجرة لتقوية مركز السلطان العثماني،[1] وتشكلت في دمشق اللجنة الدمشقية للأخوة الجزائرية التونسية وقامت بإرسال الدعوات إلى تونس والجزائر لتشجيع الهجرة.[2]

سن السلطان عبد الحميد قوانين جديدة ومراسيم إدارية وسياسية بشأن الهجرة المغربية والجزائرية إلى الولايات العثمانية، غيرت جذريا السياسة التقليدية العثمانية ومواقفها من الهجرة المغربية، وظن العثمانيون أنهم بتسهيل الهجرة سيعوضون الخسائر البشرية الهامة التي ألحقت بهم، بسبب فقدانهم لكثير من المناطق في أوربا الشرقية، وقد عملت السلطات العثمانية جاهدة على جلب المهاجرين المغاربة، وتجنيسهم جماعيا بالجنسية العثمانية، ومعنى ذلك فصلهم نهائيا عن فرنسا قانونيا وسياسيا، وزيادة العنصر البشري الذي كانت الدولة العثمانية في حاجة إليه،[3]وقد ساهمت عدة عوامل داخل الجزائر في هجرة الجزائريين بالآلاف، واستوطنوا في الشام بصفة خاصة، على الرغم الظروف الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، مما اضطر بعضهم إلى العودة.

المطلب الثاني: الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي

من المؤكد لدى معظم الباحثين أن الضعف الذي وصل إليه المسلمون في نهاية القرن التاسع عشر لم يكن وليد تلك الفترة، بل هو تداعيات الضعف لعدة قرون سماها عبد الله العروي بفترة التأخر التاريخي.[4]ويرجعها مالك ابن نبي في المغرب الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين،[5] بينما بدأ الضعف السياسي في المشرق بسقوط بغداد في بداية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، كما تبعه التراجع العلمي والفكري للمسلمين منذ القرن الرابع عشر الميلادي (القرن الثامن الهجري). فقد أصبح التأليف يتسم بالسعة وقلة التعمق، وطغى النقل والاقتباس على التفكير والتعمق في العلم.

---

(1) محمد عبد الهادي العلوي، **الهجرات الخارجية من وإلى سورية في العصر العثماني** (1831-1916)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة دمشق، 2002، ص.183.

(2) المرجع نفسه، ص.184.

(3) عمار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو الشام** (1847-1918)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص-ص.35-36.

(4) امحمد المالكي، مرجع سابق، ص.13

(5)**وجهة العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص.32.

وتكونت مذاهب فقهية في قوالب جاهزة جديدة لاتعرف المرونة والتسامح،[1] وأثر ذلك على المجتمع. إن هذه الأوضاع التي وصل إليها المسلمون ولدت لدى المفكرين تساؤلات حول كيفية الإصلاح أو الخروج من التخلف والضعف والسيطرة الأوربية، فإن كان الاتفاق بينهم على ضرورة الإصلاح فقد اختلفوا حول الأسباب والحلول وربما أسلوب الإصلاح بصفة خاصة.

ولم يكن الإصلاح أيضا وليد القرن التاسع عشر، فيرجعه بعض الباحثين[2] إلى عصر ابن تيمية،[3] فحالة الضعف التي كان عليها المسلمون في نهاية القرن التاسع عشر، هي نفسها التي كانت في عصر ابن تيمية،[4] ولعلها في القرن التاسع عشر أشد، فالحلول التي طرحها ابن تيمية هي نفسها التي طرحها جمال الدين الأفغاني،[5] والأخير يمثل الصوت الأبرز في الإصلاح الحديث.

وأمام هذه الوضعية التي وصل إليها المسلمون تساءل معظم المفكرين عن أسباب ضعف المسلمين وماهو السبيل لنهوضهم؟ وقد اتفقت كلمة الكثير منهم على أن سبب الانحطاط هو سياسي بالدرجة الأولى.[6] ولقد تباينت آراء مصلحي القرن التاسع عشر في إشكالية من أين نبدأ الإصلاح؟ فيمكننا أن نميز تيارين داخل حركة الجامعة الإسلامية: تيار ينادي بالإصلاح السياسي أولا ومنه يكون إصلاح المجتمع، ويتزعمه جمال الدين الأفغاني. والثاني يرى أن الإصلاح يبدأ من

---

(1) أبو الحسن الندوي، مرجع سابق، ص.43.

(2) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص.43.

(3) **تقي الله أحمد بن تيمية** (1263-1328): فقيه عربي حنبلي، ولد في حران، ولمع نجمه بدمشق، وفيها توفي معتقلا، كان داعية من أكبر دعاة الإصلاح في الدين، وخصما من أقوى خصوم الصوفية، يلقب ب "محيي السنة وإمام المجتهدين"، أشهر آثاره "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" المرجع: منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ص.20.

(4) محمد البهي، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، ط.6، دار الفكر، بيروت، 1973، ص.107.

(5) المرجع نفسه، ص.107.

(6) فهمي جدعان، **مرجع سابق**، ص.255.

المجتمع، وعلى رأس هذا التيار الشيخ محمد عبده ومدرسته، وهذا ماعبر عنه محمد رشيد رضا: [1] "تجديد الأمة بإصلاح الدولة وتجديد الدولة بإصلاح الأمة وكل منهما يفضي إلى الآخر، فالأفغاني يرى في السياسة الطريق الأسرع، ومحمد عبده يرى في الإصلاح الطريق الأثبت".

1 -الإصلاح عن طريق السياسة: لاشك أن بعث نهضة في أي أمة لايتحقق إلا باقتران العوامل السياسية المرتبطة بالواقع ومكوناته وعناصره وشرائطه بالعوامل الفكرية المرتبطة بتفسير ذلك الواقع وتحريكه وتغييره على صورة مقولات وأفكار ومفاهيم. وليس هناك نهضة من غير أن يكون للعوامل الفكرية تأثير وفاعلية فالنهضة هي تغييرات عن تلك العوامل الفكرية.[2]وفي تفسير جمال الدين الأفغاني للسبب الحقيقي لتخلف المسلمين وتمكن الأعداء منهم، يرجعه إلى حكام المسلمين واستبدادهم، حيث يقول واصفا المسلمين: "بعد أن كانوا منفردين في ميادين الوغى لايجاريهم فيها سواهم من الملل. لكن ضرب الفساد أطنابه في نفوس أولئك الأمراء بمرور الزمان، وتمكن من طباعهم حرص وطمع باطل فانقلبوا مع الهوى. وضلت عنهم غايات المجد المؤثل وقنعوا بألقاب الإمارة وأسماء السلطنة...واختاروا موالاة الأجنبي عنهم المخالف لهم في الدين والجنس ...هذا الذي أباد مسلمي الأندلس وهدم أركان السلطة التيمورية في الهند ومحا رسومها وآثارها وعلى أنقاضها وأطلالها شيد الإنجليز ملكهم بتلك الديار...بئس ماكانوا يعملون أولئك اللاهون بلذاتهم العاكفون على شهواتهم هم الذين بددوا شمل الملة وأضاعوا شأنها وأوقفوا سير العلوم فيها وأوجبوا الفَتَرَة في العلوم النافعة"[3]

فالسبيل الأول والأوحد في نظر الأفغاني لإصلاح حال المسلمين هو تغيير الأنظمة السياسية التي بُنيت على الحكم الفردي وبالتالي الإستبداد والظلم، وهو يدعو إلى إرساء نظم جديدة على غرار النظم الغربية قوامها الحريات الدستورية، ونبذ الاستبداد وإشراك الشعب في الحكم عن طريق مجلس نيابي لسن القوانين،[4] يقول الأفغاني "لا تحيا مصر ولايحيا الشرق بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منهم

---

[1] **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده "1849-1905"**، ج.1، ق.2، ط.2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006، ص.974.

[2] زكي الميلاد، **من التراث إلى الاجتهاد...**، مرجع سابق، ص.49.

[3] جمال الدين الأفغاني، **الوحدة الإسلامية والوحدة والسيادة**، مصدر سابق، ص.17.

[4] علي المحجوبي، **النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان**، سراس للنشر، تونس، 1999، ص.35.

رجلا قويا عادلا يحكمه بأهله على غير التفرد بالقوة والسلطان. لأن بالقوة المطلقة الاستبداد ولاعدل إلا مع القوة المقيدة، وحكم مصر بأهلها إنما أعني به اشتراك الأهلي بالحكم الدستوري الصحيح".[1]

اتخذ جمال الدين الأفغاني الطريق المختصر للإصلاح في نظره وهو الإصلاح السياسي، وهذا يؤدي إلى نتيجتين مهمتين وهما إصلاح المجتمع وتقويته، ومواجهة القوى الاستعمارية. يقول حيدر أباد واصفا الأفغاني: "كان أول من أدرك ماتنطوي عليه سياسة التوسع الغربي من تهديد لاستقلال دول الإسلام فحاول تعبئة الجماهير روحيا وأكثر من مراجعة الملوك وأمرائهم منذرا إياهم بما يهددهم ناصحا باتخاذ مايلزم من وسائل الدفاع وكان يشعر بالخطر شعورا حادا، ويقدر للوصول إلى أهدافه أن تقوم أولا وقبل كل شيء حكومات دستورية، وأن يحقق إصلاحات اجتماعية تؤدي إلى جعل الأمم الإسلامية في مصاف الأمم الغربية"[2].

أما وسيلة تحقيق المشروع العملي لجمال الدين الأفغاني في إصلاح حال المسلمين، فهو يقوم على إنهاض دولة إسلامية من حال ضعفها، وتنبيهها للقيام على شؤونها وإيصالها إلى مصاف الدول القوية. ورأى أن أفضل من يقوم بذلك هي الدولة العثمانية، وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني، وقد ذكر الأفغاني في خاطراته مادار بينه وبين السلطان عبد الحميد، عن مشروع سياسي تقوم عليه حركة الجامعة الإسلامية، ويرمي إلى إقامة دولة إسلامية اتحادية تشمل كل الدول والشعوب الإسلامية، تحت زعامة الدولة العثمانية، وذلك بتشكيل خديويات على غرار خديوي مصر من كافة ولايات الدولة العثمانية، على أن تستقل ذاتيا وتربط بعاصمة الدولة باستانبول في شؤونها الهامة، أما المرحلة الثانية فيتم خلالها انضمام كافة الممالك الإسلامية كإيران وأفغانستان والهندّ إلى هذه الدول.[3] وكاتب الأفغاني علماء الفرس المجتهدين وأقنعهم أن يعترفوا بالسلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين، وكان لهما مشروع ضخم لوحدة المسلمين. ولكن العلاقة بين الأفغاني والسلطان ساءت فأُحبط المشروع، ويُرجع معظم الكتاب ذلك إلى حقد أبي الهدى الصيادي الذي أقنع السلطان بالانصراف عن الأفغاني. ويرى بعض الباحثين ومنهم الشوابكة أن المشروع السياسي الذي عرضه

---

(1) محمد عمارة، **مجموع الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**، مصدر سابق، ص.21.

(2) جمال الدين والأفغاني ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، مصدر سابق، ص.16.

(3) محمد عمارة، **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**...، مصدر سابق، ص.47.

الأفغاني على السلطان كان نظريا وغير قابل للتطبيق، لأن الأفغاني استدرك على نفسه قائلا: "تحقيق هذا المشروع ممكنا في المراحل الأولى لتأسيس دولة آل عثمان حيث كانت في كامل قوتها وهيبتها أما الآن فلا"[1].

لعبت شخصية الأفغاني دورا في فشل المشروع في وقته، لكن الباحثين يجمعون على أنه رائد الفكر الإسلامي الحديث، وتأثيره كان بعيد المدى. فقد كان الأفغاني ثوريا بالدرجة الأولى، ويقول عنه مالك بن نبي: "إن دور جمال الدين الأفغاني لم يكن دور مفكر يتعمق في المشكلات لينضج حلولها، فإن مزاجه الحاد لم يكن ليسمح له بذلك، كان قبل كل شيء مجاهدا ولم تكن ثقافته سوى وسيلة جدلية، وإن هبطت أحيانا إلى مستوى الجماهير فأصبحت وسيلة نشاط ثوري".[2]

اتخذ الأفغاني وسيلة الإثارة والتكتل الشعبي عن طريق إلهاب العواطف واستفزاز الهمم الإنسانية والحماس الديني لإيقاظ الوعي لدى الشعوب الإسلامية، واتصل بالزعماء المسلمين اتصالا شخصيا منبها إلى خطورة التدخل الأجنبي،[3] وحاثا المسلمين على ضرورة تغيير النظم السياسية كما اعتمد على التعليم والأدب والصحافة لتبليغ دعوته، وبخاصة أثناء إقامته بالقاهرة، وكان يحث الناس على نبذ الظلم والاستبداد ويحث الناس على التطلع إلى مجتمع أفضل يضمن لهم حقوقهم المغصوبة وسعادتهم المسلوبة،[4] وكان من نتائج نشاط الأفغاني أنه فجر المأساة الإسلامية في الضمير المسلم ويعترف مالك بن نبي أنه كان رائد النهضة الحديثة "بيد أنه لم يكن قائدا أو فيلسوفا للحركة الإصلاحية الحديثة فقد كان رائدها، حين حمل ما حمل من القلق ونقله معه أينما حل وهو القلق الذي ندين له بتلك الجهود المتواضعة في سبيل النهضة الراهنة، وكان رائدها حين جاهد في سبيل إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي"،[5] وينتقده ابن نبي لأنه جاهد لإصلاح القوانين ولم يقصد إلى إصلاح الإنسان، ويخالفه ألبرت حوراني الرأي في أن تفكيره لم يقتصر على السياسة "فالقضية التي قولبت

---

(1) أحمد فهد بركات الشوابكة، مرجع سابق، ص.129.

(2) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص.45.

(3) محمد البهي، **الفكر الإسلامي الحديث**...، مرجع سابق، ص.107.

(4) علي المحجوبي، **النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر**...، مرجع سابق، ص.36.

(5) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص.45.

تفكيره ليس كيفية جعل البلدان الإسلامية قوية وناجحة، بقدر ما كان التساؤل عن كيفية إقناع المسلمين بأن عليهم أن يفهموا دينهم الفهم الصحيح، وأن يعيشوا وفقا لتعاليمه، فلو أنهم فعلوا لغدت بلدانهم قوية فعلا".[1]

لاشك أن دعوة الأفغاني تتضمن كل الدعوات التي تلتها فقد دعا إلى توحيد المسلمين ومواجهة الأوربيين ومحاربة الاستبداد ودعا إلى الإصلاح الديني والاجتماعي. ويتفق عبد الرحمن الكواكبي مع الأفغاني في محاربة الاستبداد ويختلف معه في الوسيلة، حيث يرى أن علاج الأمة ودفعها إلى النهوض لايكون إلا برفع الاستبداد في شتى مظاهره لتكون حرة، ولايكون ذلك إلا بالتربية على نفس متطاول يأتي بنتائجه بعد حين دون هيجان أو ثورة.[2]

وتأثر بالأفغاني محمد عبده وحملا معا الإصلاح السياسي والديني، اللذان يشملان جميع أنواع الإصلاح، والذي اشتدت حاجة الأمة الإسلامية إليه حسب مايراه محمد رشيد رضا،[3] لكنهما اقتصرا في أوربا على الإصلاح السياسي، بمساعدة جمعية العروة الوثقى، حيث أسسا جريدة العروة الوثقى، ثم تفرقا حول طريقة الإصلاح، فرأي الأفغاني أن يكون بطريق السياسة، ورأي محمد عبده أن يكون عن طريق التربية والتعليم، وللشيخ محمد عبده أقوال مشهورة تدل على ابتعاده عن السياسة ومخالفته لشيخه الأفغاني في طريقة التغيير، فقد قال: "مادخلت السياسة شيئا إلا أفسدته" وقال: "إن شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين، فأنا معك من الشاهدين، أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ الساسة ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس يسوس وسائس ومسوس".[4]

---

(1) ألبرت حوراني، **الفكر العربي**...، مرجع سابق، ص.142.

(2) عبد المجيد عمر النجار، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج.3، مرجع سابق، ص.92.

(3) محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، ج.1، ق.2، مصدر سابق، ص.974.

(4) المصدر نفسه، ص.890.

يتفق الباحثون أن محمد رشيد رضا سار في طريق الأفغاني ومحمد عبده فقد انطلق من فكرة لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون،[1] وما هو السبيل للنهوض.[2] ونظر إلى الجامعة الإسلامية بمنظورها السياسي والإصلاحي، ولكن خطابه كان أقل حدة من أستاذيه،[3] ويذهب فهمي جدعان[4] إلى أن تبني محمد رشيد رضا للجامعة الإسلامية بمضمونها السياسي كان حذرا، فهو يرى أن العمل السياسي المباشر من أجلها ينطوي على محاذير كثيرة، إلا أنه اعتقد أيضا أن هذا المضمون يمكن أن يتحقق بطريق آخر وهو "الإصلاح الديني" و"الإصلاح التربوي" وذلك لأن الإصلاح الديني لابد أن يلازم "الإصلاح السياسي المدني"، وهو يرى أن أهم أركان الإصلاح الإسلامي: "جمع كلمة المسلمين على عقيدة واحدة، وأصول أدبية واحدة، وقانون شرعي واحد، لايحكم عليه غيره في أي نوع من الأنواع ولغة واحدة (هي العربية لاالتركية)"[5].

يمثل السلطان عبد الحميد الثاني الوجه التطبيقي لمشروع الجامعة الإسلامية، لذلك نجد بعض الباحثين يطلق عليها "الجامعة الحميدية"، فقد تولى السلطة في فترة من أصعب فترات التاريخ العثماني. ففي بداية حكمه قامت الحرب العثمانية –الروسية والتي يرى بعض الباحثين أن السلطان كان يسعى لتجنبها، لكن مدحت باشا وفريق من أنصاره هم صناع هذه الحرب،[6] وكانت السبب المباشر لإلغاء السلطان عبد الحميد الثاني العمل بالدستور، حيث حل البرلمان الذي دام نشاطه أقل من سنة (شكل أول مجلس عثماني للسينا في 19 مارس 1877 وألغي في فيفري 1878)، وألغى تطبيق الدستور وخلع الصدر الأعظم مدحت باشا.[7] فقد كان يرى أن الدولة العثمانية غير ناضجة بما فيه كفاية

---

[1] تناول عدد من المفكرين الموضوع بالدراسة بنفس العنوان منهم شكيب أرسلان.

[2] ألبرت حوراني، **الفكر العربي**...، مرجع سابق، ص.274

[3] زكي الميلاد، "جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي" مقال سابق، ص.334-335.

[4] مرجع سابق، ص.264.

[5] محمد رشيد رضا، الإصلاح المقترح على مقام الخلافة الإسلامية"، **المنار**، المجلد1، ج.39، 1898/12/6، ص.765.

[6] قيصر.أ. فرح، مرجع سابق، ص.33

[7] B. Tlili , ***Crises et mutations…***, T1, op. cit, p.79

لتقبل التجربة البرلمانية التي يجب أن يكون لها هياكل وإصلاحات خاصة بها، كما أنه لم يكن مقتنعا بالنزعة الليبرالية التي كانت تقود البلاد إلى الهاوية في نظره.[1]

يرى الباحثون أن إلغاء الدستور لم يولد رد فعل في البلاد العثمانية، لأن الحياة الدستورية لم تكن عندئذ مدعومة برأي عام واع،[2] وإنما كان الدستور من عمل مدحت باشا مع مجموعة من المفكرين، حيث لاحظ السلطان أن أغلب أنصار الدستور كانوا على صلة بالساسة الأوربيين ومن الذين يعادون القانون الإسلامي، لذا بدأ السلطان عبد الحميد الثاني يبطش بكل من يدعو إلى تبني الفكر الغربي،[3] ولم تبدأ المعارضة الجادة له إلا بعد سنوات من إلغاء الدستور وذلك بتأسيس جمعية "الاتحاد العثماني" في سنة 1889، ثم حملت اسم "الاتحاد والترقي" وأصبحت مع نهاية القرن تشمل عددا كبيرا من المناهضين من مدنيين وعسكرين، وتدعمها الصهيونية التي كانت لها أطماع في فلسطين، وكانت هذه الجمعية السبب المباشر في إسقاط حكم السلطان عبد الحميد الثاني في 1909.

وممازاد من قوة المعارضة الحكم المباشر للسلطان عبد الحميد بعد إلغائه للدستور، حيث وصف أعداؤه من قوميين وصهاينة وغربيين حكمه بـ" الاستبدادي"، وقد شدد القبضة على الجميع لأن الدولة العثمانية كانت في حالة انحدار سريع، وأعداؤها في قوة متنامية.

لقد نشطت في عهده الجمعيات الصهيونية والقومية وحتى المعارضة العربية، لذلك لجأ إلى الرقابة والبوليس والجواسيس والنفي لإسكات المعارضة وأخضع الصحافة للرقابة،[4] كما قام بتقوية السلطة المركزية، وعمل على فصل السلطات العسكرية عن السلطات الإدارية في المقاطعات العربية التابعة للدولة العثمانية، وفي هذا خنق لكل من يريد الانفصال أو الاستقلال من حكام الأقاليم.[5] وإن كانت هذه الإجراءات في نظر بعضهم هي عودة إلى الحكم الإسلامي وللخلافة ودفعا للتيارات

---

(1) نادية ياسين عبد، مرجع سابق، ص.95.

(2) عبد العزيز الشناوي، ج.1، مرجع سابق، ص.113.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.204.

(4) المرجع نفسه، ص.204

(5) B. Tlili , ***Crises et mutations… T1, op.cit, p.84***

والتنظيمات الغربية، فهي في نظر بعض آخر إكمال لسياسة السلاطين العثمانيين الذين يهتمون بالإصلاح السطحي حيث طور النظام القضائي والإداري وجعله حديثا، وأقام المركزية التي أتاح تحقيقها للمرة الأولى استخدام البرق والخطوط الحديدية.[1]

وعلى رغم الضعف الذي كانت عليه الدولة العثمانية، فإنها لم تتراجع عن القيام بالإصلاح الضروري فاهتمت بالمعارف والجيش وشبكة الاتصالات والمواصلات، وكانت الإصلاحات المهمة في مجال التعليم نتيجة لنظرة السلطان عبد الحميد في الحاجة الماسة لتعليم الشعب المسلم، فكانت الإجراءات في مجال التعليم من أهم الإنجازات في ذلك العصر،[2] ومن إنجازات السلطان أنه أنشأ الدور والمعاهد والكليات التالية: دار العلوم السياسة، الجامعة بفروعها: العلوم والحقوق والآداب، وأكاديمية الفنون الجميلة وكلية الهندسة العالية، ومدرسة المالية ومدرسة التجارة ومدرسة التجارة البحرية، ومدرسة الأحراج والمعادن، ومدرسة اللغات، ومدرسة المعوقين ودار المعلمات ومدرسة الفنون النسوية. وعبد الحميد الثاني هو مؤسس التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز العربي، وقد أنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في كافة الولايات وأكثر المناطق، وافتتح في إستانبول فقط ست مدارس ومدارس ابتدائية في جميع القرى، وجعل تعليم اللغة الأجنبية إجباريا في المرحلة الإعدادية، وكذلك أنشأ دورا للمعلمين في عدد كبير من الولايات ومدارس للحقوق في بعضها. ومن المؤسسات الثقافية التي افتتحها: متحف الآثار القديمة، المتحف العسكري، مكتبة بايزيد، مكتبة يلدز، مدرسة الطب، ثانوية حيدر باشا كما بنى مستشفى الأطفال ودار العجزة من ماله الخاص، وكذلك مركز البريد العام ومبنى دار الفنون ودار النفوس العامة ومد قساطل المياه وأنقذ إستانبول من العطش (المياه الحميدية) وافتتح الغرف التجارية والزراعية والصناعية.[3]كما أنشأ المدارس العسكرية وجعل عليها خبراء ألمان ولكنها كانت عبارة عن خلايا ثورية لأنهم يتلقون علومهم على النمط الغربي.[4]

---

(1) ألبرت حوراني، **الفكر العربي**...، مرجع سابق، ص.134.

(2) إكمال الدين إحسان أوغلى وآخرون، ج.1، مرجع سابق، ص.114.

(3) السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص.13.

(4) إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.205.

شـهدت فترة السـلطان عبد الحميد الثاني قوة المعارضـة داخل الدولة وخاصـة منها الجانب الليبرالي الذي كان يدعو إلى العودة إلى الدسـتور، والإصـلاح على النمط الغربي، كما قوي التدخل الألماني في شـؤون الدولة. وتأسـسـت عدة تنظيمات ذات اتجاهات إيديولوجية مختلفة واسـتعملت لأغراضها الصحافة والمنشورات والاجتماعات والمؤتمرات، ومن أهمها مؤتمر باريس 1902 حيث شارك فيه 47 مندوبا من مختلف الإثنيات: اليونان والأكراد والألبان والأرمن والعرب والترك واليهود... وكان هدفهم إيجاد ائتلاف داخل الدولة العثمانية.[1] إن هذا التوتر الداخلي والضـغط الخارجي أديا في النهاية إلى إسقاط السلطان عبد الحميد ومن بعده الخلافة.

2-الإصلاح الديني والاجتماعي: أول من اهتم بدراسة الحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة هم المستشرقون، وتبعهم المسلمون ومنهم من تأثر بهم وبخاصة في تركيزهم على أسباب الاختلاف بين الأفغاني ومحمد عبده، ويتفق الباحثون على أن محمد عبده تتلمذ على جمال الدين الأفغاني، ووافقه على طريقته في الإصلاح عن طريق السياسة، عندما كانا في أوربا، وحررا مجلة "العروة الوثقى"، وقد عالجا عبرها قضايا المسلمين وأعظمها قضية ضعف المسلمين وسبيل النهوض بهم، ومدى الاستفادة من الحضارة الغربية، وهي من المسائل التي تميز الفكر الإسلامي الحديث، فالعلاج الناجع كما جاء في العروة الوثقى: "إنما هو برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ماكان في بدايته، وإرشـاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وإيقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة لشرف الأمة، لأن جرثومة الدين متأصـلة في النفوس بالوراثة، ومن أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة إليه، وفي زواياها نور خفي من محبته، فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا نفحة واحدة يسـري نفثها في جميع الأرواح لأقرب وقت، فإذا قاموا لشـؤونهم ووضـعوا أقدامهم على طريق نجاحهم، وجعلوا أصـول دينهم الحقة نصب أعينهم، فلايعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الإنساني"[2].

وإن وافق الشـيخ محمد عبده أسـتاذه الأفغاني في المرحلة الأولى من حياته، فإنه خالفه ابتداء من سـنة 1889 حينما عاد إلى مصـر، حيث كون لنفسـه منهجا خاصـا به في الإصـلاح، وهو الإصلاح عن طريق التربية والتعليم، فقد كان هذا المنهج أصيلا في نفسه، فما إن أتيحت له الفرصة

---

(1) B. Tlili, ***Crises et mutations… T.1, op.cit, p.89***

(2) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، مصدر سابق، ص.61.

حتى استغرق في التعليم بالأزهر، وكانت له مشاركات في إعداد برامج تعليمية إصلاحية تتعلق بالأزهر خصوصا والتعليم الإسلامي عموما،[1] وقبل افتراقه على الأفغاني اقترح عليه أن يذهبا إلى مكان بعيد غير خاضع لسلطان دولة تعرقل سيرهما، وينشئا مدرسة للزعماء، وعن طريقهم ينشرون الإصلاح فلم يعجب هذا الرأي الأفغاني وقال له "إنما أنت مثبط"[2].

ولأجل مشروعه التعليمي سالم محمد عبده الإنجليز وتعاون معهم، وكان يرى أن استنارة الشعب ووعيه وفهمه لحقوقه وغضبه على من اعتدى عليه لايتأتى إلا بالتعليم. وهو ينتقد جمال الدين الأفغاني لاشتغاله بالسياسة وانصرافه عن الإصلاح الداخلي. وقد خالفه في مصر مصطفى كامل الذي كان يرى أن الإصلاح لايكون إلا بجلاء الإنجليز عن مصر.[3] وكان محمد عبده يرمي من وراء إصلاح التعليم إلى إصلاح العقيدة الإسلامية، فتدهور العالم الإسلامي في نظره يعود إلى جهله بالإسلام الصحيح. وينبغي تخليصه من البدع والخرافات والعودة به إلى ماكان عليه السلف الصالح ويستوجب ذلك تحرير الفكر من التقليد وذلك بالاجتهاد بالاعتماد على العقل والقرآن معا.[4]

فمشروعه يقوم على الإصلاح التربوي الذي يتم في إطار العلوم الشرعية تحريرا للعقول والنفوس فيَتِمّ بذلك نهضة الأمة. لكنه كما يقول عبد المجيد النجار[5]: "في ممارسته لهذا الإصلاح ركب بعض الشطط العقلي وبعض المداراة للأجنبي وهو ماكان محل مؤاخذة بالرغم من أثره الإصلاحي العظيم". وسنرى في المباحث التالية مدى تأثير الفكر العبدوي في الجزائريين الذين اتصلوا بالمشرق سواء عن طريق الهجرة أم طرق أخرى؟

---

(1) عبد المجيد عمر النجار، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج.3، دار الغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، 2006، ص.134.

(2) أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب، بيروت، 1979، ص.81.

(3) المصدر نفسه، ص.213.

(4) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص.41.

(5) عبد المجيد النجار، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج.3، مرجع سابق، ص.90

المبحث الثاني: الدعم المشرقي للجزائريين

صلات الجزائريين بالمشرق الإسلامي والدولة العثمانية قديمة، فقد كان الحج والمجاورة والتجارة والروابط السياسية من أهم العوامل التي جعلت الجزائريين شديدي الاتصال بالمشرق، وبالرغم من سياسة الإبعاد التي اتبعتها السلطات الفرنسية لعزل الجزائريين عن المشرق فإن هذه الروابط منها المراسلة (العرضحال) التي قدمها أهالي "تلمسان" وتحمل توقيع الحاج محمد بن منصور ليتمّ عرضها على العتبة العليا لحضرة السلطان، ويفيد بأنّه: "بعد أن تم الاستيلاء على الجزائر من قبل الحكومة الفرنسية، تم منع الأهالي المسلمين من عقد الزواج على الطريقة الإسلامية، ومنع الطلاق، وغلق المدارس الإسلامية، ومنع تحصيل العلوم الإسلامية، وتحويل التعليم ليصبح باللغة الفرنسية، وإضافة لقب إلى الأسماء الإسلامية على طريقة المسيحيين، ومع أن الأهالي معفيّون من الخدمة العسكرية فقد تم تكوين قوات عسكرية تتكون من 300 ألف من الأهالي الجزائريين قسرًا وجبرًا. هذا بالإضافة إلى مُعاملات وتكاليف أخرى مخالفة للديانة الإسلامية".[1] وهذه المعلومات أكدها وزير الخارجية العثماني، في تقرير قدم إلى رئاسة الوزراء في الباب العالي بتاريخ 22 جانفي 1897.[2]

في هذا المبحث سنتناول علاقة الجزائريين بالمشرق الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وأملهم في مساعدة المسلمين، وضمنه سنبحث في موضوع هجرة الجزائريين إلى المشرق أكان بتأثير دعوة الجامعة الإسلامية، أم بغيرها، ومامدى دعم الدولة العثمانية والمسلمين عامة لثورات الجزائريين.

المطلب الأول: دعوة الجامعة الإسلامية وهجرة الجزائريين

تعد الهجرة أوضح دليل على صلة الجزائريين بالمشرق ورفض الحكم الاستعماري، حيث هاجر الجزائريون أفرادا وجماعات إلى الولايات العثمانية وبصفة خاصة بلاد الشام، وكان للجزائريين هناك نشاط إعلامي وسياسي للضغط على السلطات الفرنسية. وبالرغم من أن الهجرة بدأت منذ السنوات

---

[1] الوثيقة بتاريخ: 20 حزيران 1892،رقم Y.PRK.AZJ. 19/47 بالأرشيف العثماني، في كتاب: يوسف صاريباني، **الجزائر في الوثائق العثمانية**، سيستام اوفسات، أنقرة، 2010، ص. ص. 258-260

[2] الوثيقة Y.A.HUS.365/29المصدر نفسه، ص.266.

الأولى للاحتلال، إلا أنها كانت على شكل أفراد ولم تعطنا الوثائق الأرشيفية معلومات عن الهجرة قبل 1846،[1] لكن عرفت كثافة بعد إقامة الأمير عبد القادر بدمشق في سنة 1855.

تعود هجرة الجزائريين في الفترة الاستعمارية إلى أسباب كثيرة، منها الأسباب الدينية مثل المساس بالشريعة الإسلامية، والإهانة التي لحقت المسلمين، والتدخل في شؤون القضاء، إضافة إلى الخضوع إلى المسيحي. وأسباب اقتصادية مثل مصادرة الأراضي، والمجاعات والفقر، والقوانين الفرنسية الجائرة، بالإضافة إلى فشل الثورات، ودعوات الجامعة الإسلامية، وغيرها من الأسباب، ويرى أبو القاسم سعد الله أنه "نظرا لكثرتها فإننا لانستطيع أن نقول إن أحدها هو السبب الرئيسي".[2] لكن الوثائق الأرشيفية الفرنسية ترى غير ذلك ففي تقرير لوسياني[3] (Luciani) الذي أعده بطلب من الحاكم العام لمعرفة الأسباب الحقيقية للهجرة فيما بين 1898و1899، يقول إن دور الطرق الصوفية ضعيف في هذه الهجرة، أما الدور الهام فهو خارجي وليس داخليا، وهو ديني وسياسي في آن واحد، ويقول التقرير إن الجزائريين كانوا ينظرون إلى السلطان العثماني بِعَدِّه قائدا روحيا ويستجيبون للإشاعات والدعوات التي تأتيهم عن طريق الصحف. وقد تناول عدد من الباحثين هذه الوثيقة بالدراسة[4] وكان من نتائج دراساتهم أن لوسياني كان مبالغا في دور الدعاية العثمانية. فالعوامل

---

[1] عمار هلال، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، (1847-1918)**، دار هومة، الجزائر، 2007، ص.16.

[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ق.2، مرجع سابق، ص.553.

[3] **دومينيك لوسياني** (D . Luciani) (1851-1919): من مواليد جزيرة كورسيكا، بعد أن أتم دراسته بها التحق في سنة 1870 بقسنطينة أين بدأ يعمل بإدارة العمالة، وقد تولى بعد ذلك إدارة البلديات المختلطة لكل من عين امليلة (1877) وباتنة (1880) وأولاد عطية بالقل (1885)، ثم التحق بالإدارة المركزية بالحكومة العامة لديوان الحاكم العام ريفوال (1899)، وكان لوسياني أول مدير للشؤون الأهلية (30 ديسمبر 1901).

[4] هناك عدة مقالات تناولت الوثيقة بالدراسة منها: محمد غالم، "الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، جامعة الجزائر، ع.5، 1988، ص.ص.202-211؛ نادية طرشون، "الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام بين عامي (1898-1899)" من خلال التقارير الفرنسية، تقرير محافظ المدية وتقرير لوسياني، **عصور**، ع.1، 2002، ص.30؛ ونور الدين ثنيو، "هجرة الجزائريين إلى المشرق بين السياسة والدين"، **سوسيولوجية الهجرة الجزائرية بين الماضي والحاضر**، مطبعة إسكندر، قسنطينة، 2009. ص.98.

الخارجية مهما كانت أهميتها لا تؤثر إلا إذا اعتمدت على عوامل داخلية،[1] والمعروف في مقاربات المناهج التاريخية في دراسة الأوضاع الاجتماعية أن الثورات والحركات تنشأ بسبب تراكم الأسباب.[2]لكن هذا لاينفي وجود عوامل سياسية خارجية تتعلق بالدولة العثمانية ومكانتها لدى المسلمين كدولة خلافة وإن كانت ضعيفة، وعوامل دينية. ولأن العوامل الدينية ودعوة الجامعة الإسلامية موضوع بحثنا فإننا سنفصل فيها قليلا.

يمكننا أن نقسم الدوافع الدينية للهجرة إلى صنفين داخلية وهي فتاوى علماء الجزائر بوجوب الهجرة، والثانية خارجية ترتبط بدعوات الجامعة الإسلامية والسلطان العثماني والمهاجرين الجزائريين صوب بلاد المسلمين، ومن هنا ينبغي قراءة الهجرة داخل البيئة الإسلامية وإلا ستفقد دلالتها؛ لأن الجزائريين فضلوا ترك وطنهم بدل القبول بحكم الكافر[3].

فقد أصدر علماء الجزائر فتاوى بشأن الهجرة منهم من يوجبها على المسلمين، ومنهم من يرى عدم وجوبها، ويعود اختلافهم إلى اختلاف المذهب المالكي والحنفي في القضية، وترتبط الهجرة في الأصل بمسألة دار الإسلام ودار الكفر والتي ظهرت منذ القرن الأول للهجرة، واختلف الفقهاء في تحديد مفهومها.[4] وعندما تعرضت بلاد المسلمين للغزو كانت هذه المسائل هي الأساس في الفتاوى الخاصة بمسألة الهجرة، وهل يجوز للمسلم البقاء تحت حكم الكافر أم لا؟ وأكانت البلاد التي احتلها النصارى تعد دار كفر أم دار إسلام؟،[5] وتبعا للمذهب المالكي فإن العلماء في الجزائر أفتوا بوجوب

---

[1] محمد غالم، المقال السابق، ص.205.

[2] نور الدين ثنيو، المقال السابق، ص.99.

[3] إبراهيم مهديد، "مقاومة الجزائريين بالهجرة، عمالة وهران أنموذجا"، **عصور**، السنة 3، ع.5/4، ديسمبر، 2003، ص.124.

[4] تجتمع في تعريف دار الإسلام لدى أبي حنيفة ثلاثة عناصر: سواد أحكام الإسلام ووجود كثرة مسلمة فيها، ووجود حالة شرعية يأمن في ظلها المسلم والذمي، ويرى الشافعية أن المهم في دار الإسلام ان يكون خضوعها لحاكم مسلم حتى ولو لم يكن مسلمون بين السكان، ويوافقه في ذلك الإمام مالك فهم يقدمون الاعتداد بالسلطة الحاكمة على السكان. للمزيد يرجع إلى: رضوان السيد، الهجرة والفتوحات ودار الإسلام، قراءة في الاعتقاد والفقه والجغرافية السياسية"، **التفاهم**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، صيف 2011، ص.23.

[5] رضوان السيد، المقال نفسه، ص-ص. 25-26.

الهجرة مستندين إلى كتب الونشريسي منها "المعيار المعرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" و"أسنى المتاجر فيمن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر"، فقد أجاب الأمير عبد القادر حين سئل عن حكم الهجرة، برسالة سماها: "حسام الدين في قطع شبه المرتدين" ذكر فيها وجوب الهجرة، ولايعذر في المقام تحت ذمة الكافر إلا الذي لايستطيع حيلة ولايهتدي سبيلا.[1]

ومن الجزائريين الذين لم يروا وجوب الهجرة محمد بن الشاهد الذي كتب هو الآخر رسالة في ذلك، ورد على من اتهمه بالكفر؛ لأنه لم يهاجر، وربط وجوب الهجرة بالفتنة في الدين أو عدم أداء شعائر الإسلام، الأمر الثاني وهو القدرة على الهجرة، ولايرى ابن الشاهد وجوب الهجرة لأن فرنسا رغم هدمها للمساجد فإن الجزائريين كان باستطاعتهم أداء شعائر دينهم. واعتمد في أدلته على تفاسير علماء الشافعية والأحناف، ثم يرى أنه ليس كل الجزائريين باستطاعتهم الهجرة.[2] ولاريب أن هذه الفتاوى كان لها دور كبير في تشجيع الهجرة، لأن أغلب الجزائريين يتبعون المذهب المالكي، وتأثروا بالأمير عبد القادر.

بدأت الهجرة الجماعية ابتداء من 1847، ففي هذه السنة وصل دمشق خليفة الأمير عبد القادر أحمد بن سالم ومعه 442 من الرجال والنساء والأطفال، وفي سنة 1855 وصل الأمير عبد القادر إلى دمشق،[3] ومنذ هذا التاريخ ازدادت الهجرة حتى أصبحت في بعض الفترات عبارة عن تيار مستمر من المهاجرين الذين يقصدون الشام بالدرجة الأولى، وقد وصف Bardin الأمير عبد القادر أنه أصبح زعيم المجتمع الجزائري في الشام،[4] وكان له تأثير في الجزائر، فقد كان يتدخل لصالح بعض الموظفين في السلك القضائي والديني والتعليم في الجزائر، ويرى كرستلو أنه ظل يمارس في الجزائر سلطة

---

(1) محمد بن عبد الكريم، **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص.52.

(2) المصدر نفسه، ص.ص. 107-109.

(3) Pierre Bardin, ***Les Algériens et les Tunisiens dans l'Empire Ottoman de 1848 à1914***, Editions du CNRS, Paris, 1979, p.6.

(4) Bardin, Op .cit, p. 27.

معنوية قوية، ولاسيما في تعيين أقاربه وأنصاره القدماء ومنهم عبد القادر المجاوي والطيب بن المختار وأفراد عائلة عمه بوطالب، كما تدخل لدى وزراء تونس لصالح المقرانيين وناصر بن شهرة وأضرابهم.[1]

كما ساهم الأمير عبد القار في الجامعة الإسلامية والتقى بزعماء الإصلاح آنذاك مثل الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم التونسي ومحمد السنوسي، ويذكر محمد رشيد رضا أن الأمير كان عضوا في جمعية العروة الوثقى.[2]

ولمكانة عائلة الأمير لدى الجزائريين في الداخل والخارج، فقد استقطبت اهتمام كل من السلطات العثمانية والفرنسية، فبالنسبة للباب العالي اعتبر أن القضية هامة جدا وأعطى بشأنها تعليمات لوالي دمشق في سنة 1884:" يجب عليكم أن تعملوا بسرعة وتبذلوا كل ما في وسعكم لفصل عائلة الأمير عن فرنسا نهائيا، مدوها بالرتب العسكرية السامية وبالعطاء الجزيل، فإذا ماتوصلتم إلى ذلك تكون النتيجة هامة جدا، إذ بواسطة عائلة الأمير نتمكن بدون شك من جلب كل الجزائريين في سورية إلى صفوفنا، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها تجريد فرنسا من ادعاءاتها التي تتذرع بها للتدخل في المنطقة.."[3]كما أن أبناء الأمير عبد القادر (وعددهم عشرة)، قد ارتبط معظمهم بالجامعة الإسلامية ولاسيما محمد ومحي الدين وعلي وعبد المالك، فقد أصبح محي الدين من أعيان الضباط ومستشار السلطان عبد الحميد،[4] بينما تمكنت فرنسا من كسب هاشم وسعيد، وهذا الانقسام السياسي للعائلة جعلها تفقد تلك السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها بين الجزائريين.[5] .

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ق.2، مرجع سابق، ص.561.

(2) محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده**، ج.1، ق.1، مصدر سابق، ص.283.

(3) Archives Ambassade de Constantinople, Damas à Constantinople, 27-10-1884 "Télégramme"

نقلا عن: عمار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام**، ص.40.

(4)أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ق.2، مرجع سابق، ص.563.

(5) عمار هلال، **الهجرة الجزائرية**....، مرجع سابق، ص.41.

كان المهاجرون الجزائريون يرسلون إلى ذويهم في الجزائر رسائل تصف رخاء العيش والمعاملة الحسنة من قبل السلطان للمسلمين، ويدعونهم إلى الهجرة.[1] ولم يكتف الجزائريون بالهجرة بل تجنسوا بالجنسية العثمانية، وقرروا عدم الرجوع إلى الجزائر، وأدى ذلك إلى مشكلة سياسية حادة بين فرنسا والدولة العثمانية، كادت أن تهز العلاقات بين البلدين واستمرت المشكلة مع تصلب الطرفين ولم تحل إلا بسقوط الخلافة.[2] فمعظم الجزائريين فضلوا أن يكونوا عثمانيين على أن يكونوا فرنسيين، ويرى Bardin أن السبب الرئيسي هو هاجس التجنيس.[3]

لعبت سياسة السلطان عبد الحميد الثاني دورا كبيرا في الهجرة وتجنيس الجزائريين بالجنسية العثمانية، فقد جاء في جريدة (la Dépêche Algérienne)،[4] أن 250 عائلة جزائرية نزلت بميناء عكا وهؤلاء المهاجرون قرروا التجنس بالجنسية العثمانية، وقد أصدر السلطان مرسوما خاصا أعفى بموجبه المهاجرين الجزائريين إلى تركيا من الخدمة العسكرية لمدة عشرين عاما"، فبعد مؤتمر برلين الأول أنشأ السلطان عبد الحميد الثاني لجنة دائمة كلفها بشؤون المهاجرين المسلمين على الولايات العثمانية، وفي هذا الإطار بعث إلى حكام الأقاليم في المشرق العربي يطلب منهم أن يعاملوا المهاجرين المسلمين المعاملة نفسها التي يعاملون بها الأتراك. وقد واجهت لجنة الهجرة مشاكل كثيرة في توفير الأراضي الزراعية للمهاجرين، لأن الدولة العثمانية كانت تتخبط في ظروف اقتصادية صعبة كما سبق وأن بيناها. ونظرا لهذه الظروف فإن عددا كبيرا من المهاجرين بمجرد وصولهم إلى بلاد الشام عادوا إلى الجزائر، وبعضهم استقر في تونس أوليبيا، منددين بالسلطات العثمانية، وقد استغلت السلطات الفرنسية تذمرهم لتؤكد أن ماوعد به السلطان العثماني مجرد مؤامرة حيكت ضد الجزائريين.

تعد الفترة مابين (1856-1864) من الفترات الهامة في تاريخ الهجرة، بينما اتخذت أبعادا خطيرة في الفترة (1888-1898)، وشبه بعض الباحثين حركة الهجرة بالمرض المزمن يهيج أحيانا لعدة

---

[1] بعض الرسائل في: 9H59, H102, AOM، ينظر إلى الملحق رقم:(2).

[2] عمار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو الشام**...، مرجع سابق، ص.21

[3] Bardin (P), op.cit, p.07.

[4] في 31 اوت 1888.

أسباب ويهدا أحيانا أخرى.[1]ومن السنوات التي عرفت هجرة كبيرة إلى المشرق سنة 1893، فالنزوح في هذه السنة هال الحاكم العام الفرنسي بالجزائر (Jules Cambon)، واعتقد أنه يجب بذل جهود لوقف الهجرة، وطلب من علماء المسلمين فتوى بجواز بقاء المسلم تحت حكم غير المسلم.[2]كما كانت نداءات الحاكم العام إلى الجزائريين عبر صحيفة المبشر وتحذيراته بعدم الهجرة جاء فيه: "علمت أن أكثر من 800 أهلي جزائري بعد مغادرتهم لأرضهم وذهابهم إلى دمشق مع عائلاتهم على أمل أن يجدوا وضعية مزدهرة أكثر لكنهم وقعوا في أوضاع سيئة جدا وطلبوا العودة إلى الجزائر، وقد تألمت كثيرا –يقول الحاكم العام– لتلك الوضعية واعتقد أنه يجب أن يعرفها كل المسلمين..."[3] وفي مقال طويل يحذر المسلمين من الهجرة، والغريب في الأمر أن مجموعة من أهالي بلدية بريكة، راسلوا الحاكم العام وأخبروه أنهم قرأوا نداءه عدة مرات وفهموا أنه على سبيل الوعظ والتحذير وليس على سبيل الإلزام، وبناء على ذلك طلبوا هم أيضا الإذن بالهجرة.[4]

استمرت الهجرة على الرغم من الأوضاع التي كان يعيشها الجزائريون في المشرق والمضايقات الفرنسية بمنعهم من الهجرة، والضغط على السلطات العثمانية بعدم قبول المهاجرين أو إرجاعهم إلى الجزائر، بالإضافة إلى تأكيد السلطات الفرنسية للجزائريين أن ما وعدهم السلطان مجرد ادعاءات، ففي تقرير لوالي وهران للحاكم العام في سنة 1899 أنه في تيارت بلبلة بين المواطنين حول مساعدات السلطان للمهاجرين، واستعدادات للهجرة؛ لأن الحكومة العثمانية تقدم لهم التنازلات التي يطلبونها، ويقول إن في هذا تضليل وادعاء عن الوضعية الحسنة في سوريا.[5]

لاتوجد لدينا إحصائيات دقيقة للمهاجرين الجزائريين الذين رجعوا إلى الجزائر، ولا الذين فضلوا الإقامة في أراضي الدولة العثمانية، لكن الأخيرين حصلوا على تسهيلات للإقامة وأراض وأعفوا من

---

(1) عمار هلال، **الهجرة**...، مرجع سابق، ص.51

(2) Désparmet(J), « La Turcophilie en Algérie », ***Bulletin de la société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du nord,*** T22, 1917, p.18.

(3) جريدة المبشر ع.11، نوفمبر 1889، ينظر الملحق رقم: (1)

(4) 9H102, AOM, Aix En Provence ينظر الملحق رقم:(3)

(5)Le Préfet du Département d'Oran à M. le Gouverneur général, 14 Octobre 1899. 9H102, AOM, Aix En Provence

الخدمة العسكرية، وأدخلوا إلى كل المؤسسات العثمانية بما في ذلك الجيش، فقد كان منهم المهندسون والأطباء والضباط والكتاب، ومن الجزائريين الذين كانوا في إستانبول عائلات غنية تمارس التجارة والمعاملات المالية، اعتادوا أن يستقبلوا أهل إفريقيا الشمالية الذين يأتون إلى الشرق الأدنى تجارا وحجاجا وسياحا. وقد ساهم هؤلاء في نشر دعاية الجامعة الإسلامية. وتعزيز الروح الوطنية لدى الجزائريين في داخل الجزائر.[1] ويصر بعض الكتاب الفرنسيين على أن المهاجرين الجزائريين كانوا يضمون متمردين ومتعصبين وسياسيين وبناء على مايقوله فادالا القنصل الفرنسي فإن عددا كبيرا من الجزائريين اعتاد أن يتجمع ببيروت حول الشيخ محمد عبده وغيره من زعماء الجامعة الإسلامية.[2]

المطلب الثاني: دعم الثورات الجزائرية

يؤكد ديسبارمي[3] (J.Desparmet) في مقال له عن "العاطفة التركية في الجزائر" أن جرثومة الجامعة الإسلامية كانت موجودة في الجزائر منذ منتصف القرن التاسع عشر، ففي مقاله يحلل الشعور الديني لدى الجزائريين، فيرى أن تأثير الدين الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر أكثر عمقا منه في بداية الاحتلال، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ التغير في الرأي لدى الجزائريين، ويظهر ذلك في الأدب الشعبي، فهناك قصيدة شعبية قيلت في سنة 1854 من طرف أحد شعراء العاصمة وهو الشيخ محمد بن إسماعيل نشرها محمد بن شنب في المجلة الإفريقية، وهي دليل على أن الجزائريين كانوا يتابعون انتفاضات المشرق الإسلامي، حسب رأيه.[4]

وإن كان المقال يحلل القصيدة فإنه يحمل بين طياته الروح الاستعمارية، فهو يحذر من تكتل المسلمين حيث يقول: "هي جرثومة الجامعة الإسلامية في الجزائر، أو التضامن بين الشعوب الإسلامية، وحتى البعيدة منها، وفوق الحواجز السياسية، واعتبار الشعوب المسيحية كتلة واحدة في العداء والكراهية... وهي تدعو المسلمين لمساعدة تركيا ضد الكفار ... وهذه القصيدة ليست لوصف حرب عادية بل هي دعوة للجهاد بالدرجة

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.2، مرجع سابق، ص.125.

[2] المرجع نفسه، ص.126.

[3]« La Turcophilie en Algérie », op.cit, P.9.

[4] Ibid, P.9

الأولى، ودعوة للمجيء إلى الجزائر لتخليصها من الاستعمار".[1] وكتابات ديسبارمي يمكن أن ندخلها في الحرب الإعلامية أو النفسية التي تدفع السلطات الفرنسية إلى تسليط سياستها القمعية على الجزائريين.

لقد شارك الجزائريون في حرب القرم ضمن الجيش الفرنسي إلى جانب الدولة العثمانية، في حربها مع روسيا، وبقي الجنود الجزائريون في المشرق نحو عشرين شهرا، وكان عددهم 2200 جنديا، ولايستبعد أن تكون سرعة إرجاع الجنود الجزائريين إلى الجزائر راجع إلى خوف فرنسا من التأثير المشرقي.[2]

لكن هل علاقة الجزائريين بالدولة العثمانية توقفت عند الاحتلال وعادت مع هذه الحرب؟ فشعور الجزائريين بالولاء للدولة العثمانية لم ينقطع، وكذا الدولة العثمانية لم تعترف بالاستعمار الفرنسي للجزائر، وقبيل حرب القرم نجد الثورات وفكرة الجهاد التي لا تعرف الحدود، فقد كانت في كل الصحراء الكبرى وبرعاية الطريقة السنوسية، ولا يستبعد المساعدة العثمانية، وتذهب المصادر الفرنسية إلى أن عزت باشا الوالي العثماني على طرابلس وصل إلى الزعاطشة في سنة 1849 وهي سنة الثورة، وذلك لإثارة الجزائريين ضد فرنسا وصحب معه علي رضا بن حمدان خوجة الشديد الكره للفرنسيين، وكان له مسؤولية في دار الوالي العثماني.[3]

ولانكاد نجد ثورة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا ويشاع الدعم العثماني لها، فهل كان الوعد بالدعم حقيقيا أم هو من باب الدعم المعنوي للجزائريين في الداخل؟ ففي ثورة زواغة وفرجيوة في سنة 1864، وحسب شارل فيرو، يكون من أسبابها أن الشيخ الحاج حجوج بميلة ادعى للناس بأنه تلقى تعليمات بالحجاز من طرف نائب السلطان العثماني بأن يقوم بالثورة ضد الفرنسيين ويدعو الناس لها، وعندما قامت الثورة التحق بهم إخوانهم المنفيين في تونس وحدثوهم عن ثورة ابن غذاهم 1864 بتونس واشاعوا بينهم أن سفنا محملة بالسلاح هي في طريقها إلى تونس من القسطنطينية، وأن السلطان العثماني عبد العزيز نفسه سيصل إلى الجزائر قريبا ليحررها من الفرنسيين

---

(1) Ibid, P.10

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.516.

(3) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ق.1، مرجع سابق، ص.390.

الأجانب، وإن كان قدوم السلطان مستبعدا، فإنه يمكننا أن نستشف منها تعلق الجزائريين بالدولة العثمانية وبمساعداتها.

لكن التحرك الجزائري الكبير مع وعود الدولة العثمانية حسب ما تثبته المصادر كان في بداية السبعينيات تزامنا مع الحرب الفرنسية البروسية، فخلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر عرف الشرق الجزائري عدة ثورات أرجعها الفرنسيون إلى الدعم السنوسي والمشرقي، وحسبهم أن اتصالات الجزائريين بالمشرق كانت متواصلة وبخاصة عن طريق الحجاج، فالكولونال تريملي (Le Colonel C.Trumelet) يقول إن الجزائر كانت مغطاة بالجواسيس والمراسلات، ونشطة جدا مع المترددين على مكة في موسم الحج، وقد عرفوا بالظروف الحسنة والسيئة لفرنسا وذلك في سرية مدهشة.[1]

ولايخفى على الفرنسيين علاقة قيادات ثوار الصحراء الشرقية ناصر بن شهرة وبوشوشة والشريف محمد بن عبدالله بالسنوسي ولا يستبعد اتصالاتهم بالسلطات العثمانية، فقد كان الجزائريون يتابعون أخبار الحرب الفرنسية البروسية، وحسب تعبير رين(L. Rinn) أن أسر الإمبراطور نابليون الثالث "أظهر حمى الثورات"، فقد كان الجنود الجزائريون العائدون من الحرب والقناصة الذين أصيبوا ينقلون إلى الجزائريين هزيمة فرنسا وسحق قواتها النظامية، وهذا ماشجع الجزائريين على الثورات،[2] فظهر الأمير محي الدين ابن الأمير عبد القار في الحدود الجزائرية التونسية، يقول عنه صديقه عبد الرزاق البيطار: "تكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية فحضر في بال المترجم (يقصد محي الدين)، أن الحرب تطول بين الدولتين فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن وطنه الكدر والغبن"[3].

---

(1) C.Trumelet (Le Colonel), ***Les Français dans le désert***, Ed2, Ainé Editeur, 1885, P.52

(2) ***Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie***, Librairie Adolphe Jourdan, Algérie, 1891, P.P. 83-85

(3) عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد بهجت البيطار، ط.2، دار صادر، بيروت، 1993، ص.426.

ويذهب رين (L. Rinn) إلى أن محي الدين ابن الأمير عبد القادر[1]اتصل بالجزائريين الفارين إلى الجنوب التونسي والذين يعيشون في زاوية نفطة، تحت حماية شيخها مصطفى بن عزوز مقدم الزاوية الرحمانية وهو عدو للفرنسين وثائر ضدهم منذ 1849، ومن هؤلاء الزعماء في تونس الشيخ سلمان السلطان القديم لتقرت، وناصر بن شهرة وابنا أبي الطيب بن عمران وكانت لهم علاقات متينة بمحمد بوعلاق شيخ قبيلة أولاد يعقوب. وعلى الرغم من قول الأمير محي الدين أنه أتى دون إذن من والده فإن آجرون (Ch.R.Ageron) يقول إنه حل بتونس لتزعم الانتفاضة بأمر من السلطان.[2]

بدأ الأمير محي الدين بإرسال الخطابات إلى الجزائريين قدرها البعض بمائتي رسالة، يأمرهم فيها أن يتهيأوا لمحاربة فرنسا، وحسب المصادر الفرنسية أنها كانت بختم ممتاز وعلم أخضر جاء في إحداها:"لاتوجد مساعدة إلا من الله وهو القوي والقاهر. ومحي الدين ابن الأمير يقول لكم: نحن أتينا لنصرة الإسلام، فالله يقضي على أعدائنا الفرنسيين، فلم يبق لهم أرض ولاجيش، وموعد إخراجهم من طرفكم اقترب، وخلاصكم قادم"،[3] وفي رسالة أخرى: "من بوحفص بن منصور (الجريد) إلى قائد الزاب الشرقي سي الميهوب بن شنوف (تحية) أعلمكم أن نائب الملك المصري عباس باشا هو في الطريق مع 6000 تركي عبر تونس وقد اخفوا مشروعهم حتى لايحدث ضجة، وهذا الجيش سيفتح الجزائر وقد استدعى كل القبائل في الجزائر والجبل الأخضر..."وقد كانت الرسائل تقرأ في تاجمعت الدواوير ببلاد القبائل، وانتشر بين الجزائريين في الصحراء الشرقية أن الأتراك

---

[1] **محي الدين (باشا) ابن الأمير عبد القادر بن محيي بن مصطفى و الحسني الجزائري**: أمير مجاهد عالم ولد وتعلم بالقيطنة وانتقل إلى دمشق، وزار الآستانة وإيطاليا وسويسرا وفرنسا. زار الآستانة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني حيث نقله من السلك السياسي إلى السلك العسكري ومنحه برتبة فريق، ثم عين عضوا في مجلس التفتيش العسكري. المرجع، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص.114.

[2] ***Les Algériens musulmans et la France (1871-1919)***,T1, P.U.F, Paris, 1968, P.10.

[3] Charles Géniaux, « La Kabylie », in : ***Revue de Paris***, juillet 1917, P.277.

سيتجهون إلى طرابلس مع جيشين إلى الجزائر، ويتألف الجيش من وحدات تحت إمرة ابن ناصر بن شهرة والشيخ سلمان سلطان تقرت ومحمد بن علاق.[1]

ولوحظ فعلا وجود ضباط أتراك يجيدون اللغة العربية في الجنوب التونسي، يقومون بالدعاية لصالح الدولة العثمانية ووصلت ميناء تونس أسلحة وذخائر لصالح الثوار الجزائريين، لكن باي تونس حجزها وأمر الضباط الأتراك بمغادرة تونس تحت ضغط السلطات الفرنسية بالجزائر.[2]كانت آمال الجزائريين في الفترة معلقة إما بتدخل عثماني وإما بتجديد المقاومة على يد محي الدين ابن الأمير عبد القادر، وبدأ الناس في شراء الأسلحة والخيول والاتجار في البارود عن طريق التهريب.[3]

يذكر سهيل الخالدي[4] أن المهاجرين الجزائريين كانوا يدعمون الثورات، ومنها ثورة المقراني حيث أسس الجزائريون جمعية مقرها الآستانة وأسسوا جمعية خيرية في دمشق بزعامة الشيخ طاهر الجزائري[5]، وهذا لدعم ثورة المقراني، ولكن لاتوجد لدينا وثائق تثبت ذلك، كما أننا لم نجد وثائق تثبت وعد الدولة العثمانية بمساعدة الجزائريين، إلا فيما نشره عبد الجليل التميمي من رسائل الجمعية الخيرية الإسلامية إلى الباب العالي وإلى الصدر الأعظم، ففي هذه الفترة كانت الدولة العثمانية قد غيرت سياستها الخارجية بتأثير من الصدر الأعظم عالي باشا، والذي كان يقوم بمهام وزير الخارجية،

---

(1)Louis Rinn, ***Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie***, Librairie Adolphe Jourdan, Algérie, 1891, P.93

(2) يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص.18.

(3) Charles André Julien, ***Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871***), Casbha éditions, Alger, 2005, P.475.

(4) سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2015، ص.145.

(5) **طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب** السمعوني الجزائري ثم الدمشقي(1852-1920): عالم ولغوي وأديب، من عمد الإصلاح اللغوي والديني بسوريا، كان له تأثير كبير في نشر العلم، ووضع مناهج التعليم وإصلاح أساليبه، يحسن عدة لغات شرقية، ساعد على إنشاء "دار الكتب الظاهرية" كما ساعد على إنشاء المكتبة الخالدية" بالقدس، انتقل إلى القاهرة وأقام بها، وعاد إلى دمشق فانتخب عضوا في مجمعها العلمي، توفي بدمشق، وله عدة آثار. المرجع: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص.101.

وأراد أن تتبع الدولة العثمانية سياسة مركزية تجاه الولايات حتى تتخلص من النفوذ الاستعماري، ووعد الجزائريين بالمساعدة.[1]

ففي رسالة لزعماء الجمعية الخيرية الإسلامية المؤرخة في 25 سبتمبر 1871 موجهة إلى الصدر الأعظم محمود نديم باشا جاء فيها: "أصل محاربتنا وعصياننا على أعداء ديننا (كذا) كان باختيار ورغبة الدولة العلية وأشارت به علينا، بواسطة المرحوم عالي باشا الوزير السابق، وحضرة تورس باشا، وماوعدنا من الإعانة السرية والجهرية بالأسلحة والنقود وأحيل أمر توزيع ذلك إلى حضرة مصطفى باشا فاضل المصري..."[2]. وبمرض عالي باشا انتهت مهامه في جوان 1871، وخلفه نديم باشا الذي لم يستمر في المشروع، ولم يكترث الباب العالي بزعامة الجمعية الخيرية، وضرب حماس الجزائريين في الصميم، وعرضهم إلى مشاكل خطيرة "الذخيرة الحربية والمال" لمتابعة الكفاح.

ومادام أن الجمعية الخيرية هي التي كانت تتصل بالسلطة العثمانية لطلب المساعدة، فهل هناك علاقة بين الجمعية الخيرية وزعماء الثورات في الصحراء الجزائرية: بوشوشة وناصر بن شهرة، وبخاصة أن الأخير له علاقة بمحي الدين ابن الأمير عبد القادر، فقد أعلن أن: "سيدنا محي الدين وصل إلينا بإذن السلطان وبمشيئة الله...وإن جنود السلطان الغزاة وصلوا إلى طرابلس"،[3] هل الأمير محي الدين جاء بإذن السلطان وخفية عن أبيه؟ هل كان له علاقة بالجمعية الخيرية؟ لانملك أدلة على ذلك لكن الاحتمال وارد.

وإلى سقوط الخلافة بقيت آمال الجزائريين معلقة بالدولة العثمانية، سواء بطلب المساعدة أو تقديم المساعدة في حروب الدولة العثمانية في أوربا، ولعل التحرك الدولي والاستعمار الذي نشط بعد مؤتمر برلين الأول واحتلال تونس ومصر والثورة في السودان وثورة بوعمامة بالجزائر، جعل بعضا منهم يربط الأحداث ببعضها، وإن فيه بعض التأثير يقول آجرون: " إن ربط الأحداث بنسيج أسطوري أطلق عليه أحد الإعلاميين الفرنسيين اسم "الجامعة الإسلامية" وهذا ما أخرج بوعمامة بفضل ذلك إلى مصاف البطولة الإسلامية من دائرة كانت تحصره في حدود الثورات". ولانملك وثائق تؤكد تأثر

---

[1] عبد الجليل التميمي، مصدر سابق، ص.105.

[2] المصدر نفسه، ص.108

[3] المصدر نفسه، ص.114

بوعمامة بحركة الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني، ولكنهم يتفقون في المبادئ وهي محاربة الاستعمار بتضامن المسلمين. ولايستبعد التأثر خاصة عن طريق الحج، فقد نشرت جريدة (Dépêche La Algérienne) عن الحرب اليونانية- التركية:"إننا في الوقت الذي كنا نعتقد أنه لاأثر لحرب التركية-اليونانية لدى الأهالي يفاجئنا نائب وهران بأنه وجد خريطة حرب اليونان باللغة العربية، وجدها في الخيام ، وكانت متداولة بين الدواوير لمدة من الزمن".[1]

المبحث الثالث: الحركة السنوسية والجامعة الإسلامية

الحركة السنوسية من بين الحركات التي سعت إلى وحدة المسلمين، وكان مركزها في واحة جغبوب بطرابلس ثم توسعت في كل شمال إفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى. وشكلت خطرا حقيقيا على الاستعمار الفرنسي المتمركز في الجزائر، والذي بدأ يبسط نفوذه في إفريقيا.

ولم تكن السنوسية طريقة دينية روحية فحسب، بل اهتمت بالسياسة، وكان لها مشاريع لتوحيد المسلمين، ولها مواقف من الدول الأوربية والدولة العثمانية. وتزامنا مع مشروع الوحدة الذي جاء به السنوسي تبنى السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية باسم الخلافة، وقد كانت إستراتيجية السلطان عبد الحميد الثاني تقوم على استقطاب شخصيات دينية إسلامية تعمل على ترويج الدعوة لفكرة الوحدة في ظل الخلافة الإسلامية.[2]ومن بين هذه الشخصيات السنوسي. فما مدى مساهمة السنوسي في ربط الجزائريين الذين هم جزء من المشروعين الوحدويين بالدولة العثمانية؟

فمؤسس الطريقة السنوسية هو جزائري الأصل وهو محمد بن علي السنوسي، ولد في نهاية القرن الثامن عشر في أولاد سيدي عبد الله مرابط المجاهر قرب مستغانم. بدأ تعليمه في بلده، وفي حوالي سنة 1821 غادرها إلى المغرب الأقصى لإتمام تعليمه، وفي سنة 1829 غادر المغرب الأقصى متجها إلى المشرق عبر الطريق الصحراوي. ولكنه بقي في الصحراء الجزائرية عدة سنوات يعلم الناس أمور دينهم، حيث أقام في جبل عمور وعين مهدي والأغواط ومسعد (الجلفة) حيث تزوج بامرأة من

---

[1]La Dépêche Algérienne, 31 Mai 1897

[2]مصطفى الغاشي، "فكرة الجامعة الإسلامية من خلال "النور اللامع في بيان الأصل الجامع "لإبراهيم السنوسي"، **العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية المتوسطية**، ط.1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، 2005، ص.74.

أولاد نايل، ثم غادر متجها إلى البقاع المقدسة في سنة 1839[1]. أقام قليلا في تونس وبقي فترة في طرابلس ومصر، ثم اتجه إلى مكة حيث التقى بالشيخ إدريس الفاسي شيخ الطريقة القادرية، وأصبح من مريديها، وبعد موت إدريس الفاسي أصبح محمد بن علي شيخ الطريقة، والتي أصبحت تعرف بالسنوسية، غادر الحجاز في سنة 1843 وأقام بصحراء ليبيا حيث كان له أتباع كثير وجعل من الجغبوب عاصمة له.[2]

إن محمد بن علي السنوسي كان رجل علم ودين واعيا لما يحدث في العالم الإسلامي من انحطاط فكري وسياسي، مطلعا على أطماع الأوربيين فاختار طريقة صوفية لإصلاح حال المسلمين. لقد جعل من واحة الجغبوب بالصحراء الليبية عاصمة له، وفي هذا ابتعاد عن كل القوى المتناحرة آنذاك، وبدأ من هناك ينشر دعوته، واعتمد بصفة أساسية على إنشاء الزوايا في الصحراء الكبرى، ولم تكن الزوايا السنوسية مؤسسات علمية فحسب، بل كانت مراكز دعوة وجهاد ومراكز اقتصادية وثقافية، ومعسكرات للحرب. لقد انتشرت الدعوة السنوسية في مصر وطرابلس من الشرق إلى المغرب الأقصى غربا. ومن البحر المتوسط شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا. ويعترف أندري سيرفيي (André Servier) بأن سر نجاح السنوسية هو في تعاليمها التي تستجيب لمتطلبات المسلمين.[3] بالإضافة إلى سياستها الخارجية.

عرفت السنوسية اتساعها وأصبحت لها شوكة وهيبة في عهد المهدي الذي خلف أباه محمد بن علي السنوسي في سنة 1859، وكانت سياسته الخارجية تقوم على الحياد، فلم يدخل في أي نزاع مسلح مع أي دولة أوربية، فقد رفض التحالف مع المهدي السوداني، ومساعدة العُرابيين في مصر في

---

[1] جعلها لويس رين (Louis Rinn) في كتابه "مرابطون وإخوان" في سنة 1835، بينما يجعلها Edmond Doutter في 1839 ,المصدر: A.O.M .16H57.

[2] كتب الكثير عن حياة السنوسي، بالإضافة إلى المرجعين السابقين، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الرابع؛ Jean-Louis Triaud, *Les Légende noire de la Sanusiyya, Une confrérie musulmane saharienne sous le regard française (1840-1930*

[3] ***Le péril de l'avenir le nationalisme musulman en Egypte en Tunisie en Algérie***, 2Ed, Imprimerie M.BOET, Editeur, Constantine, 1913.p151

سنة 1882، كما رفض التعاون مع الإيطاليين لإيقاف التوسع الفرنسي في تونس، ورفض مساعدة السلطان العثماني في حربه مع روسيا في سنة 1877، ورفض عروض الألمان لإيقاف التوسع الإيطالي في إفريقيا في سنة 1882. وحسب رين (Louis Rinn) [1]فإن السنوسي كان يرى أن الحرب لاتكون إلا لإعادة الإمامة العظمى كما كانت عليه الخلافة الراشدة. وقد يكون رفض السنوسي للدخول في أي حرب من حنكته السياسية، لأن الأعداء محيطين به من كل جانب، وهي مسألة وقت فقط لأنه فيما بعد دخل في صراع عسكري مع الفرنسيين في جنوب الصحراء.

المطلب الأول: علاقة السنوسية بالدولة العثمانية

إن حكم العثمانيين لطرابلس كان في الواقع في السواحل فقط، أما بقية المناطق فبقيت في يد الزعامات القبلية. وقد جاء السنوسي إلى المنطقة في وقت بدأت فيه سلطة الدولة العثمانية تضعف، وشعرت بضرورة التقرب من السنوسي لتدعيم سلطانها. فنال محمد بن علي السنوسي من السلطان عبد المجيد في سنة 1856 فرمانا أعفى بموجبه الزوايا السنوسية من الضرائب، وسمح لهم بجمع العشر.[2]

وقد أثمر اعتراف العثمانيين بالسنوسية إمارة جديدة منضوية تحت لواء الخلافة.[3] وإن عدها المؤرخون الفرنسيون دولة داخل دولة.[4] فإن السلطان عبد الحميد الثاني عندما تولى الخلافة بدأ بالتقرب من المهدي السنوسي، وطلب منه المساعدة في حربه مع روسيا لكن السنوسي رفض ذلك. وقد كان السلطان العثماني يرى أن خير وسيلة لجمع شمل المسلمين هو الاعتماد على العاطفة الدينية في مشروعه المعروف بالجامعة الإسلامية، وهذا لرد العدوان الأوربي على البلدان الإسلامية، ورأى أن خير مدافع عن المسلمين في طرابلس هو الشيخ السنوسي، يقول السلطان عبد الحميد الثاني في

---

(1) ***Marabouts et Khouan, étude sur l'Islam en Algérie***, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p.497

(2) محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948، ص..53

(3) المرجع نفسه، ص.53.

(4) Louis Rinn, op.cit. p.493 ; Jean-Louis Triaud, ***Les Légende noire de la Sanusiyya, Une confrérie musulmane saharienne sous le regard française (1840-1930***), Editions de la Maison de sciences de l'homme, Paris, 1995, t1, p.492

مذكراته: "إذا كان هناك أحد يمكنه الدفاع عن حقوقنا فهو الشيخ السنوسي، فهو قادر على أن يجمع حوله حوالي ثلاثين ألفا من الرجال ولن يتخلى عن بنغازي إلا بعد قتال"[1]. وتؤكد الدراسات الفرنسية ومن خلال مراسلات القناصل الفرنسيين أن السلطان العثماني بقي لمدة تسع سنوات كاملة يحاول كسب السنوسية إلى جانبه خلال حكم المهدي، ولكن المهدي كان حذرا في تعامله.[2]

ولم يتقرب السلطان عبد الحميد الثاني من السنوسي إلا بعد أن عرف نوايا السنوسية تجاه الدولة العثمانية، حيث أكد له رجال حكومته في بنغازي أن المهدي يربطه بالدولة العثمانية الولاء والإخلاص الكامل والطاعة التامة. فأكثر السلطان من إرسال الكتب والهدايا، وقرب رجال السنوسية.[3] ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل أن السنوسيين في طرابلس عظم شأنهم. فالوالي العثماني على برقة علي كمال باشا كان يعد نفسه خادما للسنوسي، وكذا خلفه الحاج رشيد باشا (في سنة 1886). وأصبح الإخوان في الزوايا السنوسية الساحلية معفيين رسميا من الأموال الأميرية.[4] كما أن السنوسيين أصبح لهم شأن في البلاط العثماني، ومنهم سيدي محمد الفالح الظاهري الذي ذكره الحشائشي في رحلته، فهو من أكبر شيوخ الجغبوب صحب الشيخ السنوسي الكبير وهو من أكبر أدباء وعلماء زمانه، يقول عنه الحشائشي: "أنه اليوم بجانب أمير المؤمنيين الذي يعامله معاملة تقدير واحترام وهو من المغرب".[5] كما كان شقيق مقدم السنوسية في طرابلس الشيخ محمد جعفر مستشار السلطان عبد الحميد الثاني.[6]

إن التقارب العثماني _السنوسي كان مصدر إزعاج للدول الأوربية، وكان الأوربيون يشْكُون للسلطان عبد الحميد الثاني حركة السنوسي، وكما يذكر الأمير شكيب أرسلان أنه لطالما ضغطت

---

(1) السلطان عبد الحميد، **مذكراتي السياسية**، ط.2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979 ص.147.

(2) Jean-Louis Triaud, op.cit. P.422.

(3) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص.79.

(4) المرجع نفسه، ص.79.

(5) محمد بن عثمان الحشائشي، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق**، تر: محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988، ص.88.

(6) محمد فؤاد شكري، المرجع نفسه، ص.79.

دول أوربا على السلطان لأجل أن يستدعي المهدي إلى الأستانة ويأمره بالإقامة بها ولايأذن له بالعودة.[1] وقد كثر نشاط الجواسيس الأوربيين والقناصل الفرنسيين بصفة خاصة في هذا المجال. حيث كانوا يفكرون هل من مصلحة الفرنسيين التقارب العثماني السنوسي؟.[2]

كان الجواسيس الفرنسيون يتتبعون كل التحركات بين السنوسيين والعثمانيين وأكدوا للسلطان العثماني أن هناك مخازن للأسلحة في طرابلس.[3] إن هذه الضغوط أجبرت السلطان على إرسال مبعوث اسمه عصمت بك إلى جغبوب في مأمورية سرية، فكان رد السنوسي بكلام لايتضمن نفيا ولا إيجابا، وإنما تلا آيات من كتاب الله تتضمن معنى التوكل، بعدها في سنة 1895 غير المهدي عاصمته من جغبوب إلى الكُفرة في وسط الصحراء.

وبعد رحيل السنوسي إلى الكُفرة أوفد إلى السلطان العثماني الشيخ عبد العزيز العيساوي ليؤكد ولاء وإخلاص المهدي لخليفة المسلمين والدولة العثمانية. وكان يصحبه ابن أخيه الشيخ الأخضر العيساوي، وقد وجدا كل حفاوة واستقبال في الأستانة.[4] وقد اغتنم السلطان وجود العيساوي وأرسل معهم صادق بك المؤيد لزيارة الكفرة، وأرسل له هدايا منها نسخة من صحيح البخاري "وساعة لتكون في أوقات الصلاة مذكرة له بصالح دعواته لجنابه العالي"السلطان"[5]

وفي 22 سبتمبر 1895 أرسل باشكاتب رسالة رسمية إلى المهدي يحذره فيها من أطماع الدول الاستعمارية، ويستميل الشيخ السنوسي إلى جانب الدولة العثمانية ويذكره بوحدة المسلمين حيث يقول:"...على أن القصد العالي اتحاد المسلمين كما أمر رب العالمين، وما الغاية من هذا كله إلا للمدافعة عن الحقوق الدينية والسلامة والأمن في الممالك المحروسة الإسلامية العثمانية.." ثم يطلب منه الدعاء بنصرة الخليفة.[6]

---

(1) شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، م.1،ج.2،ط.4، دار الفكر، بيروت، 1972، ص.162

(2) Jean-Louis Triaud, op.cit.P.423.

(3) Ibid, P.428.

(4) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص.85.

(5) المرجع نفسه، ص.86.

(6) المرجع نفسه، ص.87.

أما صادق بك فقد استمرت رحلته 49 يوما إلى الكفرة. وقد وجد استقبالا عظيما، وأكد له الشيخ المهدي السنوسي أنه لايقصد من أعماله إلا خدمة الإسلام وبث الدعوة لطاعة السلطان خليفة المسلمين، وبعد عودته كتب عنه:"إنه شيخ مستقيم تجاه الخليفة وفيّ لوصية والده، يدعو كل يوم بعد صلاته أن يحفظ الخليفة والمسلمين...".[1]

إن الشيخ المهدي السنوسي كما وصفه لويس رين يعمل في هدوء وصمت حتى يصل إلى أهدافه. ويبدو لي أنه يكفي اعترافه بالسلطان العثماني، وعدم معارضته له أنه يخدم أهدافهما المشتركة وهي وحدة المسلمين والتصدي للاستعمار.

المطلب الثاني: علاقة الجزائريين بالسنوسية

لاريب أن السنوسي في مشروعه الوحدوي والإصلاحي، جعل من أولوياته التصدي للاستعمار، فإلى ظهور دعوة السنوسي كانت الجزائر هي البلد العربي الإسلامي الوحيد الذي استعمر. وهنا نطرح تساؤلات عن موقع الجزائريين في مشروع السنوسي؟ ومدى دعم السنوسية للجزائريين في حربهم ضد الاستعمار الفرنسي، وما أشكال ذلك؟

إن علاقة الجزائريين بالسنوسية وطيدة، فقد كان من تلاميذ محمد بن علي السنوسي سي عبد الله التواتي وقد قتل في عين الصفراء في سنة 1851، وعند وفاة السنوسي الكبير تولى أمور الطريقة ابنه المهدي وكان عمره حوالي 14 سنة وكان من مستشاريه المقربين سي أحمد الغماري، وسي المدني بن مصطفى التلمساني،[2] وقد ذكر الحشائشي في رحلته في سنة 1896 أن من مقربي الشيخ المهدي محمد التواتي وهو مكلف بمراسلات الشيخ وكاتبه. ومحمد البسكري أصيل بسكرة وهو بمنزلة وزير ومستشار الشيخ. وأحمد التواتي يشغل لديه مهام القاضي، يقول الحشائشي: وكلهم أطواد في العلوم العقلية النقلية.[3]

---

[1] Jean-Louis Triaud, op.cit. t1, P.434

[2] L. Rinn. P.493

[3] الحشائشي، مصدر سابق، ص.89.

انضم معظم سكان توات خلال سنوات (1850-1860) للطريقة السنوسية، وعند احتلال الفرنسيين للمنطقة انسحب أتباع السنوسي إلى الصحراء.[1]وحسب الإحصائيات الرسمية الفرنسية فإن عدد أتباع السنوسية في الجزائر 511 في سنة 1882، ولكن هذا الإحصاء غير دقيق فهو خاص بزاوية بن طكوك فقط، ولم تستطع السلطات الفرنسية إعطاء العدد الحقيقي للسنوسيين في الجزائر وذلك لمرونة هذه الطريقة فهي تسمح لأتباعها بالانضمام إلى أي طريقة أخرى. فنجد كثيرا من السنوسيين ينتمون إلى القادرية وهي الطريقة الأم للسنوسية، وكذا المدينية وغيرها من الطرق، ويذكر رين أنه بعد ثورة الأوراس في 1879 هناك إشارة إلى وجود 500 من السنوسيين قد شاركوا في الثورة ولكن عند التحقيق وجدوا أن هناك طريقة جديدة نشأت وهي "الدردورية"، فقد تكون متفرعة عن الرحمانية أو الشاذلية يقول رين وقد يكون لها علاقة بالسنوسية.[2]

رغم قلة مريدي الطريقة السنوسية في الجزائر مقارنة بالطرق الأخرى، فإن السنوسي قدم خدمات للجزائريين، وكانت مساهمة منه في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومنها:

1. مساعدة الثوار: لقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر قمة التنافس الأوربي على اقتسام إفريقيا وبخاصة بعد مؤتمر برلين (1884-1885)، حيث وضعت الأسس العامة لاقتسام القارة الإفريقية، وبعد حادثة فاشودة وتصادم المصالح الاستعمارية الفرنسية والبريطانية أمضتا اتفاقية 21 مارس 1899، وقد وجدوا مقاومة شديدة من السكان سواء في شمال الصحراء أم في جنوبها، وكان المساعد الأساسي لهذه الثورات هي الطريقة السنوسية.[3] فالسنوسية ومنذ إنشائها كانت تساعد كل الثوار ومنهم محمد بن عبد الله شريف ورقلة الذي أعلن الثورة في الصحراء الجزائرية خلال الخمسينيات، في الوقت الذي بدأ فيه التوسع الفرنسي في المنطقة، وكان التنافس حادا بينهما، وكان محمد بن عبد الله قد التقى السنوسي في مكة ونسق معه الرجوع إلى الجزائر في حدود سنة 1850. وكتب السنوسي الرسائل إلى أهل الطرق والمؤيدين له يطلب منهم دعم هذا الشريف. وقد شملت المنطقة التي حارب فيها بلاد الطوارق وورقلة وبني ميزاب والأغواط وتوات ووادي ريغ ووادي سوف

(1) Jean-Louis Triaud, op.cit. t1, P.78

(2) Louis Rinn, op.cit. P.515

(3) André Servier, op.cit. P.153.

والزيبان.[1] وقد تحالف شريف ورقلة مع أحمد التواتي حسب الروايات الفرنسية. وقد كان أحمد التواتي ناقما على الفرنسيين وهم يصفونه بالمتعصب، كان يجند الأتباع للسنوسية والشريف هو الذي يحارب بهم، فقد كان يدعو للجهاد وينتقل من مكان إلى مكان ويشتري السلاح والذخيرة. وكان أحمد التواتي أفتى بقتل بعثة دوفيرييه بمن فيها من المسلمين.[2] دامت ثورة شريف ورقلة حوالي عشر سنوات انتهت باعتقاله في سنة 1861، واحتلال تقرت والأغواط والصحراء الجزائرية الشرقية.[3] كما كان يرى لويس تيرمان (1882-1891) أن السنوسي له علاقة ببوعمامة وأن كليهما له علاقة بثورة المهدي السوداني، لذلك لم يرخص لشيوخ الزوايا بالتنقل إلا نادرا.[4]وحسب بعض التقارير الفرنسية الأخرى أن السنوسي لم يشارك في أي ثورة بعد ثورة شريف ورقلة وإنما كانت مساعدته للجزائريين بطرق أخرى.

2. تأمين الطرق الصحراوية: كما سبق أن ذكرنا أن أهم وسيلة استعملتها السنوسية لنشر دعوتها هي إنشاء الزوايا، وبخاصة في الصحراء لفرض سيطرة تامة على كل الطرق الصحراوية، والتجارة العابرة للصحراء التي كانت في نهاية عهدها الذهبي، وقد كانت معظم الطرق الصحراوية متجهة من الشمال نحو الجنوب، وكان هناك محطات ومدن تجارية كبرى معروفة مثل: تقرت عاصمة قرى وادي ريغ، وورقلة وتوات[5] في الجزائر وغات قرب الحدود الجزائرية وغدامس... وغيرها من المدن، لقد أراد السنوسي استغلال هذه المراكز لإنشاء زوايا في طريقين صحراويين متجهين من الشرق إلى الغرب، وهما الطريقان اللذان يسلكهما الحجاج المغاربة في رحلتهم إلى البقاع المقدسة، فقد أراد

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.254.

[2] المرجع نفسه، ص.255، نقلا عن دوفيرييه.

كتب دوفرييه تقريرا عن السنوسية يراجع: -Mémoire sur la Confrérie musulmane de Senoussi par Henri Duveyrier, 1883–(16H56, AOM)

[3]Jean-Louis Triaud, op.cit. P.34.

[4] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، المرجع السابق ص.327.

[5] تقع توات جنوب ورقلة بحوالي 700كلم.

السنوسي حسب المراسلات بين السنوسي ونائبه عبد الله السني[1]أن يجعل الطريق الأول الشمالي يمر عبر الجريد التونسي إلى ورقلة والثاني هو طريق غدامس وحسب (Djaïn) فإن السنوسي كان مُصرّا على إنشاء وتعمير هذا الطريق، وكتب في 1858 إلى عبد الله السني يأمره أن ينشئ زاوية في زمزم شمال غدامس.[2]

إن هذه الطرق كان لها أهمية كبيرة في وقتها، منها السيطرة على التجارة العابرة للصحراء-وإن كانت قد بدأت تذهب أهميتها-ووقف البعثات العلمية والاستكشافية والتبشيرية التي يقوم بها الأوربيون في الصحراء. كما كان لها أهمية أخرى وهي ربط سكان المغرب الإسلامي وإفريقيا بصفة عامة بالمشرق. ومشروع السنوسي هذا يشبه مشروع السلطان عبد الحميد الثاني، في مد السكك الحديدية بين الحجاز والشام والعراق لوصل المسلمين ببعضهم. ومن هناك نجد أن الرقابة الفرنسية على الحدود الجزائرية التونسية والجزائرية المغربية، دفعت بالجزائريين جنوبا إلى الصحراء وهم أعلم بها، وكانت علاقاتهم مع السنوسيين المتمركزين في الصحراء الليبية.

كان من المؤكد لدى الفرنسيين أن هناك سنوسيين في الجزائر وبعضهم في الموطن الأصلي للسنوسي بمستغانم حيث الزاوية الطكوكية.[3] وأيضا الصحراء الشرقية الجزائرية. كما أن كل القبائل جنوب تونس والمتاخمين للحدود الجزائرية -كما يؤكد الجنرال مينيي(Général Meyier) [4] أنهم ينتمون إلى الطريقة السنوسية أو لهم علاقة بالدعوة الوهابية، وهم دائما في عداء للأوربيين، ويأتمرون بدعاية الجامعة الإسلامية.[5] إن هذا التواجد للسنوسيين في الجزائر شكل هاجسا للفرنسيين،

---

[1] استولى Djaïn على وثائق زاوية غارو بعد احتلال القوات الفرنسية للمنطقة، وترجم هذه الوثائق ولكن الأصل يقال إنه ضاع. وهي مراسلات بين الشيخ السنوسي وعبد الله السني.

[1] Jean-Louis Triaud, op.cit. t1, p57.

[2]Ibid, t1, p57.

[3] Louis Rinn, op.cit. p515.

[4] كتب سلسلة من المقالات عن السنوسية في سنوات: Revue militaire française 1932, 1933,1934

[5]" La guerre sainte des Senoussya", in*: **Revue militaire française***, T.46, octobre- décembre, 1932, p.p. 416-417.

وأصـــبحوا يراقبون كل تحركات من وإلى الجزائر، وبخاصـــة أولئك الحجاج الذين يمرون بالجغبوب أو الكُفرة. فهناك مراسلات بين القناصل الفرنسيين إلى الحاكم العام في الجزائر من أجل تشديد الرقابة عليهم، والأمثلة كثيرة على ذلك.[1]منها الزيارة التي أولت لها السلطات الفرنسية اهتماما كبيرا، حيث كانت المراسلات بين القنصل الفرنسي في استانبول ووزير الخارجية الفرنسي بباريس والحاكم العام في الجزائر، حول الإجراءات التي يمكن اتخاذها عند زيارة سيدي عمر الوزاني ممثل الطريقة السنوسية في استانبول، وكان ذلك في سنة 1893، فالهدف المعلن لهذه الزيارة هو جمع التبرعات (الزيارة) من زوايا السنوسية في الجزائر زاوية زاوية -كما جاء في التقرير-،[2] ولكن السلطات الفرنسية كانت تشك في الهدف المعلن عنه لأن له أهدافا أخرى وراء ذلك. وبالرغم من أن تحركات شـــيوخ الطرق الصـــوفية كانت محظورة وبشكل أخص الطريقة السنوسية فإن الحاكم العام اقترح أن يسمح له بالزيارة، ويعطى الوثائق اللازمة تحت المراقبة الشـديدة والدقيقة ثم يقول:"ماهي الجنسـية الحقيقية للوزاني هل هو مغربي حقا كما يبدو من اسمه؟ ففي هذه الحالة يمنع دخوله إلى الجزائر. أما إذا كان جزائريا يعمل للدعاية ضد فرنسا فيمكننا توقيفه، وفي الحقيقة يبدو لي جليا من الصعب السماح رسميا بجمع التبرعات لطريقة لاتخفي عداءها للمسيحيين مثل السنوسية. ففي الواقع منذ عدة سنوات والزيارة ممنوعة في الجزائر، حتى بالنسبة لبقية المرابطين المحليين الذين هم لا يعارضون نفوذنا. ولانسمح بذلك إلا في حالات نادرة، فيما يخص شيوخ الطريقة التيجانية الذين قدموا لنا خدمات في الماضي وهم الآن يساعدوننا."[3]

إن مخاوف الفرنســيين من الوزاني كانت بســبب انتمائه لحركة الجامعة الإســلامية، فقد كان عضـــوا بارزا فيها ومن دعاتها. وقد جاء في مهمة لجمع شمل المســلمين في الجزائر والمغرب، وفي هذا خطر على التواجد الفرنســي في شمال إفريقيا. إن هذه الزيارة تعطينا مثالا بســيطا عن العلاقة الثلاثية

---

[1] يوجد في الأرشيف الفرنسي نماذج كثيرة عن مراسلات القناصل الفرنسيين في كل من إستانبول وبنغازي وتونس وجدة إلى الحاكم العام في الجزائر تحذره من الجزائريين الذين لهم علاقة بالسنوسية أو الجامعة الإسلامية حتى يمكن مراقبتهم بشكل جيد أو محاكمتهم في الجزائر: يراجع: العلب: A.O.M.- 16H56 , 16H57

[2] الصفحة الأولى من التقرير، ينظر الملحق رقم (3).

[3] هناك ملف عن هذه المراسلات في العلبة : A.O.M, 16H57

بين الجزائريين والسنوسيين والدولة العثمانية، حيث كان السلطان العثماني في هذه الفترة يستعمل كل الطرق لجمع شمل المسلمين لمواجهة الاستعمار الأوربي.

3. الدعوة إلى الهجرة: ولعل من أهم الخدمات التي قدمها السنوسي للجزائريين وربطهم بالدولة العثمانية، هو دعوتهم إلى الهجرة مثلما كان يدعو السلطان عبد الحميد الجزائريين إلى الهجرة. وإن تعددت الأسباب فإن السبب الظاهر هو عدم الخضوع لحكم الكفار. وقد شهدت الجزائر موجات من الهجرات، منها الهجرة بعد ثورة المقراني في سنة 1871، وأيضا في نهاية القرن التاسع عشر، وقد اختلف المؤرخون هل كان السنوسي من دعاة الهجرة أم لا؟ فرين(Rinn) كتب في "مرابطون وإخوان"[1] أن السنوسي فتح باب زواياه للمتمردين والفارين من الحكم الفرنسي واعتمد على رسالة للحبيب بن سي عمار وهو من مؤيدي الطريقة السنوسية الأوائل في مستغانم، ففي سنة 1863 ذهب إلى الحج وبقي في المشرق، ولقد راسله السنوسي بتاريخ 27 ربيع الأول 1286 الموافق 6 جويلية 1869. وبين له وجوب الهجرة مستدلا بآيات من كتاب الله. وحسب رين أن السنوسي لم يدع الجزائريين إلى الثورة وإنما إلى الهجرة، أما (Jean-Louis Triaud) فيقول أن هذه الرسالة نقلها رين(Rinn) عن (Pilard) المترجم العسكري، ولخصها واعتمد على وثيقة واحدة وعمم حكمها على الجميع.[2] كان السنوسي يستقبل كل الجزائريين سواء الحجاج أم اللاجئون إليه أو المهاجرون إلى المشرق المارين بزواياه، فهو يحميهم ويهيئ لهم الإقامة المناسبة، وفي هذا تشجيع لهم على الهجرة. وقد عد الفرنسيون ذلك تهديدا لهم في الجزائر، فقد كتب (Loverdo) في سنة 1874:"إن السنوسية شكلت خطرا علينا في ممتلكاتنا في الجزائر، إن المتمردين يجبرون على مغادرة حدودنا، إن هذه الطريقة تنمي العداء ضدنا، وبطريقة غير مباشرة تخلق الصعوبات"[3].

نخلص إلى أن السنوسي جاء بمشروع ضخم هو وحدة المسلمين، وقد سبق حركة الجامعة الإسلامية التي جاء بها جمال الدين الأفغاني وحاول السلطان عبد الحميد أن يطبقها في الواقع. فهو يتفق معهم في المبادئ العامة مثل مقاومة الاستعمار ونشر الدعوة الإسلامية وحماية المسلمين،

(1) Louis Rinn, op.cit. P.P.497-498.

(2) Jean-Louis Triaund. op.cit. P.187.

(3) Ibid, P.167.

ووصـــلهم ببعض عن طريق تهيئة الطرق أو دعوتهم إلى الهجرة. ونظرا للســـرية التي كانت تتبعها فقد كانت أتباعها يفلتون من رقابة السلطات الفرنسية، وبإعلانها عدم التدخل في السياسة فإننا نرى أنها لعبت دورا مهما في عهد الشـيخ السـنوسـي الكبير وابنه المهدي في نشـر الإسـلام في إفريقيا جنوب الصحراء، وفي حماية الطرق التجارية وطرق الحج وتأخير اكتشاف الصحراء ولو لبعض السنوات. كما أنها كانت ملجأ للجزائريين الفارين من بطش الاســـتعمار، ولعبت دورا مهما في ربطهم بإخوانهم في المشرق الإسلامي وبالخلافة العثمانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الإصلاح الحديث وتأثيرات الجامعة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تميز الربع الأخير من القرن التاسع عشر في الجزائر بتغير النظام السياسي الفرنسي حيث ازدادت معاناة الجزائريين من القوانين الجائرة ومن الفرنسة، وظهرت نتائج السياسة الفرنسية التي اتبعتها منذ بداية الاحتلال، كما ظهرت في الفترة بوادر الإصلاح الحديث بمساعي جزائرية وبتأثيرات مشرقية، وسنرى في هذا الفصل بدايات الإصلاح في الجزائر ومؤثرات الجامعة الإسلامية، ومدى تفاعل الجزائريين مع قضايا المسلمين التي كانت تطرح بشدة في هذه الفترة.

المبحث الأول: السياسة الفرنسية في الجزائر

يجمع الباحثون على أن هزيمة فرنسا أمام بروسيا في سنة 1871 جعلها تعيد النظر في نظامها الداخلي وسياستها الاستعمارية، فقد أدت الهزيمة إلى سقوط النظام الإمبراطوري وقيام النظام الجمهوري، وسعى المنظرون الفرنسيون إلى إيجاد الاستراتيجية المناسبة لضمان مستقبل المستعمرات الفرنسية وتوسيعها. وقد ازدادت المجادلات بين أنصار المذاهب المختلفة وخصوصا بين أنصار مذهب الاستيعاب أو الإدماج (Assimilation) وأنصار مذهب المشاركة (Association)،[1] وكان أنصار الادماج يرتكزون على تقليد فرنسي قديم يقول بوحدة الأرض الفرنسية وعدم تجزئتها، لكن المضمون الفعلي لهذه الوحدة ظل غامضا. وقد تأثر أصحاب هذه النظرة بأفكار إنسانيي القرن الثامن عشر وبالثورة الفرنسية، والتي تقول بالوحدة الإنسانية وبالإيمان بمهمة فرنسا الحضارية.[2]

شكلت الجزائر الإطار الأكثر تجريبية لتطبيق نظرية الإدماج، فعلى أرضها طبقت جل المفاهيم التي صاغتها فرنسا، لتعزيز حركتها الاستعمارية.[3] ويظهر ذلك في الفترة مابين 1848و1870، فقد أعلن دستور 1848 أن الجزائر جزء لايتجزأ من الأرض الفرنسية، وبأنها ستوضع تحت قوانين البلد الأم، وقد جرت في الواقع محاولة لتحقيق ارتباط الدوائر المدنية الأساسية "الشعائر الدينية، والتعليم

---

[1] هنري غريمال، **حركات التحرر الوطني في آسيا وإفريقيا منذ 1919 حتى الوقت الحاضر**، تر: صباح كعدان، وزارة الثقافة، دمشق، 1994، ص.79.

[2] المرجع نفسه، ص.81.

[3] محمد مالكي، مرجع سابق، ص.156.

العام الفرنسي، والقضاء والجمارك..." ارتباطا مباشرا بالوزارات الباريسية المقابلة لها بموجب قرار 9 ديسمبر 1848.[1] ووعيا من نابليون الثالث لمكانة الجزائر في إستراتيجيا الاستعمار الفرنسي، حاول تقديم صيغ عملية كفيلة بترسيخ مشروع إدماج الجزائر وتأصيل مفهومه، لكن الإمبراطورية الثانية انتهت في 1871 من دون أن ترسخ شكلا محددا لمفهوم الإدماج.[2]

لاشك أن هزيمة فرنسا وانكسارها أمام بروسيا، تركت آثارها على أحاسيس الفرنسيين وشعورهم القومي، وأصبحت الجزائر قوة خلفية لتعضيد مكانة فرنسا الاقتصادية والرفع من معنويات شعبها.[3] فمن الظروف والتحولات التاريخية التي حدثت في أوربا بعد 1871 يمكننا أن نفهم لماذا غيرت فرنسا سياستها في الجزائر، فتخلت عن سياسة نابليون التي كان يعارضها المستوطنون، وحولت نظام الحكم من عسكري إلى مدني بيد المستوطنين. وقد كانت سلسلة القوانين التي صدرت في عهد الجمهورية الثالثة دليلا على التوجه السياسي الفرنسي الجديد في الجزائر. فبسقوط النظام الامبراطوري أصبحت الجزائر في قبضة المستوطنين، وقد قاموا بقمع ثورة 1871 بقوة وذلك لإخضاع الأهالي والهدف أيضا توفير أرض وأموال للاستيطان،[4] ففرضت الغرامات الثقيلة على الثوار وصودرت أراضيهم وشردوا.

يُعد دو قيدون (De Gueydon) (1871-1873) أول حاكم عام بالجزائر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة، فقد صرح في أول خطاب له أن العنصر الفرنسي هو الوحيد الذي يجب أن يحكم الجزائر، كما وعد بالتراجع عن قرارات الإمبراطورية الفرنسية الثانية، والتي في نظره تخدم الأهالي، كما أقر تنظيما إداريا جديدا يبعد الأهالي ويمكن الاستيطان،[5] ومن القرارات الشهيرة التي اتخذها الحاكم العام دوقيدون القرار الذي صدر في 15 جويلية 1871 والذي نص على مصادرة

---

(1) شارل روبير آجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ط.2، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص.47.

(2) محمد مالكي، مرجع سابق، ص.173.

(3) المرجع نفسه، ص.174.

(4) شارل روبير آجرون مرجع سابق، ص.78.

(5) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France***, T.1,op.cit. P.48.

الأراضي التابعة للأعراش وتسليمها إلى الفرنسيين النازحين من الألزاس واللورين، كما طبقت في عهده القوانين الجائرة على الجزائريين ومنها قانون الأهالي.[1]

عرفت الجزائر في الفترة مابين (1870-1890) سيطرة تامة للمستوطنين على إدارة الجزائر، وكانت سياستهم تقوم على المطالبة بسياسة جديدة تقوم على الانفراد بالسلطة، وحرمان الجزائريين المسلمين من أي تمثيل سياسي. وفي الواقع كان هذا هو هدف السياسة الفرنسية منذ البداية، وإن اختلفت الأساليب والحكومات وقد مست هذه السياسة المجالات الأكثر التصاقا بهوية الجزائريين وشخصيتهم العربية الإسلامية، ونعني بذلك مجالي القضاء والتعليم، لذلك سيكون تركيزنا على هذين المجالين لصلتهما بموضوعنا.

المطلب الأول: محاربة القضاء الإسلامي

ارتبط القضاء والتعليم بشكل وثيق بالدين في التاريخ الإسلامي، فالقاضي أو المفتي قد يتولى التدريس أو الإمامة في المسجد، وتكون له الزعامة الدينية. ولم تعرف هذه المجالات الانفصال إلا مع الاحتلال الفرنسي وقد تعلق موضوع القضاء واللغة العربية في القرن التاسع عشر بمسألة الهوية، وكان القضاة يمثلون الاستمرارية والتراث. ومن الجانب الفرنسي كان الموضوع يتعلق بالسيادة.

أبقى الاستعمار خلال السنوات الأولى للاحتلال على هذه التنظيمات مع سلب أموالها وإهمالها، لكنها عرفت بعد ذلك تدخلا سافرا بحجة التنظيم والتمدن، فقد وضعت اللبنات الأولى للعدالة الفرنسية في الجزائر منذ 1834، إلا أن الأوامر الملكية الصادرة في 28 فيفري 1841 و26 سبتمبر 1842 تعد التاريخ الحقيقي للتدخل الفرنسي في النظام القضائي الجزائري، وبداية إدماجه مع العدالة الفرنسية.[2]وفيمابين 1842 و1854 صدرت مجموعة من الإجراءات أدت إلى انتزاع سلطة القاضي المسلم، وجعلته مجرد منفذ وتحت رقابة القضاة الفرنسيين، فقد أصبح من صلاحية المحاكم الفرنسية حق النظر في قضايا المسلمين، وتطبيق القانون الإسلامي على المسلمين.[3] وكانت الإجراءات قبل هذا التاريخ بسيطة والأحكام سريعة والتكاليف قليلة. فأصبحت في المحاكم الفرنسية

---

[1] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر، من البداية لغاية 1962**، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص.65.

[2] Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France,*** T.1, p. 201.

[3] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج.4، ص.429.

مكلفة وبطيئة،[1] وقد زاد من سيطرة القضاء الفرنسي تناقص عدد القضاة المسلمين، فالنفي والقتل والإبعاد وسياسة التجهيل أنتجت في نهاية القرن التاسع عشر قضاة مسلمين على مقاييس فرنسية.

وبمجئ الجمهورية الفرنسية الثالثة سلكت السياسة الفرنسية أسلوبا غير الإدماج، وإنما هو القضاء نهائيا على الإسلام ومؤسساته، لذلك صرح الحاكم العام دوقيدون:"إن العدالة جزء لايتجزأ من السيادة الوطنية، فعلى القاضي المسلم أن ينحني أمام القاضي الفرنسي، نحن المحتلون فلنعرف كيف نثبت إرادتنا"[2]. وقد كانت رغبة الحاكم العام دوقيدون ومن ورائه المستوطنون إلغاء القضاء الإسلامي نهائيا، وحسب آجرون[3] إن هذا المشروع قدمه الحاكم العام ليطبق على كل الجزائر، وبشكل تدريجي انطلاقا من بلاد القبائل.

أنشئ قضاء الصلح منذ 29 اوت 1874، ولم يعد قضاة الأهالي ولا الجماعة هم الذين يحكمون في بلاد القبائل، بل أصبح قاضي الصلح الفرنسي هو الذي يحكم،[4] في مرحلة أولى جعل لقاضي الصلح مساعدين مسلمين وعلى الرغم من أن الفرنسيين كانوا لايثقون بالمسلمين ويتهمونهم بالبلادة والغباوة وعدم الكفاءة، واستمرت السلطات الفرنسية في إنقاص صلاحيات القاضي المسلم، وكان من نتائج صدور قانون وربي الخاص بالعقارات في سنة 1873 أن انتزع من القاضي المسلم صلاحية النظر في النزاعات العقارية، وألغى حق الشفعة، وطبق القانون الفرنسي الخاص بالملكية والتعاقد على الاحتفاظ بها وانتقالها، وأصبحت كلها من صلاحية المحاكم الفرنسية،[5] ومن جهة أخرى خفض عدد القضاة المسلمين وهذا للضغط على الجزائريين لكي يلجأوا إلى قضاة الصلح الفرنسيين.

طمأن الحاكم العام تيرمان (Tirman) أعضاء المجلس الأعلى بأنه عازم على إلغاء القضاء الإسلامي نهائيا وتعويضه بالقضاء الفرنسي، ويرى آجرون أنه لم يستطع ذلك لصعوبة توظيف القضاة الفرنسيين، بالإضافة إلى ارتفاع تكاليف العدالة الفرنسية مما جعل المهمة عسيرة التحقيق، ففي 17

---

(1) ***Les Algériens musulmans et la France***, T.1, p. 202

(2) آجرون، مرجع سابق، ص.105.

(3) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France***, T.1, p. 209

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، مرجع سابق، ص.465.

(5)Ch.R.Ageron**, *Les Algériens musulmans et la France***, T.1, p.210

أفريل 1889 صدر قرار يجعل من قاضي الصلح هو الحاكم في القضايا العامة بين المسلمين، وأخيرا قرار 25ماي 1892 الذي نظم القضاء الإسلامي تنظيما أخيرا، بعد أن نزع عنه كل سلطة وأصبح نظر القاضي المسلم لايشمل إلا عقود الزواج والمواريث وميراث المنقولات وتنفيذ أوامر قضاة الصلح.[1]

المطلب الثاني: سياسة فرنسا التعليمية

يمثل التعليم أحد مجالات الصراع بين المستعمِر والمستعمَر، فهو لدى المستعمِر وسيلة للسيطرة ولفرض أيديولوجيته، وشعاراتها الترقي والتمدن والحضارة. بينما يراه المستعمَر وسيلة للمقاومة وللمحافظة على الهوية، لذا نرى من الضروري معرفة كيف تعامل الفرنسيون مع التعليم في الجزائر، وكيف قاوم الجزائريون السياسة الاستعمارية وكيف استعملوا التعليم ليس وسيلة للمقاومة فقط بل للنهوض أيضا.

يؤكد الباحثون أن العشرين سنة الأولى من الاحتلال كانت فترة إهمال تام للتعليم، وذلك باستنزاف موارده فقد كتب توكفيل (Alexis de Tocqueville)، في محاضر معاينة للتعليم قائلا: "لقد بسطنا أيدينا على تلك الموارد (موارد المؤسسات الخيرية) الهادفة إلى التكفل بحاجات الناس في مجال الصدقات والتعليم العمومي، وتركنا المدارس تتهاوى، فانطفأت الأنوار من حولنا... ومعنى ذلك أننا تركنا مجتمع المسلمين في حالة من الجهل والوحشية أكثر من التي كان عليها قبل أن يتعرف علينا"[2]. وإن اعترف دي توكفيل وغيره بجرائمهم، فإن لويس رين (Louis Rinn) [3] يرجع اللائمة على الأهالي يقول: "إن الفرنسيين كانوا يجهلون تماما وضعية الأهالي فبدل أن يتعاون معلمو المدن مع الفرنسيين فروا إلى الجبال بعد أن أصبحوا لايتلقون مايكفي احتياجاتهم الضرورية، فهاجروا حتى لايخضعوا لسيطرة الفرنسيين، وأصبحوا يحرضون ضد الاستعمار". وسواء أكانت سياسة الإهمال عن علم أم عن جهل، فالتقارير الفرنسية تؤكد لنا أنه لم تكن هناك سياسة فرنسية جادة لتعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية، بل هناك عملية هدم شملت التعليم الديني الذي كان سائدا قبل الاحتلال. إن سياسة الإهمال هذه أدت إلى تردي أوضاع التعليم، وقد وصف آجرون نتائجها بأنها أصبحت لاتسمح بتكوين القضاة ولمفتيين، ولاحتى المدرسين والمؤدبين. ثم يقول:

---

(1) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص.420.

(2) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France***, T.1, op.cit,p. 318.

(3) ***Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie***, Fontana, 1882, p.11.

ومهما بلغ مستوى التعليم إبان الاحتلال فإنه ينبغي الاعتراف بأن تراجعه كان مهولا في سنوات (1846-1848)، وقد فات جيل كامل فرصة التعليم القرآني وكان بعضهم يتعجب مثل توكفيل كيف تراجع عدد الطلبة في قسنطينة من 600 إلى 60 طالبا وعدد المساجد من 86 إلى 30.[1] ولعله وبعد عشرين سنة من الاحتلال انتبه الفرنسيون إلى خطأ سياستهم في إهمال التعليم وعدم توجيهه لمصلحة الاستعمار. وهذه السياسة كما تقول إيفون توران: "لم تكن الوسيلة القوية لبسط نفوذ الحكم معروفة إلا منذ مدة قصيرة"،[2] وهذا من خلال تقرير الدوق دومال والمستندة إلى تحاليل أعدت في قسنطينة من قبل الجنرال بيدو وهي كما تقول في غاية الوضوح "إن المنطق السياسي والمنطق الأخلاقي متفقان هنا من أجل دفعنا قدما في هذا الاتجاه فالمنطق الأخلاقي لأن كل حكومة صالحة تدين للكفاءات العقلية بالفضل في الاطلاع على نور العلم؛ والمنطق السياسي لأن إدارة التعليم العام في كل بلاد العالم هي وسيلة قوية لبسط نفوذ الحكم، هذا السبب الثاني يتحكم في الأول، لذا وددت لو تكفلت السلطة العسكرية منذ البداية بهذا الفرع المهم من إدارتنا"[3].

يرى بعض الباحثين[4]أن تأخر الفرنسيين في فهم ارتباط التعليم بالدين إلى حوالي سنة 1847، جعل السياسة الفرنسية لاتهتم بالتعليم إلا في سنة 1850 في مشروع جديد وهو إنشاء التعليم المزدوج "العربي-الفرنسي"، وهي السياسة التي اتبعها نابليون ابتداء من 1850، ليس في مجال التعليم فحسب بل في كل المجالات والتي تقوم على المزاوجة في القوانين.[5]ففي ميدان التعليم أسس اللبنات الأولى للتعليم الابتدائي الأهلي، حيث فتحت ثلاث عشرة مدرسة عربية –فرنسية في سنة 1865، كما أُسست المدارس الشرعية الثلاث في قسنطينة والجزائر وتلمسان في سنة 1850. وكان معظم المدارس الابتدائية تسير من طرف مدرسين ينتمون إلى جمعيات رهبانية ومن هنا رفض الجزائريون

---

(1) ***Les Algériens***…, op.cit. t1, p.381.

(2) إيفون توران، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، (1830-1880)**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص.21.

(3) المرجع نفسه، ص.21

(4) الطاهر عمري، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع**، (1900 – 1940)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004، ص-ص. 64-65.

(5) محمد المالكي، مرجع سابق، ص.173.

تسليم أبنائهم لأولئك المعلمين، ومنذ سنة 1869 أصبحت المدارس العربية –الفرنسية شبه مهجورة ولم تتوصل المدرسة المختلطة لاستقبال التلاميذ المسلمين.[1]أما التعليم القرآني فقد كان في تراجع في الأرياف بسبب هدم الزوايا ومصادرة الأوقاف. إن عداوة الجزائريين في نظر الاستعمار كانت تتناسب طردا مع مستوى تعليمهم وهذا ماأدى إلى المحافظة على التعليم العربي الإسلامي واستحالة تحطيمه.[2]

يعد الثلث الأخير من القرن التاسع عشر منعرجا خطيرا في مسار التعليم نظرا للسياسة الفرنسية الجديدة، فقد أتت الجمهورية الفرنسية الثالثة على ماتبقى من تعليم الجزائريين، فبسيطرة المستوطنين على الحكم أصبحت مسألة تعليم أبناء الجزائر غير ذات أهمية، حيث أصدر الحاكم العام (De Gueydon) قرارا في 23 أكتوبر 1871 أدى إلى خنق تجربة المعاهد العربية الإسلامية من دون ضجيج. ولعل من أهم القرارات التي أثارت حفيظة الجزائريين قرار 16 فيفري 1876. والذي ينص على تطوير التعليم الفرنسي وإنشاء دروس للقانون الفرنسي وتخريج أساتذة فرنسيي اللغة ليحلوا محل الأساتذة المسلمين.[3] فقد حلت اللغة والآداب الفرنسية محل اللغة العربية أما مقرر التعليم الديني فهو في نظر الفرنسيين خطر لذلك يضعه المدير، كما أوكل تدريسه للمديرين أيضا، وكانت انشغالاتهم الكثيرة لاتسمح لهم بتدريسه بشكل جيد مثل المختصين. ليس هذا فحسب بل عين مفتشا خاصا بمدارس المسلمين للمراقبة في المؤسسات، بينما احتفظت السلطة العسكرية بمهمة المراقبة السياسية والإدارية على كل مدرسة من طرف ضباط الشؤون الأهلية وقد علق آجرون على هذا النظام بأنه بوليسي أكثر منه تربوي[4].

إن هزيمة فرنسا أمام بروسيا في سنة 1870 وتغير نظام الحكم، جعلها تعيد النظر في سياستها التعليمية واستشراف السبل التي من شأنها أن تعطي لفرنسا مكانتها بِعَدّها دولة كبرى. فإصلاح منهاج التعليم هو المدخل لتحقيق الأهداف، فسُنّت عدة قوانين تنص على إلزامية التعليم لكل طفل

---

(1) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens***…, op.cit. t1, P.321.

(2) الطاهر عمري، مرجع سابق، ص.67.

(3) Louis Rinn, ***Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie,*** op.cit, P.11.

(4) Ibid, P.329.

فرنسي فيما بين السادسة والثالثة عشر،[1] وكان المستوطنون في الجزائر يرفضون تعليم الجزائريين، بينما السلطات الفرنسية بإشراف وزير التعليم أصدرت مرسوما في 13 فيفري 1883 ينظم التعليم الفرنسي الإجباري في الجزائر، وبهذا صار التعليم في الجزائر سلاحا ضد اللغة العربية والدين الإسلامي، واستكمالا للتجذر الفكري.[2] أما برامج التعليم فلم تكن تكوّن التلميذ بالفعل وإنما كانت المناهج التعليمية توصي المعلمين بالتركيز في دروسهم على تلقين التلميذ بوجوب الاقتداء بآبائهم في الاشتغال بالزراعة فقط، من دون الاهتمام بالنشاطات الأخرى أو الوظائف العمومية، وكانت النتيجة هي تدهور مستوى التعليم في الجزائر.[3] وزاد من تدهوره محاربة التعليم القرآني والزوايا، فمنذ ثورة 1871 أصيب التعليم القرآني بنكبة وذلك بالقضاء على الزوايا والمدارس في بلاد زواوة وتغلغل الآباء البيض فيها. كما أن التوسع الفرنسي في الصحراء واحتلال ميزاب في سنة 1882، فرض رقابة على التعليم القرآني،[4] أما إصلاحات 1892 فقد حددت شروط فتح المدارس القرآنية واشترط مرسوم 18 أكتوبر 1892 على المعلمين أن لايدرسوا غير القرآن الكريم وتبقى هذه المدارس تحت رقابة السلطات الفرنسية حسب قانون 30 أكتوبر 1886.[5]

لقد كان التعليم وسيلة سيطرة واستعمار، استعمله الفرنسيون بشتى الوجوه: الإهمال والإدماج والفرنسة والتبشير، ومحاربة المدارس القرآنية. وبالرغم من تدني المستوى العلمي والثقافي للجزائريين فإنهم واجهوا السياسة الفرنسية بالمقاطعة والتي أزعجت الفرنسيين كثيرا. كما واجهوها بالمطالبة بالإصلاح بما يتناسب وشخصيتهم العربية الإسلامية.

المبحث الثاني: أفق الإصلاح الإسلامي الحديث

يمثل الثلث الأخير من القرن التاسع عشر مرحلة مهمة في تاريخ الإصلاح بالعالم الإسلامي، فقد أصبحت النخب الفكرية في الجزائر تنظر إلى الإصلاح بِعدّه وسيلة جديدة للتخلص من الاستعمار بعد فشل الثورات المسلحة، وقبل ظهور الحركات الوطنية، حيث بدأوا يبحثون عن الحلول

---

(1) جمال قنان، **التعليم الأهلي**...، مرجع سابق، ص. 73.

(2) الطاهر عمري، مرجع سابق، ص. 72.

(3) جمال قنان، **التعليم الأهلي**...، مرجع سابق، ص. 99.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، مرجع سابق، ص. 49.

(5) المرجع نفسه، ص.53.

داخل المنظومة الاستعمارية كمشاريع مرحلية لإنقاذ ما تبقى من المؤسسات المحافظة على الهوية العربية الإسلامية، لذا سنتناول محورين انصب عليهما اهتمام المصلحين الجزائريين في نهاية القرن التاسع عشر، وهما الأكثر ارتباطا بالشخصية العربية الإسلامية، وتندرج تحتهما مختلف المجالات الخادمة للهوية.

المطلب الأول: المطالبة بإصلاح القضاء

يرتبط القضاء بالسياسة، ولا شك أن التاريخ السياسي للمجتمعات الإسلامية عرف أمثلة متناقضة لعلاقة سلك القضاء مع ممثلي السلطات وقد اقترن خضوع القضاء للملك العضوض بفساد القضاء والسلطات فضلا عن عموم الطغيان في المجتمعات التي عرفت تحالفهما.[1] فالقضاء من المؤسسات الخطيرة لأنها تمثل الدين والسيادة. والقاضي في التاريخ الإسلامي يأتي مباشرة بعد الخليفة وقد يعلوه أحيانا. وحتى لا تثير السلطات الفرنسية الجزائريين، اتبعت سبيل التدرج لإخضاع هذه المؤسسة، وقد أدرك الجزائريون خطورة السياسة الفرنسية، فخلال الفترة الأولى من الاحتلال اتبعوا سياسة مقاطعة القضاء والتعليم وغيرها من المجالات. فلا يتقاضون في المحاكم الفرنسية، وقد أفتى بعض العلماء بأن من قبل وظيفة القضاء لدى الفرنسيين فهو كافر، ومن هؤلاء الشيخ علي بن الحفاف الجزائري الذي تولى الكتابة الخاصة عند الأمير عبد القادر، ورد عليه الشيخ محمد بن الشاهد الصغير. ولكن تغيرت الأحوال عندما وضعت حرب الأمير أوزارها فأذن له الأمير لقبول وظيفة القضاء.[2] ويرى آلان كرستلو أن الأمير هو الذي توسط للطيب بن المختار لدى السلطات الفرنسية. وكان ابن الحفاف قد أفتى قبل ذلك بوجوب الهجرة من الجزائر العاصمة بعد أن سقطت بيد الاحتلال، فخالفه شيخه محمد بن الشاهد في ذلك.[3]

وقد اختلفت مواقف المفتيين والقضاة من الاستعمار في فترة الدراسة فمنهم من هاجر، ومنهم من رضى بالعمل لدى الإدارة الفرنسية وأغلبهم من خريجي مدارسها لكن بغرض الإصلاح وبخاصة مع تطور القوانين الفرنسية المجحفة في حق القضاء الإسلامي. ففي عهد الجمهورية الفرنسية الثانية

---

[1] زهير الذوادي، **تناقضات المشروع الإصلاحي لدى بيرم الخامس**، الأطلسية للنشر، تونس،1998، ص.43.

[2] المهدي البوعبدلي، **الأعمال الكاملة، قسم التراجم**، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص.75.

[3] المرجع نفسه، ص. 74.

فُصل بين العدالة الفرنسية والقضاء الإسلامي، حيث وُضعت الأولى تحت سلطة حافظ الأختام بينما الثانية فهي من صلاحيات وزير الحرب، يقول آجرون: "أما مايسمى بالعدالة الإسلامية لم يكن في الواقع سوى إدارة جزائرية مكلفة بالحكم بين المتخاصمين المسلمين وقد ابتعدت كثيرا عن العدالة التقليدية السارية في أرض الإسلام".[1]

وفي عهد راندون (Randon) أنشئت عدالة خاصة بالمسلمين بقرار أكتوبر 1854، حيث أسست دوائر قضائية لها صلاحية قضاء الاستئناف كما أنشئ المجلس الشرعي الذي يتكون من مفتين وقضاة للنظر في قضايا المسلمين. وقد أزال قرار 3 ديسمبر 1859 هذا التنظيم، حيث نص على صلاحية المحاكم الفرنسية وحدها للاستئناف.[2]ويرى الباحثون أن هذه القوانين كانت من أسباب دعم القضاة للثورات المسلحة.

فقد كان من قيادات ثورة بوخنتاش بالحضنة في 1860 عدد من القضاة، حيث أرسل قاضي قبيلة أولاد نجاع ولداه ليشاركا في الثورة، كما أن القاضي سي الشريف الذي يعتبره الفرنسيون من الرجال الخطرين في الحضنة وكان علمه وسنه وملامحه توحي بالثقة فيه، وقد شجع انضمامه للثورة الجماهير التي انطلقت أفواجا منضمة إلى بوخنتاش.[3] ويرى كرستلو أن قرار 3 سبتمبر 1859 كان من أسباب ثورة 1864، ومن نتائجها أيضا عزل اثني عشر قاضيا وثمانية باش عدول وتسعة عدول.[4]ومن القضاة الذين تمردوا على الفرنسيين الحاج بشير بن خليل أحد قضاة معسكر وأخوه عمار بن خليل، ومن المتمردين أيضا بعد ثورة 1864 عدد من القضاة في عمي موسى وغليزان. وقد استمر دعم القضاة للثورات إلى نهاية القرن التاسع عشر، ففي انتفاضة بوعمامة كان مالا يقل عن تسعة قضاة في قيادة الأركان. وغيرهم في باقي المجموعات المقاتلة.[5]

يرجع أبو القاسم سعد الله أسباب ثورة القضاة إلى الدفاع عن الشريعة الإسلامية، حيث كان ينظر إلى القضاء على أنه يمثل الذاتية والهوية الوطنية، لذلك استعملت السلطات الفرنسية الجيل

---

(1) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans*** , T1,op.cit, p.202...

(2) Ibid, T.1, p.103

(3) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**....، ج.1، ق.2، مرجع سابق، ص.195.

(4) آلان كرستلو، "المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر"، **الثقافة**، الجزائر، ع.61، يناير فبراير، 1981، ص.45.

(5) مصطفى الأشرف، **أعلام ومعالم**، مرجع سابق، ص.82.

الجديد وهم خريجو مدارسها ضد الجيل القديم وهم خريجو الزوايا،[1] بينما يرى مصطفى الأشرف أن القضاة كانوا من ذوي المستوى المتوسط والعالي ويشكلون بنية صلبة مسلحة للمجتمع باعتبارهم أطر معنوية مثقفة من جهة. ومن جهة أخرى يمثلون الثقافة العربية الإسلامية،[2] كذلك كثير منهم كانت لهم ارتباطات عائلية ومصاهرات مع المهاجرين الجزائريين في المشرق، مثل عبد القادر المجاوي والطيب ابن المختار وعائلة أبي طالب...، كما أن القضاة يعرفون اللغة الفرنسية ومتجذرين في المجتمع فليس من السهل تجاوزهم أو احتواؤهم، مثل ما فعلت الإدارة مع بعض رجال الدين والمرابطين. وحسب مصطفى الأشرف أن الإدارة الفرنسية كانت تختار القضاة والباش عدول والعدول بمقاييس معرفية وكفاءات فقهية، وهذا خلافا للقياد والأغوات الأميين والقادمين من المخزن التركي السابق أو المرتزقة.[3]لكن هذا لا يعني عدم الموالاة للفرنسيين، فمنهم من تجنس ودافع عن التجنيس أمثال علي ابن إسماعيل والهاشمي بن لونيس في عقد الثمانينات.[4]كما أن بعض العائلات الجزائرية العريقة التي رضيت بالعمل لدى الفرنسيين من دون أي اعتراض مثل عائلة الشريف الزهار.[5]

بينما نجد من العائلات العريقة من رضي بالعمل لدى السلطات الفرنسية مع المطالبة بالإصلاح أو الدفاع عن الدين. ويبدو أن هذا الأسلوب اتبعه الجزائريون ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، وتجلى أكثر في نهايته، بعد أن فشلت الثورات وتغيرت السياسة الفرنسية، ولعل من أوائل من اتبع هذا الأسلوب المكي بن باديس وابنه احميده وحسن بن بريهمات ومحمد بن رحال... وغيرهم. فالمكي ابن باديس عينته السلطات الفرنسية قاضيا في سنة 1856، ويرى آلان كرستلو أنه من أشهر دعاة الإصلاح والتجديد في المحاكم في التاريخ الحديث، وخصوصا بالقياس إلى شخصيتين بارزتين: أولهما الإمام محمد عبده الذي أصلح محاكم الشريعة في مصر في نهاية القرن التاسع عشر، وثانيهما عبد الكريم الخطابي الذي اشتغل قاضيا في تيطوان، وتعلم اللغة الإسبانية وقواعد الإدارة

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص. 470.

(2) مصطفى الأشرف، **أعلام ومعالم**، المرجع السابق، ص.82.

(3) المرجع نفسه، ص.83.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، مرجع سابق، ص.471

(5) المرجع نفسه، ص-ص. 483-538.

الحديثة قبل اندلاع ثورة الريف.[1] وكان ابن باديس مستعدا لتقبل التأثير الفرنسي في الميادين الزراعية والمادية. ولم يكن أيضا تقليديا بل كان يقبل التغيير في حدود معينة. وكان المكي بن باديس غير مرتاح للمدارس الشرعية الثلاث ويفضل تعليم الزوايا وخريجيها.[2]

مثل المكي ابن باديس لجزائريين في لجنة قاسطا مبيد ،(Commission Gastambide) في (1859)، التي أنشئت بعد شكوى الجزائريين من مرسوم 1859، فقد طالب بتأسيس المجالس المستقلة واحترام القضاء الإسلامي، وكان الفرنسيون يرون عدم التراجع عن المرسوم وإلغاء دور المجالس. بينما يرى الجزائريون أن المجالس الشرعية هي القاعدة في الشريعة الإسلامية، وهي الوسيلة لحفظها وكانت الكلمة الأخيرة للفرنسيين، حيث صدر مرسوم 1866/12/13 الذي ألغى سيادة المجالس، وأسس مجلس استشاري شكلي مجرد من السلطة الفعلية، وقد أظهر ذلك تطور مطالب المكي بن باديس، كما أظهر عدم جدية الإدارة الاستعمارية في الإصلاح،[3] وقد عبر أبو القاسم سعد الله عن لجنة قاستنبد بأنها نوع من التهدئة. وتحويل الرأي العام الإسلامي،[4] نظرا للظروف التي كانت تمر بها آنذاك فرنسا وتورطها في حرب المكسيك، وبروز ألمانيا قوة كبرى في أوربا. وخوفهم من انفجار الوضع في الجزائر.

يرى كرستلو الذي اطلع على تقرير اللجنة أن ابن باديس كان يهتم بالاستقلال الثقافي والاجتماعي أكثر من الحقوق السياسية والاجتماعية. فقد اقترح أحد الفرنسيين إنشاء مجلة الشريعة الإسلامية ورفض ابن باديس ذلك المشروع رفضا باتا. وتكلم عن درجات ثلاثة من الخلل وهي التي تتصل بالممتلكات وبالجسم وبالدين وقال إن أشدها هو الإخلال بالدين.[5]

لقد أدرك المكي ابن باديس طبيعة التغيرات التي طرأت على السياسة الفرنسية في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة، فواصل جهوده في الدفاع عن الشريعة الإسلامية وقد استعمل الدعاية

---

[1] آلان كرستلو، "المكي بن باديس..."، مقال سابق، ص.44.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص.462.

[3] فارس كعوان، "القاضي المكي بن باديس القسنطيني (1820-1980) وموقفه من قضايا عصره، **كان التاريخية**، السنة.6، ع.20، يونيو 2013، ص.50.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**..، ق.1، ج2، ، ص-ص.368-369.

[5] آلان كرستلو، "المكي بن باديس..."، مقال سابق، ص.56.

الإعلامية والنشر للتعبير عن آرائه واستعمل الصحافة في ذلك، ويُعد من أوائل السياسيين الذين استعملوا هذه الوسيلة مستفيدا من الأوربيين كما نشر عدة كتيبات أولها كتب نشر في سنة1875."تقرير الاحكام الشرعية التي تناسب لصوص البوادي في الأوطان الجزائرية".

"Exposé des Lois Répressives pouvant s'appliquer aux voleurs de la compagne en Algérie"

يتكون هذا الكتيب من 16 صفحة، بين فيه أهمية تطبيق الشريعة حيث يقول:"فقطاع الطرق حينا طبقت عليهم العقوبات كما هي في الشريعة الإسلامية كانوا مرعوبين" ولكن احكام القانون الفرنسي تكون بالسجن وعندما يخرج من السجن يعود الى الجريمة"[1]، فهذه القوانين كما يقول لا تتناسب مع الأمة الجزائرية وانما تناسب الفرنسيين، ثم بين أيضا أضرار تطبيق هذا القانون بأن الأحباس امتلأت وكثرت المصاريف، كما أن أحكام الشريعة الإسلامية جزء من دين المسلمين وتطبيقه فيه احترام للشريعة، وبين الأدلة الشرعية وأحكام السرقة وقطع الطريق. ويتلخص رأي ابن باديس حسب بعض الباحثين في المواءمة بين الشريعة الإسلامية والقانون الجبائي الفرنسي بالنسبة للأهالي.[2]

كما كتيب ابن باديس *(Renseignements pour le gouvernement glorieux sur divers intérêts de la population musulman en Algérie)*، نشر بقسنطينة في سنة 1889.

يرى بعض الباحثين أن بواكير الحركة الوطنية، والمطالبة بالإصلاح السياسي كانت في ثمانينات القرن التاسع عشر، وقد تزامن ذلك مع تغيرات في السياسة الدولية أيضا منها احتلال تونس ومصر، وبداية تطبيق تعليمات مؤتمر برلين الأول والثاني، والثورة المهدية بالسودان وثورة بوعمامة بالجزائر والتوسع الفرنسي في افريقيا، وأيضا إصدار قانون الأهالي في شكله النهائي (1881)، وسياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة الظالمة التي كانت تطبق على الجزائريين. كل هذه العوامل وغيرها ساهمت في تطوير وسائل الجزائريين للمطالبة بحقوقهم وإصلاح أحوالهم. وكان من بين دعاتها في الشرق المكي ابن باديس وفي الغرب الجزائري محمد ابن رحال، وكان تركيزهم على إصلاح القضاء والتعليم، ففي اكتوبر1881 طالب المكي ابن باديس أمام المجلس العام بحق تمثيل الجزائريين في مجلس النواب بباريس،

---

[1] المكي بن باديس، **تقرير الأحكام الشرعية التي تناسب لصوص البوادي في الأوطان الجزائرية**، (L /K8/1068. BNF) ، المكتبة الوطنية الفرنسية ، نسخة مخطوطة، الورقة 3.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، مرجع سابق، ص.464.

ومن الملاحظة أن المكي ابن باديس لم يركز على مشكلة واحدة بل وضع برنامجا سياسيا على النحو التالي:

الدفاع عن استقلال الجزائريين في أمور الشريعة والتعليم(1865-1870)

الاعتراض على المجلة الأهلية والعقوبات الجماعية(1871-1881)

ضرورة توسيع حقوق الجزائريين السياسية خصوصا بالنسبة للنيابة البرلمانية بعد 1880.[1]

كان عقد الثمانينات بداية مطالبة الجزائريين بالإصلاح، وكان إصلاح القضاء هو الدافع الأول، فمرسوم 10سبتمبر1886 أثار حفيظة الجزائريين، فأرسل سكان قسنطينة عريضة بتوقيع ألف وسبعمائة شخص، بتاريخ 10جويلية1887 ومن الموقعين أعضاء المجالس المنتخبة والموظفين والمدرسين والتجار والمزارعين، وهم يتكلمون باسم كل الجزائريين، أشارت الوثيقة إلى مرسوم 10سبتمبر1886 أنه كان يهدف الى إدماج الجزائريين.[2] وعلى الرغم من أن الذي أثار الجزائريين هو إنقاص صلاحيات القاضي المسلم حيث أصبح لا يحكم إلا في الأحوال الشخصية، فإن الوثيقة تبين لنا اعتراضهم على التجنيس، وهو مسألة وثيقة الصلة بالقضاء وبالشخصية الإسلامية. فقد عبروا عن رفضهم لذلك القانون الذي يزيد من الواجبات في حين أن السلطات الفرنسية هي مفرطة في تضييع الحقوق مثل التعليم والتوظيف وغيرها.

لقد أشارت هذه العريضة إلى عدة قضايا مهمة منها قانون 1886، وتعليم الجزائر، وقضية التجنيس، والمطالبة بنواب جزائريين منتخبين من طرف أبناء ملتهم. لأن الممثلين آنذاك ينتخبون من طرف الفرنسيين، بالإضافة الى المطالبة بالعدل والإنصاف في الضرائب والرسوم المختلفة، ومسألة تكوين الملكية وغيرها. وكان تأكيدهم على إعادة النظر في مرسوم 10سبتمبر1886 نظرا للأضرار الناجمة عنه، فهو يتضمن إبطال تطبيق الشريعة الإسلامية، وتجريد المسلمين من صلاحياتهم، بالإضافة إلى تكاليف وعراقيل المحاكم الفرنسية. وطالبوا بأن يكون للمتقاضين حق اختيار القاضي المسلم أو الفرنسي. والمطالب نفسها نجدها أيضا في عريضة سكان تلمسان في7 أفريل1891.[3] ومن هنا نلاحظ أن هذه الشكوى تتضمن مختلف انشغالات الجزائريين وأصبحت العرائض الصادرة من

---

[1] آلان كرستلو، "المكي بن باديس..."، مقال سابق، ص.ص.48-49.

[2] جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر** (1830-1914)، مصدر سابق، ص.197

[3] المصدر نفسه، ص.210.

المقاطعات الثلاث لا تكتفي بالمطالبة بتطبيق الشـــريعة بل بإصـــلاح التعليم وإلغاء قانون الأهالي ومراجعة قانون الغابات ورفض التجنيس وقانون الحالة المدنية...[1].

المطلب الثاني: المطالبة بإصلاح التعليم

لقد احتلت المسـألة التعليمية الصـدارة في الإصـلاح في العالم الإسـلامي عموما وفي الجزائر بصفة خاصة. وسنرى كيف جعل الجزائريون التعليم وسيلة دفاع عن الهوية ووسيلة إصلاح. وستنطلق من كون الدعوة الى النهوض باللغة العربية وإصلاح النظم التعليمية ليست مقتصرة على التيار المسمى بالسلفي، بل هو أيضا خاص بالتيارات التي اعتمدت النموذج الأوربي، ودعاة الجامعة الإسلامية. وإن كنا في هذا المطلب سـنقتصـر على طلائع الإصـلاح الحديث في الجزائر والذي تطور فيما بعد بتأثير تونس والتيارات المشرقية أو الجامعة الإسلامية.

إن اشـــتهر الشـــيخ محمد عبده بمنهجه الإصـــلاحي عن طريق التربية والتعليم في نهاية القرن التاسع عشر، فإننا في الواقع نجد أن الاهتمام بالتعليم ومناهجه هي سمة القرن التاسع عشر. فقد اهتم الألمان بالتعليم، وكان من أسباب نهضتهم وانتصاراتهم على فرنسا، وقد أدرك الفرنسيون ذلك فأعادوا النظر في مناهجهم التعليمية، وجعلوا التعليم إجباريا على كل طفل فرنسي.

وقد ســبق أن أشـــرنا إلى اهتمام العثمانيين ومحمد علي والي مصـــر ورفاعة رافع الطهطاوي بإصـلاح التعليم، كما أن محمد بن علي السـنوسـي كان له مشـروعا لإصـلاح التعليم، فقد احتلت حركته مكانة مرموقة بين مصـلحي القرن التاسـع عشـر، حيث إنه كان ينادي بالإصـلاح والتجديد والاجتهاد، وكان يهدف الى إصـــلاح العقيدة الإســـلامية عن طريق التعليم لذلك أنشـــأ مجموعة من الزوايا كانت لها أدوار تعليمية واجتماعية وعســـكرية. وقد كان محمد بن علي الســـنوســـي رجل علم وفكر فإنتاجه الغزير يشـــهد على ذلك، فقد ركز جهده الفكري على الدعوة الى الاجتهاد، [2] وقد ترك تآليف عدة تدل على رسـوخه في العلم وطول باعه فيه، فمن تصـانيفه: "الدرر السـنية في أخبار السـلاسـل الإدريسـية"، و"بغية المقاصـد"، و"المنهل الرويّ الرائق في أسـانيد العلوم وأصـول الطرائق"، و"بغية السـول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسـول" (مخطوط). و"البدور السـافرة في عوالي الأسـانيد

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص-ص، 476-477

[2] المرجع نفسه، ص.202

الفاخرة" (مخطوط). وكتاب "إيقاظ الوسنان بالعمل بالحديث والقرآن"، وموضوعه الرئيس هو الاجتهاد.

أما في تونس فقد كانت هناك عدة مشاريع إصلاحية خلال القرن التاسع عشر منها مشروع إصلاح التعليم في سنة 1842 في عهد أحمد باي (1837-1855) متأثرا في ذلك بالدولة العثمانية،[1] وقد استعان بمحمود قبادو وخير الدين اللذين كان لهما شأن في الإصلاح التونسي، فقد أدرك محمود قبادو أن سر نهضة أوروبا هي العلوم. فكان يدعو المسلمين إلى العلوم الحكيمة والرياضية، ويرى أن لا سبيل لنهضة المسلمين إلا إذا اقتبسوا هذه العلوم من الأوربيين عن طريق النقل والتعليم.[2] أما خير الدين باشا فقد اهتم في مشروعه الإصلاحي فيما بين (1870-1878) بالتعليم، وكتب عن أسباب تأخر المسلمين مقارنة بأوربا، وأشهر مشاريعه هو إنشاء المدرسة الصادقية. حيث وسع التعليم الديني فيها ليشمل الرياضيات والطبيعيات والاجتماعيات. وقسم التعليم وصنفه على شكل عصري، كما أصلح التعليم الزيتوني في سنة 1876،[3] ولكن هذا المشروع لم يكتمل بسبب كارثة الاحتلال في سنة 1881.

لاريب أن الجزائريين على الرغم من ضغط الاستعمار لم يكونوا بعيدين عن هذه التطورات الفكرية، وبخاصة أن عددا من القضاة والمعلمين هم خريجو الزيتونة أوالقرويين أوالازهر، فقد كانت الجزائر آنذاك في حاجة إلى هؤلاء، وبعضهم عاد إلى الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر، حاملين معهم النهضة الإسلامية الحديثة. ومن طلائعهم الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني.[4]

---

[1] زهير الذوادي، مرجع سابق، ص.14

[2] محمد الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبية الفكرية في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين**، بيت الحكمة، تونس، 2009، ص.ص.35-36.

[3] المرجع نفسه، ص.57.

[4] **عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي** (1848-1913): مصلح سلفي، خطيب من كبار العلماء. ولد بتلمسان وتعلم بها وبطنجة وتطاوين، وأكمل دراسته بجامعة القرويين بفاس. عاد إلى الجزائر عين مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة، ثم بالمدرسة الكتانية. ونقل إلى مدينة الجزائر في 1898 وولي التدريس بالقسم العالي بالمدرسة الثعالبية. تخرج على يديه كثير من القضاة والمترجمين والأئمة والوعاظ "ولانجد أحدا

إن الدفاع عن اللغة العربية وإصلاح المنظومة التعليمية في العالم الإسلامي وفي الجزائر، لم يكن رد فعل على الاستعمار وحسب، بل كان في صلب الدعوة الى الإصلاح ورافدا لها، لذلك نجد أن المسألة التعليمية أخذت مكان الصدارة في الحركات الإصلاحية وبرنامج الحركات الوطنية فيما بعد.[1] تمثل فترة السبعينيات بداية التحرك الإصلاحي في كل الجزائر، وعلى الرغم من سلبياتها فقد أدت إلى وعي غير منتظر، فالقمع الذي أعقب ثورة 1871، والحملة ضد القضاة جعل قسنطينة مهيأة أكثر من غيرها لظهور الحركة الإصلاحية،[2] ومن العوامل المساعدة على ذلك ظهور بعض الشخصيات العلمية بالشرق الجزائري. ولعل قرب المنطقة من تونس وتواصلهم بعلمائها وبداية نهضتها كان له تأثيرا لا يجحد. ومن الشخصيات العلمية البارزة التي ظهرت في قسنطينة في بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني. وكان أبوه مهاجرا في المغرب، ونشأ عبد القادر المجاوي وتعلم هناك ثم توجه إلى قسنطينة وهذا ما أثار تساؤلات الباحثين. ويرجع محمد علي دبوز حلوله بهذه المدينة الى سنة 1870 أو قبلها بسنة ويقول إنه لا توجد معلومات عن بداية مجيئه ولا المدرسة التي بدأ التعليم بها، وقد يكون سبب ذلك أنه لم يكن معروفا، ويقول إنه كان بقسنطينة الشيخ العباسي وكان من المصلحين الأوائل الذين قد يكون السبب في قدوم المجاوي الى المدينة.[3]

أما آلان كرستلو فيثبت ارتباطه بعلاقات مشرقية وبخاصة مع عائلة الأمير عبد القادر، وقد يكون الأمير هو الذي توسط له لدى السلطات الفرنسية لتوظيفه،[4] كما أن المجاوي كان صهرا لأحمد المجاهد بن محمد بن عبد القادر بن علي أبو طالب، والذي كان أبناؤه يشتغلون قضاة في عمالة قسنطينة واستقروا في نواحي سطيف، ويذكر الحفناوي أن أحمد المجاهد أبو طالب تنقل كثيرا واتصل كثيرا بالعلماء المصلحين في ذلك العهد،[5] ويُحتَمل كما يقول كرستلو[6] أنه اقترح على أعيان

من هؤلاء في الربع الأول من القرن العشرين إلا وهو من تلاميذه". مات بقسنطينة. المرجع: عادل نويهض، ص.286.

(1) أمحمد المالكي، المرجع السابق، ص.236.

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ق2، مرجع سابق، ص.476.

(3) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص.104.

(4) آلان كرستلو، "حول بداية النهضة في الجزائر" **الثقافة**، ع.46، أغسطس/سبتمبر، 1987، ص.58.

(5) أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر، 1906، ص.10.

(6) "حول بداية النهضة في الجزائر"، المقال السابق، ص.59.

قسنطينة استدعاء صهره للتعليم في قسنطينة، وذلك لأن التغيرات في سياسة فرنسا خلال الستينات في مجال التعليم والقضاء، جعل أهل قسنطينة يحترسون من المدارس الرسمية وعَدُّوا تأثيرها غير صالح، لذلك أرادوا تأسيس مدرسة حرة واستجلبوا المجاوي عن طريق صهره.

ومهما يكن من أمر مجيئه إلى قسنطينة، فقد التفّ الناس حوله وأيدوه في إصلاحه للمجتمع وإنهاض الأمة. وقد انتبهت السلطات الفرنسية إلى تأثيره فعينته في سنة 1873 للوظيف في أكبر جامع بقسنطينة وهو "جامع الكتاني"، وذلك حتى يكون تحت الرقابة،[1] ثم عُين في المدرسة الرسمية في سنة 1878، وهذا بعد أن أصدر كتيبا سماه "إرشاد المعلمين"، والذي طبع بالقاهرة في سنة 1872،[2] ولاريب أن نقل المجاوي من المسجد إلى المدرسة لم يكن صدفة، بل مرتبط بالكتيب الذي أصدره، وأفزع الدوائر الاستعمارية، وعلى الرغم من قلة وثائق الفترة أو تلفها إلا أن آلان كرستلو ينقل لنا رسائل كوماندنت إقليم قسنطينة، حيث يصف التأثير الكبير للكتاب، وخشية المسؤولين الفرنسيين من احتجاجات المسلمين في قسنطينة عبر الصحف.

فالمجاوي يمثل السلسلة المجيدة من العلماء الأجلاء الذين وُفِقُوا في الربط بين فترة انقرضت وفترة جديدة تبحث عن سبل التفتح والإصلاح "الشرط الذي لا بد منه لإحداث تحولات اجتماعية".[3] لذلك كان تركيزه على المتعلمين، فوجه إرشاداته إليهم في كتابه "إرشاد المتعلمين"، قدم فيه نصائح مهمة لطلبة العلم وليس للمعلمين، أجاب عن سؤال ماذا ندرس؟ وليس كيف ندرس؟،[4] فهو يبين في مقدمته دواعي الكتابة فيقول: "لقد ساءني مارأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين، حتى أن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل... وسبب ذلك عدم اعتنائهم بالعلوم التي بها تهذب أخلاقهم وإصلاح منطقهم..."

---

(1) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، ج1، مرجع سابق، ص.105.

(2) مولود عويمر، "عبد القادر المجاوي وكتابه "إرشاد المتعلمين"، أعمال ملتقى: **الشيخ عبد القادر المجاوي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص.67.

(3) هذا ماجاء في تقييم كمال شعشوع، المرجع: الجيلالي صاري، **النخبة المثقفة الجزائرية**، (1850-1950)، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2008، ص.42. نقلا عن كتاب:

" K.Chachouah, ***L'Islam Kabyle, Religion, état et société en Algérie, suivi de l'Epitre (Risala) d'Ibnou Zekr***i, Maisonneuve &Larousse, Paris, 2001 »

(4) مولود عويمر، "عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين"، مقال سابق، ص. 68.

كما لاحظ أن بعض الطلبة يدرسون العلوم الشرعية من دون غيرها،[1] فبعد أن بين أهمية العلم والتعلم، قسم العلوم التي يجب على الانسان أن يتعلمها، وكان في ذلك متأثرا بابن خلدون في "المقدمة"،[2] حيث بدأ بعلوم اللسان ثم علوم الأديان ثم علوم الأبدان، وبين أهميتها وفروعها، كما بين في الفصل الأخير أهم المصادر والمراجع التي يمكن الاستعانة بها لاستقامة اللسان والإنشاء، وفي الختام أورد مجموعة من الحِكم تدعو في معظمها إلى الجد والعمل، كما أورد شعر الشيخ إبراهيم سراج المدني المدرس بالروضة الشريفة في مدح خير الدين باشا التونسي. وهذا الكتاب لم يسرّ السلطات الفرنسية، لأن فيه إشارة إلى شيوع الجهل والدعوة إلى العلم واليقظة من جهة، وإدانة الإدارة الفرنسية من جهة أخرى.[3]وعدّه عمار هلال شكلا فريدا مهما من الإصلاح الاجتماعي.[4] ويرى مولود عويمر[5] أن محتواه "الذي تضمن أفكارا تجديدية وتوجيهات تربوية مركزة يجعل منه مصدرا لقيمة علمية خاصة".

يؤكد الباحثون على اهتمام المجاوي باللغة العربية وعلومها بالدرجة الأولى، وقد يكون ذلك ناتجا عن الوضعية التي آلت إليها اللغة العربية. ويعتقد سعد بن أبي شنب أنه لم يكن هناك تجديد في منهجه حيث يقول: "كان سريع الكتابة كثير التأليف، غير أنه ذهب مذهب سلفه وجارى طريقتهم في البحث والبيان، وتآليفه كثيرة كلها كتب مدرسية مال فيها إلى النحو والصرف فمن ثلاثة عشر كتابا وضعها ونشرها كانت كتب النحو خمسة والشروح أربعة"،[6] ويرى أنه اتبع طريقة القدماء ولايوجد في أسلوبه أي تجديد، لكن ملخص الكتاب الذي نشر في جريدة المبشر بعنوانه "كتاب نافع "Une Livre utile" يرى صاحب المقال أن المجاوي عالج مستوى الجزائريين التعليمي سواء بالنسبة لأوربا أو للعالم الإسلامي، وشرح منهجا لتعليم النحو، وكان يرى أنه يمكن أن تعلُم العلوم الحديثة

---

(1) عبد القادر المجاوي، **إرشاد المتعلمين**، تحقيق وتقديم عادل بن الحاج همال الجزائري، دار زمورة، الجزائر، 2011، ص.29.

(2) مولود عويمر، الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة، **مجلة الوعي**، ع. 4/3، أفريل/ماي، 2011، ص.149

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، مرجع سابق، ص.196.

(4) Amar Hellal, ***Le mouvement réformiste algérien, les hommes et l'histoire, 1831-1959***, O.P.U, Alger, 2002, p.107

(5) "عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين"، مقال سابق، ص.67.

(6) سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائر**، مقال سابق، ص.83.

باللغة العربية. ويبين المجاوي أن العلوم الحديثة لاتتعارض مع الدين بل تُعَززه وتُعليه.[1] فوِجْهَة نظر المجاوي أن الثقافة الجزائرية كانت تعاني أزمة عميقة، وطريق الخروج منها هو منهج تعليمي يجمع بين الدين الإسلامي واللغة العربية والعلوم الحديثة.[2] وقد ألف المجاوي في عدة مجالات منها العقيدة والاقتصاد، وكان يكتب في جريدة المبشر والمغرب وكوكب إفريقيا. فمن خلال مقالاته التي كانت كلها تدور حول إصلاح المجتمع، دعا بطريقة مباشرة المسلمين لتعلم اللغتين العربية والفرنسية، والعمل قدر المستطاع على الأخذ من الحضارة الغربية، والعمل بكل الوسائل لدراسة بقية الحضارات التي لانستطيع الاتصال بها.[3]كان منهج المجاوي الإصلاح عن طريق التعليم، في هدوء من دون إثارة الفرنسيين، وعلى الرغم من ذلك لما أحست السلطات الفرنسية بنتائج دعوته نقلته إلى الجزائر العاصمة في سنة 1898، فعُين أستاذا في مدرسة الجزائر كما عُين إماما بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة في سنة 1908، ودرس في المدرسة الثعالبية.

يؤكد الباحث مولود عويمر أن عبد القادر المجاوي وافته المنية بقسنطينة في يوم السبت 26 سبتمبر1914، ونشرت جريدة الفاروق خبر وفاته (في العدد 80 الصادر في 02 أكتوبر 1914)، لكن محمد علي دبوز يقول إنه توفي في نهاية سنة 1913 عند زيارته لمدينة قسنطينة.

لقد كان عبد القادر المجاوي من الذين وضعوا أسس الإصلاح الحديث في الجزائر، فمن خلال تعليمه ومنشوراته اهتم بالتراث الإسلامي وبالعلماء أمثال ابن خلدون والفارابي وابن تيمية... كما كان يعالج أسباب انحطاط المجتمع، فبدأ بالتعليم وشجع على تعليم المرأة.[4]كوّن المجاوي مدرسة إصلاحية في الجزائر، ومن تلاميذه حمدان لونيسي شيخ عبد الحميد بن باديس والمولود بن الموهوب وغيرهم...يقول مالك بن نبي: [5]"لقد استطاعت الدروس ذاتها خاصة من أساتذتنا العرب أن تنمي فينا هذه الروح وتغذيها وكنا نجد شيئا ماأكثر لدى الشيخ "مولود بن الموهوب" الأستاذ في المدرسة ومفتي المدينة، لقد احتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسه في نفسه دراسته على يد معلمه

---

(1) آلان كرستلو، "حول بداية النهضة في الجزائر"، المقال السابق، ص.60

(2) المقال نفسه، ص.60

(3) Amar Hellal, ***Le mouvement réformiste***..., op cit, p.107.

(4) الجيلالي صاري، **النخبة**...، مرجع سابق، ص.40.

(5) **مذكرات شاهد على القرن**، مرجع سابق، ص.64

الشـيخ "عبد القادر المجاوي" وقد تولى هو نقل هذه الغرسـة إلى تلك الأجيال من المدرسـين وكنت منهم وقد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر".

أما الجنوب الجزائري، ومنطقة ميزاب بالذات، فقد اسـتطاع أن يحافظ على ثقافته مقارنة بالشـمال، لأن الاستعمار لم يصـل إلى المنطقة إلا في سـنة 1853، بالإضـافة إلى ظهور الإصـلاح مبكرا منذ نهاية القرن الثامن عشـر، حسـب ماذهب إليه محمد علي دبوز،[1] وكانت بداية الإصـلاح مع أبي زكريا يحي بن صـالح ثم عبد العزيز الثميني، ثم محمد أطفيش[2] الذي عاش في عصـر النهضـة المشرقية وحج في وقت نشطت فيه الجامعة الإسلامية في المشرق، ولعله أحس بالحراك الفكري هناك. ومنطقة ميزاب والجنوب عامة كانت مفتوحة على النشـاط الإسـلامي عن طريق تونس وليبيا وزنجبار...،[3] كما عاصـر الشـيخ أطفيش فترة الاسـتعمار الفرنسـي، وكان شـاهدا على تحول ميزاب تدريجيا إلى جزء لايتجزأ من النظام الاستعماري، وكانت مواقفه من الاستعمار واضـحة فرفض إطلاقا التعامل معه، والإصلاح في إطاره كما فعل بعض المصلحين في الشمال. ففي البداية قاد حركة الجهاد لكن سرعان مااستطاع الفرنسيون قمعها، واعتقلوا الشيخ حتى لاتتسع رقعة الجهاد. ولم يكن لديه من العتاد مايكفي فلم تكن النتيجة شـئيا يذكر، ثم تحول الشـيخ إلى المقاومة الفكرية عن طريق التعليم، وهو الطريق الذي سار فيه كثير من علماء المسلمين.[4]

ارتكزت دعوة الشـيخ أطفيش على أسـاسـين هما رفض الاسـتعمار وإنهاض المجتمع داخليا بمحاربة البدع والخرافات،[5] وقد لاقى الاضـطهاد والنفي من طرف المعارضـين له، وعلى الرغم من ذلك لم يتوان وواصـل إصـلاحه، وبخاصـة عن طريق التعليم، حيث جعل من منزله معهدا يؤمه الطلبة

---

[1] **نهضة الجزائر**...، ج1، مرجع سابق، ص.283.

[2] **محمد بن يوسف أطفيش** (1820-1914): ينتهي نسبه إلى عمر بن حفص جد العائلة الحفصية المالكة في تونس، من كبار العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير من رجال النهضـة والإصـلاح بالجزائر له عدد كبير من المؤلفات. المرجع: عادل نويهض، ص.20.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، مرجع سابق، ص.269.

[4] مصـطفى ونتن، "التعريف بالشـيخ محمد بن يوسـف أطفيش"، **الشـيخ القطب أمحمد بن يوسـف أطفيش قطب الأئمة الموسوعي المصلح المجدد**، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، جويلية، 2010، ص.60.

[5] محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر**...، ج.1، ص.ص. 324-325

من كل مدن ميزاب بل من كل العالم الإسلامي، فإن عرف أن الكثيرين كانوا يهاجرون إلى تونس والمغرب والمشرق لطلب العلم، فالقليل من يعرف أن هناك طلبة من طرابلس وزنجبار وغيرها تأتي إلى معهد الشيخ أطفيش ليتعلموا ومن أشهرهم سليمان الباروني أحد الزعماء الليبيين ومن دعاة الجامعة الإسلامية. فقد كانوا يسمون الشيخ أطفيش ب"عالم العالمين".[1]

اهتم أطفيش باللغة العربية وبعلم النحو بالخصوص وهو علم عقلي يحصن صاحبه من الوقوع في الخرافات.[2] ونظرا لسعة علمه بمقاصد الشرع واستيعابه لقضايا عصره فقد كان مرجعا في الفتاوى. ويرى بعض الباحثين أنه بلغ درجة الاجتهاد، يقول عنه مصطفى بن باجو: [3] "لقد تبوأ القطب مرتبة الاجتهاد بجهوده الشخصية، واستطاع بجده وعزيمته وعصاميته أن يعتلي سدة مجتهد المذهب ولما تجاوز الثلاثين، وظل عمدة الإباضية في الفقه، وكان يردد قول السيوطي: "وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة الله لافخرا".

اهتم الشيخ أطفيش بأحوال العالم الإسلامي فقد كان يتبع أخبار المسلمين ويدعو لهم بالغلبة والنصر على المستعمرين، كما كان يتتبع أخبار الدولة العثمانية ويدعو الله أن ينصرها. وكان يفسر القرآن ويتخذ منه سببا لوحدة المسلمين، والتي هي سر قوتهم، يقول في تفسير الآية "فتفشلُوا وتذهبَ ريحكُم"[4] ،"والنزاع الآن فشى في أهل التوحيد فملكهم أهل الشرك، ولو رجعوا إلى مذهبنا في الأصول وغضّوا على مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يدا واحدة لغلبوا أهل الشرك...".[5]

كما قال في تفسيره للآية: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة.."[6] "والآن يجب على عامة الموحدين ولاسيما السلاطين واتباعهم أن يستعدوا بالرصاص والبارود والمدافع، ويتعلموا ذلك تعلما

---

[1] عبد القادر جغلول، **الصراعات الثقافية...**، مرجع سابق، ص.ص.13-14

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، مرجع سابق، ص.266.

[3] **الشيخ محمد أطفيش قطب الأئمة...**، مرجع سابق، ص.227.

[4] سورة الأنفال، الآية 46

[5] احمد عيساوي "الداعية المصلح القطب الشيخ محمد أطفيش وكتابه القيم شامل الأصل والفرع، "**الشيخ محمد أطفيش قطب الأئمة**"، مرجع سابق، ص.114، نقلا عن: **تيسير التفسير**، ج.5، ص.ص.339-340.

[6] سورة الأنفال، الآية 60.

محققا ويعلمون الأجناد حتى يزيلوا بعض غلبة أهل الشرك، والآية شاملة بهذا المعنى والإلحاق والقياس كأنها نص فيه".[1] إن مثل هذا التفسير كان ممنوعا في مدارس ومساجد شمالي الجزائر، ولم يكن تفسير أطفيش مجرد كلام أو شرح بل أنه قام عمليا بمساعدة المسلمين ضد الاستعمار، فعندما احتلت إيطاليا ليبيا قام بجمع التبرعات والسلاح والمال لمساعدة المجاهدين وعلى رأسهم تلميذه سليمان الباروني.

المبحث الثالث: التأثيرات المشرقية وبداية الإصلاح الحديث

كانت القاهرة وبيروت ودمشق في نهاية القرن التاسع عشر مراكز للنهضة العربية والأفكار الإصلاحية، ولم يكن الجزائريون بعيدين عن التأثر على الرغم من الحجر الاستعماري، وكانت تونس هي المعبر الرئيس. وطبيعي أن المؤثرات الفكرية أول من يحملها هم العلماء والطلبة كما أن هناك وسائل أخرى مثل الكتب والصحافة، لذلك سنقتصر على الوسيلتين الأكثر تأثيرا وهم العلماء والصحافة.

المطلب الأول: دور العلماء والطلبة

يمكننا أن نميز بين عدة أصناف من العلماء الذين حملوا المؤثرات الفكرية المشرقية إلى الجزائر. الصنف الأول وهم طلبة العلم والعلماء الذين ذهبوا إلى تونس ومصر والشام ثم رجعوا إلى الجزائر، سواء أكانت المدة طويلة أم قصيرة، والصنف الثاني وهم العلماء المقيمون هناك سواء أولدوا في الجزائر ثم هاجروا أم نفوا، أم لهم أصول جزائرية، لكنهم لم ينسوا أصولهم وانضموا إلى الجامعة الإسلامية والعمل لتحرير الجزائر وكل بلاد المسلمين، إذ أن النظرة القطرية الضيقة لم تكن موجودة آنذاك. ويمكننا أن نضيف بعض العلماء الذين درسوا في الجزائر، وكانت لهم اتصالات وزيارات ومراسلات مع علماء المشرق. ومن المؤثرات أيضا علماء تونس والمشرق الذين زاروا الجزائر.

1-العلماء والطلبة العائدون من المشرق الإسلامي: تعد نهاية القرن التاسع عشر رابطة وهمزة وصل بين عهد الانحطاط وعهد النهضة، فهناك ثلة من الجزائريين حملوا على عاتقهم عبء النهوض بالبلاد، وكانت رحلتهم وهم طلبة تبدأ بتونس، ومنهم من يعود ومنهم من يواصل سيره إلى المشرق.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، ص. 270؛ محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر**...، ج1، ص.321.

ومثالهم الصالح بن مهنا القسنطيني، فقد درس في قسنطينة ثم في تونس ثم مصر. حيث أخذ في تونس عن علماء مشهورين مثل الشيخ الصالح النيفر والشيخ عبد الله الدراجي[1] الذي التقى به في تونس وتأثر به كثيرا، ولا يذكر من شيوخه الجزائريين غير هذا الشيخ، وخصه بتأليف "إسعاف الراجي في بعض مآثر الشيخ الدراجي". ومن شيوخه بمصر شيخ الإسلام مصطفى العروسي، وشيخ الأزهر محمد بن أحمد عليش الطرابلسي،[2] تأثر به كثيرا وكان ينسب نفسه إليه في بعض كتبه فيقول "الصالح بن مهنا العليشي". عاد ابن مهنا إلى قسنطينة وبقي بها إلى أن توفي في سنة 1911.

إذا عاد فعلا إلى الجزائر في سنة 1887 كما يذكر سليمان الصيد، وبعد أن تتلمذ على يد الشيخ عليش المتوفى في سنة 1882، فقد عاش في فترة حرجة من تاريخ مصر والمشرق العربي، حيث عاصر أحداث الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي لمصر، كما عاصر نشاط الأفغاني والحركة الإصلاحية في المشرق وكثير من الأحداث التي وجهت تفكيره. وأقام في بداية عودته بزاوية بوحجر قرب سيقوس (عين البيضاء)، ثم انتقل إلى قسنطينة حيث تولى إمامة المسجد الكبير، بسعي من الشيخ محمود الشاذلي الذي كان مديرا للتعليم المزدوج بقسنطينة. كما كانت للشيخ ابن مهنا دروس في الزاوية الحنصالية (الرصيف حاليا)[3]. بالإضافة إلى دروسه ألف الكثير من الكتب، والتي يظهر فيها اتجاهه الإصلاحي، حيث إنها تجمع بين الحديث عن التصوف وتحرير العقل.[4] ومن أهم مؤلفاته حاشيته على رحلة الورتلاني يقول عنها: "لما ألفت حاشية الرحلة وهي تمام ثلاثين تأليفا، وتكلمت فيها عن ثلاثة عشر علما، ونقلت فيها من مائة كتاب من كتب الأئمة المشهورة المتداولة بين العلماء والمطبوعة..."[5]. أظهر فيها أفكاره الإصلاحية، وحملته على الدراويش وأدعياء النسب الشريف

---

[1] **عبد الله بن غانم الدراجي**(ت 1879): فقيه صوفي أصله من فرقة الهذالة من قبيلة أولاد دراج الضاعنة في الحضنة من أحواز المسيلة، استوطنت عائلته قسنطينة وبها ولد وتعلم، انتقل إلى تونس ومنها إلى المدينة المنورة، وبها توفي، له عدة مؤلفات. المرجع: عادل نويهض، ص.ص.141-142.

[2] سليمان الصيد، **صالح بن مهنا القسنطيني حياته وتراثه**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1983، ص،ص،40،39

[3] المرجع نفسه، ص، ص. 50، 56

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7.مرجع سابق، ص.214.

[5] الصالح بن مهنا، **رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق**، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1904، ص.17.

وجور الحكام، فأوقعت ردود فعل استفادت منها الإدارة الفرنسية، لضرب الأنصار والخصوم معا لفكرة الشرف ومنع توسع فكرة الجامعة الإسلامية.[1]

تعرض ابن مهنا في خطبه وكتاباته لقضايا عصره وأغلبها قضايا دينية تعالج الإنحراف عن الشريعة الإسلامية، ونبذ الخرافات والعقائد الفاسدة، وقد كان لكلمته الحارة التي أطلقها دوي وصدى لدى تلاميذه ولدى أعدائه، وهذا ماأزعج السلطات الفرنسية، يقول عنه مالك بن نبي: [2] "إنه من الواجب علينا أن ننوه ببعض ماكان من أمر مناجاة الشيخ (صالح بن مهنا) الضميري -إن صح التعبير- فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898".

وكان أبو الهدى الصيادي[3] قد كتب "نور الشمس" نوه فيه بالأشراف فرد عليه ابن مهنا في كتاب "تنبيه المغتربين في الرد على إخوان الشياطين" وصادف ظهور هذا الكتاب ظهور طبعة أولى لرحلة الورتلاني بتعليق ابن مهنا، وقد تعرض لمسألة الأشراف العصاة،[4] فتصدى له أيضا عاشور الخنقي[5] في مدونته "منار الأشراف ومواليهم من الأطراف" لقد انتصر الشيخ عاشور الخنقي لآل

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.8، مرجع سابق، ص. 118

[2] **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص.25

[3] أبو الهدى صاحب كتاب "ضوء الشمس" يقول عنه بعض الكتاب ومنهم المهدي البوعبدلي أنه من علماء القطاع القسنطيني يدعى أحمد بن دادا المشهور بأبي الهدى، تخرج من القرويين ألف رسالة سماها "ضوء الشمس" نوه فيها بالأشراف، فلما اطلع عليها ابن مهنا رد على مبالغاته، لكن سليمان الصيد وسعد الله قالا إن أبا الهدى صاحب "ضوء الشمس" هو أبو الهدى الصيادي وهو نقيب الأشراف في استانبول والصدر الأعظم، والراجح القول الأخير، يفهم ذلك من أبيات عاشور الخنقي، ينظر المهدي البوعبدلي، **الأعمال الكاملة، قسم التراجم**، مرجع سابق، ص.96؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج7.ص.233؛ سليمان الصيد، مرجع سابق، ص.111

[4] المهدي البوعبدلي، **الأعمال الكاملة، قسم التراجم**، مرجع سابق، ص.96.

[5] **عاشور بن محمد بن عبيد بن محمد المسعودي، الهلالي النسب، الخنقي**(1848-1929) ولد في "خنقة سيدي ناجي" من قرى الزاب، ونشأ بقسنطينة، وتعلم بها وبنفطة بتونس، نفاه الفرنسيون إلى منطقة الأغواط لأكثر من خمس عشرة سنة. المرجع: عادل نويهض، ص.136

البيت عصاتهم وظالميهم وحييهم وبذيئهم، وبرئيهم وجريمهم، ذكيهم وغبيهم وانتصر في القصيدة الكبرى للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني وبقية الأشراف في إستانبول ولأبي الهدى الصيادي.[1] وبهذا تطرق كل من ابن مهنا وعاشور الخنقي إلى موضوع حساس بالنسبة للسلطات الفرنسية، يمس العالم الإسلامي والدولة العثمانية والجامعة الإسلامية التي كان يدعو لها السلطان عبد الحميد الثاني، فكان على السلطات الفرنسية أن تسكتهما. فاعتقلت في البداية عاشور الخنقي خصم ابن مهنا، ثم وصل الأمر إلى الصالح بن مهنا اعتقلته بدعوى أنه أساء إلى الدولة الفرنسية. فعزل من وظيفته ونقلت مكتبته الثمينة إلى دار العمالة للاطلاع على أفكاره. لانعرف بالضبط متى كان ذلك، ويرجح سليمان الصيد أن تكون في 1897،[2] أما جريدة الأخبار الجريدة الفرنسية شبه الرسمية فتقول إن ابن مهنا أوقفته الإدارة عن عمله في 1905.[3]

ومهما يكن من أمر فقد كان يوم اعتقاله يوما مشهودا في قسنطينة حيث تجمهر الناس أمام دار العمالة، وحاول طلبته عرقلة السلطات الفرنسية، ومنعهم بالقوة من أخذ مكتبته، ولكن الشيخ طلب منهم الهدوء والصبر. وحسب جريدة الأخبار أن سبب إيقاف ابن مهنا:" انتقاده الشنيع على الحكومة الفرنسية، وعلى كثير من فضلاء المسلمين " وكتبت أيضا الجريدة نفسُها أن ابن مهنا تراجع عن انتقاده للحكومة وأن موقفه يتعلق بالعقائد (الدين والأشراف) وليس بالسياسة، لذلك أعادت إليه مكتبته ووظيفته، بعد أن أبعدته عن تلاميذه وجمهوره. ويعلق أبو القاسم سعد الله على ذلك أنه من تلاعب إدارة الشؤون الأهلية بأعيان المسلمين لترويضهم.[4]

لقد طلبت السلطات الفرنسية من الشيخ ابن مهنا توضيحات عن القضايا التي أثارها، ومن كتاباته الأكثر إثارة هي حاشيته على رحلة الورتلاني، فأجاب عنها في رسالة قال عنها: "هذه رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية". تكشف الرسالة القضايا التي أثارها الشيخ الصالح بن مهنا، وأزعجت السلطات الفرنسية كما أزعجت أعداء الإصلاح، كما

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ص.233

[2] مرجع سابق، ص. 17

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، مرجع سابق، ص.119، نقلا عن القسم العربي جريدة الأخبار، 16 أفريل 1905.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.7، مرجع سابق، ص.332

تكشف عن تكوينه وتأثره بالحركات الإصلاحية المشرقية، تبين لنا بوضوح طريقته في الإصلاح فلم يتبع العنف أو الثورة وإنما اتبع سبيل الإقناع والدليل الشرعي.

معظم القضايا التي عالجها ابن مهنا يُرجع سببها إلى الجهل، ويقصد به عدم الفهم والإدراك، وقد وصل الشعب الجزائري إلى هذه النتيجة في بداية القرن العشرين بسبب السياسة التي اتخذتها فرنسا تجاه التعليم في الجزائر، يلاحظ ابن مهنا أن الطلبة لايفهمون المنقول فضلا عن المعقول يقول:"هذا شيء شاهدته بنفسي ومارسته منذ ثلاثين سنة. فوجدت الكثير من يقرأ الواحد منهم عشرين سنة ولايحسن الوضوء فضلا عن غيره. هذا بالنسبة للمنقول أما بالنسبة إلى المعقول فإن الواحد منهم لايعرف معنى اسمه في مدة عمره". ويرجع سبب ذلك إلى ضعف مستوى الذين درسوهم يقول: "ونعني بهم الذين قرأوا على إبليس وتفقهوا على أشعب"[1].

لعل ما أزعج السلطات الفرنسية في كتابات الصالح بن مهنا هو كتابته في الأمور السياسية، وبخاصة الدولة العثمانية. حتى وإن كان موقفه منها سلبيا فهي تثير النقاش والجدال حول مواضيع لاتريد الإدارة الفرنسية الاشتغال بها، فقد كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة تنافس استعماري على أملاك الدولة العثمانية، ومواجهة مشروع السلطان عبد الحميد الثاني لجمع شمل المسلمين فيما يسمى بالجامعة الإسلامية. فقد كانت السلطات الفرنسية تتخوف من تسرب هذه الحركة إلى مستعمراتها. وكان عاشور الخنقي خصم ابن مهنا مناصرا للدولة العثمانية وكتب القصائد في مدح السلطان العثماني، كما دافع عن أبي الهدى الصيادي نقيب الأشراف في استانبول. وإن طرحت مسألة النسب الشريف كمسألة دينية في نظر عاشور الخنقي وعند ابن مهنا، فإنها في نظر السلطات الفرنسية كانت مسألة سياسية، وهي تأييد الدولة العثمانية. لذلك زج بعاشور الخنقي في السجن ونفي وحكم عليه بالإقامة الجبرية لمدة سبعة عشر عاما، وكان يعتقد أن ابن مهنا وراء ذلك.

لكن ابن مهنا رغم معارضته للأتراك وتصرفاتهم فإنه كان يحمل بذور الفكر الإصلاحي الذي يشكل هو الآخر خطرا على الفرنسيين، ويفهم من إجابة ابن مهنا على مسألة الأتراك أنه تناولها من باب جور الحكام فعندما يطرح القضية يشرح الآية الكريمة: "وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم"[2]

[1] صالح بن مهنا، مصدر سابق، ص.16

[2] سورة النساء الآية 59

ينقل تفسيرها عن إسماعيل حقي في"روح البيان" ويقول "أن أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين أما أمراء الجور فبمعزل عن استحقاق العطف على الله ورسوله، فإن اللصوص المتغلبة لأخذ أموال الناس بالقهر والغلبة " يقول وهذا كلام الشيخ إسماعيل حقي عن الأتراك يبين ظلمهم جورهم وهو من علماء الأتراك"[1] يكفي أن ابن مهنا طرح قضية كبيرة وهي ظلم وجور الحكام وإن كان كلامه عن الأتراك.

فهل كان ابن مهنا في موقفه من الأتراك متأثرا بما عاشه في مصر، أم أنه كان ضد الأسلوب الذي اتخذه السلطان عبد الحميد لجمع شمل المسلمين؟ فبإشارة الصيادي اعتمد السلطان العثماني على الطرق الصوفية والنسب الشريف لجمع المسلمين، ويفهم من كلام عاشور الخنقي أن ابن مهنا قد يكون رد على كتاب أبي الهدى الصيادي واسمه"ضوء الشمس" واتهمه بالكفر وشنع عليه.[2] وكان أبو الهدى الصيادى قد نشر كتابه "ضوء الشمس" فأخذ عاشور الخنقي ينوه بالكتاب وبالشيخ الصيادي:

لله در أبي الهدى فيما زبر بكتاب "ضوء الشمس" في الخمس الكبر

شيخ الشريعة والطريقة الحجا صدر النقابة في بني الزهرا الخبر

وإذا كان الشيخ الصالح بن مهنا مثال العلماء الجزائريين العائدين من المشرق في نهاية القرن التاسع عشر، فإن بداية القرن العشرين شهدت عودة عدد كبير من العلماء من تونس ومصر والشام ودمشق والحجاز. وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، ومعظمهم عادوا بعد الحرب العالمية الأولى. ومن الذين عادوا قبل الحرب وكانوا متأثرين بالجامعة

[1] ابن مهنا، مصدر سابق، ص.9.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.7، مرجع سابق، ص.333

الإسلامية عمر ابن قدور،[1] فيذهب بعض الباحثين إلى أنه عاد إلى الجزائر في سنة 1908،[2] وهي سنة الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد الثاني كانت السنوات الأولى لعودته سنوات عصيبة في العالم الإسلامي والمغرب العربي شهدت احتلال ليبيا والمغرب والحرب الكبرى والتجنيد الإجباري. وقد كتب عمر ابن قدور عن هذه المواضيع وغيرها بكثرة في الصحف التونسية مثل الحاضرة والتقدم. حتى قال محمد الصالح الجابري[3] إن عمر بن قدور وعمر راسم[4] كانا يكتبان في الصحف التونسية بشكل يثير الانتباه خلال (1907-1911)، كما كتب في الصحف المصرية مثل اللواء، والحضارة التي تصدر في استانبول ثم أنشا جريدة "الفاروق" بالجزائر في سنة 1913. وقد تعاون بتونس مع عدة شخصيات إصلاحية مثل أحمد توفيق المدني والطيب بن عيسى وصالح السويسي وغيرهم. ولقي من المستعمر التعذيب والنفي لآرائه الجريئة.

وعلى الرغم من تعدد المؤثرات وكثرة عدد المصلحين مشرقا ومغربا فقد عد البشير الإبراهيمي أن محمد عبده هو أول صيحة ارتفعت بالإصلاح في تلك الفترة، حيث يقول: "لانزاع في أن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هو صيحة إمام المصلحين الأستاذ الشيخ محمد عبده، وأنه أندى الأئمة المصلحين صوتا وأبعدهم صيتا في عالم

---

[1] **عمر ابن قدور الجزائري**(1886-1932): صحفي جزائري وكاتب وشاعر، من رواد الصحافة العربية الجزائرية، نشأ وتعلم بمدينة الجزائر، نشر مقالات في كثير من الصحف، فأخذ عليه الاستعمار نزعته التركية فصادر جريدته "الفاروق" ونفاه إلى الأغواط، حيث ظل معتقلا حتى نهاية الحرب الكبرى. وفي 1920 حول جريدة الفاروق إلى مجلة، ثم اعتزل الصحافة، قال عنه صاحب تاريخ الصحافة العربية: "يعد هذا الأديب من أكتب الصحافيين في المغرب الأوسط وأرقاهم.." المرجع: عادل نويهض، ص.244.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص.278

[3] **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس** (1900-1920)، الدار العربية للكتاب، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص.72

[4] **عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي**(1883-1959): صحفي وخطاط كبير اشتهر برسم المنمنات، من الرعيل الأول في الإصلاح، ولد بمدينة الجزائر، وتعلم بها، ثم اعتمد على نفسه فتعلم العربية الفرنسية، كان اسمه المستعار: أبو منصور الصنهاجي". سجنه الفرنسيون في الحرب العالمية الأولى ولاقى المحن، قال أحمد توفيق المدني "وهو ممن نكبوا على يد الاستعمار القاسي نكبة سوداء أثرت على البقية الباقية من حياته". المرجع: عادل نويهض، ص.243.

الإصلاح"[1] و الرأي نفسه قاله عن محمد رشيد رضا فقد كانت مساهمته بتحرير مجلة "المنار" وترجمة شخصية الأستاذ الإمام "قد أدخل فكرة جديدة إلى العالم الإسلامي".[2] وأكد أيضا أن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لها جذور في مبادئ وأعمال رضا" ويذكر الشيخ الإبراهيمي أنه كانت له لقاءات في دار البيطار صديق الشيخ محمد عبده بدمشق، مع الشيخ محمد رشيد رضا والخضر بن الحسين، يتسامرون ويناقشون شؤون العالم الإسلامي.[3]

لقد جمع علماء الجزائر العائدون من المشرق أوجه الإصلاح الحديث، فكل عالم تأثر بشيوخه، وقد كان ابن باديس متأثرا بشيوخه بالجزائر ومنهم حمدان لونيسي وبشيوخه بالزيتونة وخاصة البشير صفر والنخلي ومحمد الطاهر ابن عاشور، وقد أعجب ابن باديس بروح التحرر وبالنظرة الإصلاحية التي لمسها في تفكير شيخه النخلي وابن عاشور فيما كانا مندفعان نحو الإصلاح ومتحمسان لآراء كبار المصلحين أمثال: الأفغاني ومحمد عبده.[4]

وإذا كان الجزائريون تأثروا بالحركة الإصلاحية المشرقية عن طريق الرحلة في طلب العلم إلى المشرق، فإننا نجد هناك قطب إصلاحي في الجنوب الجزائري حج إليه الطلبة من العالم الإسلامي وتخرجوا على يديه وهو الشيخ محمد أطفيش يذكر عبد القادر جغلول[5] أن هناك طلبة كانوا يأتون من اللمان ومن طرابلس لمتابعة دروس من كانوا يسمونه بـ "عالم العالمين"، ومن أشهر هؤلاء الطلبة سليمان الباروني أحد زعماء طرابلس، ومن أنشط دعاة الجامعة الإسلامية في شمال إفريقيا. يذكر محمد علي دبوز أنه بعد أن أنهى الباروني دراسته على يدي الشيخ محمد أطفيش، نزل بقسنطينة فاستقبله عبد القادر المجاوي أحسن استقبال، وأطال الجلوس معه وكانوا يتفاوضون في شؤون العالم الإسلامي وطريق التخلص من الجهل والاستعمار.

---

(1) **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982، ص.41.

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائري**، ج2، مرجع سابق، ص.387.

(3) **سجل مؤتمر جمعية العلماء**...المصدر السابق، ص.45

(4) محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي**...، مرجع سابق، ص.70

(5) **الصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص.14

نشـــط عدد من تلاميذ الشـــيخ أطفيش في الجامعة الإســـلامية منهم إبراهيم بن يوســـف أطفيش[1] ابن أخ القطب، نشط في تونس ثم مصر، وصالح بن يحي[2] وكان أحد زعماء الحزب الحر الدستوري التونسي وأكبر عضد لعبد العزيز الثعالبي قال عنه أحمد توفيق المدني هو الذي أظهر حزب الدســتور بتونس بدعايته وحماســه ومســاندته للشــيخ الثعالبي ماديا ومعنويا.[3] وقاده إيمانه بالمبادئ الوحدوية إلى مشاركة التونسيين في كفاحهم بتقديم العرائض وجمع المال والكتابة الصحفية، وإرسال الوفود وتأسيس الجمعيات.[4] أما إبراهيم أبو اليقظان[5] فقد أيقظت صلته المبكرة بسليمان الباروني حسه الإصلاحي والسياسي، وقبله الشيخ الثعالبي عضوا عاملا ضمن التشكيلات السرية التي كان الثعالبي يكونها لأجل الثورة ضد المستعمر وتحرير المغرب الكبير.[6]

2-تأثيرات العلماء الجزائريين المهاجرين إلى تونس والمشرق: كانت تونس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين متنفس الجزائريين العلمي والسياسي والإعلامي، فوطأة الاستعمار أقل

---

[1] **إبراهيم بن محمد بن يوسف أطفيّش** (1888-1965): عالم إباضي، أديب، من كبار العالمين في سبيل وحدة المســـلمين، ولد بقرية بني يزقن، تعلم على محمد بن يوســـف اطفيش، انتقل إلى تونس ودرس في جامعة الزيتونة. شارك في الحركة الوطنية التونسية إلى جانب عبد العزيز الثعالبي. المرجع، نويهض، ص.18

[2] محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، مرجع سابق، ص.363.

[3] **صالح بن يحي بن الحاج سليمان**"ت1948": عالم إباضي من مؤسسي حزب الدستور التونسي القديم، ولد في بني يزقن في ميزاب، أخذ عن العلامة محمد بن يوســـف أطفيش، وأتم دراســـته بجامع الزيتونة. وكان من الأغنياء فاستقر بتونس للتجارة. المرجع: نويهض، ص.194

للمزيد حول صالح بن يحي ينظر أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1؛ ويوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية 1830-1954**، دار هومة، الجزائر، 2014، ص.ص.113-129

[4] يوسف مناصرية، المرجع نفسه، ص.113

[5] **إبراهيم بن عيسى بن يحي بن داود أبو اليقظان** (1888-1973): صحفي، كاتب، شاعر، من رجال الإصـــلاح والتجديد، له اشـــتغال بالتاريخ والتراجم والفقه، ولد بمدينة لقرارة وتعلم بها، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس في1912، حيث كان رئيســا لأول بعثة علمية جزائرية، أصــدر ثماني جرائد فأوقفها الاســتعمار، له عد مؤلفات. المرجع: عادل نويهض، ص.355.

[6] محمد بن صالح ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ط.3، منشورات ألفا، الجزائر، 2006، ص.81.

حدة، وجامع الزيتونة قبلة الجزائريين،[1] كما أن هناك عائلات جزائرية كثيرة هاجرت إلى تونس منذ بداية الاحتلال واستقرت هناك، ومنها عائلة الثعالبي والتي برز منها عبد العزيز الثعالبي والذي يمكن أن نعد رحلته إلى الشرق كما قال عنها أنور الجندي "هي الأبعد أثرا في دعم الروابط بين المشرق والمغرب".[2] وقد أدرجنا هنا ضمن المؤثرات العلماء الذين هم من أصول جزائرية وولدوا خارج الجزائر ذلك لأن ارتباطهم وعواطفهم بقيت بأرض أجدادهم،[3] فأول بلد اختار الثعالبي السفر إليه هو الجزائر في سنة 1895،[4] ويذكر زكي الميلاد أن السبب في ذلك قد يعود إلى أصوله الجزائرية، وقد ذكر الثعالبي في شاعرية متناهية وإحساس كبير شعوره عند دخوله الجزائر: "أول يوم وطئتك قدمي شعرت بهزة الفرح وأدركت لذة السرور وقبله ماكنت أعرف ما الفرح وما السرور"،[5] وعلى الرغم من أنه لم يتطرق إلى ذكر الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلا أنه انكب يدرس الأخلاق والعادات والعائلة والتربية والتعليم والعقائد والأغاني وكل ماله علاقة بالمعنويات، لأنها أركان الإصلاح الاجتماعي ولها علاقة بالإصلاح المادي.[6]

---

[1] في موضوع: الطلبة الجزائريون في الزيتونة ينظر خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1954)**، ط.3، دار كرداده، الجزائر، 2013.

[2] أنور الجندي، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص.118.

[3] قال أحد الشعراء الجزائريين المهاجرين:

ففي ذمتي للقطر منذ كنت في الصبا حقوق لاتقض علي بأموال

سأسعى لها رغم الزمان الذي سطا وأنقذ اهل القطر من كل دجال

وإن دهري اليوم أصبح محارب وأقسم لاينفك يعكس أمالي

ينظر: محمد الصالح الجابري، **الأدب الجزائري بتونس**(1900-1960)، ج1، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص.51.

[4] حول رحلات الثعالبي ينظر يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص. ص.95-109.

[5] زكي الميلاد، ومحمد مسعود إدريس، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية (1892-1940)**، ج1، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص.12.

[6] المرجع نفسه، ص. 12

سافر الثعالبي إلى طرابلس ثم كريت ثم الأستانة، وتعرف على العلماء العرب والمسلمين من مختلف الأقطار، حيث كانوا يناقشون مختلف قضايا المسلمين، وكانت السياسة السائدة في المشرق هي الموضوع السائد في المناقشات حسب ماأكده التونسي عمر بن قفصية المقرب من الثعالبي،[1] بعدها غادر الآستانة إلى مصر في سنة 1897 وأمكنه التعرف على كثير من رجال الفكر، وكانت مصر آنذاك تشكل البؤرة الفكرية والحضارية والسياسية للعالم العربي والإسلامي، ووجد فيها تخمر الأفكار والنقاش السياسي.

عاد الثعالبي إلى تونس في سنة 1902 متأثرا بالفكر الإصلاحي ويذكر الفاضل ابن عاشور أنه: "عاد غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم، يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويعجب بالكواكبي وحسن حسني الطويراني، وعلي يوسف ويدعو إلى التطور والحرية، وفهم أسرار الوجود، ويغرب بمقالات الحكماء الطبيعيين، وذلك هو عبد العزيز الثعالبي لم يكد يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من أهل العلم وأصبحت ألزم له من ظله فكان يتنقل بهم في مجامع العاصمة ناديا سيارا مأخوذين بحلاوة تعبيره وفصاحة منطقه وقوة عارضته ومقدرته على تحليل المواضيع استرسالا بلا ملل ولافتور..."[2]. ومن الجزائريين الذين أحاطوا به في تونس أبراهيم أطفيش والصالح بن يحي وإبراهيم بن الحاج عيسى، ومن الذين أصولهم جزائرية ويمثلون أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب العربي المكي بن عزوز[3] والخضر حسين وصالح الشريف، وقد كان هؤلاء وأضرابهم يعملون على تحرير المغرب العربي من الاستعمار ولم يكونوا ينظرون إلى قضية المغرب العربي مجزأة كما هي اليوم بل كانت في نظرهم قضية واحدة.[4] ولايستبعد بعض الباحثين أن التفاف الجزائريين بتونس حول الثعالبي يعود إلى عدة أسباب منها ماكان يعانيه الجزائريون من الظلم والاضطهاد، وأيضا لأصول الثعالبي الجزائرية.[5]

---

[1] يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص.101

[2] زكي الميلاد، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص.13

[3] **محمد مكي بن مصطفى بن عزوز الحسني الإدريسي المالكي** (1854-1916): قاضي ولد بنفطة وتعلم بتونس وتولى الإفتاء بنفطة، رحل إلى الآستانة وتولى تدريس الحديث، إلى أن توفي بها.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص.616

[5] محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس**، مرجع سابق، ص.ص.265-266.

3-العلماء الجزائريون الذين لم يدرسوا بالمشرق: نجد عددا من علماء جزائريين تخرجوا من زوايا ومدارس الجزائر وتأثروا بأفكار مصلحي المشرق الإسلامي وذلك عن طريق الصحافة والكتب والمراسلات أو الزيارات دون أن يسافروا إلى تونس أو المشرق، ومنهم عبد الحليم ابن سماية[1]. لاتذكر المصادر أنه غادر الجزائر لطلب العلم إلا لمدة ثمانية أيام إلى تونس لأخذ أحد العلوم عن الشيخ محمد عيسى الجزائري[2] ثم عاد، وتذكر بعض المراجع أنه زار الشام في رحلته إلى الحج.[3]

اعتمد ابن سماية في خطته الإصلاحية على التعليم فقد كان مدرسا بالمدارس الرسمية، ويرى عبد الرحمن الجيلالي أن أول من أدخل إصلاح التعليم العالي في الجزائر، وأول من اهتم بتدريس رسالة التوحيد لمحمد عبده، حيث ختمها في ظرف سبعة أشهر،[4] ويقول عنه عمر راسم: "الشيخ عبد الحليم ابن سماية أول من درس رسالة التوحيد لمحمد عبده وأول موحد على الطريقة السلفية".[5]

وقد كان ابن سماية على رأس لجنة العلماء التي استقبلت محمد عبده عندما زار الجزائر في سنة 1903، وكتب عنه محمد رشيد رضا في مجلة المنار: "ومن خيار العلماء في الجزائر الشيخ محمد ابن الخوجة صاحب المصنفات والشيخ عبد الحليم ابن سماية، وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بأن لايذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الجزائر، وقالوا له أننا نعده مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا، وقد وجد الشيخ عبده في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم، إنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار"، وكتب الشيخ ابن سماية قصيدة من خمسين بيتا في مدح محمد عبده نشرها المنار.

---

(1) **عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن بن خوجه ابن سماية** (1866-1933): من أوائل المصلحين الجزائريين، ينتمي إلى أسرة آل سماية، وهي أسرة تركية عريقة بالجزائر ولد بالجزائر وتعلم بها، وتولى خطة التدريس بالجزائر العاصمة ومات بها بعد ان أصيب بمرض عقلي. المرجع: نويهض، ص.78

(2) عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج.4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص.409

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، مرجع سابق، ص.93

(4) عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج.4، مرجع سابق، ص.406

(5) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر...**، ج.1، مرجع سابق، ص.128.

كما تأثر محمد بن المصطفى الخوجة[1] بمدرسة محمد عبده، فقد اشتغل بالتدريس والتأليف فكان من المدرسين الذين يشار إليهم بالبنان، وعلى الرغم من قلة تلاميذه إلا أنه في التأليف فاق قدرته على التدريس.[2] ومن العلماء الذين اتصل بهم الزعيم الوطني محمد فريد بك ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين،[3] وقال عنه عمر راسم: "محمد بن المصطفى شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية، شغوف بمحبة الشيخ محمد عبده، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما يعرف الشرق وكأنه عاشره مائة سنة، حلو الكلام كان إذا خطب يستدل بالآيات والأحاديث كأن القرآن وكتب الآثار مرآة أمام عينيه، ومن شدة تأثره بمنهج محمد عبده قرأ تفسير سورة العصر لمحمد عبده على ملأ من العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة".[4]

يعد المولود بن الموهوب،[5]من كبار المصلحين في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويصفه أبو القاسم سعد الله بأنه من المتأثرين بالجامعة الإسلامية، ويرى أن دوره في النهضة الجزائرية مازال لم يفهم بعد من طرف الباحثين، حيث يقول: "فمنذ حمدان خوجة ليس هناك مثقف جزائري آخر قد فهم وأثر على تاريخ بلاده مثل ابن الموهوب".[6] ويرى الباحثون أن ابن الموهوب اتخذ طريقة خاصة في الإصلاح، نظرا للمنصب الذي كان يشغله في الإدارة الفرنسية، فقد تقلد الإفتاء المالكي لمدة طويلة، وكان أستاذا للفلسفة والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية

---

(1) **محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة** (1868-1915)، الملقب بالمضربة، والمشهور بالشيخ الكمال: شاعر وكاتب وعالم بالشريعة الإسلامية وباللغة العربية، ولد ونشأ وتعلم بالجزائر العاصمة أخذ عن عدة شيوخ منهم ابن الحفاف، عمل في جريدة المبشر الرسمية كمحرر، ثم عين مدرسا بجامع سفير. له عدة آثار. ينظر: عادل نويهض، ص.138

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3، مرجع سابق، ص.83

(3) عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج.4، مرجع سابق، ص.448

(4) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر**...، ج.1، مرجع سابق، ص.135

(5) **المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن الموهوب** (1866-1939): كاتب، خطيب، شاعر، نشأ وتعلم بقسنطينة. عُين في سنة 1895 أستاذا للفقه والعلوم الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة، ثم مفتيا للمذهب المالكي بها في سنة 1908، وفي نفس السنة أسهم في تأسيس نادي صالح باي الثقافي، له عدة مؤلفات. المرجع: عادل نويهض، ص.324.

(6) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.2، مرجع سابق، ص.155.

بقسنطينة. ولم يعبر عن رأيه في القضايا السياسية المهمة التي كانت تشغل الجزائريين في عصره مثل التجنيد الإجباري والتجنس وإلغاء الخلافة.[1] ويرجح أحمد صاري[2] أن يكون ابن الموهوب قد اتبع منهج محمد عبده في الإصلاح، فقد ابتعد محمد عبده عن السياسة ونصح الجزائريين بذلك حين زار الجزائر في سنة 1903، وكان ابن الموهوب أحد مستقبلي محمد عبده في قسنطينة، ويذكر محمد علي دبوز[3] أنه كان مغرما بالمجلات الإصلاحية وبخاصة المنار.

اتبع ابن الموهوب التعليم والإرشاد طريقا لإصلاحه فقد اشتغل بالتعليم منذ 1895، وكان معجبا بالتقدم والعلوم الحديثة والأفكار الأوربية، وكان يسعى إلى رفع الجهل والتعصب والعودة إلى منابع الإسلام الصافية، وقد عبر الشريف بن حبيلس عن منهج ابن الموهوب في الإصلاح بأن برنامجه بسيط جدا وليس من المتفائلين ولا من أصحاب العنف، وقد فهم من دروس التاريخ أن تربية الشعوب ليست أمرا يتم بين عشية وضحاها[4] وبخاصة وأن "الأمة بلغت أدنى درجات التقهقر".[5] فالإصلاح في نظر ابن الموهوب لايكون إلا عن طريق التعليم يتضح ذلك من كتاباته، وكان يحاضر في نادي صالح باي، وكانت محاضراته اجتماعية وأدبية تنشرها الجرائد العربية والفرنسية إعجابا به. ومنها جريدة "كوكب إفريقيا".[6] ويظهر تأثير ابن الموهوب والمجاوي في الجيل الذي أتى من بعدهم ومنهم مالك بن نبي، حيث يعترف بفضلهم وتوجيههم نحو الإصلاح حيث يقول[7]: "لقد استطاعت الدروس ذاتها وبخاصة مع أساتذتنا العرب، أن تنمي فينا هذه الروح وتغذيها، وكنا نجد شيئا ما لدى الشيخ المولود ابن الموهوب الأستاذ في المدرسة ومفتي المدينة، لقد احتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسه في نفسه دراسته على يد معلمه الشيخ عبد القادر المجاوي، وقد تولى هو نقل هذه الغرسة إلى تلك الأجيال من المدرسين وكنت منهم، وقد اينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر".

---

(1) **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص.ص. 19-27

(2) المرجع نفسه، ص.22.

(3) **نهضة الجزائر**...، ج.2، مرجع سابق، ص.142.

(4) Cherif Ben Habiles, ***L'Algérie française vue par un indigène***, Fontana, Alger, 1914, p.1.

(5) Ibid, p.2.

(6) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر**...، ج.2، مرجع سابق، ص.ص. 143-144.

(7) **مذكرات شاهد على القرن**، مصدر سابق، ص. 64.

يعد عمر راسم رواد الصحفيين الجزائريين، فقد تعلم في الجزائر حيث حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وتعلم على يد محمد بن مصطفى المضربة في جامع سفير، ودرس في المدرسة الثعالبية لسنة واحدة ثم أخرج منها لانتصاره لآراء محمد عبده، كما يذكر ذلك محمد العابد الجيلالي.[1] وكان تعلمه عصاميا ولاتذكر المصادر والمراجع التي تناولت حياته أن واصل تعليمه خارج الجزائر، وبالرغم من أنه سافر إلى مصر في سنة 1908 و1912، يقول محمد ناصر إنه كان للاطلاع على أحوال المسلمين والتفاوض مع زعمائهم بما يعود بالصالح العام. بينما يقول أبو القاسم سعد الله أنه لاتوجد لدينا مصادر تثبت ذلك، ولانعرف كم مكث هناك ولماذا ذهب؟ هل لطلب العلم أم لأمر سياسي؟ فهو لم يكتب عن رحلته تلك.[2]ومهما يكن من أمر فقد كانت له اتصالات بمصلحي تونس والمشرق ولم تقف هذه الاتصالات عند حد الإعجاب إنما كان يراسلهم لتنسيق العمل معهم،[3] ومنهم عبد العزيز الثعالبي والأمير شكيب أرسلان بجنيف، ومصطفى كامل بمصر، حيث كان يتابع أراءه التي يكتبها في جريدة "اللواء" المصرية.[4] ولشدة إعجابه بمحمد عبده اعتبره مديرا دينيا لجريدته "ذو الفقار" حيث جاء في عددها الأول: "ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية وإنها لاتخرج عن الطريق التي خطها رجال الإصلاح المخلصين". كما رسم على غلاف العدد الثالث منها صورة محمد عبده، مشيرا إلى "أن محمد عبده حارب أصحاب العمائم الجامدين أما هو فسيقاوم المرابطين الطرقيين وأصحاب الردجنوت".[5]

وعلى الرغم من تصريح عمر راسم أنه على نهج محمد عبده إلا أننا في دراستنا له وجدنا منهجه أشمل، فمحمد عبده ابتعد عن السياسة واتخذ التعليم وسيلة للإصلاح الديني والاجتماعي، بينما عمر راسم فقد كان يعالج القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية، ويكتب بأسلوب عنيف وشجاعة نادرة، واجه بها المستعمر، وكان من مؤيدي الدولة العثمانية. وكانت مواقفه السياسة سببا في التضييق عليه وسجنه في سنة 1915.

---

(1) "عمر راسم" في **تقويم الأخلاق**، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، يناير 1927، ص.48

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص. 286.

(3)محمد ناصر، "عمر راسم المصلح الثائر"، **الثقافة**، ع.34، السنة.6، سبتمبر1976، ص.67.

(4) المقال نفسه، ص..66

(5) كلمة فرنسية معناها صاحب المعطف الطويل، دلالة على الشاب الجزائري المتفرنج.

4-زيارة علماء المشرق الى الجزائر: على الرغم من الحصار الذي ضربته السلطات الفرنسية على الجزائريين في نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين، إلا أننا نجد هناك عدة شخصيات زارت الجزائر،كانت تمثل في نظر السلطات الفرنسية خطرا عليها، وهم دعاة الإصلاح والجامعة الإسلامية وأعداء الاستعمار، وسنذكر هنا بعض الأمثلة منها زيارة محمد بيرم الخامس التونسي[1] في 1878 وقد سبق له أن زار الجزائر أكثر من مرة، وكان يعرف أوروبا وله تفكيره الخاص في التقدم والنهضة الإسلامية،[2] وكان صديقا لخير الدين باشا التونسي، وأحد أعضاء جمعية العروة الوثقي التي أسسها جمال الدين الأفغاني في سنة 1882.[3] وقد كان من الناقدين للحكم الفرنسي في الجزائر لاسيما نظام القضاء.[4] تنقل محمد بيرم الخامس في عدة مدن جزائرية منها عنابة وقسنطينة والعاصمة والتقى بعده علماء جزائريين ذكرهم في رحلته منهم علي بن الحاج موسى وعلي ابن الحفاف وقدور الشريف والسعيد ابن شتاح... يقول محمد بيرم[5] في رحلته عن ابن الحفاف "إن له فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع واسع في الفقه والحديث وذاكرني في الهجرة فذكرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك القطر وأن بقاءه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله..."

ومن زوار الجزائر من مصر محمد فريد، وهو خليفة مصطفى كامل في رئاسة الحزب الوطني المصري، وكانت زيارته في سنة 1901، وقد نقل صورة عن أوضاع الجزائر، ونشرها في جريدتي المؤيد واللواء، ثم طبعت في شكل كتاب "من مصر إلى مصر"، وقد أثارت كتاباته ضجة ومنعت السلطات الفرنسية المؤيد واللواء من دخول الجزائر. فقد ساءته حالة الجزائريين، ولاحظ ما كانوا يعانونه من

---

(1) **محمد بيرم الخامس** 1840-1889" محمد بيرم بن مصطفى بن محمد من بني بيرم، عالم، رحالة، مؤرخ من علماء تونس، ولد وولي المناصب، سافر إلى أوربا، لما استولى الفرنسيون على تونس هاجر وأخذ يجاهد فيهم بقلمه، أنشأ جريدة "الأعلام" أشهر كتبه" صفوة الاعتبار بمستودع الامصار". توفي بحلوان ودفن بالقاهرة. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج.7، ص.101

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، مرجع سابق، ص.573.

(3) الحبيب الجنحاني، **دراسات في الفكر العربي الحديث**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص.46.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، مرجع سابق، ص.573.

(5) **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، ط.1، دار صادر، بيروت، المطبعة الإعلامية بمصر،1303هـ، ص.16.

قوانين ظالمة.[1] وفي زيارته سنة 1905 حيث شارك في مؤتمر المستشرقين إلى جانب سلطان محمد ومحمد عسل وعبد العزيز جاويش وعثمان غالب من مصر، قد أعجب بدفاع المسلمين عن دينهم ضد مطاعن المستشرقين، وخاصة ردود عبد العزيز جاويش والجزائري مختار بن الحاج السعيد.[2]

ولعل الشخصية التي اهتم الباحثون بزيارتها للجزائر هي محمد عبده، وعلى الرغم من أنها كانت شبه سرية، فإنه كتب عنها في حينها محمد رشيد رضا، كما تناولها بالبحث علي مراد[3] والمهدي البوعبدلي،[4] كما كتب أحمد صاري[5] عن زيارته لقسنطينة من خلال الأرشيف الفرنسي، فهذه الدراسات وغيرها تناولت الزيارة من عدة وجوه، وأجابت على عدة إشكاليات، ومن أهمها موافقة السلطات الفرنسية على الزيارة ولماذا كانت سرية؟، وقد شكك بعض الباحثين في هذه الزيارة لأنها كانت تسير في خطة الاستعمار، حيث يقول محمد قنانش[6]: "وكانت زيارة محمد عبده في سنة 1903 والفتاوى التي قدمها للحكومة والنصائح التي تركها للجزائريين بالابتعاد عن السياسة، وعدم التعرض للحكومة الفرنسية تسير في الخطة الميكافيلية التي سطرتها الحكومة الاستعمارية للقضاء على المقومات الجزائرية وفتح باب المسخ على مصراعيه". ولعل أسلوب محمد عبده الإصلاحي في هذه المرحلة صادف سياسية استعمارية تتمثل في مهادنة رجال الدين أو توجيههم لخدمة مصالحها، فاستُغل لهذا الغرض.

ليس مقامنا هنا مناقشة هذه التساؤلات، ولكننا ننطلق من أن محمد عبده في هذه المرحلة أصبح غير مقتنع بالإصلاح السياسي، فإن عدها هو مرحلية، فهي في نظر بعضهم تخاذلا. ومهما

---

[1] أنور الجندي، **الفكر والثقافة...**، مرجع سابق، ص.112.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] « L'enseignement politique de Muhammad Abdu aux Algériens (1903) », in : **Orient,** N°28, 4°triem, 1964, pp.75-123.

[4] جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده على الجزائر عام 1903"، **الأصالة**، ع.55/54، مارس 1978، ص.ص. 72-88

[5] "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع.2، مارس، 2003، ص-ص.7-25

[6] **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919-1939)**، ش.و.ن. ت، الجزائر، 1982، ص.23.

يكن من أمر، فتعاليم محمد عبده سبقته إلى الجزائر من خلال جريدة المنار، وعن طريق تلاميذه واتباعه بتونس فقد سبق له زيارتها، وقد تفاجأ بأن وجد مؤيدين له في تونس والجزائر.

ففي زيارته للجزائر التي دامت من 27 أوت إلى 09 سبتمبر1903،[1] حيث زار الجزائر العاصمة ثم قسنطينة وكان محاطا بالجواسيس الفرنسيين الذين يراقبون تحركاته وكلامه، والتقى بالنخبة الجزائرية بمختلف الاتجاهات الفكرية ومنهم عبد الحليم ابن سماية وابن الخوجة وابن الموهوب والمفتي بوقندورة وابن صيام وعلي شريف (مستشار عام ونائب مالي).

وقد لخص محمد رشيد رضا الأفكار التي بثها محمد عبده بين الجزائريين بما يلي: الحرص على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية والحث على العمل وعمران البلاد، كما نصحهم بمسالمة الحكومة (الفرنسية) وترك الاشتغال بالسياسة لكي تساعدهم هذه الحكومة على تحقيق الغرضين السابقين، وهما تحصيل العلوم وتوفير شروط الكسب والعمران.[2]

وقد وصلت تأثيرات الشيخ محمد عبده إلى الجنوب الجزائري حيث يذكر محمد علي دبوز أن زعماء نهضة ميزاب يعدون أنفسهم من تلاميذ محمد عبده، وكان الحاج عمر بن يحي مغرما بكتب الشيخ محمد عبده، ويسلك طريقته.[3]أما الشيخ بيوض فقد كان يدرس رسالة التوحيد، ويفسر القرآن على طريقة محمد عبده، ومن تلاميذه إبراهيم بن يوسف أطفيش وإبراهيم أبو اليقظان وصالح بن يحي بن الحاج سليمان، ومن أبرز تلاميذه الحاج بكير العنق وعمر العنق.

ويجمع الباحثون على أن هذه الزيارة على قصرها قد تركت آثارها في الجزائر، نظرا لمكانة الشيخ أولا وللدروس التي ألقاها، وعدد حاضريها الكبير، وتغطية المنار لها، ويرون أن تأثيرها كان بعيد المدى ظهر بصفة خاصة مع جمعية العلماء.

---

[1] أحمد صاري، "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة" مقال سابق، ص-ص.15-20؛
ينظر: الملحق رقم (7).

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص.589

[3] **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، ج2، مرجع سابق، ص.35

المطلب الثاني: تأثير الصحافة المشرقية والتونسية

لا شك أن الصحافة المشرقية كانت متقدمة على الصحافة الجزائرية، من حيث الإصدار ومن حيث معالجة قضايا الإصلاح والنهضة. فقد أجمع الباحثون على أن الصحافة المشرقية والتونسية حملت بين طياتها النهضة والإصلاح الحديث إلى الجزائر، ومن هنا وجب علينا معرفة حدود هذا التأثير ومدى مساهمة الجزائريين فيه.

من خلال المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها، وجدنا أن أهم الصحف التي كانت تصل الى الجزائر هي من إستانبول ومصر وتونس والشام، ولم يكن الجزائريون يتلقون أخبارا فقط بل كانوا أيضا مساهمين في هذه الصحف، سواء عن طريق المقالات أو انشاء صحيفة تعبر عن رأي الجزائريين.

يؤكد زهير إحدادن أنه لم يعثر على أي أثر للصحافة المشرقية في الجزائر قبل 1870، وهذا لأن الصحافة العربية المشرقية هي أيضا لم تكن متطورة فضلا عن وصولها الى الجزائر، "كما أن السلطات الفرنسية كانت تشدد عليها الرقابة.[1] كما بقيت الرقابة الفرنسية على الصحافة في عهد الجمهورية الثالثة ذلك خوفا من تجدد ثورة المقراني، وأيضا لهاجسها المخيف من الجامعة الإسلامية، والتي يقول الصحفيون الفرنسيون إنها ظهرت ابتداء من 1882.

يبدو أن عواطف الجزائريين كانت متينة بالدولة العثمانية –على الرغم من ضعفها وتقلبات حكامها–فقد كانت أسماء أبو الهدى الصيادي ومحمد ظافر المدني وأحمد فارس الشدياق، تتردد لدى الجزائريين سواء المهاجرين أم الذين اتصلوا بذويهم،[2] وقد سبق أن ذكرنا أن عاشور الخنقي كتب قصيدة في مدح أبي الهدى الصيادي. كما أن أحمد المجاهد أبا طالب الحسنى الراشدي الذي تنقل كثيرا بين المغرب والمشرق، نظم قصيدة في مدح كتاب "سر الليالي" لأحمد فارس الشدياق،[3] وأشار ضمن القصيدة إلى الانتشار الواسع لجريدة "الجوائب"، ومما جاء في قصيدته:

كم جابت جوائبه بلادا وحال بيانها حزنا وسهلا

---

(1) Ihaddaden Zohir, ***Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'en 1930***, Ed2, les Editions Ihaddaden, Alger, 2003, p.49

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ق2، مرجع سابق، ص.568.

(3) أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، بيير فونتانة، الجزائر، 1906، ص.ص. 87-88.

بنيت لك الوداد أبا سليم على عهد بدولـة محـــلا

قدم بدر السعادة في البرايا ومن يشتاك يلق أسى وذلا[1]

والجوائب صحيفة أسبوعية سياسية برزت في الأستانة بتاريخ 1860 أسسها أحمد فارس الشدياق، وانتشرت انتشارا عظيما في الشرق والغرب ونالت شهرة لم تنلها سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذلك العهد. وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاقها لنشر فكرة الخلافة النبوية بين المسلمين خارج الدولة العثمانية.[2] كانت الجوائب خادمة الدولة العثمانية بالدرجة الأولى، ولها انتشار واسع، ووكلاء وموزعون في باريس ومرسيليا ولندن وبمباي بالهند. وكانت موالية للسلطان عبد الحميد ودعوته الى الجامعة الإسلامية، وحسب التليلي العجيلي[3] "أنه نظرا لسلطتها الادبية وكثرة انتشارها فقد كان عدد المشتركين فيها من التونسيين كثيرا، مع العلم أن قراءها يتجاوز عدد مشتركيها، وقد تجاوز عدد قراء الجوائب غيرها من الصحف التونسية عدا الرائد التونسي، وكان يعتمد عليها في ذكر أخبار السلطنة "،ومن الجرائد العثمانية التي وصلت الى الجزائر أيضا صحيفة "**المعلومات**" التي كانت تصدر بإستانبول، فقد قال نائب عمالة الجزائر إن عدد المشتركين فيها من الجزائريين كثير، وكانت تصلهم باستمرار، وتباع في مدينة الجزائر في الوراقة العربية الموجودة بشارع (Randon)، والتي كانت ملكا للمدعو أحمد بن مراد التركي.[4] وحسب دراسة عمار هلال للهجرة أن الجزائريين كانوا من خلالها يعرفون أخبار الدولة العثمانية وحروبها، ويصلهم نداءها الى للهجرة، وتذكر المبالغ المالية

---

[1] **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب**، ج4، اعتنى به وجمعه: سليم فارس الشدياق، مدير الجوائب، مطبعة الجوائب، الأستانة، 1295هـ، ص.26.

[2] فليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج1، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص.61.

[3] مرجع سابق، ص.ص. 100-101.

[4] عمار هلال، **الهجرة الجزائرية**...مرجع سابق، ص.238.

التي خصصها السلطان للمهاجرين.[1] و الدور نفسه لعبته جريدة **ثمرات الفنون**[2]، حيث كانت تدعو المسلمين إلى طاعة أمير المؤمنين والالتفاف حول عرش الخليفة.[3]

ومنذ عهد كامبون سمح الفرنسيون للصحافة المصرية بدخول الجزائر ولو بصفة متقطعة.[4] كما كانت سياسة شارل جونار أخف وطئا على الصحف والمفكرين، ولعل أهم الصحف المصرية التي كانت تدخل الجزائر جريدة **اللواء** لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني المصري، و**المؤيد** للشيخ علي يوسف. ويقول محمد فريد الزعيم المصري الذي زار الجزائر في سنة 1901: " لا يوجد في جميع إقليم الجزائر غير جريدة المبشر، وهي جريدة رسمية تتحدث في فضل فرنسا عن العرب، والحض على التعامل بالولاء، وقد منعت عنهم الجرائد العربية، فلم أجد في جميع مدينة الجزائر نسخا من اللواء ولا المؤيد، مع أن المشتركين فيها كثيرون! ولا تصل هذه الجرائد إلا لإدارة المبشر مبادلة. وهناك تحفظ في حرز مكين حتى لا تخرج بعض أعدادها من الإدارة فتصل أخبار الإسلام والمسلمين إلى إخوانهم الجزائريين".[5] ويبدو أن هذه الصحف كانت تصل إلى الجزائريين عن طريق تونس حيث المراقبة أخف، أو عن طريق المغرب الذي كان لا يزال يمتنع باستقلاله أو ما بين حقائب الحجاج،[6] وقد عبر أحد الكتاب الفرنسيين عن هذه الطرق السرية بقوله: "لقد كان هناك مجرى سري ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلهم مرتبطين

---

(1) المرجع نفسه، ص. ص. 235-236

(2) **ثمرات الفنون** أنشأتها "جمعية الفنون" برئاسة الحاج سعد بن السيد عبد الفتاح حمادة، وفوضت إدارتها لصاحب امتيازها عبد القادر القباني، وهي أولى الجرائد الإسلامية في بيروت وثانيها في السلطنة بعد الجوائب صدر العدد الأول منها في 20 نيسان 1875، المرجع: دي طرازي، ج2، ص.26

(3) عمار هلال، **الهجرة الجزائرية**...مرجع سابق، ص.238

(4) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**...، ج1، ق2، مرجع سابق، ص.569.

(5) أنور الجندي، **الفكر والثقافة في شمال إفريقيا**، مرجع سابق، ص.113.

(6) سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.69.

بالرأي العام العربي".[1] ويرجع الباحث محمد ناصر[2] الفضل للصحافة المشرقية في النهضة في الجزائر والريادة في هذه الصحافة المصرية، بحكم تجربتها في الميدان.

إن معلوماتنا عن وصول العروة الوثقي الى الجزائر قليلة، خاصة أن الاعداد التي توزع في شمال إفريقيا حسب إحصاء هوما باكدمان هو "20"عددا مقابل "501" بمصر.[3] فلم أجد في الموضوع سوى إشارة من عمار طالبي حيث قال عنها: "كانت أعداد العروة الوثقي تصل الشيخ علي بن ناجي الزاهري والسيد علي بن العابد السنوسي الزاهري بتداولها الطلبة من منطقة بسكرة على الزاب الغربي (طولقة) إلى الزاب الشرقي (الحنقة وإليانة)".[4] ونظرا للمشاكل التي اعترضت المجلة توقفت بعد ثمانية أشهر من إصدارها، وخلفتها المنار حسب ما قاله منشئها محمد رشيد رضا في افتتاحية العدد الأول، وقد وجدت المنار رواجا كبيرا لدى علماء الجزائر وتونس، وأصبح لها وكيل توزيع بتونس بعد عودة الشيخ الثعالبي من مصر. فقد ألح عليه محمد رشيد رضا بإيجاد وكيل جديد للمنار بتونس، كما أنه أوجد وكلاء لمجلة "البرهان" لعبد القادر المغربي ومجلة "المقتبس" لمحمد كرد علي.[5] وكانت المنار كما ذكر عبد الحليم ابن سماية ومحمد بن الخوجة مدد الحياة بالنسبة للجزائريين.

هناك عدة جرائد أنشئت خارج الجزائر من طرف بعض المهاجرين وأشهرها جريدة "**المهاجر**" ظهرت في دمشق في يناير 1912 وكان رئيس تحريرها التهامي ابن شطة،[6] ولكن ممول الجريدة هو الأمير علي ابن الأمير عبد القادر ومن كتابها ابنه سعيد، وقد أصبحت أداة فعالة في السياسة المعادية

---

(1) **الصحف العربية الجزائرية، من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص.80.

(2) محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها (1903-1931)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص.55.

(3) أحمد صاري، مرجع سابق، ص.181.

(4) عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج.1، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص.27.

(5) أحمد بن ميلاد، **عبد العزيز الثعالبي**...، مرجع سابق، ص.38.

(6) **محمد التهامي بن شطة** "ت1915"كاتب، صحفي، من دعاة الإصلاح الإسلامي ولد ونشأ في مدينة الأغواط، عندما احتلها الفرنسيون في سنة 1852، هاجر إلى تونس وأقام بها إلى أن احتلها الفرنسيون سنة 1881 فغادرها إلى سورية، ثم انتقل إلى تركيا إلى ان توفي بها. ينظر: عادل نويهض، ص.86.

لفرنسا في المشرق.[1] ثم أنشأ التهامي بن شطة جريدة "**الاتحاد الإسلامي**" في 23جانفي 1915، ويظهر اتجاهها من خلال العنوان، لكنها لم تعمر طويلا حيث انتقل صاحبها الى تركيا.[2] وتبرهن جريدة المهاجر من خلال اسمها ومقالاتها بإمضاء "جزائري" ومن أناشيد وطنية على شعور متفجر لمأساة الجزائر.[3]

كانت ملفتة انتباه المسلمين إلى المؤامرات والدسائس والتحالفات التي تحاك ضدهم... ووصل الأمر بالمهاجر إلى اعتبار ما تقوم به الدول الأوربية من تحالفات ماهي إلا خلافات ظاهرية لاقتسام بلاد المسلمين.[4] وقد جاء في عدد يوم 30 سبتمبر1912 نداء للعودة إلى تقاليد الشجاعة والشرف والوحدة لاعلاء كلمة "لا إله إلا الله".[5] وقد علق التليلي العجيلي[6] على نداءات المهاجر أنها كانت تضرب على وتر الحمية، ولإثارة المجد الغابر دون استراتيجية واضحة المعالم من حيث الأهداف والوسائل، واعتمدت بالدرجة الأولى على التفسير التآمري وذلك لضبابية فهم الأحداث. لكن ألم يكن المسلمون آنذاك في حاجة الى هز النفوس الخاملة كما يقول ابن باديس.

نشط محمد شريف بك الجزائري[7] في المجال الصحفي في المشرق، فقد عاش في مصر ونظرا لجهوده في خدمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي فقد تقلد البكوية من عاصمة الخلافة.[8] وأنشأ جريدة "البوسته" وتميزت بطول نفسها فقد دامت ثماني سنوات من1896 إلى 1904 سنة وفاته، وكانت

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5 ص.604.

[2] عادل نويهض، **معجم اعلام الجزائر**، مرجع سابق، 86.

[3] صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة بالمشرق"، **الثقافة**، العدد 26، أفريل/ماي 1975، ص.13

[4] مرجع سابق، ص. ص.198-199

[5] المرجع نفسه، ص. 200

(6) المرجع نفسه، ص. ص.200-201

(7) **محمد شريف بك الجزائري** (ت1904): صحفي وكاتب إسلامي من رجال السياسة البارزين في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. أبعد من مصر إلى فرنسا في سنة 1903 باتفاق مع القنصلية الفرنسية. المرجع: عادل نويهض، ص.110

(8) المرجع نفسه، ص.110

جريد يومية سياسية علمية أدبية تجارية إخبارية كما تصرح ديباجتها وهي تقبل الرسائل المفيدة للدولة والملة الحاضة على الإخلاص لصاحب الخلافة الكبرى.[1]

يعد محمد الخضر حسين من العلماء البارزين ودعاة الإصلاح في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو من أصول جزائرية، تقلد مشيخة الازهر الشريف وزار الشرق الجزائري والعاصمة حوالي سنة 1905 وكتب "رحلة جزائرية" دون فيها ملاحظاته حول المجتمع الجزائري، وفي المجال الصحفي أنشأ جريدة "**الهداية الإسلامية**".[2] وبعد الحرب يلمع اسم أبو إسحاق أطفيش حيث يبعد من تونس الى القاهرة في سنة 1924 ويصدر هناك مجلة "**المنهاج**" يقول عنه محب الدين الخطيب: "كنا نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير، فما قامت لخير الإسلام جماعة من ذلك الحين، ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوتهم في أمر إلا كان الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في مقدمة الجيش".[3]

اهتمت الصحف التونسية بشؤون الجزائريين، ومنها جريدة "**الحاضرة**"، فقد أصدرها علي بوشوشة وهو من أصل جزائري. هاجر جده في بداية الاستعمار واستقر ببنزرت، استمرت هذه الجريدة أكثر من عشرين سنة (1888-1911).[4] كما اهتمت الحاضرة بقضية الهجرة والتجنيد الإجباري والمنفيين الجزائريين والأوقاف والتعليم العربي... وقد دعت إلى المحافظة على التقاليد العلمية العربية في الجزائر مع نشر العلوم العصرية،[5] وهناك عدد من الكتاب الجزائريين الذين لهم علاقة متينة بالحاضرة، وكانوا ينشرون فيها مقالاتهم، منهم: محمد بن المصطفى بن الخوجة، محمود كحول وعمر بن قدور...ويقول علي العريبي الذي خصص لها دراسة: "إنها تحتوي على وثائق هامة سياسية وثائقية تتعلق بالقطر الجزائري، يمكن للباحث في تاريخ هذا القطر أن يستفيد منها استفادة جمة. وقد كانت الجزائر سوقا نافقة لهذه الجريدة ولها مشتركون ووكيل بتلمسان".[6]

---

(1)صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة..." مقال سابق، ص. 14

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص.575

(3) صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة ..." مقال سابق.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص.607.

(5) المرجع نفسه، ص.608

(6) **الحاضرة**، السلسلة 8، المجلد 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995، ص.345.

أنشأ الطيب بن عيسى صحيفتان بتونس، الأولى جريدة "المشير" والثانية "الوزير"، وتظهر نصيحة عمر راسم له في جملة من التوجيهات تدل على الوحدة قائلا: "أرجوكم نعم الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقاديا وخادما للدولة العلية، وأن تنتقد عليها في كل مالا تراه حسنا، أيها الأخ اعلم أنك جزائري الجد فلا تغفل عن وطنك. ودافع عنه بقدر الطاقة، ولا تخش في الله لومة لائم وكن مع نصر الله يكن معك. وعلى الوطن يعينك الله، وحب الوطن من الايمان."[1] ومن الصحف التي كانت تقرأ في الجزائر جريدة "الزهرة" وعلى الرغم من اهتمامها بالشؤون التونسية، فإنها كانت تصل الى الجزائر. ويذكر مالك ابن نبي.[2] أنه عندما صدرت جريدة "العصر الحديث" أصبحت تقرأ بدلا من "الزهرة"، لأن العصر الحديث تخصصت في شؤون العالم الإسلامي.

لقد فجر الضغط الاستعماري طاقة الجزائريين الصحفية خارج الجزائر. فنجد مشاركتهم بمقالات بمختلف الصحف التونسية والمشرقية، ولعل من أوائلهم عمر راسم وعمر ابن قدور. وكانت مقالاتهم تتطرق بعمق للقضايا الجزائرية،[3] فعمر بن قدور تعامل مبكرا مع جريدة(الحاضرة) التونسية و(الحضارة) العثمانية التي تصدر باستانبول، كما كان يكتب بالصحف المصرية مثل اللواء والمؤيد التي هي ضد السياسة الفرنسية، لذلك أبلغ الحاكم العام جونار عمر بن قدور في سنة 1906 بالكف عن مراسلة جريدة اللواء المصرية.كما أن نشاط عمر راسم الصحفي سبب سجنه في سنة 1915، بعد أن وجدت إدارة البريد الإنجليزية رسالة في أوائل الحرب العالمية الأولى _قبل دخول تركيا الحرب_ موجهة من الجزائر إلى مدير جريدة الشعب "المصرية"، وفي هذه الرسالة العبارة التالية: "يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم، وألا يعينوا اعداءهم "، فوجهت التهمة رأسا إلى عمر راسم بدعوى أن الخط الذي كتبت به هو خطه."[4]

كما نشط أبو اليقظان في الصحافة التونسية ومن الصحف التي اختار الكتابة فيها جريدة "**المنير**" وذلك لخط هذه الجريدة الوطني الهادف، وقد كان يهدف من خلال مقالاتهم إلى الربط بين القضيتين الجزائرية والتونسية، فاضحا المؤامرات الاستعمارية التي تشتت شمل الأمة. وفي مجلة الفتح

---

[1] محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي**...، مرجع سابق، ص. 162، نقلا عن المشير 8 جانفي.1911.

[2] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد على القرن**، مصدر سابق، ص.83.

[3] محمد الصالح الجابري، المرجع السابق، ص.72.

[4] محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر"، **الثقافة**، الجزائر، ع.34، السنة.6، 1976، ص.67.

لمحب الدين الخطيب كان يكتب السعيد الزاوي والسعيد الزاهري، وقد استطاع بإنتاجه الخصيب أن ينتظم في أكثر من دورية في فترة واحدة وهي الشـــهاب في الجزائر، والفتح والمقتطف والرســـالة في القاهرة.

ولعل التأثير المشرقي يظهر أكثر في الصحافة الجزائرية عند إنشائها فبظهور **المغرب والفاروق وذو الفقار والشهاب**.. وغيرها من الصحف نلاحظ أنها كانت تنقل بكثرة عن الصحف المشرقية سواء الأخبار أو الشعر أو المقالات. ففي شعر عبد الرحمان شكري **بمجلة الجزائر**[1] نلمس الأمل بعنوان اليسر بعد العسر:

إن الشتاء إذا تطـــــــاول أمره ... دخل الربيع بطيبة روائحه

والليل أمالج في غلـــــــــوائه ... جاء الصباح بضوئه وبهائه

والسحب لما اسقمت وجه السما ... برز الهلال يزينها بضيـــــائه

وكذا الشقاء إذا تمـــادى عهـــده ... جاء النعيم يذل من غلوائه.

المبحث الرابع: موقف الجزائريين من قضايا المسلمين

لم تقتصر علاقة الغرب الأوربي بالشرق الإسلامي على الحملات العسكرية، بل تعدتها إلى مجال أعمق وهو الصراع الفكري، ولعل فرنسا كانت تمثل البلد الأوربي الذي أقام أكثر العلاقات مع الإسلام المتوسطي، ونتيجة لذلك كان هذا البلد هو الذي واجه الإسلام بحدة أكبر،[2] ويمثل القرن التاسع عشر في أوربا قرن الفلسفة الوضعية والنقد التاريخي وتأويل الكتاب المقدس والاستشراق، وقد بيّنا في فصل سابق كيف أن الفكر الأوربي لم يقتصر على نقد المسيحية بل تعداها إلى نقد ديانات الشعوب الأخرى، لنقل الفكر لأوربي إلى تلك الشعوب. ومن الطبيعي أن علماء المسلمين تصدوا لهذا الهجوم، وكانت لهم استراتيجية دفاعية تقوم على دفع الشبهات التي ألصقت بالإسلام، وتبيان مجالات سوء الفهم، وإثبات أن الإسلام يتناسب مع العلم والحضارة. ومن هنا طرحت في نهاية القرن

[1] عدد أكتوبر 1908

[2] هشام جعيط، **أوروبا والإسلام**، مرجع سابق، ص.28

التاسع عشر عدة قضايا تهم المسلمين وتناولها علماؤهم مشرقا ومغربا منها: الدفاع عن الإسلام، وتخلف المسلمين وسبيل النهوض بهم...

المطلب الأول: في الدفاع عن الإسلام

نتيجة اهتمام الغربيين بالدراسات الشرقية، سواء لغرض البحث العلمي أم لخدمة الاستعمار، ومع تطور الفكر الأوربي العلماني طرحت تساؤلات عن الإسلام وتأثيره في الحياة العامة للمسلمين، ولقد كانت مقولة "الإسلام ضد العلم" إحدى استراتيجيات الخطاب الغربي في التسلط على الوعي الإسلامي.[1] ويرى علي مراد[2] أنه نادرا ماكان تحليل الأوربيين لأحوال المسلمين يؤخذ بصورة موضوعية، فقد كانوا يعللون تخلف المسلمين بوجود عاهات وراثية خبيثة وكانوا يلقون باللائمة على الإسلام أساسا في الأخير، فهو في نظرهم السبب في سوء الأحوال الاجتماعية والثقافية لدى الشعوب الإسلامية. وقد تناول عدة مستشرقين الموضوع، لكن محاضرة أرنست رينان[3] ورد جمال الدين الأفغاني عليه، كانت أكثر المواضيع إثارة للجدل، وقد تناولها بالبحث كبار المفكرين منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، لن نخوض في الموضوع -لسعته- إلا بما يتناسب وبحثنا. فقد ألقى رينان(Ernest Renan) في السربون بتاريخ 29 مارس 1883 محاضرة عنوانها "الإسلام والعلم" ونشرت في جريدة" (Journal des Débats) في اليوم الموالي. ويقال إن الأفغاني رد على رينان باللغة العربية ولم ينشر مقاله، ثم رد عليه أحد الجزائريين الفرنسيين وعقب الأفغاني على الجزائري في يوم 2ماي بجريدة البصير، وكتب الأفغاني ردا آخر على رينان في جريدة (Journal des Débats) في 18

---

(1) محمد الحداد، **حفريات تأويلية...**، مرجع سابق، ص.207

(2) **الإسلام المعاصر**، مرجع سابق، ص. 61.

(3) **أرنست رينان** (Ernest Renan) (1823-1892): مستشرق ومفكر فرنسي، عني بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب إسرائيل. اتقن اللغة العبرية أما اللغة العربية فلم يتقنها، لذلك لم ينشر أي عمل باللغة العربية، رغم أن اطروحته في الدكتوراه كانت عن ابن رشد. كان أستاذا في "الكوليج دي فرونس" وواحدا من أشهر دعاة الروح العلمية، ويعد أيضا في الأوساط الجامعية واحد من قادة الرأي فيما يتعلق بالاستشراق، ومتخصصا في الدراسات الشرقية ومؤرخا للديانات، وكان لأحكامه بشأن الثقافة الإسلامية حجية غير قليلة. ينظر: عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص.ص. 311-314. **الإسلام المعاصر**، ص.62

ماي 1883، وعقب عليه رينان في الجريدة نفسها في اليوم الموالي، لقد هاجم رينان في محاضرته الإسلام وعده لايتناسب مع العلوم الحديثة وسببا في تخلف المسلمين، ومن رأيه أن العلماء الذين صنعوا الحضارة الإسلامية هم من غير المسلمين مثل الفرس وغيرهم. وقدم نظرة عن المسلمين مليئة بالسلبيات حيث يقول: "إن أي شخص لديه إلمام ولو بسيط بأمور عصرنا يرى بوضوح أن البلاد الإسلامية في الوقت الحاضر أدنى من غيرها، كما يدرك انحطاط الدول التي يحكمها الإسلام، وأن الأجناس التي تستمد ثقافتها وتعليمها من هذه الديانة وحدها أجناس حرمت تماما من أي كفاءة ذهنية"[1]. ويرى علي مراد[2] على الرغم من أن بعض هذه الآراء قد أبداها المصلحون المسلمون أنفسهم، إلا أن رأي رينان أثار انتقاداتهم لأنه في رأيهم يؤيد الإيديولوجية الاستعمارية التي تقول بالعجز الفكري للشعوب الإسلامية لتبرير الاستعمار. وكان رد الأفغاني الأخير مفاجئا لكثير من المفكرين، حيث إنه وافق رينان في بعض تحليلاته. فقد أنكر عليه كثير من المسلمين قوله ووافقه بعضهم وأوّل بعض آخر كلامه بما يتوافق مع الإسلام –في نظرهم–.

والملاحظ أن بعض الحلقات في هذه القضية مفقودة، فرد الأفغاني الأول لم ينشر، لماذا؟ ألأنه كان باللغة العربية؟ فالأفغاني لايتقن اللغة الفرنسية كثيرا. يقال إن الذي ترجم رده الثاني هو خليل غانم[3] صاحب جريدة البصير التي نشرت رد الفرنسي الجزائري وتعقيب الأفغاني عليه. وبعضهم ذهب في التحليل إلى أن هناك تصرفا في الترجمة. لكن لماذا لم يحتج الأفغاني على سوء الترجمة؟ هناك تساؤلات كثيرة يطرحها الباحثون ولم يجدوا الإجابة عنها إلا بشكل تأويلي.

---

[1] علي مراد، **الإسلام المعاصر**، ص.63.

[2] المرجع نفسه، ص.65

[3] **خليل غانم** (1846-1903): هو خليل بن إبراهيم بن خليل غانم ولد ببيروت واتصل بوالي سوريا أسعد باشا الذي أصبح بعد مدة صدرا أعظما في الدولة العثمانية، فجعله ترجمانا للصدارة في 1292هـ ثم غضبت عليه حكومة الآستانة ففر إلى باريس حيث أنشأ جريدة "البصير"، لم تطل مدة صدورها، فعكف على التجارة والكتابة إلى الصحف، ألف عدة كتب، ثم انتقل إلى سويسرا وأنشأ جريدة "الهلال" ثم حجبها، توفي في فرنسا وكان أديبا بالتركية والفرنسية، شديد الغيرة على مصالح بلاده، مناوئا لكل فكرة أجنبية. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص.313

مايهمنا في الموضوع هو موقف علماء الجزائر في الفترة من قضية "الإسلام والعلم"، فقد ورد في "**البصير**" أن هذه الجريدة نشرت ردا على رينان بقلم أحد أفاضل الفرنسيين الجزائريين، بعد رد الأفغاني الأول الذي لم ينشر. ولم تذكر اسم الفرنسي الجزائري، لقد أثار هذا الرد الأفغاني فكتب: "إن رينان الفيلسوف قد ألقى في باريس كرسي الحرية خطابا، جعل موضوعه "الإسلام والعلم"، وأظهر فيه أفكاره التي ذهبت بها الشواهد التاريخية. وماحاد خطابه عن سنة الأدب وما تجاوز حدود الكمال الذي يقضي به وجوب احترام الأمم فيما تنتحله دينا. ومع ذلك امتعض كثير من عظماء الأمة الفرنسوية وتجهموا من مقاله وحسبوه خروجا عن النصفة ومروقا من محيط العدل في الحكم، وتعديا على حقوق من يجب رعايته عليهم من المسلمين عموما، ومن سكان الجزائر وتونس خصوصا. حتى قام من هذه الأمة الشريفة من له الكلمة العالية في الحكومة وكتب مقالة. تذمر فيها من خطاب رينان وبين هفواته وأقام الأدلة على سقطاته وذاد عن الديانة الإسلامية ودافع عن المسلمين، وأبان ماكانوا عليه من الدرجة الرفيعة في الآداب والفلسفة...".[1]

من هو هذا الجزائري وماذا قال في رده؟ وعلى الرغم من بحثي الكثير عنه فإنني لم أعثر على اسمه، ويرى بعض الباحثين أنه " دوباس مسمر" وهو مستشرق كان مسؤول البعثة المصرية بباريس. ولكن ماعلاقة مسمر بالجزائر؟ سألتُ أبا القاسم سعد الله عن الفرنسي الجزائري الذي رد على رينان فقال "يحتمل أن يكون أحد المستشرقين الفرنسيين غير المعروفين من سكان الجزائر.[2] والغريب في الأمر أن هذا المستشرق دافع عن الإسلام والمسلمين فيما عده الأفغاني "عدم خروج عن سنة الأدب ولاتجاوز حدود الكمال الذي يقضي به وجوب احترام الأمم...".

إن قضية الإسلام والعلم كانت مطروحة بشدة في الفترة، وقد تصدى لها من الجزائريين محمد ابن رحال الندرومي، وعلى الرغم من تخرجه من المدارس الفرنسية إلا أن أطروحاته كانت تتناسب مع الاتجاه الإصلاحي للجامعة الإسلامية،[3] ففي جميع كتاباته وخطاباته كان يفضح سياسة التسلط

---

[1] جمال الدين الأفغاني، **سلسلة الأعمال المجهولة لجمال الدين الأفغاني**، تحقيق وتقديم: شلش علي، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1977، ص.155.

[2] مراسلة عبر البريد الالكتروني بتاريخ:2013/03/31.

[3] يقول عنه الشيخ البشير الإبراهيمي: "كان رجلا بعيد النظر، ينظر إلى على الدين، وغير ذلك من أنواع الإصلاح الداخلي الممكن..." محمد البشير الإبراهيمي، **آثار محمد** الجزائريين بعين المسلم فيرى أنهم بلاء على

الاستعماري ونظام التبعية، ويدافع عن اللغة العربية والشخصية الإسلامية، ويسعى لتحديث المجتمع الجزائري.[1] كانت طريقته في الإصلاح كما وصفها عبد القادر جغلول[2] "المقاومة بالحوار" حيث استعمل جميع وسائل الحوار مع الفرنسيين: الكتابة والصحافة والخطابة في المجالس المالية وفي مؤتمرات المستشرقين...وقد كان يتقن الخطابة باللغتين العربية والفرنسية، يقول عنه البشير الإبراهيمي: [3] "سمعته في حدود 1921 يخطب في المجلس المالي الجزائري بالفرنسية، وأن لاأفقه كلمة منها، فرأيت السامعين خاشعين منصتين من نواب مسلمين وأوروبيين وصحافيين ونظارة وكأنما على رؤوسهم الطير...قال أحد الحاضرين من أبناء ذلك اللسان وممن يحسن اللغة العربية: إن هذا الرجل يسحر ببيانه ويؤثر في خصومه...".

ومن خطاباته خطابه المدوي الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين الذي عقد بباريس في سنة1897 فصل فيه مبادئ الحضارة الإسلامية ونقد فيه الاستعمار،[4] بين أن سبب الهجوم على الإسلام هو جهل المسلمين. وكما يقول عن الإسلام إنه من الديانات غير المعروفة، وقليل ممن اهتموا بالتقرب منه ودراسته دراسة عميقة. وقليل جدا من يصوره صورة قريبة من الحقيقة، ويحكمون عليه أحكاما مستمدة من غير مايمليه التعصب والمصالح الاستعمارية.[5] ولعل خير رد على رينان وأمثاله في قولهم: "إن الحضارة الإسلامية صنعها غير العرب" هو قول ابن رحال: "إننا نجد أن ظاهرة الدين الإسلامي الذي انطلق من الصحراء بواسطة رجل أمي أمكنه أن يكيف ويطور عدة أجناس انطووا تحته من مختلف الطبقات والجنسيات... فمن الأسود البدائي إلى الفارسي إلى الآري العريق في التمدن، من البربري المقيم إلى العربي الظاعن، ومن الصيني إلى الإنجليزي إلى التركي أليس هذه بمَعَزّةٍ؟! وهذا كله على الرغم من موقف المسلمين

أنفسهم قبل بلاء الاستعمار. وأن الواجب أن يصلحوا أنفسهم بجمع الكلمة والمحافظة **البشير الإبراهيمي**، ج5، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط.1، الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص.131

[1] **الصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص. 43

[2] المرجع نفسه، ص.39

[3] مصدر سابق، ج5، ص.130.

[4] عبد القادر جغلول، **الصراعات**...، مرجع سابق، ص.44.

[5] Si M'hamed Benrahal, ***L'avenir de l'Islam et autres écrits***, Edition ANEP, Alger, 2005, p.19.

ورفضهم تغيير أحوالهم واتباع التطور إن هذه الديانة المستقلة غير المغرضة هذه الديانة صالحة للجنس البشري كله لأنها ليست كهنوت...".[1]

إذا قارنا بين رد الأفغاني على رينان وقول ابن رحال فإن الأخير خاطب القوم بلسانهم، وهو أعرف بهم، بينما رد الأفغاني تلاعبت به الترجمات والتأويلات. وهنا نجد ابن رحال يفرق بين الإسلام والمسلمين، حيث يقول: "إن المجتمع الإسلامي اليوم جاهل في أعماقه لايجهل فقط الفنون والعلوم الحديثة، ولكنه يجهل حتى بعض أمور دينه ماعدا بعض الأعمال التطبيقية لبعض المعتقدات الأساس. إن الدين انحط في شعب ضال...".[2]

لانبالغ إذا قلنا إن ابن رحال هو أحسن جزائري في وقته بيّن حقيقة الإسلام ورد على أعدائه فيما وصلنا من كتابات، فإذا ماقارناه بما كتبة محمد بن مصطفى الخوجة في كتابه إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، فيبدو أن السلطات الفرنسية استغلت الكاتب والكتاب، فقد ترجم بمامفهومه "التسامح الديني في الإسلام"، ونشر مسلسلا في مجلة فرنسية عن الإسلام " (LaRevue de l'Islam)، يذكر الكاتب سبب تأليف الكتاب: "فإني رأيت كثيرا من الإفرنج لايعرفون من الإسلام إلا اسمه ويرمون المسلمين كلهم بالتوحش والتعصب الديني، ويزعمون أن دينهم ينهاهم عن معاملة غيرهم بالحسنى، أحببت أن أبين في هذه الوريقات بالبرهان على غلطهم... لذلك جئت في هذه العجالة بما يفهم منه النهي عن تفريق الأهواء وتشعب الآراء والحث على الألفة والتوادد والتعاون على الخير، والتعاضد ووصل الروابط الوطنية بالاستيطانية، ليكون مجموع سكان البلاد الجزائرية أمة قائمة بحفظ الولاية السنية...".[3]

وذكر شارل روبير آجرون أن مصطفى الكمال اعتبر الشيخ محمد عبده أستاذه و"عالم علماء الدنيا" وأنه سار على منواله في التسامح فيما لايتعارض مع الدين،[4] فقد ملأ كتابه بالشواهد من الكتاب والسنة على التسامح مع غير المسلمين، فقسمهم إلى خمسة أقسام، فالقسم الخامس وهم "المحاربون" فيرى أن هؤلاء كانوا عندما كان المسلمون في أوج الصعود أما اليوم فأصبحوا متقهقرين فلا

---

[1] Ibid, p.24.

[2] Ibid, p.27.

[3] محمد بن مصطفى بن الخوجة، **إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام**، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص6.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، ص.162. نقلا عن آجرون المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج2، ص.915.

ينبغي لهم الاهتمام إلا بالشؤون المعاشية، أما الأمة الفرنسوية فهي من أقوى الأمم الأوروباوية ولها الجيوش الجرارة ...[1]ثم يذكر أعمالها في خدمة الدين الإسلامي من إنشاء المساجد والمدارس واهتمام بالعلوم.. يقول إن من ميزاتها أنها أطفأت نيران الفتن التي كانت موقدة بين القبائل والعروش...[2]ومهدت سبل المواصلات والسكك... ثم يقول وبناء على ما تقدم فمالنا أمام هذه الأمة الباسلة ذات الحكومة الجمهورية العادلة إلا الخضوع لها والتعويل عليها، وإلا سنكون كالباحث عن حتفه بظلفه...[3]أما الجهاد فيرى أن قتال أهل الشرك والطغيان وطلب الأمن... وشرطه القوة المكافئة مهما اختل ركن أو شرط من أحكام الجهاد، كان إلى الفتنة أقرب .."[4]

من خلال هذا الكتاب يبدو تأثير الإدارة الفرنسية في الكاتب، فقد كان ابن الخوجة يتعامل مع الفرنسيين ويصحح في جريدة المبشر ويدرس في المساجد الرسمية. فهل فهم تعاليم محمد عبده بشكل خاطئ أم سار في طريقه، فالمعروف أن محمد عبده في الفترة الأخيرة من حياته عرف بمداراته للإنجليز. وقد رد محمد رشيد رضا في المنار على محمد بن مصطفى بن خوجة عندما أصدر الكتاب قائلا: "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري، المدرس بجامع "سفير" في الجزائر الغرض منها إقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا، وعدم الخروج عليها....وفي الرسالة ما ينتقد، فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده عند الاحتجاج بكلامه، واصفا إياه بكونه خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الإطلاق"...ومما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد إطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم: فلاينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤونهم المعاشية..الخ، كأنه يجعلهم بهائم...إن كان يقول هذا فهو ناقص به كل مدح مَدَحَ به فرنسا، فينبغي لهذا الشيخ وأمثاله إذا كلفوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يقتصدوا ويقفوا عند حد معلوم، وكان المجال واسعا لإقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض أنفسهم للهلكة من غير عبث بالأحكام ولاتكليف المسلمين بأن يكونوا كالأنعام.."."[5]

---

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، المصدر السابق، ص.69

[2] المصدر نفسه، ص.71.

[3] المصدر نفسه، ص. 72.

[4] المصدر نفسه، ص.74.

[5] "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" **المنار** المجلد 5، أبريل، 1902، ص.116

المطلب الثاني: تحليل واقع المسلمين

يرجع هشام جعيط[1] بداية الإصلاح السياسي والديني في العالم الإسلامي إلى سنة 1880، مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويرى زكي الميلاد[2] أن الإشكالية الرئيسية للفكر الإسلامي الحديث هي "النهوض والتقدم" وقد اهتمت حركة الجامعة الإسلامية بتقدير واقع المسلمين ودراسة أسباب تخلفهم عن أوربا وأمريكا وطريق النهوض بهم، ونشط البحث في الواقع الغربي ومقارنته بواقع المسلمين، وقد كان هؤلاء يشعرون أنهم مطالبون بتقديم إجابات عن أسباب جمود المسلمين وتحدي الحداثة الأوربية، خاصة أن محاولات نقل الحداثة تخرج عن اختصاصهم فاقتصر اهتمامهم على مجال الأفكار فكثرت الكتابات في الموضوع[3] أثناء الفترة، حتى إنه لايخلُو أي مؤلف أو رسالة أو صحيفة مما يدور حول الموضوع وبيانات وافية في هذا الغرض.[4]

1-أسباب تخلف المسلمين:

إذا كانت مظاهر التخلف بينة، فإن الأسباب والحلول قد شغلت بال المصلحين. فقد جاء في العروة الوثقى مقال بعنوان "ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها": "هل يمكن تعيين الدواء إلا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى، وللعوارض التي طرأت عليه"[5] كما عالج محمد عبده أسباب تخلف المسلمين في عدة مقالات نشرتها مجلة المنار، وقد كان يرى أن من أهم الأسباب هي الجمود الاجتماعي والسياسي، وآفات علماء المسلمين الجهل والخرافات الشعبية وإهمال العلوم الطبيعية، ثم أرجع كل ذلك إلى النظام العثماني الذي كان يستخدم الدين لخدمة السلطة.[6] وقد بلغت الأسباب من الكثرة أن أنهاها عبد الرحمن الكواكبي إلى ستة وثمانين سببا أصليا وفرعيا، وخص الأمير شكيب

---

(1) **أزمة الثقافة الإسلامية**، مرجع سابق، ص.142.

(2)"جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي"، مقال سابق، ص.334.

(3) علي مراد، **الإسلام المعاصر**، مرجع سابق، ص.56.

(4) عبد المجيد النجار، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج3، مرجع سابق، ص.94.

(5) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، مصدر سابق، ص.55.

(6) علي مراد، **الإسلام المعاصر**، ص.53.

أرسلان الموضوع بكتاب من 180 صفحة،[1] كما اهتم المصلحون الجزائريون أيضا بالموضوع، ونظرا لسعته فإننا سنركز على رأي الجزائريين، ويمكن إجمال أسباب التخلف فيمايلي:

أ-الانحراف عن الدين: تندرج تحته كل الأسباب، ويقصد به الانحراف عن الفهم الصحيح للدين على أصوله والواقع في تصورات خاطئة، تحسب دينا وهي ليست بدين،[2] لقد أقر الأفغاني بالعلل المتعددة للهبوط الواضح، وعنده أن العامل الرئيسي في ضعف المسلمين وتقهقرهم هو مااعترى عقائد الدين من خلل وتشويه.[3] ومن الجزائريين الذين اهتموا بمعالجة المشكلة محمد بن رحال، والذي كان يرى أنهم بلاء على أنفسهم قبل بلاء الاستعمار. وقد نشط الجزائريون عن طريق الصحافة قبل الحرب العالمية الأولى في معالجة هذه القضية. ومن أبرز من كتب في الموضوع عمر راسم وعمر بن قدور، حيث كتب عمر راسم في جريدة المشير التونسية مقالا بعنوان "حول اليقظة الجزائرية" "...إن النوادر الحسنة التي تنبئ الأباعد والأجانب عن انبعاث روح جديدة سائرة بيننا هي أضغاث أحلام وتخيلات سياسية، وأوهام لم نعرف لها مقرا ولم نر أثرا...فيا الله أيها العالم الإسلامي لاتفرح فإن هذا القرن هو قرن الظلمات وهذا العصر هو عصر المكائد والآفات...".[4] وكتب أيضا في "ذو الفقار": "كيف يكون المسلم مسلما في بلد خلت فيه مساجده من الراكعين الساجدين، وامتلأت شوارعه باللصوص والفجار والسكيرين، كيف يكون المسلم مسلما في بلد خلا فيه من المحسنين، ولا إحسان لأهله إلا مع الفاجرات والمجرمين، كيف يكون المسلم مسلما في بلد ظهر فيه الأثرة وحب النفس وحب المال والانسلاخ من الدين والتظاهر بالفحشاء وتقليد الكافرين...".[5] وهو الرأي نفسه الذي قال به محمد عبده: "لم أر كالإسلام دينا حفظ أصله وخلط أهله ولامثله سلطانا تفوق عليه جنده، وخفر عهده، وكفر وعده ووعيده، وخفي على الغافلين قصده، وإن وضح للناظرين رشده، أكل الزمان أهله الأولين، وأدال منهم خشارة[6] من الآخرين، لاهم فهموه فأقاموه، ولاهم رحموه فتركوه...قالوا نحن أهله وعشيرته وحماته وعصبته، وهم ليسوا منه شيء..."[7].

---

(1) عنوان الكتاب: لماذا تقدم المسلمون ولماذا تأخر غيرهم؟

(2) المصدر نفسه، ص.95

(3) فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.154

(4) محمد عابد الجلالي، "عمر راسم"، **تقويم الأخلاق**، 5جانفي، 1927 ص.ص.52-53

(5) "الإسلام والمسلمون"، **ذو الفقار**، ع. 3، 14 جوان 1914.

(6) الخشارة بالمعجمتين كالحثالة وزنًا ومعناها: الرديء ومالا خير فيه من كل شيء.

(7) محمد عبده، **الإسلام بين العلم والمدنية**، مصدر سابق، ص.181.

يرى عمر ابن قدور أن الجهل وتسلط الأجنبي هما سبب ماأصاب الأمة الإسلامية من ويلات... وغلو المسلمين في سلاسل الخرافات والبدع وألقوا بهم على أعتاب الأولياء جثثا لاحراك بها يقعدهم عن العمل عقيدة التوكل والتسليم بعقيدة القضاء والقدر..."[1] وهذا ماقاله أيضا محمد عبده..."إننا أشرنا إلى بعض الأسباب التي جلبت هذا الجمود على المسلمين لاعلى الإسلام، وإن محدثها إما عدو للمسلمين طالب لخفض شأنهم أو لاستعبادهم واستغلال أيديهم، وإما محب جاهل يظن خيرا ويعمل شرا".[2]

أما بعد الحرب الكبرى فنجد أيضا كتابا آخرين تناولوا القضية نفسها ومنهم الأمير خالد الجزائري، ففي مقال له نشر بجريدة الإقدام في سنة 1920، يتحسر على المسلمين وماهم عليه من ذل وهوان وفوضى أخلاقية وتحكم الأجنبي فيهم، ويرجع سبب ذلك إلى رقة دينهم وانحطاط أخلاقهم،[3] و التحليل نفسه نجده عند الشيخ عبد الحميد بن باديس عبر صحف المنتقد والشهاب ابتداء من 1925.

ب-الفرقة والتشتت: أول ما لاحظه الأفغاني في ضعف المسلمين هو الفرقة والتشتت، لذلك كان مشروعه هو الوحدة أو الاتحاد، فتشتت المسلمين أورث التخلف وتفرق دوله كان أشد ضرا بالمسلمين، فقد جاء في العروة الوثقى: "كل الرزايا التي حطت بأقطارنا ووضعت في أقدارنا وماكان قاذفنا ببلائها ورامينا بسهامها إلا افتراقنا وتدابرنا والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه"،[4] بينما محمد ابن رحال حين حلل واقع المسلمين في محاضرته سنة 1897 فيرى أن التفرق يرجع إلى سياسة المسلمين منذ الفتوحات الإسلامية، فقد كان السياسة تقوم على الثقة بالدرجة الأولى حتى في غير المسلمين من يهود ونصارى، فقد أصبحت لهم مكانة واحترام، بل أنهم في الدولة الزيانية أصبح بعض اليهود وزراء، وهم السبب في الفتن والتشتت داخل الدولة العثمانية.[5]

---

[1] محمد ناصر، "رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قدور الجزائري"، **الأصالة**، ع.59/58، 1978، ص.61.

[2] محمد عبده، المصدر السابق، ص.201.

[3] محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية**، مرجع سابق، ص.87.

[4] جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، مصدر سابق، ص.117.

[5] Si M'hamed Benrahal,op. Cit, p.29

ومن الجرائد الجزائرية في الفترة التي حللت موضوع ضعف المسلمين جريدة الصديق" يرى صاحب المقال أن سبب ضعف المسلمين يعود إلى سببين الأول هو حمية الجاهلية، ويقصد بها القومية التي أدت إلى تشتتهم إلى عرب وترك وشركس... فقدموا القومية على الوحدة الإسلامية، فالناس كانوا قبائل وحدهم الإسلام وآخى بينهم، وقد ساهم أعداؤهم في زرع القومية والفتنة لتشتيتهم والدليل على ذلك تركيا، والسبب في ذلك هو القومية والملية" أما السبب الثاني في رأيه فهو حب الرياسة، لكنه لم يشرح هذا السبب.[1]

ج-الاستبداد: كان الاستبداد من القضايا التي عالجها مفكرو القرن التاسع عشر وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني، كما كتب عبد الرحمن الكواكبي "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" حيث يعرف الاستبداد بأنه "تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة"،[2] وقد سبق أن بينا رأي علماء الجزائر في الاستبداد وإصلاح نظام الحكم في بداية القرن التاسع عشر، أما في نهايته فقد أصبحت مشكلتهم هي الاستعمار، وعلى الرغم من ذلك نجد من عالج القضية، فمحمد ابن رحال يقول: "إن الثقة التي وصلت إلى حد اللامبالاة بالنسبة إلى الرعايا والتشدد الذي وصل إلى الاستبداد بالنسبة للمواطنين ثم سياسة الملوك التي كانت تخضع للغيرة والتحاسد، حتى أصبح ذلك التحاسد والغيرة أساسا لمعاملة بعضهم بعضا".[3]

لم أجد خلال بحثي أجرأ من عمر راسم وعمر ابن قدور في معالجة القضايا السياسية، والتي كان ممنوعا على الجزائريين التعرض لها، فبالإضافة إلى كتاباتهما في صحفهم كانا ينقلان عن الصحف المشرقية فقد نشرت جريدة الحق الوهراني مقالا بعنوان "الإنسانية تتعذب"، فيه هجوم قوي على الاستعمار الأوربي حيث يقول: "لقد مرت دهور وكرت أحقاب والظلم سائد في العالم والعبودية متحكمة في الأعناق والناس يئنون من نير الخشف[كذا] والاسترقاق حتى في ظل المدنية وتحت ستار الحضارة باسم القوانين والتنظيمات الدستورية، وبذلك فسدت الأديان وطمست حقائق وديست العدالة بالأقدام ولم تبق من آثار الشرف

---

[1] "أسباب اختلاف العالم الإسلامي" جريدة: **الصديق**، ع.3، 19 أوت 1920

[2] عبد الرحمن الكواكبي، **الأعمال الكاملة**، دراسة وحقيق: محمد عمارة، ط.1، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص.189.

[3] Si M'hamed Benrahal,op. Cit, p.39

ولنزاهة إلا الرسوم والأطلال"[1]. ثم حلل سبب الاستعمار يقول"...لايدفعها في الحقيقة إلا حب السلطة وعشق السيطرة والميل إلى ذل العباد" ونشرت الجريدة نفسها مقالا عن الأمير الصالح، تعالج فيه ظلم الحكام واستبدادهم والمسلمون منهم خاصة "فقد وصفت الجريدة عدل وصلاح أمير الأفغان آنذاك: "بالراعي تصلح الرعية" وتصفه أنه يسعى لوحدة المسلمين ويحمل كل الصفات التي يتمناها المسلمون في ولاتهم وختم المقال بـ"فليحيا الأمير الصالح وليكن قدوة للملوك والأمراء"[2] وفي المقال دفع من نوع خاص إلى إصلاح الحكم والتحرر من الظلم.

هذه المحاور الرئيسية لتخلف المسلمين تنطوي تحتها كثير من الأسباب شرحها دعاة الإصلاح منذ نهاية القرن التاسع عشر، ومازالت موضوع بحث إلى يومنا هذا.

2-سبيل النهوض بالمسلمين:

يرى بعض الباحثين[3]أن المشكلة الرئيسية التي عالجها المفكرون المسلمون في نهاية القرن التاسع عشر هي ثنائية "التأخر والتقدم" أو "التخلف والنهوض"، وكانت النتيجة أن العالم الإسلامي تأخر لسببين وهما: الاستبداد والتأخر العلمي. فالحل إذن يرتبط بإصلاح التعليم وإصلاح السياسة. وسنتناول في هذا المطلب إصلاح التعليم أما الإصلاح عن طريق السياسة فسنتناوله في الفصل القادم.

في إجابة عن سؤال طرحه علي أومليل[4] لماذا ارتبط الإصلاح في العالم الإسلامي بإصلاح التربية والتعليم؟، يجيب لأنه في تصور الإصلاحيين العرب والمسلمين أن تقدم أوربا قائم على أساس العلم، فالنهضة رهينة بإصلاح التعليم والسبب الثاني أن التربية هي مدخل للإصلاح السياسي، وهي في نظر بعض تحصين المسلم من الاستعمار. بينما يرى جمال الدين الأفغاني أنه لاتنفع كثرة المدارس والجرائد إذا لم يكن هناك حاكم عادل يقوم بالإصلاح. وفي تحليل أندري سرفييه لإصلاحات الحزب

---

(1) "الإنسانية تتعذب"، **الحق الوهراني**، ع.46، من 25-31 أوت 1912.

(2) "الأمير الصالح"، **الحق الوهراني**، ع.31، من 20-27 جويلية، 1912.

(3)**الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**، ط.1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1985، ص.15؛ فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام**، مرجع سابق؛ عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، مرجع سابق؛ زكي الميلاد، "جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي"، مقال سابق، ص.334؛ محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي**، ص.48؛ وغيرهم.

(4) علي أومليل، المرجع السابق، ص.154.

الوطني المصري بقيادة لطفي السيد أنه استعمل التعليم كسلاح بتأثير من محمد عبده، وهذا من الدهاء السياسي، لأنه لايمكن تدجين أو سيطرة على شعب متعلم... ثم يقول يجب ألا نندهش من هذا لأنه مؤسس في العقيدة الإسلامية.[1]

لقد كانت محاولة إصلاح التعليم في العالم الإسلامي في وقت مبكر من القرن التاسع عشر، كما سبق أن بيّنا، كما أن هناك نداءات ومحاولات لإصلاح التعليم في الجزائر منذ حوالي سنة 1870 مع عبد القادر المجاوي في قسنطينة وغيره من العلماء في الشمال والجنوب. لكن مشكلة الجزائريين كانت معقدة ومركبة، فهناك مشاريع لإصلاح التعليم العربي الإسلامي، واستعماله وسيلة لمواجهة المستعمر، ومن جهة أخرى هناك مشروع غربي وفرنسي لاستعمال التعليم كوسيلة للإدماج، وتقديمه على أساس أنه وسيلة للتقدم والتحضر. مع العلم أن المسلمين كانوا مايزالون بعيدين عن العلوم الحديثة ومتمسكين بماورثوه من علوم دون تجديد بعضها بما يتناسب مع العصر. إذن فالإشكالية التي كانت مطروحة آنذاك هي كيف نجعل التعليم وسيلة للنهوض والمقاومة مع الاستفادة من العلوم الحديثة والمحافظة على الهوية العربية الإسلامية؟ وكيف نستفيد من المشروع التعليمي الفرنسي من دون إدماج؟.

من المشاريع المهمة التي عرفتها الجزائر لإصلاح التعليم مجهودات محمد بن رحال، ويسمى عبد القادر جغلول مشروعه بـ"المقاومة بالحوار" أي قبول التعامل مع المستعمر ليس للدمج وإنما للإحياء، في وقت قويت فيه العاصفة الاستعمارية،[2] وتميزت الفترة بانهيار التعليم الديني الذي كان سائدا منذ ما قبل الاستعمار، وفي الفترة أيضا بدأت سياسة الفرنسة التي اتبعتها السلطات الفرنسية. لقد عد محمد ابن رحال مرسوم 1883 حلا للأزمة الثقافية الجزائرية. فآراؤه التربوية تحاول الإفادة من المشروع الاستعماري وتوظيفه لخدمة الجزائريين المسلمين. فهو يدعو إلى تعميم التعليم المجاني وجعل مراقبين للمدارس من طرف الجزائريين، مع نوع من التسيير المشترك، ويكون للتلاميذ الجزائريين الحق في متابعة الدراسة وحق العمل بعد التخرج،[3] إن هدف ابن رحال ليس تملك العلم الغربي فقط بل إعادة

---

[1] André Servier, op.cit, p.27.

[2] عبد القادر جغلول، **تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية**، تر:فيصل عباس، ط.2، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص.63.

[3] المرجع نفسه، ص.ص.87-89.

الرسالة القرآنية الخالية من الشوائب، ويرى عبد القادر جغلول[1] أن ابن رحال ينتمي إلى حركة التجديد الإسلامي الكبرى التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر. فقد كان يسير في تيار النهضة الإسلامية، والتي كانت تدعو إلى ضرورة الإفادة من الغرب في علومه والتأكيد على عظمة الإسلام. وذلك بالرجوع إلى أصول الإسلام الأولى وهي التي كان يدعو إليها الأفغاني وعبده. ففي رأي ابن رحال "أنه لاينبغي أن نبقي أعيننا مغمضة تجاه الحضارة الغربية"، فليست كل العلوم الغربية خطرا على العقيدة الإسلامية "فهناك علوم يمكن أن نقلدها دون خطر لمصلحتنا، فكل مجالات العلوم الدقيقة وجزء كبير من التنظيم الداخلي السياسي. ونظام الخدمات العمومية والتعليم وكل مايتعلق بالتجارة والفلاحة والصناعة يمكننا تبنيها دون تعديلات كثيرة، بينما في مجال الاعتقاد فالعكس.."[2].

وعلى الرغم من أن ابن رحال كان معاصرا لمحمد عبده ونادى بإصلاح التعليم، لكنه لايبدو أنه كان متأثرا به، لأن محمد عبده ابتعد عن السياسة بينما ابن رحال على الرغم من رفعه لشعار "الإسلام لايعمل بالسياسة" إلا أنه انضم إلى الحركة المطالبة بالسياسة، بعد الحرب العالمية الأولى،[3] ولم يقتصر عمله على إصلاح التعليم. وهذا يعني أن مشروعه كانت له أهداف سياسية، بينما محمد عبده فقد انتقده بعض الباحثين ومنهم فهمي جدعان وقال بأن مشروعه عِلّي أحادي، وهو التفكير الذي يدير النهضة على علة واحدة وهي "التعلم"، والتربية والتعليم المدعومين بالأخلاق، ويقول إنه لم تظهر عيوب هذا التفكير إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث لاحظ أن التعليل الأحادي لايكفي للتقدم بل لابد وأن يكون هناك العامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي.[4]

لانكاد نجد قبيل الحرب العالمية الأولى سوى نداءات للتعلم سواء في إطار المنظومة الفرنسية، أو مطالبة السلطات الفرنسية بالتدخل في تنظيم التعليم الديني في الزوايا، وهو النداء الذي أطلقه محمد السعيد بن زكري عبر كتابه "أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل"،[5] وفيه

---

[1] المرجع نفسه، ص.118.

[2] Si M'hamed Benrahal, op.cit. p.27.

[3] عبد القادر جغلول، **تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص.121.

[4] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.456.

[5] خصه كمال شعشوع بدارسة: " K.Chachouah, ***L'Islam Kabyle, Religion, état et société en Algérie, suivi de l'Epitre (Risala) d'Ibnou Zekri***, Maisonneuve &Larousse, Paris, 2001 ».

دعوة تدخل السلطات الفرنسية لإعادة تنظيم الزوايا، ويرى أن هناك تنافرا بين الجزائريين والفرنسيين فكتب هذا الكتاب للجمع بينهما "...ذلك أن التنافر حاصل بأسباب وأمور وهميات وخيالات وذهنيات..." فكتب هذه الرسالة "وإن شئت سميتها إرشاد الفريقين إلى مابه إصلاح ذات البين.."[1]

وقد كان عمر راسم وعمر ابن قدور يكتبان عبر الصحف يناديان بضرورة التعلم وتبينان أهميته، فقد عالجت جريدة الحق الوهراني موضوع انحطاط التعليم واللغة العربية، ورأت وجوب التعليم الديني لأنه هو الأصلح للجزائري، لأنه هو السبيل الوحيد للقضاء على البطالة والابتعاد عن مساوئ الأخلاق، ورأى أن التعليم الفرنسي ومشروع جونار كان لبث الغباوة والجهالة، ويرى أن اللغة العربية صالحة لأن تكون لغة العلوم.[2]

كما نجد النداء نفسه عند عمر راسم، فيرى أن في العلم قوة، وهو يوقظ الأحاسيس ضد الظلم والظالمين: "...أجل يجب أن نتعلم لكي لانشعر بأننا ضعفاء، يجب أن نتعلم لكي لاتأبى نفوسنا الضيم ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية، وفي النهاية نموت أعزاء شرفاء، لانموت أذلاء جبناء... هناك في ذلك الميدان، الميدان الفسيح، ميدان العلم والرقي الأدبي نتعلم لكي نرفع أصواتنا في وجه الظلم، يجب أن نتعلم كيف ندافع عن الحق..."[3]. و الشئ نفسه نجده في مجلة الجزائر بعنوان "النفس وماتريد":"ماذا تريد النفس ... تريد أن تقوم أمام غيرها شريفة وعالية الرأس... تريد أن تستنير بالعلم الصحيح والتربية الحقة، لتسلك الطريق آمنة من كل خطر.."[4].

أما بعد الحرب الكبرى فقد بدأت المشاريع الإصلاحية تتبلور في العالم الإسلامي، فقد ظهرت في الجزائر النوادي والصحف والجمعيات وسمح بالتعليم العربي الحر، وأعظم مشروع إصلاحي في الجزائر هو مشروع "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، من تأسيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، فبعد أن تولى التدريس لعدة سنوات جعل مشروعه أوسع وأكثر تنظيما، ويرى فهمي جدعان أن ماأنجزته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "يمثل خير تمثيل الصورة التي يمكن أن تتخذها النهضة من

---

(1) محمد السعيد بن زكري، **أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر، 1903، ص.12.

(2) **الحق الوهراني**، ع.31. جويلية 1912.

(3) "الإنسانية تتعذب"، **الحق الوهراني**، ع. 26، 25 أوت 1912.

(4) "النفس وماتريد" في **مجلة الجزائر**، 15 نوفمبر، 1908.

خلال العلم والتربية الأخلاقية... فكانت ترى أن الإصلاح ذو شقين التعليم من جهة ونبذ الجمود من جهة أخرى..."[1] بينما يرى عبد الكريم بوصفصاف أن جمعية العلماء بدأت فكرتها أثناء الحرب الكبرى بعد أن رأى العلماء الجزائريون مستوى الانحطاط الذي وصل إليه الشعب الجزائري، لكن الفكرة تجسدت في 5ماي 1931، فقد بدأ الإمام ابن باديس بالاتصال بالشيخ البشير الإبراهيمي في سنة 1924، وفي السنة الموالية بدأ العمل بنشر الجرائد وأولها الشهاب ثم تتالت بعدها الجرائد ذات الاتجاه الإصلاحي، ومن خلالها بدأ الاهتمام بالمسائل السياسية وظهرت الحركة الإصلاحية.[2] وقد كانت الاحتفالات المئوية من الحوافز الرئيسية لتطور العمل الوطني والإصلاحي، فمن بين الأعمال التي أنجزتها جمعية العلماء أن حاربت عدوين الاستعمار الفرنسي من جهة والطرقية والخمول الذي خيم على الشعب الجزائري من جهة أخرى. وكان منطلق جمعية العلماء وشعارها "إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم" كما جمعت وجوه الإصلاح الحديث من العلماء المتأثرين بالإصلاح في تونس مثل ابن باديس، والمتأثرين بالإصلاح المشرقي منهم البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي العائد من الحجاز... وقد كيّف هؤلاء طرق الإصلاح بما يتناسب وظروف الجزائر آنذاك فظهرت ثمارهم.

[1] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.453.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945**، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص. ص.75. 81

الفصل الثالث

الجامعة الإسلامية من أجل التحرر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كانت القضايا السياسية من أولويات الإصلاح لدى بعض دعاة حركة الجامعة الإسلامية، ولعل السيطرة الاستعمارية وضعف الدولة العثمانية ساهما في عرقلتها، على الرغم من ذلك لم ييأسوا في معالجة بعض القضايا، والتي شهدت تطورات كبيرة بخاصة بظهور القوميتين التركية والعربية، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم، والتقارب العثماني الألماني. وسنتناول في هذا الفصل هذه التطورات، ومدى مشاركة الجزائريين فيها والاستفادة منها.

المبحث الأول: المسلمون بين الوحدة والتشتت قبل الحرب العالمية الأولى

إن الصراع الفكري الذي كان بين الشرق والغرب في نهاية القرن التاسع عشر نتج عنه تيارات فكرية متباينة الاتجاه، بين رافض لكل ماهو غربي، وساع إلى تطبيق النظم والقوانين الغربية، ومحافظ على الهوية مع الاستفادة من الغرب، هذه الاتجاهات الفكرية تطورت وتفرعت واتخذت أبعادا سياسية وعسكرية في بداية القرن العشرين. حيث خرجت الأفكار التي اختمرت لمدة من الزمن إلى عالم الفعل.

المطلب الأول: تداعيات عزل السلطان عبد الحميد الثاني

من القضايا الكبرى التي كانت مدار نقاش بين دعاة الإصلاح، قضية تغيير النظام السياسي في العالم الإسلامي، باتباع النظام الدستوري،[1] فقد بدأت الفكرة منذ منتصف القرن التاسع عشر عن طريق التأثر بالنظم الأوربية الحديثة،[2] وكان خير الدين التونسي أول من طبقه في تونس(1861)، أما في الدولة العثمانية فقد كان مدحت باشا هو الذي وضع الدستور، وكان يحمل طابع أفكاره

[1] الدستور اصطلاحا: هو مجموع القواعد القانونية التي تحدد نظام الحكم وشكله في الدولة، ولكل دولة دستور مكتوب أم غير مكتوب كما هو الحال في بريطانيا، وتمتاز بعض الدساتير بالمرونة، أي بجواز تعديلها بقانون تصدره الهيئة التشريعية أو التنفيذية في الدولة، بينما تمتاز دساتير أخرى بالجمود حيث يحتاج تعديلها إلى استفتاء الشعب أو إجماع مجلس النواب. ويبين الدستور طبيعة النظام السياسي وهيئات الدولة وسلطاتها ووظائفها وكيفية انبثاقها وحركية تغيرها وعلاقاتها واختصاصاتها فيما بينها ثم علاقتها مع المواطنين وحقوق المواطنين وواجباتهم. وهو ضمانة لحريات الأفراد وحقوق الجماعات. عبد الوهاب الكيلاني، **الموسوعة السياسية**، ج.2، ص.679.

[2] علي مراد، **الإسلام المعاصر**، مرجع سابق، ص.82.

الحرة، واستمده من الدستور البلجيكي، وأهم ما نص عليه هو المساواة بين الأجناس المختلفة في الإمبراطورية، وكبح سلطة السلطان المطلقة.[1] وبموجب هذا الدستور تم تعيين السلطان عبد الحميد الثاني في 31 أوت 1876 على رأس الدولة، وصادف ذلك توترا في العلاقات بين الدولة العثمانية وروسيا، والتي كانت من الأسباب الرئيسية لتعليق العمل بالدستور وحل البرلمان، والذي دام نشاطه أقل من سنة، فلم يكن السلطان مقتنعا بالنزعة الليبيرالية، حيث كان يرى أنها تقود البلاد إلى الهاوية. والدولة العثمانية في نظره غير ناضجة بما فيه الكفاية لتقبل التجربة البرلمانية، والتي يجب أن يكون لها هياكل وإصلاحات خاصة بها. ومن جهة أخرى بدا له أن النظام البرلماني خطير في دولة متعددة الأعراق والأجناس.[2]

وإن كانت بعض حججه مقنعة فإنه أتْبَع إلغاء الدستور بصرامة في الحكم، وصفها أعداؤه بالاستبداد قال عنه توفيق برو[3] بأنه:"حاول السيطرة بطريقة تجمع بين البراعة والشدة والمكر والدهاء مع محاولة الإرضاء ولم تخل من الريب والشبهات وعدم الثقة".

1-عزل السلطان عبد الحميد الثاني:

بدأت المعارضة في تشكيل خلايا وجمعيات سرية أهمها" جمعية الاتحاد والترقي" في سنة 1899، وهدفها هو إعادة العمل بالدستور، ووجدت المساعدة من الدول الأوربية ومن اليهود الذين كانوا يسعون لإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، فقد قدم اليهود لهذه الجمعية المساعدة بهدف القضاء على السلطان.[4] وقد سبق أن بينا في فصل سابق، مستوى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية في هذه الفترة، حيث فقدت مساحات شاسعة من أراضيها. وازدادت المعارضة بمختلف اتجاهاتها الفكرية والقومية والدينية.

لقد كانت الرغبة في الوحدة والالتفاف حول الخلافة العثمانية مطلب المسلمين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بالإضافة إلى رغبة الإصلاح. وقد التقى بعض دعاة الإصلاح الإسلامي

---

(1) احميدة عميراوي، **ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص.17.

(2) نادية ياسين عبد، مرجع سابق، ص.ص. 94-95

(3) مرجع سابق، ص.46.

(4) أحمد فهد بركات الشوابكة، مرجع سابق، ص.308.

الحديث[1] مع الشبان الأتراك في ضرورة تطبيق الدستور.[2]ففي نهاية 1907 قررت "جمعية الاتحاد والترقي" خلع السلطان، وحتى يتدارك السلطان الموقف بعد أن علم بالمؤامرة أصدر أمرا سلطانيا بإعادة العمل بالدستور، وإجراء انتخابات، وإلغاء الرقابة على المطبوعات والصحافة وتسريح المسجونين السياسيين،[3] وبذلك تأسست عدة أحزاب معارضة أهمها "الاتحاد والترقي"، وكان الصراع بين جماعة الاتحاد والترقي وأنصار الجامعة الإسلامية المعارضين للدستور، حيث نادوا بإلغائه، وصرح كثير منهم أن الشريعة الإسلامية في خطر فاستغل الاتحاديون السخط العام، وقاموا بثورة انتهت بعزل السلطان عبد الحميد الثاني، بمقتضى فتوى من شيخ الإسلام في سنة 1909.[4]

انقسم المسلمون ودعاة الجامعة الإسلامية تحديدا بين مؤيد للدستور ورافض له، ونجد من المعارضين للاتحاديين الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر[5]، فقد كان من أنصار السلطان عبد الحميد الثاني حيث قال: "سبق أن أخلصت للسلطان عبد الحميد واندفعت بتأييده اندفاعا قلبيا، لأنه كان رمز الوحدة الإسلامية، والجالس على كرسي الخلافة والداعي إلى الجامعة الإسلامية

---

[1] "مفهوم الدستور باعتباره القانون الأساسي مفهوم مقبس من ثقافة الغرب السياسية، ولايمكن إرجاعه إلى الشريعة الإسلامية، وقد كان نظام الخلافة هو أنموذج الحكم الخاص بالمسلمين، ولكن دعاة الإصلاح الإسلامي الحديث ومنهم جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي كانوا ينادون بفكرة المطالبة بالدستور، وبرر الكواكبي في كتابه"طبائع الاستبداد" نظاما يعرض للشورى أساسا دستوريا يتناسب مع القرآن". المرجع: علي مراد، **الإسلام المعاصر**، ص.ص.83-84

[2] عبد الكريم الماجري، **دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي الإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، 1977، ص.31

[3] إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.209

[4] المرجع نفسه، ص.210.

[5] **الأمير محمد سعيد بن علي بن عبد القادر الحسني** (1881-1970): ولد وتعلم وعاش في دمشق، لما خرج العثمانيون منها قلدوه وكالة الحكم المباشر في 1918، فأعلن استقلال سورية قبل دخول الجيشين العربي والبريطاني فألف حكومة وطنية مؤقته لمدة يومين، تسلم بعدها الأمير فيصل الحكم، نفي الأمير سعيد ثم عاد إلى سوريا بعد استقلالها، وعندما نقل جثمان الأمير عبد القادر إلى الجزائر في سنة 1966 جاء إلى الجزائر واستقر بها إلى أن توفي بمعسكر. المرجع: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص.109

وقت ذلك".[1] يبدو أن شعارات الاتحاديين أغرت الكثير باتباعهم حتى أنصار الجامعة الإسلامية، بينما تفطن بعضهم لخدعهم، ثم يقول: "في أول الأمر لم أؤيد جمعية الاتحاد والترقي وأضرابها من الجمعيات التي تعمل ضد عبد الحميد لأن عملها في رأيي خروج عن السلطان ونقض للبيعة".[2]

أما في الجزائر فليس لدينا معلومات كثيرة عن موقف أنصار السلطان عبد الحميد ورد فعلهم، ولعل صالح بن عمار الخالدي[3] يعطي لنا أبرز مثال عن الجزائريين المؤيدين للخلافة العثمانية في الفترة، ومن المتأثرين بالجامعة الإسلامية والساعين لوحدة المسلمين، فقد كان له نشاط كبير في تونس ومصر لأجل وحدة المسلمين، ولعل تعامل الخالدي مع الإدارة الاستعمارية ومع الألمان جعله يدرك مدى خطورة المخططات الاستعمارية، وهذا في وقت مبكر قبل عزل السلطان عبد الحميد، فبعد خروج الخالدي من الجزائر في سنة 1903 وجه نداء إلى الثورة باسم هيئة سياسية تسمى "الاتحاد الإسلامي" جاء فيه:"...عندما يحين وقت الجهاد الأكبر سنحتل الصدارة نحن الشرفاء المكونين للجنة المركزية للاتحاد الإسلامي لقيادة المعارك وسنقودكم نحو النصر المحقق..."[4]، بعد هذا البيان انتقل الخالدي إلى القاهرة، حيث كان له هناك نشاط صحفي وسياسي، وكان متعاطفا مع العثمانيين

---

[1] **مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي**، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للطباعة والترجمة والتوزيع، ط.1، الجزائر، 1968، ص.37.

[2] المصدر نفسه، ص.37.

[3] **صالح بن صالح بن لعلى بن خالد بن عيسى**: من أوراس النمامشة من قرية التوابة، نزحت عائلته إلى نواحي قالمة في حدود سنة 1832، وهناك ولد صالح بن عمار في حوالي سنة 1879، تعلم في زاوية بديار الحفناوي الرحمانية، وفي سنة 1887 التحق بالتعليم الاستعماري حيث تفوق على أقرانه من بني الكولون، وفي سن 16 سنة التحق بالتعليم الثانوي بقسنطينة. وكان يتردد على الكتانية وعلى مساجد وزوايا المدينة. ونظرا لثقافته العالية وذكائه نال ثقة الحكومة العامة، فادعى أنه مكلف من وزارة المستعمرات الفرنسية بمهمة في الجزائر، وكان يخطط لمشروع سياسي، لكن السلطات الفرنسية اكتشفت أمره في سنة 1903 فأحيل إلى محكمة درع الأهالي وسجن، وبتدخل أصدقائه أطلق سراحة، ثم سافر إلى تونس ثم مصر ثم المغرب حيث كان له نشاط سياسي، وفي سنة 1906 سجن بالمغرب وصادرت فرنسا أملاك عائلته بالجزائر، وانتزعت منها القيادة"، ينظر: عمار هلال، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا، فيما بين 1903-1906" في **الثقافة**، ع. 99، السنة 17، 1978، ص-ص. 117-122.

[4] المقال نفسه، ص.120.

متمسكا بالخلافة الإسلامية وكان يرى أن الدول الكبرى ليس لها هدف إلا تفرقة المسلمين، ويرى أن السبيل لتقدم المسلمين هو توحيد صفوفهم ماديا ومعنويا.[1]

ومن الجزائريين المتأثرين بالسلطان عبد الحميد الثاني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي فقد قال قصيدة من ستة وعشرين بيتا عن خلع السلطان وتسمى بـ "الحميدية" ومما جاء فيها:

ثنـــاء على عبد الحميد حـميد وحـــــزني عليه ما حييت

مـــالي لا أبكي عـليه وأنـــه لأمـــة خير المرسلين عميـــد

حامي حمى الإسلام بالبيض والقنا وتدبيره في المعضلات سديد

فيا خـــالعيه قـــد خـلعتم بخلعه قلوب جميع المسلمين فبيدوا

تسميتم حزب الترقي ســـفاهة وصنعـكم للانحطاط يـــريد

ما اللفظ بالدستور إلا وسيـــلة لبـاغ المسلمين يـــــــريد[2]

أما عمر ابن قدور فقد حلل وضع المسلمين ونصح الدولة العثمانية بالوحدة حيث يقول: "فإن تركيا –ومثلها الدول الإسلامية الأخرى- اختلفت وتناكرت فما كادت تتذكر ما كان يصيبها من جراء اختلافها وتناكرها، لأن داعي الانحطاط ذو سلطان عظيم وجانب مكين تشتد حقيقته ويعلو صوته فماوجد المفكرون في خلال ذلك فرصة ينتهزونها لبث صيحاتهم وما يستطيعون إيجاده" ثم يؤكد أنه كان دائم المتابعة لأحداث تركيا ودائم النصيحة لها، لكن لا حياة لمن تنادي "هكذا قلت لتركيا المرار العديدة، ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه، موقف الناصح الأمين، ومثلي ولا فخر في الشرق فئة قلية، أما في الغرب فيعدون على الأصابع وسيأتيك البيان"[3] وفي العدد التالي من الفاروق وبعنوان "مصيبة تركيا عدم الاعتبار" يقول منتقدا تركيا بعد إعلان الدستور: "إن تركيا

---

[1] عمار هلال المقال السابق، ص.121.

[2] محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي، **ديوان منة الحنان المنّان**، الجمعية الثقافية للعلامة محمد بن عبدالرحمن الديسي، ط.1، الجزائر، 2009، ص.205-206

[3] "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار" في **الفاروق**، 2ماي 1913.

سلكت عقب إعلان الدستور مسلكا منحرفا عن جادة الصواب في سياستها الداخلية الخارجية فقد تهورت في طلب التمدن العصري ومحاباة أوربا بكل مالديها من الشوق إلى المروق عن الملة الجامعة".[1]

أيد كثير من دعاة الجامعة الإسلامية إعلان الدستور وساروا في صف الاتحاديين عندما أعلنوا أنهم سيؤلفون بين مختلف طوائف السلطنة، وأحس البعض بالانفراج من سيطرة السلطان التي كانوا يرون فيها استبدادا في الحكم، ومن هؤلاء صالح الشريف[2] وعبد العزيز جاويش،[3] ومنهم أيضا محمد رشيد رضا[4] حيث كتب مقالا في المنار بعنوان "عيد الأمة الإسلامية بنعمة الدستور والحرية"،[5] كما أنه دافع عن عزل السلطان عبد الحميد الثاني، لكنه تراجع عن رأيه فيما بعد نتيجة للضرر الذي لحق بالأمة الإسلامية من عزله حسب رأيه، واعترف أن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني كانت قد وضعت حدا للتوسع الأوربي، وانتهى إلى أن جماعة الاتحاد والترقي قد أضرت بالأمة أكثر من ضرر السلاطين.[6] ومن خلال تواريخ مقالاته فإن تراجعه عن رأيه كان بعد ظهور النية الحقيقية لجماعة الاتحاد والترقي.

---

[1] المقال نفسه

[2] **صالح الشريف**: ولد بتونس في سنة 1859، درس بالزيتونة وحصل على شهادة التطويع في سنة 1885، هاجر إلى الأستانة، حيث كان مؤيدا للعثمانيين، ونشط في أوربا للدعوة إلى الجامعة الإسلامية، توفي بسويسرا في 1919، وبعد ستة أشهر نقلت جثته إلى تونس. المرجع: يوسف مناصرية، "الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي"، في **حولية المؤرخ**، ع1، 2002، ص.235

[3] محمد الشعبوني، **موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة (1914-1926)**، شهادة التحقيق في البحث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1991-1992، ص.50

[4] **محمد رشيد رضا القلموني** (1865-1935): البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة "المنار"، من رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ بالقلمون من أعمال طرابلس الشام وتعلم فيها ثم رحل إلى مصر، فلازم محمد عبده وتتلمذ له، ثم أنشأ المنار، وأصبح مرجعا للفتوى، زار الشام عدة مرات وغادرها إثر الاحتلال الفرنسي في سنة 1920، توفي بمصر. المرجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص.126

[5] المنار، م.11، ج.6، 1908، ص.417

[6] قيصر فرح، مرجع سابق، ص.51

ومن المغاربة الذين أيدوا الاتحاديين سليمان الباروني[1] وعبد العزيز جاويش[2] وسليم بيك الجزائري[3]،[4] وقد استغل المغاربة في المشرق الإسلامي الشعارات التي رفعها الاتحاديون فأنشأوا عدة جمعيات لخدمة الدولة العثمانية والدعاية للجامعة الإسلامية، فتأسست بمصر "جمعية الاتحاد المغربي" في سنة 1910، وكان من أعضائها محمد سراي باشا والشيخ علي يوسف وأمين باي المغربي[5].[6]كما أنشئت في إستانبول "الجمعية الخيرية الإسلامية" ومن أعضائها إسماعيل الصفايحي وعبد العزيز جاويش وصالح الشريف.[7]

---

[1] **سليمان "باشا بن عبد الله بن يحي الباروني الطرابلسي**(1870-1940): زعيم سياسي مجاهد، ولد في "كاباو" من بلاد طرابلس الغرب وتعلم في تونس والجزائر ومصر، وعاد إلى وطنه وانتقد السياسة العثمانية، فأبعد إلى مصر وعندما أعلن الدستور في سنة 1908 عُين نائبا عن طرابلس في مجلس المبعوثان واستمر إلى ان احتلت إيطاليا ايبيا فعاد إليها مجاهدا، وأثناء الحرب الكبرى عينته حكومة الآستانة قائدا لمنطقة طرابلس، واستمر إلى أوربا ثم مسقط مستشارا للحكومة ثم بومباي للاستشفاء. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص.129

[2] **عبد العزيز بن خليل جاويش**(1876-1929): خطيب من الكتاب له علم بالأدب والتفسير، من رجال الحركة الوطنية بمصر، تونسي الأصل، ولد بالإسكندرية، وتعلم بالأزهر ودار العلوم، اختير أستاذا للأدب في جامعة "كمبردج" وعاد إلى مصر، ترأس تحرير جريدة "اللواء" في سنة 1908، رحل إلى الآستانة فأسس جريدة "الهلال" ثم "الهداية ثم مجلة "العالم الإسلامي"، بعد الحرب الكبرى عاد إلى مصر وشارك في تأسيس "جمعية الشبان المسلمين" توفي بالقاهرة. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص.17

[3] **سليم الجزائري**(1879-1916): سليم بن محمد بن سعيد الحسني الجزائري، قائد من المفكرين النوابغ، أصله من الجزائر ومولده بدمشق، تعلم بالمدرسة الحربية ومدرسة الهندسة البرية في الآستانة، وبلغ رتبة "قائم مقام أركان الحرب" في الجيش العثماني، واولع بالرياضيات اخترع "بركارا" لطيفا يحمل في الجيب، شارك في حروب كثيرة وكانت له في حرب البلقان مواقف، جاهر بآرائه الحرة في مساواة العرب بالأتراك، أسس عدة جمعيات في سبيل ذلك، فنقم عليه الأتراك فأعدموه شنقا في 1916 بلبنان. ينظر: الزركلي، ج3، ص.ص. 119-120

[4] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.50.

[5] محمد سراي باشا: مصري من أصل مغربي، أمين باي: من أصل جزائري

[6] عبد الكريم الماجري، مرجع سابق، ص.90

[7] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.53.

أما في الجزائر فيؤكد سـرفييه (André Servier) أنه على الرغم من تأخر الأفكار الوطنية في الجزائر مقارنة بتونس ومصر، فقد ظهرت تأثيرات الشبان الأتراك عن طريق تونس وأيضا بسبب الحرب التركية الإيطالية،[1] كما يؤكد أيضا الشريف بن حبيلس وجود تأثير الشبان الأتراك في الجزائر حيث يقول:"إن الشبان الجزائريين في الواقع كانوا يحلمون بلعب دور ما في شؤون البلاد... وأثرت فيهم حركة الشبان الأتراك ...إنهم يريدون النهوض بالإسلام من تخلفه..."[2] ويرى الباحث أبو القاسم سعد الله[3] أن الثورة التركية شجعت فكرة التقدم في الجزائر بل إن الشبان الجزائريين "النخبة" بدأوا يستعملون الطربوش الذي كان عزيزا على الشبان الأتراك الثائرين. بينما يرى الباحث علي مراد[4] أن الشبان الجزائريين أظهروا عاطفتهم التركية ودافعوا عن المشاعر الإنسانية والأخوة الإسلامية، لكن ولاءهم كان لفرنسا ولم يعترفوا بالولاء السياسي لتركيا، وهو نفس مايراه الباحث أحمد صاري فيقول إن النخبة الليبرالية المتخرجة من المدارس الفرنسية كانت تشعر بارتباط روحي بتركيا وتكن لها نوعا من التضامن، ولكن لاتعترف بالتبعية السياسية لعاصمة الخلافة،[5] بينما تقرير وزارة الخارجية الفرنسية في سنة 1915 يقول إن أغلب الجزائريين معادون للشبان الأتراك ومازالوا محتفظين بتأييدهم للسلطان عبد الحميد، أما الشبان الجزائريون المتأثرون بالشبان الأتراك فقد انتقل لهم التأثير عن طريق تونس.[6]

إن تأييد المسلمين للاتحاديين يبدو في نظر محمد الشعبوني منطقيا، نظرا للظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وحالة الضعف التي وصل إليها المسلمون، والهجوم الاستعماري عليهم، فقد

---

(1) André Servier, op. cit, p.111 .

(2) Chrif Benhabiles, op.cit, p.108 .

(3) **الحركة الوطنية الجزائرية**، مرجع سابق، ج2. ص.114.

(4)"La turcophilie dans le départ national en Algérie au début de siècle(1911-1918)", in : ***R.H. M***, N°31-32,décembre 1983, p .351.

(5)"النخبة الجزائرية بين الولاء للخلافة والإعجاب بتركيا الكمالية" في **التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا في القرن العشرين**، أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جوان، 2001، ص.59.

(6) A.D.M.A.E, Guerre (1914-1918), Bob. 75, Carton.1650, Télégramme, Alger, 5Novembre 1915 .

كانوا يرون أن الجامعة الإسلامية هي السد الرمزي في وجه الاستعمار.[1] لكن تأييد العرب للاتحاديين سرعان ما توقف بعد أن غيرت جمعية الاتحاد والترقي اتجاهها نحو الطورانية وخدمة القومية التركية في 1910، فقد انقلبت مواقف المسلمين والعرب والمغاربة من دون تفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية.[2]

2-بين القومية العربية والجامعة الإسلامية: ساهم انقلاب 1908 وخلع السلطان (1909) في تجذر القوميات التي كانت عبارة عن أفكار في نهاية القرن التاسع عشر. فانتقلت إلى الفعل السياسي والعسكري في بداية القرن العشرين، بل إن التغيرات طالت أيضا الناحية الاجتماعية، ويصف ذلك لوثروب ستودراد بقوله: "لما حدثت الثورة التركية في سنة 1908 تبدلت الحال تبدلا كبيرا في العالم الإسلامي، فتلت الثورة التركية ثورة إيران. ثم أخذت شرارات الثورات تبدو فيعقبها الانفجار في كثير من الأقطار الشرقية، وعلى إثر ذلك شرع يتبدى في وقت قريب في كل قطر إسلامي تيار جديد هائل وظواهر اجتماعية لم تعهد من قبل. كتطلب الحكومات النيابية وإحياء روح الجنسية والقومية وما أشبه ذلك مما رافقه من تطور اجتماعي كبير...".[3]

ومن أكثر التيارات بروزا في الفترة التي اتخذت طابعا سياسيا وعسكريا القومية العربية، وقد جاءت رد فعل على القومية التركية. وينبغي الإشارة هنا أن هذه الحركة كانت قبل هذا التاريخ، حيث كان القوميون العرب ينادون بحقهم في الحكم ومنهم نجيب عازوري الذي كتب "يقظة الأمة العربية" واصدره في سنة 1905، وكان فيه تحريض على تقويض الدولة العثمانية، وقد رد عليه الجزائري خوالديه صالح، واتهمه صراحة أنه عميل للبريطانيين وأن مقر "اللجنة العربية" يوجد في وزارة الخارجية البريطانية، وتساءل عن حق عازوري "المسيحي" التدخل في مسألة شائكة وخاصة بالمسلمين وهي مسألة الخلافة، وقد حذر المسلمين من اتباع عازوري و"اللجنة العربية" لأنها ستؤدي بهم إلى

[1] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.54.

[2] المرجع نفسه، ص.54.

[3] لوثروب ستودارد الأمريكي، مرجع سابق، م.1، ج1، ص.ص. 310-311.

الهاوية،[1] لقد كان خوالدية سابقا لوقته فقد حذر المسلمين من الانقسام على الخليفة واتباع النعرات القومية، ولعل ذكاءه ونشاطه السياسي الكبير ساعده على هذه النظرة المستقبلية.

بدأ العرب في إنشاء الجمعيات المنادية بحق العرب في الحكم، ومن أوائل الجمعيات السرية "الجمعية القحطانية" التي تأسست في أواخر 1909 رئيسها عزيز على المصري، وأعضاء الجمعية من العرب والمسلمين والمسيحيين والدروز. ومن أعضائها سليم بيك الجزائري وكان ضابطا في الجيش العثماني. وهو أيضا مؤسس حزب العهد في سنة 1913 بهدف تحريض العرب ضد الأتراك.[2] ومن الناشطين الجزائريين ضد الاتحاديين الشيخ طاهر الجزائري، وفي سنة 1911 أرسل الشيخ طاهر رسالة إلى أحد أقاربه بالجزائر لم يذكر اسمه، عدها صالح خرفي وثيقة تاريخية مهمة، بها فقرة مشفرة إلى الجزائريين وهي تعطي للشيخ صفة الزعيم السياسي الذي أعطى للتعبئة الثورية مثلما أعطى للنهضة الثقافية، ومما جاء في هذه الرسالة: "والذي استقر عليه رأي الألمعيين في السياسة أنه:

أولا: يجب على كل ولاية بل على كل بلدة أن تقوم بجميع مايلزمها بنفسها ولاتنتظر ذلك من غيرها، وقبل ذلك يجب على كل منتبه أن يقوم بما يقدر عليه ومن يوافقه، ولاينتظر غيره، ويحث على التجارة والصناعة ونحو ذلك، ويعلم كل من بلغ خمس عشرة سنة الرياضة الجسمية، وأهمها معرفة استعمال السلاح بأنواعه.

ثانيا: أن يعرفوا رجال بلدته...وأن يعملوا بالسنّة التي أهملها المسلمون منذ أعصر وهي ألا يجتمع اثنان إلا ويؤمر أحدهما الآخر فإن فائدتها العظمى لايعرفها إلا كبار الساسة.

ثالثا: أن تنتبهوا إلى قوله تعالى: ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء." إلى قوله "لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين..."[3] . ثم يختم الشيخ بقوله "أما مصر فقد قطعت نحو ربع المسافة، وهي قليلة، وعسى أن تقطع قريبا نحو الثلث. أرانا الله قريبا مايقر العين".[4]

---

[1] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.ص.115-116

[2] جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص.186

[3] سورة الممتحنة، الآية من 1-8

[4] صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديث في المشرق" **الثقافة**، الجزائر، السنة الخامسة، أفريل/ماي 1975، ص.ص. 24-25

كوَّن الشيخ طاهر الجزائري في دمشق نخبة مثقفة مالبثت أن لعبت دورا سياسيا في بداية القرن العشرين، وعلى رأسهم ابن أخيه سليم الجزائري، وقد قام تلاميذه بتأسيس الجمعيات والنوادي والأحزاب، ومن أهمها حزب "اللامركزية الإدارية العثمانية" الذي تأسس في القاهرة في أواخر 1912، ومن أعضاء الحزب رفيق العظم والشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي ومحب الدين الخطيب.[1] وقد كان لهذا الحزب دورا في عقد المؤتمر العربي الأول بباريس من 18-23ماي 1913 مع جمعية "العربية الفتاة"، وقد أكد المؤتمر على مطالب العرب وحقوقهم السياسية الكاملة ونصيبهم في الاشتراك في الحكم، كما حذر المشاركون من التدخل الأجنبي في البلاد العربية، والملاحظ في المؤتمر أنه لم يدر أي حديث عن الانفصال أو الانشقاق عن الدولة العثمانية،[2]وقد بذل المشاركون أقصى جهد في تأكيد الرغبة العامة في وحدة الدولة العثمانية بشرط الاعتراف بحقوق العرب من حيث هم شركاء في الدولة[3]. وذلك لأن أغلب المشاركين فيه هم من المسلمين الذين لهم رغبة الإصلاح في إطار الدولة العثمانية.[4] وعده صالح خرفي أول تجمع عربي لمقاضاة الدولة العثمانية.

لم تكن الجزائر غائبة عن المؤتمر، فقد وجهت دعوة للأمير خالد الجزائري لكنه لم يحضر وأرسل رسالة تليت في الجلسة الختامية.[5] يقول المؤرخ التونسي بشير التليلي[6] في تعليقه على الرسالة أنها تحدد لنا موقف الشبان الجزائريين من الحركات الإصلاحية العثمانية، ثم تقدم لنا إضافات جديدة لملف أسس التفكير القومي في العالم الإسلامي والمتوسطي والمغربي بصفة خاصة، وأخيرا تثبت تأثيرات الحركات الإصلاحية المشرقية على مرتكزات التفكير الاجتماعي والسياسي المعاصر في المغرب

---

[1] المقال نفسه،ص.ص. 21-23

[2] وهو ما أكده رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي في تصريح صحفي، ينظر: التليلي العجيلي، مرجع سابق، هامش ص. 178.

[3] جورج أنطونيوس، مرجع سابق، ص.191-192.

[4] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.178

[5] نص الرسالة : صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة..." مقال سابق، هامش ص.24

[6] ***Crises et Mutations dans le monde islamo-méditerranéen contemporaine (1907-1918)***, E.U.T,1978, t.1,p.245

الإسلامي كالوطنية العثمانية والرابطة الإسلامية وتضامن الأمة الإسلامية على اعتماد اللامركزية في الحكم.

لقد سيطرت القضية العربية في الفترة، وإن شارك في طرحها مسلمون وغير مسلمين، فإننا نلاحظ أن المسلمين يريدون جمع الأمة تحت ظل الدولة العثمانية بإعطاء العرب حقهم في الحكم. بينما يرى البعض الآخر أنه لا ينبغي إثارة المشكلة القومية في هذا الوقت لأن هناك مشكلة أعظم على الأبواب وهي الاستعمار الأووبي، ومن هؤلاء المنادين بالخلافة العثمانية والمحذرين من الانصياع وراء قضية العروبة شكيب أرسلان،[1] فقد كان من المؤيدين للخلافة العثمانية، واتهم الحركة العربية بخدمتها لمصالح الفرنسيين والبريطانيين وإيطاليا،[2] وقد تبنى شكيب أرسلان الدفاع عن الخلافة حتى وإن كانت تحت ظل الاتحاديين، فهو من دعاة الجامعة الإسلامية ومن المتأثرين بجمال الدين الأفغاني فقد كان يعتقد أن الخلافة العثمانية قادرة على حل القضايا العربية وإبعاد الاحتلال الأوربي، وقد عالج هذه القضية في كتاب "حاضر العالم الإسلامي" وفي غيره من الكتابات. والمعروف عن شكيب أرسلان اهتمامه الشديد بقضايا المغرب العربي، وقد شارك في الدفاع عن ليبيا وله اتصالات بعلماء الجزائر ودافع عنهم في قضايا الإدماج والتجنيس وغيرها.[3]

المطلب الثاني: الجزائريون في الدفاع عن أراضي الدولة العثمانية

يرى كثير من الباحثين أن الانقلاب العثماني في سنة 1908 قوى القوميات المختلفة داخل الدولة العثمانية، كما تقوت أيضا فكرة الجامعة الإسلامية على الرغم من سقوط السلطان عبد الحميد

---

[1] **شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان** (1869-1946): من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسياسة ومؤرخ، من أكابر الكتاب، ينعت بأمير البيان، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد بالشويفات بلبنان، وتعلم في مدرسة "دار الحكمة " ببيروت، أقام مدة في مصر وانتخب نائبا عن حوران في مجلس المبعوثان، سكن دمشق خلال الحرب الكبرى ثم برلين بعدها. انتقل إلى جنيف بسويسرا حيث أقام بها 25 عاما، عاد إلى بيروت حيث توفي فيها. له عدة مؤلفات. المرجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص. 173

[2] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.184.

[3] هناك عدة دراسات تناولت الموضوع منها: أحمد صاري، في كتاب: **شخصيات وقضايا في تاريخ الجزائر المعاصر**، ص.77، وبوشوشة بن جمعة، **شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا**.

الثاني الداعم الرسمي لها، وعلى الرغم من تعدد الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية فقد كان الإجماع حول دفع الاحتلال الأوربي تحت ظل الخلافة العثمانية،[1] وقد ساهم الاضطراب السياسي في الدولة العثمانية وضعفها العام، مع بروز قوى جديدة في أوربا وهي ألمانيا وإيطاليا، والتنافس الحاد على مناطق النفوذ، ساهمت هذه العوامل وغيرها في احتلال مناطق جديدة من الدولة العثمانية. وحدث ماكان يحذر منه جمال الدين الأفغاني منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ولكن هذا الهجوم الأوربي كان عامل تضامن ووحدة في نظر بعضهم، يقول أرمينوس قامباري: "كلما اتسع نطاق قوة متسلطة الغرب في العالم القديم (الشرق) ازدادت رابطة الوحدة وثاقة، وعروة التضامن والمصالح المتبادلة إحكاما بين الأمم والشعوب الآسيوية على اختلافها، ورسّخت روح التعصب على أوروبا والبغضاء لها. وتوغلت عوامل ذلك في قرارات صدور المشارقة أيما توغل..."[2]. مادى صحة هذا القول على الجزائر؟ ومامدى مساعدتهم لإخوانهم المسلمين في الحروب التي كانت قبيل الحرب العالمية الأولى؟

1-الاحتلال الإيطالي لليبيا: دخلت إيطاليا ميدان التنافس الاستعماري متأخرة عن بقية الدول الأوربية وذلك لظروفها الخاصة، وباستكمال قوتها اتجهت أنظارها نحو تونس لكن فرنسا سبقتها إليها، فاتجهت نحو ليبيا، وقد قامت في بداية القرن العشرين بتحركات ديبلوماسية مكثفة مستغلة ظروف الدولة العثمانية الداخلية، حيث عقدت عدة اتفاقيات مع الدول الأوربية، وفي 27 سبتمبر 1911 وجهت إنذارا إلى الدولة العثمانية للتدخل بحجة حماية مصالحها وتطوير الشعب الليبي، حاولت الدولة العثمانية الاستنجاد بالدول العظمى من دون جدوى، وبادرت إيطاليا بإرسال أسطولها البحري إلى السواحل الليبية في يوم 29 سبتمبر 1911.[3]

كان وقع الاحتلال شديدا على المسلمين والجزائريين بصفة خاصة، وقد أعطت حرب طرابلس روحا جديدة للجامعة الإسلامية كما يذهب إلى ذلك معظم الباحثين، وكان من أوائل المنددين بالاحتلال الإيطالي لطرابلس عمر ابن قدور الجزائري، ويصور لنا شدة وقع الخبر على

---

(1) ***Nationalismes, Socialisme, et Syndicalisme dans le Maghreb des années 1919-1934***, P.U.T, 1984, t2, p.30.

(2) لوثروب ستودارد، مصدر سابق، م.1، ج.4، ص.34.

(3) علي المحجوبي، **العالم العربي الحديث والمعاصر، تخلف فاستعمار فمقاومة**، ط.1، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003، ص.49.

الجزائريين، حيث كتب في العدد 178 من جريدة الحضارة في يوم 5 أكتوبر 1911: "في هذا المساء "يوم كتابة المقال" وهو مساء يوم الثاني من عيد الفطر فاجأنا –بينما نحن نعايد الأصدقاء والأحباب– نبأ عظيم اهتزت له قلوب المسلمين، فوقع على أسماعهم كالصاعقة المحرقة فماجوا له فزعا ووجلا ذلك النبأ خبر ذهاب الأسطول الإيطالي إلى طرابلس الغرب يحمل قوة احتلالية لينتزع تلك الدرة الثمينة من تاج الخلافة الإسلامية تمردا وتجاوزا وإخلالا بالراحة العامة وتعكيرا لكأس السلام...".

وجدت إيطاليا مقاومة عنيفة من طرف السكان وعلى رأسهم الطريقة السنوسية. وأرسلت الحكومة التركية قوات عسكرية بقيادة أنور باشا. كما قاد الأمير علي نجل الأمير عبد القادر حملة من الجزائريين سار على رأسها إلى طرابلس، ولحق به ابنه عبد القادر، بينما بقي ابنه محمد سعيد في الشام يرسل لهم المعونة.[1] وهبّ المسلمون للدفاع عن طرابلس كما ذكر ذلك الأمير علي في إحدى رسائله من طرابلس "وقد جاؤوا إلى هنا رجالا من الجزائر وتونس، ولولا المنع لجاءوا كثيرين"،[2] ويصف خليفة خالد[3] بلاء الجزائريين في القتال حيث يقول: "...في جبهة "سواني بن آدم" وجدت الأمير علي باشا الجزائري يصحبه ابنه عبد القادر ويرافقهما عشرون جزائريا كانوا دائما في طليعة المجاهدين...".[4]

إن الحرب في طرابلس قوت التضامن بين المسلمين وخاصة الروابط الجزائرية الليبية، فهناك أسماء جزائرية كثيرة شاركت في الحرب منهم ابن ناصر ابن شهرة ابن الثائر الجزائري "ابن شهرة" فقد فضل الكفاح في ليبيا بعد عودته من الشام وسقط شهيدا بناحية طرابلس الغرب في سنة 1912،[5] وهناك أسماء أمثال: مصطفى عوني والإخوة محمد ومولاي وعلي بن احميده بن خير، والحاج قاسم أبو خطوة، وأبناء بن جلول وعائلة بن جبارة..." وغيرهم،[6] ولكن أشهرهم هو مصطفى عوني

---

(1) محمد سعيد، مصدر سابق، ص.41

(2) صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة العربية.." مقال سابق، ص.30

(3) أحد الضباط الطرابلسيين في الجيش العثماني

(4) مصطفى علي هويدي، **الحركة الوطنية في إقليم طرابلس الغرب خلال فترة الحرب العالمية الأولى**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1418هـ، ص.216.

(5) ناصر الدين سعيدوني، "صدى كفاح عمر المختار في الجزائر"، في **الثقافة**، الجزائر، السنة 10، ع.56، مارس أفريل 1980، ص.101

(6) مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص. 220

الجزائري وقد اشـــتهر بهذا الاســـم على الرغم من أن اسمه الحقيقي "مصـــطفى عبد القادر الأحول النفزاوي" فر من التجنيد الإجباري في الجزائر إلى تونس والتحق بالمجاهدين الليبيين، وشـارك في معارك ثورة التطهير في [1]1915.[2]

لقد بدا الحماس للجامعة الإسلامية واضحا في حرب طرابلس الغرب، ففي بلاد المغرب العربي كان الإحســـاس أعمق لأنهم أدركوا تآمر الدولة الأوربية وتخاذل الدولة العثمانية، وقد غلبت الجامعة الإســـلامية على الروح القومية في هذه المســـألة، ووجد الجزائريون فرصـــة للتعبير عن انتمائهم العربي الإسـلامي، وذلك لأن فرنسـا أرخت قبضـتها قليلا عن الجزائريين، على الرغم من خوفها من انفجار الوضع، ذلك لأن إيطاليا لم تكن حليفتها.[3]

عد أندري سـرفييه (André Servier) الحروب التي شـهدتها الدولة العثمانية في الفترة، ومنها حرب طرابلس من الأســباب المباشــرة لتغذية "روح التعصــب" كما يســميها.[4] ولقد كان اهتمام الجزائريين واضـحا بإخوانهم في ليبيا، ويذكر أحد الملاحظين، أن الجزائريين كانوا يتجمعون حول مراكز بيع الصـــحف ليروا صـــور وأخبار انتصـــار الأتراك على الإيطاليين ويعلقون بشـــغف على الأحداث ويعودون مفعمين بالرضا.[5]

وتجلت مساعدة الجزائريين لطرابلس في فتح الاكتتاب وجمع الأموال فقد أسست جريدة "الحق الوهراني" لجانا لـــــ "الهلال الأحمر" عبر العمالة قصـد الاكتتاب لصـالح المتضـررين من جراء الحرب، وجمعت مدينة مستغانم 3000 فرنك فرنسي خلال أسبوعين وفي 28 جانفي 1912 اجتمعت هذه اللجان وقدمت عرضـــا عن الاكتاب الذي بلغ 30.1999 فرنك. واعتبر هذا مثالا للتضـــامن مع

---

[1] المرجع نفسه، ص.ص.227-228.

[2] بعد هذا التاريخ دخل الكلية العسكرية بمصراته وقام بكثير من الأعمال السياسية بليبيا، ثم هاجر إلى مصر ليلتحق بالأزهر، وأثناء الحرب العالمية الثانية عاد إلى الجزائر إلى انتهاء الحرب وفي سنة 1948 عاد إلى طرابلس حيث تولى وظائف عديدة وكبيرة، وهذا مثال الجزائري الذي لايعرف الحدود التي وضعها الاستعمار.

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج.2، مرجع سابق، ص.116.

[4]Op.cit. p.148.

[5] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**...، ج.2، مرجع سابق، ص.117.

الجامعة الإسلامية الأمر الذي أقلق الحاكم العام ولم يستطع منعها.[1] كما أن الزعيم الليبي سليمان الباروني الذي كان كثير الزيارة إلى الجزائر، وخلال (1913-1914) سلمه الجزائريون ثلاثة عشر ألف فرنك.[2] أما في قسنطينة فيقول أندري سرفييه (André Servier) إنه جُمع أكثر من أربعمائة ألف فرنك خلال بعض أسابيع،[3] وسار الاكتتاب بسرعة حيث يقول" وسارع أولئك الحمالون التعساء لجمع الأموال.."[4] وقوله يعطي لنا من جهة فكرة عن الجزائريين الذين رغم فقرهم سارعوا لجمع الأموال لإخوانهم في طرابلس، ومن جهة وأخرى أراد سرفييه مع مجموعة من الكتاب بملاحظاتهم تأليب السلطة الفرنسية على الجزائريين، الذين أظهروا نزعتهم الوطنية ولم يعلنوا ولاءهم للسلطة الفرنسية.[5]

ومن أبرز الكتاب الذين اهتموا بمسألة طرابلس عمر ابن قدور الجزائري، فلم يفجع بمأساة كما فجع بطرابلس، كتب شعرا ونثرا ، حيث كتب في جريدة الحاضرة المقالات التالية: نبذة عن طرابلس الغرب، بني الطليان "شعر"، التيار السياسي، الأسوة الحسنة في حرب طرابلس الغرب "شعر"، ليتقوا الله في طرابلس.[6] رأى عمر ابن قدور أن مجاهدي طرابلس يواجهون المحنة فرادى بعد تخلي الدولة العثمانية عنهم، وفضلت الصلح مع إيطاليا، فكتب في مقال"فليتقوا الله في طرابلس" عن هذا الصلح:" إنني آسى أن تتشوف البصائر إلى الصلح ولاتتذكر أن الصلح عقدة عار، وإمضاؤه بوار، ونتيجته انذعار، وحاصله وبال واندحار، كيف لا والعدو لم يتمكن من شبر خارج منطقة حماية أسطوله، والبراهين منذ عام ترى على شدة جموده وخموله..."[7] وفي نهاية المقال يقول إن هذا الصلح

---

(1) إبراهيم مهديد، "الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية: الحق الوهراني أنموذجا (1911-1912)، في **البحث التاريخي**، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ع.4، 2006، ص.61.

(2) مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص.228.

(3) Op.cit. p.142.

(4) Ibid. p.142.

(5) أحمد صاري، "النخبة الجزائرية بين الولاء للخلافة والإعجاب بتركيا الكمالية"، مقال سابق، ص.61.

(6) صالح خرفي، **في رحاب المغرب العربي**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص.74.

(7) صالح خرفي، **عمر ابن قدور الجزائري**، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص.ص.104-105.

يحمل بين طياته سقوط كل الشرق بيد الاستعمار "إني أول من يودع الشرق إن ظهرت خبايا مذكرات الصلح على مايرضي الأعداء ويسئ إلى الشرق ويذهب بسمعته كما ودعت مراكش من قبل...

فإن بك قومنا أضحوا نياما فقل قوموا فقد حان القيـــام

وإلا فالحقوا بالموتى وقولوا على الإسلام والعرب السلام"[1]

2-حروب البلقان: تعد حروب البلقان في (1912-1913) امتدادا لحركات الانفصال التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، فقد كانت شعوب هذه المناطق تشعر بقوميتها وتنادي بحريتها السياسية. بدأت بوادر الأزمة منذ 1909 عندما رفض مندوبو البوسنة والهرسك حضور اجتماع المجلس النيابي في إستانبول، وكانتا تابعتين للدولة العثمانية واتجهتا نحو الصرب، مما أثار النمسا فضمتهما إليها واعترفت الدولة العثمانية بذلك مقابل أن تتنازل النمسا عن سنجق نوفي بازار[2]، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تدخلت روسيا والصرب مما زاد الوضع توترا، فعقدت بلغاريا وصربيا حلفا للدفاع في مارس 1912 ثم انضمت إليه اليونان والجبل الأسود. وفي 18 أكتوبر أعلن الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية وتلاه حلفاؤه. اندحرت الجيوش العثمانية خلال شهر، وفقدت معظم أراضيها في أوربا. ينقل لنا شكيب أرسلان[3] أخبار وقع الحرب على المسلمين "لما نشبت الحرب البلقانية طفح الكيل وبلغ الروح التراقي...فلما طير البرق نبأ الكارثة التركية في البلقان أجفل العالم الإسلامي للخطب أيما إجفال...".

لقد احتلت دويلات البلقان أدرنه عاصمة الخلافة الأولى، وكادت أن تسقط إستانبول بأيديهم. فهب المسلمون لجمع التبرعات لمسلمي البلقان لكن أعظم عمل قدم في هذه الحرب حسب رأي الباحث التليلي العجيلي هو ماقامت به جمعية "الاتحاد المغربي" التي تأسست بمصر في سنة 1910، حيث وصلت رسالة من الجمعية إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في تاريخ 11 نوفمبر

[1] المرجع نفسه، ص.107.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.217.

[3] لوثروب ستودارد، مصدر سابق، م.1، ج.1، مصدر سابق، ص.312.

1912 تقول إنها ستعلن الثورة على فرنسا" وتقتل كل من يعبد الصليب إذا لم تدخل في صد ممالك البلقان من الزحف وإرجاعها إلى حدودها حتى لاتخسر الدولة التركية شيئا من ترابها[1]".

أعطت حروب البلقان فرصة للجزائريين للتعبير عن شعورهم الإسلامي وانتمائهم إلى الدولة العثمانية، وعلى الرغم مما اعتراها من ضعف وتغيرات في النظام السياسي، ومن أبرز الجزائريين المدافعين عن الأراضي العثمانية سليم الجزائري فقد أهلته كفاءته لرئاسة أركان الحرب في الفرقة التاسعة حيث يقول: "حضرت مواقف حرب البلقان وعملت هناك أعمالا معروفة، وبعد الحرب البلقانية عُينت في الشعبة الثانية من أركان الحرب العامة ثم أصبحت رئيس أركان الحرب العامة في الفرقة التاسعة..." كان مخلصا في عمله إلى درجة أنه لم يعاقب إطلاقا "لم أدخل ديوان حرب للمحاكمة ولم أجاز على عمل ارتكبته في وظيفتي..."، وبالرغم من ذلك فإنه لاقى من الدولة العثمانية الإعدام شنقا على يد جمال باشا لأنه كان ينادي بحق العرب في الحكم.[2]

ولعل الجزائريين المهاجرين أو الذين لهم اطلاع على الحرب تفاعلوا معها بالتطوع، فقد ورد كثير من التقارير الفرنسية عن مدى تفاعل الجزائريين مع الحرب، ففي رسالة القنصل الفرنسي في استانبول إلى وزير الخارجية، يخبره عن إيقاف جزائريين في الجيش العثماني حيث جاء فيها: "أبلغنا رجالنا في الدردنيل عن إيقاف جزائريين في الجيش العثماني حيث لجأوا إلى وكالتنا، وعند التحقيق وجدناهم ثلاثة جزائريين وتونسيين شاركوا تطوعا في المدينة المنورة ثم أرسلوا إلى غاليبولي...".[3]

وحسب التقارير الفرنسية يختلف تفاعل الجزائريين مع حرب البلقان في المدن عنها في الأرياف، ففي عمالة قسنطينة مثلا تكاد تجمع التقارير على أن سكان الأرياف لايهتمون بحرب البلقان وذلك لجهلهم القراءة، ففي تقرير للحاكم العام جاء فيه: "إن معظم أهالي العمالة من

---

[1] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.169

[2] صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة.." مقال سابق، ص.31

[3] A.D.M.A.E, Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie,N°494, Ambassadeur de France à Constantinople à M. Le Ministre des Affaires Etrangères, 27/01/1913.

الفلاحين ولايهتمون بالشؤون العامة، وأخبار الحرب مجهولة"،[1] و الملاحظة نفسها نجدها في تقارير بلديات: عين مليلة[2] وجليلي[3] وقالمة[4]وMorsott بتبسة وخنشلة وأم البواقي...، أما عنابة فقد جاء في تقرير حاكم البلدية المختلطة: "منذ بداية النزاع التركي –البلقاني لم يوقف الأهالي اهتمامهم بكل أحداث الحرب، ولاشك أن هزيمة الأتراك قد أثرت فيهم نظرا للمكانة الدينية للقضية... والملاحظ أن صدى الحرب ضعيف لدى معظم أهالي الدواوير"[5]

وتشير التقارير أيضا إلى الجرائد التي كان لها دور كبير في نقل أخبار الحرب، خاصة الجرائد التونسية، ففي تقرير لحاكم بجاية إلى نائب الوالي :"أن اهتمام الأهالي بحرب البلقان نشيط جدا، فالجرائد تقرأ وتفهم في المقاهي العربية، من طرف الذين يحسنون القراءة، حيث يشرحون لإخوانهم في الدين سير الحرب، وهذه الأخبار تنتقل من سوق إلى سوق في الدواوير، ويمكن القول أن عواطف الأهالي مع الأتراك..."، ونفس الملاحظة بالنسبة إلى تبسة حيث يذكر التقرير أهم الجرائد التي كانت تقرأ في المنطقة: "في مدينة تبسة الأغلبية يهتمون بعمق بسير أحداث النزاع، بفضل حضورهم المقاهي العربية، فقد كانت تقرأ جريدة الزهرة التونسية التي نسخت أو لخصت مقالات كبرى الجرائد الباريسية، أومن البريد التركي ومصادره والتي نشرت في الإقدام والطنين (Tanine)، ومن الجرائد الفرنسية التي كانت تعتمد عليها الزهرة حسب هذا التقرير(Le Temps, Le Matin La Dépêche de Constantine) وفي تقرير الحاكم العام أن معظم المعجبين بالعثمانيين يقرأون بانتظام الجرائد

(1) G.G.A,Constantine,B2,13/14,N°14(1910-1914), Le Gouverneur Général (Service sécurité), 9/11/1912.

(2)G.G.A, Constantine,B2,13/14, N°14 (1910-1914), L 'Administrateur de la Commune mixte d'Aine Mlila à Le M. Le Préfet du Département de Constantine,09/11/1912.

(3)G.G.A, Constantine, B2,13/14, N°14(1910-1914),

(4) L'Administrateur de la Commune mixte de Djidjli à Le M. Le Sous-Préfet de L'Arrondissement de Bougie, 31/10/1912.

(5) G.G.A, Constantine,B2,13/14, N°14(1910-1914), L'Administrateur de la Commune mixte de Bône à Le M. Le Sous-Préfet de L'Arrondissement de Bône, 31/10/1912.

ويتابعون أخبار الحرب ، وحسبه أن نظرة الأهالي إلى الحرب أنها بين الهلال والصليب، ثم يقول أنهم يشككون في الأخبار التي تأتيهم من طرف المسيحيين، ويقرأون الأخبار وبخاصة من الجرائد والمنشورات التي تأتي من تونس وإستانبول.[1]

عادت الحرب من جديد بسبب اختلاف حلفاء البلقان في اقتسام المغانم، حيث هاجمت صربيا واليونان ورومانيا وبلغاريا، واغتنم العثمانيون الفرصة وخلصوا أدرنه من الاحتلال وذلك في 20 جويلية 1913. وكان عمر بن قدور ينقل أخبار الحرب في كل عدد من جريدته الفاروق، كما سجل حرب البلقان على شكل شعر نشره في الفاروق على مدى أربعة أشهر في كل عدد بيتين من القصيدة. بالإضافة إلى تحليلاته وأشعار كبار الشعراء مثل شوقي ومعروف الرصافي. وبتاريخ 13 جوان 1913 ينقل لنا قصيدة أحمد شوقي المشهورة "ياأخت أندلس عليك سلام":

ياأخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

نزل الهلال عن السماء فليتها طويت وعم العالمين ظلام

وأيضا شعر معروف الرصافي "أدرنه صبرا":

عزاء لمسجدك الجامع أفارق محرابه المنبرا

وهل في مصلاه من ركع يجيب المؤذن إن كبرا

رويدا أدرنه لاتجزعي وإن أمضك هذا الأذى

إذا أنت بالسيف لم ترجعي فلاحبذا العيش لاحبذا

أيحسن ياقوم أن نقعدا وقد آن أن ينهض القاعدون

ويكتب عمر بن قدور عن ادرنه

بشرى أدرنه للهلال حماة جاؤوك فيهم همة وثبات

(1) G.G.A, Constantine,B2,13/14, N°14(1910-1914),, L'Administrateur de la Commune mixte de Morsott, à Le M. Le Préfet du Département de Constantine,04/11/1912

قد انقذوك من العدا فتحية للمسلمين، وللعدا النكبات[1]

لم يكتف الجزائريون بنقل الأخبار وقول الشعر بل إنهم كانوا يحللون الواقع ويستشرفون المستقبل، فالأمير محمد سعيد[2] يرجع سبب ماآلت إليه الدولة العثمانية إلى التشتت الداخلي بين المسلمين والخيانة والتعامل مع العدو، فقد تشتتوا إلى عرب وترك وأرمن وتتر وروم... ونسوا أن الله جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، فهم في زمن يحاجون إلى التآخي والتآلف. أما عمر بن قدور فقد كتب بتاريخ 2 ماي و9 ماي 1913 مقالا بعنوان "مصيبة تركيا عدم الاعتبار" حلل فيه الوضع وبيّن أسى المسلمين على ماأصاب الدولة العثمانية: "...إن المرء ليحسب أن القيامة أقبلت بفزعها الأكبر وماهي الحقيقة إلا مغبة إهمال تصيب كل مهمل من البشر..." ويرجع السبب الحقيقي في ضعفها إلى التشتت والتناكر والانحطاط. وهذه العوامل نفسها التي حذر منها وناقشها المصلحون في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني.

المبحث الثاني: تفاعل الجزائريين مع الجامعة الإسلامية

لاشك أن تطور العلاقات الدولية التي حدثت منذ تولي غليوم الثاني (Guillaume II)[3] الحكم في ألمانيا، كان لها تأثيرها المباشر على الدولة العثمانية وعلى العالم الإسلامي، فقد ازداد

---

[1] صالح خرفي، **عمر ابن قدور الجزائري**، مرجع سابق، ص.57.

[2] مصدر سابق، ص.45.

[3] **غليوم الثاني** (Guillaume II) (1859-1941)، ملك بروسيا إمبراطور ألمانيا ابن الإمبراطور فريدريك الثالث وحفيد غليوم الأول من جهة أبيه وملكة بريطانيا وفيكتوريا من جهة أمه، خلف أباه في الحكم في سنة 1888، واتبع سياسة محافظة قائمة على مبدأ التوازن في القوى، وعهد إلى رئيس وزرائه بيسمارك بتنفيذها. وبعد أن تخلص غليوم الثاني من بيسمارك في عام 1890 اعتمد سياسة حديثة اتسمت بالتوسع التجاري الاستعماري مما أقلق بريطانيا العظمى، حققت ألمانيا في عهده تقدما صناعيا واقتصاديا ملحوظين، دون أن يترافق ذلك مع حدوث تغيرات اجتماعية التي يفترضها هذا التقدم. وعلى الصعيد الخارجي أبرم تحالفات مؤقتة مع روسيا وفرنسا، بدأ منذ عام 1898 بانتهاج سياسة تسليح واسعة على المستوى البري والبحري، بهدف تقوية الجيش الألماني تمهيدا للحرب مع الدول الاستعمارية، وبالفعل دخلت ألمانيا الحرب العالمية الأولى. وبعد هزيمتها في 1918 كانت إحدى شروط الحلفاء لعقد صلح معها هو عزل غليوم الثاني من الحكم، التجأ إلى هولندا حيث توفي هناك في سنة 1941. المرجع: عبد الوهاب الكيلاني، **الموسوعة السياسية**، ج4، ص.357

التنافس على مراكز النفوذ وعلى الامتيازات الاقتصـــادية واتجهت ألمانيا للتقرب من الدولة العثمانية، وظهرت تحالفات جديدة بين الدول العظمى، وبخاصة التصدي لألمانيا واقتسام ماتبقى من ممتلكات الدولة العثمانية، وبهذا سارت الأحداث بسرعة في بداية القرن العشرين باتجاه حرب عالمية، استعمل فيها الجانب النفسي والإيديولوجي كداعم للحرب. وخلال هذا المبحث سنتناول كيف استعملت ألمانيا والدولة العثمانية فكرة وحدة المسلمين أو الجامعة الإسلامية وسيلة لكسب المسلمين في الحرب. ومدى تأثير هذه الدعاية على الجزائريين.

المطلب الأول: تأثر الجزائريين بالدعاية الألمانية –العثمانية

على الرغم من ضعف الدولة العثمانية وضياع معظم أراضيها فقد دخلت الحرب بتأثير من ألمانيا. فنظرا لدخول ألمانيا ميدان التنافس الاستعماري متأخرة فقد راهنت على الدولة العثمانية، واتخذت سياسة تخالف سياسة بقية الدول الاستعمارية. أما الدولة العثمانية فقد رأت في ألمانيا المعين لها نظرا لضعفها أمام الدول الكبرى.

1-التقارب الألماني العثماني: تولى حكم ألمانيا في جوان 1888 غليوم الثاني (Guillaume II) وهو شاب في السابعة والعشرين من عمره، ورغب أن يتحمل مسؤولية ألمانيا الناشئة، وكانت سياسته مخالفة تماما لسياسة بسمارك والذي تخلى عن السلطة في مارس 1890،[1] كانت سياسة غليوم الثاني تقوم بالدرجة الأولى على الخروج من القارة وكسر سياسة العزلة التي اتبعها بسمارك لمدة عشرين سنة، فبعد أن طورت ألمانيا قوتها الصناعية والعسكرية بدأت تتطلع إلى توسيع قوتها الاقتصادية، فكانت في حاجة إلى مواد أولية وأسواق. فالأمة الألمانية أصبحت الأكثر نشاطا في العالم، وبدأ الكتاب يحفزون مواطنيهم على السيطرة على العالم واستعماره.[2]

كان طموح ألمانيا غير محدود، وعلى الرغم من أنها دخلت ميدان التنافس الاستعماري متأخرة فقد أثارت مخاوف فرنسا وبريطانيا، ففرنسا كانت ترى في ألمانيا المنافس لها على ماتبقى من أراضي الدولة العثمانية وبقية المناطق الإفريقية، بل تراها خطرا على مستعمراتها في شمال إفريقيا.[3] أما بريطانيا

(1) P. Milza, Op.cit. p.106
(2) Jean Mellia, ***L'Algérie et la Guerre (1914-1918)***, Ed3, Librairie Plon, Paris, 1918, p.1
(3) Ibid, p.4-5.

فقد أصبحت تخشى على مستعمراتها وامتيازاتها في مصر وآسيا خاصة العراق، وهذا بعد أن قرر غليوم الثاني أن يتجه بسياسته إلى الشرق رافعا شعار "التوسع نحو الشرق" (Drong nash Osten)[1] وفي عام 1896 أعلن عن عزم بلاده المشاركة في اقتسام العالم تحت شعار أن تؤمن لها "مكانا تحت الشمس (Plasrz an der Sonne) كما جاء على لسانه.[2]

اتخذت ألمانيا وسيلتان لتقوية نفوذها في الدولة العثمانية، الوسيلة الأولى وهي الإعلان عن صداقتها للمسلمين، والثانية النفوذ الاقتصادي. وقد تحولت الوسيلة الأولى إلى ركن رئيسي في سياسة ألمانيا الخارجية وفي الصراع الدولي. وبدأ غليوم سياسته بزيارته الأولى إلى المشرق الإسلامي في 1889 والزيارة الثانية في 1898 حيث زار القدس ودمشق ووقف على قبر صلاح الدين الأيوبي، ووضع إكليلا من الزهور وألقى خطابا قال فيه: "ليوقن صاحب الجلالة العثماني والثلاثمائة مليون مسلم المنتشرين في الأرض والذي يعتبرونه خليفتهم، بأن قيصر ألمانيا هو صديقهم في كل الأوقات".[3]

كان لهذه الزيارة أهداف سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى، واعتقد المسلمون أنه صادق في كلامه وأنه بدأ يميل إلى الإسلام. لقد فتحت زياراته للمشرق باب العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية على مصراعيه، وفتحت أبواب الشرق أمام الألمان حيث أصبح البنك الألماني(Deutsche Bank) هو الممون الرئيسي للاقتصاد العثماني، واستفادت ألمانيا أيضا من مشروع سكة حديد بغداد برلين،[4] والهدف من هذا المشروع استغلال المواد الخام في العراق وهذا ماأثار بريطانيا، إذ تحركت ضد الخطر الألماني، ولم يكن في إمكان بريطانيا في الفترة عقد تحالف مع فرنسا أو روسيا ضد ألمانيا، وذلك للخلافات بينهم على المستعمرات، حيث كانت أزمة فاشودة بالسودان بين فرنسا وبريطانيا في سنة 1898. ولم يكن ممكنا أيضا الاتفاق مع ألمانيا للحد من التسلح.

---

[1] محمد أحمد، "التطور التاريخي للعلاقات الألمانية السعودية في ثلاثينيات القرن العشرين، في ضوء الوثائق الألمانية" في **مجلة جامعة دمشق**، م.26، ع4/3، دمشق، 2010، ص.372.

[2] عبد الرؤوف سنو، "الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين" في : **الاجتهاد**، ع 46/45، السنة 11، بيروت، 2010، ص. 244.

[3] المقال نفسه، ص.246.

[4] محمد أحمد، المقال السابق، ص. 373.

وفي سنة 1900 عقدت فرنسا اتفاقية سرية مع إيطاليا، أعطت فيها فرنسا الضمان لإيطاليا بعدم التدخل إذا استهدفت إيطاليا ليبيا، مقابل حرية فرنسا في المغرب الأقصى. وفي 1904 عقدت اتفاقية بين فرنسا وبريطانيا من بنودها أن تترك فرنسا بريطانيا في مصر مقابل حرية فرنسا في المغرب.[1]

كانت زيارة قيصر ألمانيا للمغرب في سنة 1905 سببا في زيادة تعقد الأزمة المغربية، والتي لم تنه بعقد مؤتمر الجزيرة 1906 وكانت نهايتها الاستعمار الفرنسي للمغرب في سنة 1912. وقد ازدادت الأزمات الدولية تعقيدا بقيام حروب البلقان بين سنتي (1912-1913) وازداد تنافس الدول الكبرى والتسلح والاستعداد للحرب. وكانت المؤشرات تدل على اقتراب الحرب حيث انقسمت الدول الكبرى إلى معسكرين: دول الحلف الثلاثي وهم ألمانيا والنمسا وإيطاليا، إلا أن إيطاليا كان تحالفها ظاهريا فقط لأنها ملتزمة باتفاقها مع فرنسا في سنة 1902. ودول الحلف الثنائي الذي يضم فرنسا وروسيا والذي تدعم بالاتفاق الودي المبرم بين فرنسا وبريطانيا في سنة 1904، أما الدولة العثمانية فلم تكن في أي من الكتلتين.[2]

وعلى الرغم من إعلان الدولة العثمانية حيادها في الحرب، فإن أنور باشا وزير الحرب العثماني كان يعمل بدأب لأجل دخول الدولة العثمانية الحرب.[3] كما وقع حلفا سريا بين الدولة العثمانية وألمانيا دون علم الصدر الأعظم ولا السلطان،[4] وفي 7 سبتمبر أعلن إلغاء الامتيازات الأجنبية لحمل دول التحالف على إعلان الحرب على الدولة العثمانية، وفي 14 سبتمبر أخذت القوات الألمانية الرخصة بدخول المياه العثمانية مع حرية الحرب مع روسيا، وفي 26 سبتمبر أغلقت المضيق في وجه الملاحة التجارية،[5] وفي 29 سبتمبر قامت وحدات الأسطول العثماني مدعمة ببارجتين ألمانيتين بقصف المدن الروسية في البحر الأسود: أوديسا سبستوبول ونوفورنسك، وبذلك دخلت تركيا الحرب.

---

(1) P.Milza, op.cit, p.124.

(2) جمال قنان، **دراسات في التاريخ المعاصر**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص.274.

(3) M. Abdelmoula, ***Le Mouvement Patriotique de la libération en Tunisie et le Panislamisme (1906-1920)***, *Editions MTM, Tunis, 1999, p138.*

(4) أحمد ياغي إسماعيل، مرجع سابق، ص.220.

(5) M. Abdelmoula, ***Le Mouvement****..., op.cit, p.138*

2-فتوى الجهاد: دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا وحليفاتها، وأول عمل رسمي قامت به هو إعلان الجهاد في كل بلاد الإسلام لمحاربة الحلفاء الثلاث "فرنسا وبريطانيا وروسيا".[1] وقد أصدر السلطان "الفتوى الشريفة" في يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914، حررها شيخ الإسلام خيري بن عون الأركوبي، في شكل إجابة عن خمس أسئلة،[2] ملخص الفتوى هو دعوة المسلمين كافة للجهاد ومحاربة أعداء الدولة العثمانية، ومن تخلف عن ذلك فهو مستحق لغضب الله. ووجه نداءه أيضا للمسلمين الذين هم تحت حكم الحلفاء لنصر الدولة العثمانية ومحاربة هذه الدول المستعمرة، بينما استثنت الفتوى دول المحور وهم حلفاء الدولة العثمانية، وسكتت عن إيطاليا. وقد وجهت آلاف النسخ من هذه الفتوى إلى شتى بلاد المسلمين بمختلف اللغات وأمر الأئمة في المساجد بقراءتها وسخرت لها الكثير من وسائل الدعاية.[3]

يطرح تساؤل هنا من وراء هذه الفتوى؟ وقد سبق أن بينا أن السلطان عبد الحميد صاحب مشروع الجامعة الإسلامية قد أزيح عن الحكم. وجاء الاتحاديون بمساعدة اليهود، وكان داخل جمعية الاتحاد والترقي اتجاهان: اتجاه العثمانية واتجاه الطوراني "القومية التركية"،[4] فلماذا استغنوا عن الوحدة الإسلامية ثم عادوا إليها ومامدى تقبل المسلمين للفكرة؟ في تحليل بعض الباحثين أن الاتحاديين ومع الهجوم الاستعماري على طرابلس والمغرب وحرب البلقان وقيام الحرب العالمية الأولى انتبهوا إلى ضرورة الوحدة والجهاد.[5] ورأوا أن دستورهم لايمكن أن يزيل فكرة الجامعة الإسلامية،[6] لكن بعض المصادر

---

(1) M. Abdelmoula, ***Jihad et colonialisme la Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918)***, Ed Tiers-Monde, Tunis, 1987, p.33.

(2) هناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ اصدار الفتوى، ويرجح التليلي العجيلي يوم 14 نوفمبر 1914، مرجع سابق، ص.227.

(3) M. Abdelmoula, ***Jihad et colonialisme,*** *ibid,* p.34

(4) جمال قنان، **دراسات في التاريخ المعاصر**، مرجع سابق، ص.273

(5) المرجع نفسه.ص.273

(6) يقول أحمد بن ميلاد: "إن قادة تركيا الفتاة في أثناء سنوات (1909-1912) أصبحوا على يقين أن دستورهم لايمكن أن يزيل فكرة الجامعة الإسلامية، كما أدركوا أن القوة الرابطة في الجامعة الإسلامية أقوى بكثير مما تصوروه سابقا، ولذا يبدو واضحا أن جمعية الاتحاد والترقي في سنة 1911، قررت نهائيا تبني برنامج الاتحاد الإسلامي على الأقل في سياستها الخارجية..."، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص.162.

تؤكد على أن فكرة الجهاد ألمانية، فأحمد توفيق المدني[1] يقول:"وجاءت الحرب الكبرى، فلما اضطرت تركيا لخوض غمارها والاصطلاء بنارها. رأت انقيادا لهيئة أركان الحرب الألمانية أن تعلن الجهاد فصدر أمر الخليفة محمد رشاد للعالم الإسلامي أجمع بإعلان الجهاد ضد الدولة المتحزبة. وتلا شيخ الإسلام ذلك الأمر صحبه فتوى شرعية في وجوب ذلك، في موكب مشهود".

ويرى عبد الرؤوف سنو واستنادا إلى الوثائق الألمانية أن فكرة إعلان الجهاد هي فكرة ألمانية، فقد عملت ألمانيا على توظيف الإسلام (فكرة الجهاد والجامعة الإسلامية) في مخططاتها لإثارة العالم الإسلامي على أعدائها واستقطاب المسلمين وراء أهدافها في الحرب. وكان صاحب الفكرة ماكس فون أوبنهايم (Max Von Oppenhiem)،[2] وهو أحد الشخصيات التي لفتت انتباه السلطات الألمانية إلى ضرورة استخدام الخليفة والجامعة الإسلامية للأغراض السياسية الألمانية،[3] ويرى الكاتب أن هذه الفكرة قديمة ولم تنشأ مع بداية الحرب، فقد كان أوبنهايم يعد لها منذ تولي غليوم الثاني الحكم في ألمانيا. وهو من كان وراء الخطاب الشهير الذي ألقاه أمام قبر صلاح الدين الأيوبي، حيث أظهر القيصر ميوله الإسلامي،[4] حتى أطلق عليه بعض المسلمين "الحاج غليوم". ويشرح لنا بيكر (Becker) في سنة 1914 الفكرة بأن الألمان لاحظوا بأن العالم الإسلامي مرتبط باستانبول بواسطة الخليفة فيكفي مصادقة السلطان لجلب تعاطف الأتباع لشرعية أي إجراء بالنسبة للشرق وخاصة الهند.[5] ورغم أن الغربيين كانوا ينظرون إلى "الجامعة الإسلامية " على أنها تعصب ديني من المسلمين إلا أنهم احتاجوا إلى تعصبها في صراعهم وفي حروبهم، ليكون المسلمون هم الدروع الواقية لهم. ويذكر

---

[1] " حوادث الخلافة" في **تقويم المنصور**، السنة الأولى، 1343هـ، ص.182.

[2] **أوبنهايم** (1860-1946): مستشرق ألماني من أصل يهودي، قام برحلات استكشاف إلى المغرب والصحراء الغربية وسورية والعراق وآسيا الصغرى والخليج العربي وأقام بمصر مابين (1896-1909) وخلال هذه الفترة وضع اثنتي عشر مجلدا تضمنت تقارير حول كيفية استغلال ألمانيا للإسلام والجامعة الإسلامية في صراعاتها ضد كل من بريطانيا وفرنسا.

[3] عبد الرؤف سنو، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي"، في **بحوث مهداة إلى منير إسماعيل**، تنسيق محمد مخزوم وأحمد حطيط، بيروت، 2002.

[4] عبد الرؤف سنو، المرجع نفسه

[5] Gilbert Meynier, ***L'Algérie révélée, la Guerre de 1914-1918 et la premier quart du XX siècle***, Librarie DROZ, Genève, 1981, p.51.

أحد المؤرخين أن "إعلان الجهاد" كان أحد الشروط الألمانية للتحالف مع الدولة العثمانية، وجاء بعد إلحاح شديد من برلين.[1] ولايستبعد الضغط المادي بسبب الديون الكبيرة التي كانت على الدولة العثمانية للدول الأوربية خاصة فرنسا وألمانيا. والتي بدأت بعد حرب البلقان الأولى كما سبق أن بينا.

وأنا أرجح قول عبد الرؤوف سنو ليس لأنه اعتمد في تحليله على الوثائق الألمانية فحسب بل لأن سير الأحداث التاريخية يدل على تدخل الأيادي الأوربية واليهودية في عزل السلطان عبد الحميد وإثارة الثورات والنعرات ضده ثم استخدام فكرة الوحدة والجهاد، ولما فشلوا ظهرت النية الحقيقية وهي إلغاء الخلافة والنظام الإسلامي نهائيا.

ويثبت لنا جون ميليا (Jean Mellia) [2] أن المشروع الألماني لإثارة القلاقل في البلاد الخاضعة للدول الأوربية والفرنسيين بخاصة، كان قبل الحرب، حيث يقول إنه جاء في تقرير رسمي وسري بتاريخ 13 مارس 1913 "أنه يجب إثارة الاضطرابات في شمال إفريقيا وأن تكون لدينا اتصالات بتنظيمات مختارة جدا وأشخاص لهم نفوذ في مصر والمغرب وتونس والجزائر والتحضير لإجراءات في حالة حرب أوروبية"، وحسب بعض المؤرخين الفرنسيين أن الشائعات انتشرت في الجزائر حول دخول الألمان في الإسلام بعد زيارة غليوم إلى القدس والشام، وتقول الشائعات إن السياح الألمان بدأوا في الدخول في الإسلام ففي سنة 1908 تقول الشائعة إن أحد الألمان دخل الإسلام وارتدى الشاشية وذهب إلى زاوية سيدي أحمد الكبير للصلاة.[3]

وحسب المصادر الألمانية أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى أحس أوبنهايم بضرورة وجود مؤسسة ترعى فكرة الدعاية بين المسلمين، فتقدم بمذكرتين إلى رئيس الوزراء الألماني هولفيغ (Bethmann Hollwag)، بتاريخ 18 أوت 1914، وثالثة في مطلع أكتوبر، والمذكرة الأخيرة تحتوي على 136 صفحة، يشرح فيها كيفية تحريض المسلمين على الثورة وإعلان الجهاد، وربطهم بالسلطان العثماني كخليفة للمسلمين.[4]

---

[1] عبد الرؤف سنو، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي، المقال السابق، ص.8.

[2] Op. cit.p.7.

[3] Gilbert Meynier, op.cit, p.250.

[4] عبد الرؤوف سنو، "الإسلام في الدعاية الألمانية" مقال سابق، ص.5.

وقد لفت الحلفاء انتباه أبناء مستعمراتهم إلى هذا الجانب فانتشرت مقولة أن الجهاد "صناعة ألمانية" وكان تركيز المنشورات الألمانية –العثمانية على إزالة اللبس المتعلق باستعانة المسلمين في الحرب بألمانيا وتبيان أياديها البيضاء على المسلمين، وأنها هي القوة الأوربية الوحيدة التي لم تستعمر الإيالات العثمانية، وهي الوحيدة التي ليس لها أطماع في الدولة العثمانية.[1] وفي 9 سبتمبر علق إعلان في القنصلية الألمانية في المغرب جاء فيه: "إن صاحب جلالة الإمبراطور الألماني قرر أنه لن يقوم بأي حرب ضد العالم الإسلامي، وأمر بأن يسرح أسرى الحرب الذين هم من الجيش الفرنسي سواء يسرحون مباشرة أم يرسلون إلى السلطان العثماني المسؤول عن المسلمين".[2]

ونتيجة لمساعي أوبنهايم ظهرت في برلين عام 1915 مؤسسة هدفها الدعاية للجامعة الإسلامية وهي "وكالة أخبار الشرق" برئاسة أوبنهايم ووزارة الخارجية الألمانية، والعاملين فيها من المستشرقين والمبشرين والموظفين والقنصليين والتجار بالإضافة إلى بعض الشرقيين،[3] وقد استغلت الدعاية كل المسلمين المهاجرين من ديارهم والمطرودين، حيث قاموا بحملة إعلامية ضد الاستعمار وهم من جنسيات وبلدان مختلفة: سوريون ومصريون وأتراك وهنود وأفغان وفرس وأكراد ومغاربة...ومن أشهر الذين تعاملوا مع الألمان عبد العزيز جاويش وشكيب أرسلان وصالح الشريف والخضر حسين والأمير علي باشا والحاج عبد الله بوكابوية...[4]

وكان هؤلاء الدعاة يقومون بالمحاضرات أو يرسلون رسميا إلى مختلف بلاد المسلمين، فقد أرسل صالح الشريف إلى الحجاز وعبد العزيز جاويش إلى سوريا، كما قام صالح الشريف بالدعاية ضد فرنسا في مدينة ليل في وسط المجروحين في الجيش الفرنسي من أبناء شمال إفريقيا،[5] وقد جاء في جريدة (Trubema) الإيطالية في 25 فيفري 1915 أن مجموعة من المبعوثين أرسلوا إلى الجزائر ليستقروا

---

(1) التليل العجيلي، مرجع سابق، ص.271.

(2) M. Abdelmoula, ***La Tunisie, le Maghreb et le Panislamisme pendant la Grande Guerre "L'impôt du Sang"***, Ed: MTM, Tunis, 2007, p.14.

(3) عبد الرؤوف سنو، "الإسلام في الدعاية الألمانية"، مقال سابق، ص.13.

(4) M. Abdelmoula, ***L'impôt du Sang***, *op.cit,* p.p.13.19.

(5) M. Abdelmoula, ***Le Mouvement…***, *op.cit., p.143* .

هناك ولإثارة الاضطرابات في المغرب وفي كل الجزائر وفي مليلية الإسبانية، وكذلك مساعدة الأمير عبد المالك في ثورته.[1]

وفي تقرير للقنصل الفرنسي في إستانبول إلى وزير الخارجية: "أن دعاة الجامعة الإسلامية اتخذوا وسيلة المنشورات والكراسات في دعايتهم لكن الأخطر منها هم الدعاة الذين أرسلوا إلى شتى المناطق، وهم عملاء كانوا يعرفونهم منذ مدة..."[2]. وقد استغلت ألمانيا بعض دعاة الجامعة الإسلامية ومن أنشطهم صالح الشريف التونسي، فهو من أصل جزائري ولد بتونس ثم هاجر منها إلى استانبول وهو من أنصار تركيا الفتاة، وكان له عمل مشترك مع أنور باشا، كما كانت له علاقات قوية بدمشق خاصة مع الأمير عبد القادر وعائلته، وقد نشط في الحرب الكبرى إلى جانب الأمير علي حيث وجه إليه دعوة لزيارة ألمانيا، وقد نشط صالح الشريف في الدعوة في معسكرات الأسرى التي أنشأتها ألمانيا خاصة معسكر الهلال،[3] كما برز نشاطه بكتابة كراسات[4] منها: "الوحشية الفرنسية في تونس والجزائر نداء للنجدة" وقد انطلق هذا النداء من ألمانيا التي كان يمثل فيها الجمعية من أجل استقلال تونس والجزائر، وكان يشاركه فيها إسماعيل الصفايحي.[5] وكتيب من عشرين صفحة اسمه" شرح دسائس فرنسا على المسلمين وخليفتهم" وهو رد على مقال نشر بجريدة "الماتين" بتاريخ 10 نوفمبر 1915، حيث بدأه بتبيان وظيفة خليفة المسلمين وواجب المسلمين نحوه ثم تكلم عن خلفاء بني عثمان وشرعية سلطتهم، بعد ذلك بين تميز الفرنسيين بالمكر والخديعة ورد على بعض الأسئلة وبين معنى اتحاد الاسلام.[6]

تضمنت الدعاية كتب وكتيبات وصحف ومجلات ومناشير وصور فتوغرافية وبطاقات بريدية فضلا عن الرسائل إلى القيادات العربية والإسلامية والمحاضرات...، بشتى اللغات. وكانت تطبع في

---

(1) M . Abdelmoula , ***L'impôt du Sang,*** op.cit, p.21.

(2) Ibid, p.17.

(3) بيير هانييه، "صالح الشريف التونسي، قومي من شمال إفريقيا أثناء الحرب العالمية الأولى" في **حوليات الجامعة التونسية**، جزيران 1985، ص.ص. 102-103.

4 ينظر إلى الملحق رقم (8).

(5) يوسف مناصرية، "الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي" مقال سابق، ص.241.

(6)A.O.M, 9H5, Aix-en-Provence

مختلف الدول: الهند، أمريكا، ألمانيا إستانبول...، وطبع منها آلاف النسخ، فقد جاء في تقرير للقنصل الفرنسي بإستانبول بتاريخ 14أكتوبر 1914، أنه: "في هذه اللحظة تطبع في إستانبول 50000 نسخة من كراسة للدعاية للجامعة الإسلامية وستوزع بسرية في كل البلدان الإسلامية وخاصة الجزائر وتونس والمغرب".[1] ويوجد في الأرشيف الفرنسي قائمة لـــ 110 منشورات "العنوان الكامل ومكان النشر والمؤلف إن كان موجودا".[2] ومن المنشورات عدة جرائد ومجلة "الجهاد" التي تولاها فريق من المستشرقين، كما نشرت الحكومة العثمانية يوميتان:(Le Jeune Turc) و(La Défense Nationale) ، وكانت جريدة "سبيل الرشاد" تحث جنود الحلفاء على التمرد وبها وعظ للمسلمين.[3] وقبل الحرب العالمية الأولى كانت السلطة العثمانية تمول الدعاية الإسلامية الصحفية وغيرها بمبلغ مالي مقداره 5600000 ياستر منذ 1911، وتدعمت بجهد ألماني قدر بعشرة ملايين بياستر وتقوت الدعاية الإسلامية بدعوتها لمقاطعة التجارة الفرنسية، والتعاون مع ألمانيا بدلا من ذلك.[4]

3-مدى تأثر الجزائريين بفتوى الجهاد: لم تغفل السلطات الفرنسية عن مراقبة الجزائريين وصلاتهم بالمشرق، فقد تبين لهم الارتباط الكبير بالدولة العثمانية، وتبين تقارير البوليس الفرنسي أن الجزائريين كانوا يثقون في الدولة العثمانية ثقة عمياء، والدليل على ذلك مشاركتهم في حرب البلقان.[5] فقد كانت الدعاية أكثر انتشارا في الشرق الجزائري والجنوب الشرقي حسب التقارير الفرنسية، وذلك لصلات الجزائريين بتونس وليبيا، بالإضافة إلى العلاقات التجارية بين طرابلس وميزاب، حيث كان الميزابيون مسيطرين على التجارة المشرقية في المناطق الجنوبية الشرقية، ففي تقرير

(1) A.D.A.E, L'Ambassadeur de France à Constantinople à le Ministre des Affaires Etrangères, 14 Octobre 1914, Guerre 1914-1918, Bob.75, carton.1650.

(2) G.G.A, Ministre des Affaire Etrangères, direction des Affaires politique et commerciale, 31 Octobre 1916," *la liste des Journaux et Brochures destines a créer des troubles aux Indes en Égypte, et dans les autres dépendances Orientales des Allies a incites leurs Armes a la révolte a Favoriser le Panislamisme et créer des sympathies Germanophiles dans des pays Orientaux"*, A.O.M, Aix-en-Provence, 9H5

(3) M. Abdelmoula, ***L'impôt du Sang***, op.cit, p.

(4) يوسف مناصرية، "الشيخ صالح الشريف " مقال سابق، ص.239

(5) G.G.A, Rapport de Commissaire Central d'Alger en date 07/11/1914, A.O.M, Aix-en-Provence, 9H16

دوبون (Depont) أن سليمان الباروني أقام بميزاب قبيل الحرب فترة من الزمن، وكان الميزابيون حسب التقرير "شديدو التأثر بالشائعات وهم على استعداد للجهاد لاسترجاع استقلالهم، وكانوا على اطلاع بما يحدث في ليبيا وتونس وجنوب الجزائر".[1]

وعلى الرغم من المراقبة الشديدة للسلطات الفرنسية على تحركات الجزائريين، فهناك بعض مظاهر التأثر بالدعاية العثمانية –الألمانية ففي جانفي 1915 بمدينة قسنطينة داهمت السلطات الفرنسية شقة معدة لتدخين الكيف فتبين أنها مكان لاجتماعات الموالين للدولة العثمانية، حيث علقت على الجدران لوحتان الأولى لـ"أنور باشا بطل الحرية" والثانية لـ"سعادة محمود شوكت باشا".[2] وإن كانت مصادرنا هي تقارير البوليس الفرنسي وهي كثيرة فإن المصادر الجزائرية قليلة في الموضوع، ولعل محمد قنانش[3] ينقل لنا بعض الصور عن تأييد الجزائريين للعثمانيين في الحرب، فيقول إنه في جامع سيدي عبد الرحمن وبعد قراءة الحزب يوم الخميس، وحينما يرفع الناس أيديهم للدعاء طلب منهم الشيخ ويسمى ابن بنينة أن "يطلبوا من الله الخذلان لهذا المحلاس الذي سلطه الله علينا "يعني فرنسا" وقد ألقي عليه القبض وعذب"، وكان الأطفال أيضا يغنون ساخرين من الفرنسيين "ياللمان بالدراس النحاس إدي علينا هذا المحلاس اللي يحكم حكم اليهودية". بينما اختار كثير من الجزائريين طريقة الكلام غير المباشر للتعبير عن مشاعرهم وانشغالاتهم فيذكر محمد قنانش أيضا أن بعض الجزائريين كانوا يجتمعون بمقهى المرسى ويتكلمون فيما بينهم ولايفهمهم إلا الذي معهم. كما كانوا يجتمعون لدى الشيخ علي بابا التركي صاحب دكان قريب من مقهى المرسى ومنهم المفتي والإمام والحزاب وكل واحد يأتي بخبر ويتناقشون ويخرجون بتعاليق جديدة يقول:"وحلفوا ذات مرة أن لايحلقوا لحاهم إلا بعد أن يدخل الترك الجزائر وكان والدي من بينهم، ومات ولم يحلق لحيته، وقد تأثر من بقي منهم بهذه الصدمة التي هزتهم هزا عنيفا، وجعلتهم يعيشون منعزلين عن غيرهم".[4] إن هذا يدل على الأمل الكبير الذي كان يعقده الجزائريون على الدولة العثمانية وألمانيا في التحرر.

---

(1) M. Abdelmoula, ***Jihad et colonialisme.***., *op.cit, p.57* .

(2) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.289.

(3) **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص.172.

(4) محمد قنانش، المصدر نفسه، ص.174.

ولعل أصدق تعبير عن شعور الجزائريين المرتبط بالدولة العثمانية، والأمل المعقود على المساعدة الألمانية، لإضعاف فرنسا والتحرر، هو الشعر فمن المهتمين بجمع الشعر جوزيف ديسبارمي (J.Desparmet)، فقد نشر القصيدة المعروفة بـ"الحاج غليوم" بالمجلة الإفريقية كما جمع عددا من القصائد والقصص الشعبي والحكم التي كانت متداولة لدى الجزائريين في بداية القرن العشرين، وكثير منها يدل على حب الوطن ورفض المستعمر ورفض الهجرة والاستعمار.[1]

لقد انتشرت في العالم الإسلامي اسطورة الحاج غليوم، الذي أشيع أنه أعلن إسلامه وأنه قوي مثل النمر ويستطيع مقاومة سبع دول، وبمساعدة ألمانيا ستحرر الدولة العثمانية كل ممتلكاتها حتى العربية والبعيدة في الصحراء.[2] فبدأ الأدباء والشعراء يمجدون الحاج غليوم مستعينين بالأدب القديم الخاص بالحرب والبطولات وفي هذا إحياء للأدب وبعث روح التحرر من جديد، يروي لنا مالك بن نبي أن معلما عجوزا بتبسة يروي لتلاميذه أن غليوم قال: "أخشى أن تنتهي الحرب قبل أن أتمكن من التعبير عن كل أفكاري وتحقيق كل ماعندي من اختراعات".[3]

فالشعر الشعبي وشعر المداحين كما يرى ديسبارمي (Desparmet) هو شعر سياسي وهو موجه ضد المحتل الرومي ونحو السياسة،[4] ولعل من أشهر القصائد التي انتشرت أثناء الحرب الكبرى القصيدة المعروفة بـ"الحاج غليوم" يبدو أن قائلها هو أحد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي، لكن عبد القادر جغلول يقول إنها ليست من عمل مؤلف خاص، بل إبداع جماعي وعفوي من الشعب الجزائري اغتنت وتحولت استنادا إلى الوضع العسكري إلى رد فعل على الاستعمار الفرنسي.[5] فهذه

---

[1] من الحكم التي جمعها: "رقاد الجبانة ولامعيشة الهانة". "كل بلاد عند أهلها شام"، "حب الوطن من الإيمان". "الشام قطعة من الجنة". "ماذا قالت لجرانة عندما قال لها السيد عبد الله بن جعفر اخرجي من هذه الأرض راني رايح نحرقها، قالت له حروق بداني ولاخروج أوطاني". "عسرك في بلدك أعز من يسرك في غربتك"، وغيرها من الحكم.

[2] Jean Millia, op.cit, p.p.18-19.

[3] مالك بن نبي، **مذكرات**، مصدر سابق، ص.30.

[4] Gilbert Meynier, op.cit, p.253

[5] عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، مرجع سابق، ص.189.

القصيدة تصف معاناة الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي وتبين هزائم فرنسا في الحرب، وكان الأمل من خلال القصيدة في ألمانيا وحلفائها

الجزائر لك البشـــرى بسجانق ترفرف خضرا

تاتي في الصبحة بكره بطـــــبول وزرنـاجية

ويختم بالأبيات:

ياحـــــــي ياقيوم الله بنصر الملك غليوم

ياربي ياذا المـــلك الله يخذل جيش الموسكو

نتوسل لك بالخواص الله يذل جيوش لافرانص

ياجبار ياعـــــزيز اخلي الملك من جنس الانجليز[1]

ومن القصائد لتي انتشرت آنذاك قصيدة طويلة تدعو إلى الجهاد في سبيل الله قائلها اسمه عبد الله الهادي وتسمى "الدرر البهية في مدح الشاوية"[2]:

بالجهاد اشتغل وامضوا فيه لعمار سرت نمدح فيهم وانقول بالجهار

ياالهل الشاوية صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجمود فرنسا المنهار

ومن القصائد التي انتشرت بكثرة في الحضنة الشرقية وبريكة قصيدة "لأحد الأولياء" كما ورد في المصـادر الفرنسـية، والقصـيدة على شـكل تنبؤات، تبين كيف أن المسـيحيين سـيغادرون الجزائر وسيلتهمهم البحر. وانتشرت هذه القصيدة بكثرة فيما بين سنتي (1914-1916)، وأثارت اهتمام السلطات الفرنسية،[3] ومما جاء فيها:

مليت من قيل وقال والقلب امريض فالجواجي إذا كنت تقرا وفهام طاع وانا انحـــاجي

---

(1) R.A. 1932, p.p. 75.83.

(2) J.Mellia, op.cit. p.19,

(3) Ch.R. Ageron, ***L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle***, Sindbad, Paris, p.106.

ماتسمع قول الجرنان مشهور بالكذب ساجي الروم سافروا لامحال واكلتهم بحور الأمواجي

وليؤكد كلامه قال إنه قرأه في اللوح المحفوظ

"هذا الخبر شفت بالعين مكتوب باللوح ساجي"

4-نشاط الجزائريين خارج الجزائر: إن كان الضغط الاستعماري داخل الجزائر منع الجزائريين حتى من التعبير عن مشاعرهم، فإن الجزائريين في خارج الجزائر استغلوا إعلان الحرب على فرنسا والتحالف العثماني- الألماني للعمل من أجل تحرير شمال إفريقيا. وهذا نجده في مشروعين الأول سياسي قام به صالح الشريف التونسي والثاني عسكري قام به عبد المالك الجزائري.

أ-لجنة استقلال الجزائر وتونس: كانت خطة المغاربة في محاربة الاستعمار هي الاستعانة بالدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا. ولعل أشهرهم صالح الشريف التونسي، والذي أنشأ في 7 جانفي 1916 ببرلين لجنة استقلال الجزائر وتونس،[1]وقد جاء في تقرير للقنصل الفرنسي بجنيف إلى وزارة الخارجية الفرنسية أنه في اليوم الأول من جانفي 1916 أنشئت في برلين وتحت رئاسة الشيخ صالح الشريف لجنة إسلامية لتحرير الجزائر وتونس، وحسب التقرير نفسه أن هذه اللجنة هي مستنسخة عن اللجنة الوطنية المصرية التي أنشأها فريد باي لعمل حزب.[2] وكانت هذه اللجنة مؤيدة للدولة العثمانية وألمانيا، حيث قامت بحملة دعائية واسعة ضد فرنسا، فقد قدم صالح الشريف في بداية تأسيسها خطبة حارة خلال ساعة من الزمن بتاريخ1916/01/08 نقلتها جرائد الفترة تكلم فيها عن مطالب اللجنة، وبين فيها أنه ضد الطريقة التي تعتزم بها فرنسا تقديم دورها الإسلامي.[3]وحسب ماذهب إليه عمار هلال أن تمثيل الجزائريين في هذه اللجنة خمسة من سبعة،[4] وكانوا كلهم من

---

(1) هناك اختلاف بين المؤرخين حول من أنشأ هذه اللجنة هل هو صالح الشريف أم علي باش حامبة، يراجع:,M.Abdelmoula ,Le mouvement, p.208-209 علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية**...، ص.ص. 60-61، أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية...، ج2. ص.209.

(2) Ministre des Affaires Etrangère, Consul général de France à Genève au Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères, le 25/01/1916, A.N.T, S.E.550. Do.30/16 .

(3) M. Abdeloula, ***Le mouvement…***, op.cit, p.211.

(4) A.Hellal***, le mouvement…***op.cit, p.69.

العلماء المتخرجين من الزيتونة، وقد كانت الدعاية العثمانية –الألمانية تشترط أن يكون الداعية حاصلا على لقب عالم، وذلك ليكون له مصداقية وهذا نوع من بث الوعي السياسي لدى النخبة وإلا كان النخبة المغربية على هامش الأحداث السياسية والاجتماعية.[1] ويرى محمود عبد المولى أنه لأول مرة في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية كانت هناك مجموعة تطالب علانية باسم الجزائر وتونس بالاستقلال الشامل والفوري دون حل وسط، وكان تركيز المجموعة الوطنية على ارتباط الاتحاد الجزائري التونسي بالدولة العثمانية.[2]إذن نشأت فكرة العمل السياسي والمطالبة بالاستقلال في أحضان الجامعة الإسلامية.

ب–ثورة عبد المالك الجزائري: بعد موت الأمير عبد القادر الجزائري سعت كل من الدولة العثمانية وفرنسا للتقرب من عائلة الأمير وكسب ولائها وولاء الجزائريين المهاجرين في المشرق، فكان أغلب أبناء الأمير عبد القادر من أنصار الجامعة الإسلامية، وقد لعب الأمير علي دورا في حرب طرابلس مع ابنيه عبد القادر ومحمد سعيد، كما قام بدور دعائي في معسكرات الأسرى في ألمانيا. ومن أبناء الأمير عبد المالك الذي كان عقيدا في الجيش العثماني، ثم عاد إلى الجزائر وأُذن له بالدخول إلى الجيش الفرنسي حيث قاد قوات الشرطة في طنجة.[3] وتقول بعض الوثائق إنه في بداية الحرب كان في فرنسا يعالج من مرض الربو، عند ذلك اتصل به سفير ألمانيا بمدريد الكونت دي راتبور بغرض فتح جبهة ضد الفرنسيين في المغرب، وتعهدت ألمانيا والدولة العثمانية بالمساعدة، وفي آخر 1914 خرج من المنطقة الإسبانية ودخل الغرب وفي بني مستارة، حيث ألف الأمير عبد المالك أول قوة لمقاومة الفرنسيين. وكان يعمل في معسكره ضباط ألمان وأتراك.[4]

إن فخر الأمير عبد المالك بأجداده وتربيته على مبادئ الجامعة الإسلامية جعل نظره يتجه نحو تحرير وطنه. فكان مشروعه هو تحرير كل شمال إفريقيا. ففي مارس 1915 أعلن الحرب على

---

(1)Ibid .

(2)M. Abdelmoulla, ***Le mouvement…,*** op.cit, p.212

(3) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص. 225

(4) أبو القسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ط.3، دار العرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص.108.

فرنسا واستمرت إلى 1925،[1] ويحتوي الأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية على كثير من التقارير عن الأمير عبد المالك وعلاقاته مع الأمير خالد والأمير علي،[2] وتكشف وثائق مراسلاته مع ابن أخيه خالد فقد طلب منه أن يهيئ له الجو في الجزائر للقيام بحركة مساندة لحركته في المغرب، وأرسل له الأموال والمناشير إلا أن الظروف لم تكن مساعدة للأمير خالد. وقد استفاد من حركة عمه في حركته بعد الحرب.[3] وكان الأمير عبد المالك يتمنى أن يسير المسلمون على منواله ويعلنوا الجهاد في كل البلاد فهو السبيل للتخلص من الاستعمار، وقد شكل الأمير عبد المالك تهديدا خطيرا على الفرنسيين في المغرب خاصة أن اسبانيا ساعدته في حركته، وعلى الرغم من أن ألمانيا انهزمت في الحرب فقد واصل جهاده، لكن إسبانيا تخلت عنه بضغط من فرنسا، وكان آخر حملاته على الاستعمار الفرنسي في أوت 1924.

ينبغي أن نذكر هنا أن هناك محاولة ثورة في تونس قام بها أحمد توفيق المدني، فالبرغم من صغر سنه إلا أنه استغل الظروف لإعلان الحرب على فرنسا، فحسب ما اورده في مذكراته أنه بدأ بالاتصالات للإعداد للثورة لكن اكتشف أمره في البداية، وسجن طوال الحرب، وبعد الحرب عاد للعمل السياسي مع الحزب الحر التونسي، وكان من مؤيدي الدولة العثمانية ويدعو إلى وحدة المسلمين تحت ظلها ولكن السلطات الفرنسية نفته إلى الجزائر في سنة 1925.

المطلب الثاني: الجزائريون أثناء الحرب العالمية الأولى

يتعلق موضوع التجنيد الإجباري في الجزائر في بداية القرن العشرين بعدة قضايا داخلية وخارجية تمس الجزائريين، ففي داخل الجزائر أثار موضوع التجنيد قضايا الأهالي ومنها: الإدماج والتجنيس وقانون الأهالي وحقوق الجزائريين والمطالب الإصلاحية. الجانب الثاني الذي يثيره الموضوع هو علاقة الانتفاضات والثورات التي كانت بالجزائر في الفترة بتأثيرات الجامعة الإسلامية؟

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص. 227.

[2] A.D.A.E, Affaires musulmanes, La Guerre (1914-1918), Bob75, carton 1654. Bob 76, carton 1655.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**، المرجع السابق، ص.110

1-التجنيد الإجباري ومطالب الجزائريين: حسب ماتوفر لدينا من وثائق فإن من أوائل العرائض التي قُدمت للسلطات الفرنسية، عريضة سكان تلمسان في 7 أفريل 1891 إلى وزير الحربية بباريس[1]. تتعلق العريضة بمشروعين أحدهما مرسوم التجنيس، والآخر إخضاع الجزائريين للخدمة العسكرية الإجبارية، وحسب العريضة فإن المشروعين قد قبلا من طرف الجمعية الوطنية وحولا إلى لجان للدراسة. إن الأهالي في هذه الوثيقة يعلنون رفضهم للتجنيد الإجباري والتجنيس ويبينون أسباب رفضهم. فالهدف من المشروعين كما يقولون هو الإدماج، وهذا لايمكن القبول به أو تطبيقه لأنه خطير على الدين الإسلامي وحتى على الأنفس، حتى وإن كان فيه امتيازات كما تقول العريضة، فالجزائريون غير مستعدين للتضحية بدينهم من أجل الدنيا، ثم إنه في حالة الإدماج فالأهالي غير قادرين على ممارسة حقوقهم الانتخابية بكيفية مرضية بسبب الجهل المتفشي بينهم.

نجد الأهالي في هذه العريضة ينادون روح الحضارة والمواثيق الفرنسية التي أمضتها مع الجزائريين منذ الأيام الأولى للاحتلال, لكن الفرنسيين كانوا مستمرين في مناقشة مشروع التجنيد وإيجاد السبل لتطبيقه، وزاده دفعا مشروع (Messimy) في سنة 1907، الذي أثار ردود فعل قوية لدى الجزائريين الذين استمروا في رفع العرائض إلى مختلف السلطات الفرنسية ففي عريضة لسكان البليدة مؤرخة في يوم 25 ديسمبر 1907 أرسلوا بها إلى مدير جريدة: (La Dépêche algérienne) كما تقول العريضة إن مستشاري وأعيان البليدة لايستطيعون الموافقة على الإجراء، ثم يقولون"نحن نرفض شكله وهذا ليس رد فعلنا نحن فقط بل كل إخواننا في الدين الذين عبروا جماعيا عن مشاعرهم..."[2].

إن أغلبية الجزائريين كانوا رافضين للمشروع أما الأقلية التي قبلته فبشرط التعديل، وقد اغتنم الشبان الجزائريون هذه الفرصة لرفع عرائضهم ومطالبهم ليس لتعديل قانون التجنيد الإجباري فحسب، بل قدموا إلى جانب ذلك كل مطالبهم، من إلغاء قانون الأهالي والمحاكم الزجرية وتخفيف الضرائب وإصلاح القضاء... وغيرها من المطالب. ففي 2 جانفي 1908 قدم محمد بن رحال مذكرة إلى لجنة التحقيق بصفته ممثلا لأصحاب العمائم القديمة يقول: "كان ينبغي تهيئة الميدان بتمكين

---

(1) جمال قنان، **نصوص سياسية من القرن التاسع عشر**، مصدر سابق، ص.ص. 210-214.

(2) Meyreuil (André), « Le service militaire des indigènes », in : ***A.F***, N°01, Janvier 1908, p.22.

المسلمين من التوظيف في المناصب التي كانت مخصصة لغيرهم وتوسيع حرية الصحافة ومنح القروض"، أما حمو بوضياف وخراسي فقد طالبا بإلغاء قانون الأندجينا وتحقيق المساواة الضريبية وتشييد المزيد من المدارس.[1]وفي هذه المطالب إشارة للسلطات الفرنسية أن الجزائريين هم في عرف القانون الفرنسي وقانون 1865 رعايا وليسوا مواطنين فرنسيين يعيشون تحت إجراءات استثنائية وقوانين خاصة، ومادامو ليسوا مواطنين فلماذا يجبرون على الخدمة العسكرية؟[2]

لم يقتصر رفض الأهالي على رفض قانون التجنيد بل إنهم اغتنموا الفرصة لتبيان حال الجزائريين الذين يعانون من مظالم كثيرة جدا، وبخاصة في الناحية الدينية. مثل منع القضاة المسلمين من أداء واجبهم. والتضييق على تعليم القرآن، والتضييق على إصلاح وإنشاء المساجد. بالإضافة إلى الضرائب الباهظة المفروضة على الأهالي، وانتزاع أحسن الأراضي لتأسيس مراكز فرنسية. وقانون الأهالي والمحاكم الزجرية ومحاكم الجنايات، وكلها أعباء ثقيلة على الجزائري المسلم. أما قانون التجنيد الإجباري فقد زاد من آلامهم، وأخيرا لايسمح لهم بالهجرة حيث يحلو لهم العيش. ففي الوثيقة رجاء للمسؤولين الفرنسيين أصحاب الحضارة للنظر في هذه المظالم. إن هذه العريضة تحمل في طياتها أسلوبا راقيا كان يتعامل به الجزائريون المسلمون مع السلطات الفرنسية، على الرغم من شدة وظلم القوانين التي كانت تطبق عليهم.

احتج المنتخبون المحليون ببجاية في رسالة إلى البرلمان في جوان 1912 ضد قانون تأسيس التجنيد الذي جعل من أبنائهم مرتزقة من دون تعويض، وثقل غير متساو ومكانة غير ملائمة...[3] وفي 1914 صرح شيخ كبير لرئيس المكتب العربي لشؤون الأهالي في قسنطينة: "تستطيعون زيادة الضرائب، سنعطيكم أموالنا ولكن لن نسلمكم أبناءنا"[4].

---

(1) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France (1871-1919)***, t2, op.cit, .p.p.1064-1065

(2)أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، ج2**، مرجع سابق، ص.176.

(3) Haddad, (Mostefa), ***Etudes des mouvements de résistance et d'opposition du Constantinois du premier quart du XX siècle(1900-1925)***, thèse de Doctorat de 3em cycle d'histoire, Faculté des lettres U.E.R méditerranée université de Provence (Aix-Marseille1), 1978, p.70.

(4)André Nouschi, ***La naissance de nationalisme algérien***, les Editions de Minuit, Paris, 1962, p.25.

وفي مقال لعمر بن قدور بعنوان: "الرفض الأخير لمشروع التجنيد"[1] الذي نشر على شكل أجزاء في جريدة المشير التونسية نقلا عن جريدة الحضارة التي كانت تصدر بالآستانة. يبين عمر بن قدور في هذا المقال مدى حاجة فرنسا لقوة وشجاعة الجزائريين، ولكنها ارتكبت أخطاء قانونية وإنسانية حيث إنها لم تراع مشاعر المسلمين الدينية، ويؤكد أن الجزائريين يرفضون قانون التجنيد على الرغم من محاولات الحكومة الفرنسية لإقناعهم. وفي هذا المقال يؤرخ لنا عمر ابن قدور لرأي المجلس البلدي لمدينة الجزائر وأعيانها في مسألة التجنيد، يقول إن رئيس بلدية الجزائر طلب من الأعضاء المسلمين الستة إبداء آرائهم وقد أقنعوه باستشارة أعيان المدينة فاستدعي أربعين رجلا من أعيان مسلمي العاصمة ليبدوا آراءهم. فقام الشيخ عبد الحليم ابن سماية واستأذن الحضور أن يتكلم باسمهم فأذنوا له، فاستدل بآيات القرآن الكريم أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية لايكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة، وإذا أعطوا الحقوق مقابل الخدمة ستكون الضربة القاضية للقومية الدينية والجنسية. وقد احتج بعض المتفرنجين كما يقول لكن الكلمة الأخيرة كانت لابن سماية، وصاح الأعيان أنهم موافقون تمام الموافقة على احتجاجه ورفضه للمشروع، ثم سئل المفتي الحنفي محمد بوقندورة عن رأيه فأجاب بأنه موافق على كلام ابن سماية. وانتهت المفاوضة برفض التجنيد سواء بنيل الحقوق السياسية أم لا. وتفرق الجمع بعد أن أعلمهم رئيس البلدية أنه سيوجه محضر الرفض المصادق عليه إلى الوالي العام. ولقد كان رد الإدارة الفرنسية من الاحتجاجات "بان قضية التجنيد هذه ليست سوى مشروعا قد يطبق عليهم في المدى البعيد وقد يلغى في وقت لاحق".[2]

أما عمر راسم فقد نشر مقالا بعنوان "رأي حر" ولقب نفسه بـ"ابن منصور الصنهاجي". وجه نداءه إلى رئيس وزراء فرنسا ووزير الحربية والوالي العام، يذكرهم على صفحات جريدة التقدم التونسية بما يتوجب عليهم إذا ماأرادوا تجنيد الجزائريين أن الكاتب يبطن معارضته للتجنيد، فمن رأيه أن ترفع فرنسا غشاوة الجهل والأوهام عن الجزائريين حتى يكونوا في مستوى الفرنسيين ويحملوا السلاح إلى جانبهم يقول:" نحن شباب الجزائر ورجال المستقبل تسوؤنا حالة أبناء وطننا وحالة أبناء جنسنا الراهنة، التي لاشك أنها تسير بهم إلى الاضمحلال إذ هم إلى الهمجية أقرب، وحيث إن لهم قابلية

[1] عمر بن قدور، "الرفض الأخير"، في **المشير**، الأعداد:"30، 31، 32" جانفي 1911، تونس.

[2] ينظر الملحق رقم(14)، تقرير فرنسي

طبيعية في الجندية، وشوق إلى حب التفاخر بالسلاح فلا يتساوون لجهلهم مع أبناء فرنسا الذين تغذوا بلبان المعارف، ولربما يقع بينهما تنافر وشقاق ولاتحمد عقباه لأنه من البديهي أن أبناء فرنسا يتقدمون على العرب في المراتب العسكرية فلا تسمح شهامة العربي أن تكون نفسه متساوية في الموت مضطهدة الحقوق في الحياة".[1]

لقد قام الجزائريون بمظاهرات في عدة مناطق من الجزائر بمجرد بداية عملية الإحصاء، فقد تظاهروا في تيارت والأربعاء و (Rovigo) (بوقرة حاليا) ونشرت (A .F) تقريرا عنها، وقالوا إنها ليست عصيانا مسلحا، ولكن عددهم كبير جدا، جاءوا من كل جهة واجتمعوا حول البلدية ولم يتفرق المتظاهرون حتى أكد لهم (Picibono) رئيس البلدية أنه سيعطي لهم الحلول، وقال إنه لايريد إزعاجهم ولا إثارتهم ولاإرسال أولادهم إلى المغرب.[2] واصل الجزائريون المسلمون رفضهم لقانون التجنيد الإجباري وقد شهدت العمالات الثلاث مظاهرات في الشوارع ففي تلمسان وحدها تظاهر ست آلاف ضد التجنيد الإجباري.[3]

وفي 3 فيفري 1912 صدر قانون ينص على تجنيد أبناء الأهالي الجزائريين وحدد مدة الخدمة بثلاث سنوات بمنحة تقدر بـ 250 فرنك فرنسي. وفي 24 من الشهر نفسه تلقى الحاكم العام بالجزائر أمرا بتطبيق القانون.[4]لقد كانت ردود فعل الجزائريين سريعة على هذا القانون ففي ندرومة بمقاطعة وهران على الحدود الجزائرية المغربية، طالب الأهالي الجزائريون بمقابلة رئيس الدائرة وبعد خروج مندوبيهم من المقابلة قاموا بمظاهرات عنيفة وتهديدات وضرب بالهراوات.[5]وشاع الخبر أنهم سيشاركون في محاربة المغاربة.

---

(1) محمد صالح الجابري، مرجع سابق، ص.ص. 229-230 نقلا عن جريدة التقدم التونسية، 26 ديسمبر 1907

(2) Démontés (Victor), "La conscription indigene", in: **A.F**, N°10, Octobre 1908, p.342.

(3)Ben Ali Fakar, "*La représentation des Musulmans algériens,* **R.M.M**, N° 1-2, Vol:6, janvier-février 1909, p.22.

(4) Ch R.Ageron, ***Les Algériens musulmans et la France (1871-1919)***, op.cit, t2. p.1073

(5) **A.F** N°juin 1912. p.226

كما شملت المعارضة كل مراكز مقاطعة الجزائر ففي المدية ضرب الإداري الذي طبق القانون وحماه القايد، كما شملت الاحتجاجات مليانة وشرشال والبليدة وتيزي وزو... أما في مقاطعة قسنطينة ففي شهر فيفري 1912 أرسلت فرق عسكرية إلى المقاطعة بعد أن أنذر الحاكم العام أن هناك مشاكل بقسنطينة والقبائل والأوراس.[1] كما تظاهر أولياء المجندين في عين التوتة وتجمعوا أمام المركز الصحي وقد نفت السلطات الفرنسية خمسة عشر من هؤلاء المتظاهرين إلى الجنوب، بأمر من الحاكم العام، خوفا من الغضب الشعبي.[2]

لكن يبدو أن العرائض والمظاهرات والاحتجاجات لم تكن تخيف السلطات الفرنسية بقدر ماكان يخيفها فرار الجنود أو عدم حضورهم، لأنهم يشكلون المخزون البشري الذي تعتمده فرنسا في حربها مع ألمانيا. ففي سنة 1912 كان عدد المسجلين للتجنيد بباتنة 141 التحق منهم 25 فقط. وبندرومة وفي 2 جوان من السنة نفسها حضر واحد فقط من بين 160 مسجلا.[3] بل أنهم فروا حتى من عملية الإحصاء.[4] ولقد أطلقت نشرية إفريقيا الفرنسية صيحة تحذير من عدم التحاق المسجلين فبعد إعطاء الإحصائيات السابقة تساءلت "كم من الأهالي لم يستجب؟ هذه هي الصعوبة وهذا هو الخطر". لقد كان قرار الجزائريين المسلمين حازما في عدم الخضوع لقانون التجنيد الإجباري، ففضلوا أن يسلموا أموالهم وأنفسهم على أن يسلموا أبناءهم، إن هذه الردود ومع تعنت الإدارة الفرنسية تطورت في شكل هجرات جماعية وثورات.

تعد الهجرة أحد مظاهر رفض الجزائريين للاستعمار الفرنسي عامة وللتجنيد الإجباري بصفة خاصة. وإن كان تركيز الدراسات الفرنسية على هجرة تلمسان المعارضة للتجنيد الإجباري في سنة 1911. لكننا نجد أن الحراك ضد التجنيد الإجباري بدأ مع بداية عملية إحصاء الشباب المجندين بمقتضى قانون 17جويلية 1908، فقد أيقظ هذا القانون عملية الهجرة من جديد حيث بدأت في 1909. ففي هذه السنة لفت نظر السلطات الفرنسية كثرة طلب الأهالي لجوازات السفر كما

(1) M.Haddad, op.cit, p.75
(2) Ibid, p.76
(3) **A.F**, N° juin, 1912. p226
(4) A. Nouschi, op.cit, p.25

شهدت عمالة قسنطينة هجرات سرية من بجاية وباتنة...ولكن أكبر هجرة في هذه السنة كانت من عين تاغروت ثم عمت منطقة سطيف وكانت وجهة معظم المهاجرين إلى الشام.[1]

وبما أن عددا كبيرا من المهاجرين لم يستأذنوا السلطات الفرنسية وهاجروا سريا، فلايوجد إحصاء دقيق لعدد المهاجرين، وبالرغم من أن الوثائق والدراسات تعطي بعض الإحصائيات، ولكنها تتفق كلها على كثرة العدد. وكمثال على عدد المهاجرين في سنة 1909 من منطقة سطيف فقد كتب علي باش حانبة معتمدا على صحيفة "الإسلام" التي كانت تصدر بالجزائر، أن هناك 141 طلبا قدمها بعض رؤساء العائلات من دوار تاقورة التابع لفج امزالة الممتزجة إلى السلطات الفرنسية بقصد الترخيص لهم في الهجرة.[2] في حين ذكر عمار هلال بالنسبة للمنطقة نفسها واعتمادا على وثائق الأرشيف الفرنسي أنه قدم حوالي 125 طلبا في أوائل سنة1909.

ومهما يكن من أمر فإن عدد الجزائريين المهاجرين ابتداء من سنة 1909 كان كبيرا من مناطق الشرق الجزائري، وبقي بنفس الحدة في السنوات الثلاث الموالية، والملاحظ أن الفرنسيين لم ينتبهوا أو لم يهتموا بهذه الهجرة في البداية. وكان اهتمامهم بالأراضي والمواشي التي غادرها أهلها فأغروهم برهنها على أمل العودة إليها،[3] ولكن عندما أثرت الهجرة سلبا على الجند الفرنسي منعت السلطات الفرنسية الهجرة.

ولعل اهتمام الفرنسيين بما سموه "هجرة أهل تلمسان" هو قرب تلمسان من المغرب، وبداية تطبيق المشروع الفرنسي لاحتلال المغرب، فوجدت فرنسا صعوبة كبيرة في تجنيد أهالي هذه المنطقة في وقت كانت تخضع فيه للضغط والتنافس الألماني -الإسباني- الفرنسي لاحتلال المغرب. فبدأت الكتابات الفرنسية تحذر من تلمسان التي مازالت من الحواضر الإسلامية وبها نزعة دينية، لافتة انتباه السلطات الفرنسية لوقف الهجرة. ويصف (H.Marchand) هجرة تلمسان بالفزع الحقيقي الذي لامثيل له فقد غادر الأهالي دون إنذار مسبق، ففي هذه السنة (1912) هاجر أكثر من

---

(1) عمار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)** مرجع سابق، ص96.

(2) محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص.244.

(3) H.Marchand, "*L'exode des Musulmans Algériens*", **R. Q.D.C**, T.33, janvier – juin 1912, p.86.

1200[1]عائلة من تلمسان وضواحيها وفي السنة السابقة(1911) غادرت ألف عائلة.[2] إن رد الفعل هذا كان متوقعا لدى السلطات الفرنسية بسبب الوضعية القانونية والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها الجزائريون تحت ظل الاحتلال الفرنسي. ويجب الإشارة هنا أن هناك من ميسوري الحال وأصحاب الأملاك غادروا الجزائر ويعدون من المحرضين الأساسيين على الهجرة، فإن أرجع السبب إلى حرص الأولياء على تعليم أولادهم تعليما يتناسب مع شخصيتهم،[3] فإنه يضاف إليه سبب أقوى وهو حفظ حياتهم بتهريبهم من التجنيد الإجباري.

2- هل رفض التجنيد وقيام الثورات كان بتأثيرات خارجية؟

يثير بعض الباحثين الفرنسيين قضية تأثيرات الجامعة الإسلامية والدعاية الألمانية-العثمانية في ثورات الجزائريين قبيل وأثناء الحرب الكبرى، فحسب آجرون(Ch.R.Ageron) [4] أنه من المستحيل أن لاتصل الدعاية الألمانية إلى الجزائر، وتنفذ إلى الذين يعرفون القراءة وبخاصة في الشرق الجزائري. فقد صودرت الكثير من منشورات الدعاية، بينما يرى مينييه (G.Meynier)[5]أن الأحداث التي سبقت الحرب العالمية الأولى مثل احتلال طرابلس وحرب البلقان وتضامن الجزائريين لصالح الدولة العثمانية والمظاهرات ضد الاحتلال الإيطالي والهجرة وأحداث الجلاز بتونس ومجازر طرابلس واحتلال مراكش، كل هذا جعل الجزائريين يتضامنون بقوة مع المسلمين وعلى اتصال بهم. فهناك من الصحافة الأوربية في الجزائر من تنفي تأثير الجامعة الإسلامية،[6] ويقول نفس الكاتب أننا إذا تتبعنا مسار حركات التمرد والثورات نجدها بدأت من الشرق الجزائري من تبسة ثم الوسط ثم الغرب حسب تقرير (Lutaud)، فهذا دليل على عدوى الجامعة الإسلامية.[7]

---

[1] يشكك عمار هلال في مثل هذه الأرقام المرتفعة لأن السلطات الفرنسية تعمدت تسليط الضوء على هجرة تلمسان، مرجع سابق، ص. 132.

[2] H.Marchand, op.cit, p86.

[3] عمار هلال، مرجع سابق، ص.122.

[4] ***L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle***, Sindbal, Paris, p.114.

[5] op.cit, p.248.

[6] Ibid, p.248.

[7] Ibid, p.280

وإن كانت الحالة في كل الجزائر مضطربة فإن الثورات المعارضة للتجنيد الإجباري بدأت في الغرب الجزائري خاصة بعد صدور قانون التعويض بدل التجنيد، فقد كتب سكان سيدي دحو إلى وزير الحربية أن قائدهم أخذ منهم 1500 فرنك وبعد ذلك جند أبناءهم وقالوا: "إنه منذ أن أصبح قائدا علينا أكل لحومنا وهضم أموالنا"[1]. وبعودة بعض الجنود المصابين، الذين حدثوا أهاليهم أن الجنود الجزائريين يوضعون في المقدمة في المعارك. وهذا ماأثار سكان سيدي دحو (معسكر) فنظموا مظاهرة في 14 سبتمبر 1914، أمام مقر البلدية المختلطة، ورفض أبناؤهم الالتحاق بمراكز الإحصاء والتسجيل.[2]لقد رفض الشباب الجزائري في سيدي دحو وبني شقران وغريس والمجاهر... وغيرها من مناطق معسكر الحضور للإحصاء أو التسجيل. واتفق شيوخ الأعراش على التعاون لمواجهة الفرنسيين، ونتيجة تهديدات رئيس الدائرة والقائد العسكري وقعت مشادات بين السكان والعسكر الفرنسي أدى بالإدارة الفرنسية في 5أكتوبر 1914 إلى حشد 1500 عسكري لاقتحام المناطق المتمردة، وأخذوا يطلقون النار ويهدمون البيوت والمساجد، ويسلبون الحبوب والحيوانات.[3] استمرت القوات الفرنسية باستعمال القمع القوي للقضاء على التمرد واستمر ذلك إلى 20 أكتوبر، حيث اعتقلت عددا من الناس وحاكمتهم وسلطت عليهم عقوبات وغرامات باهظة وصادرت أملاكهم.[4] فحسب تقرير الحاكم المدني لبلدية معسكر "أن هذه الحركة كان لها طابع ديني متعصب أو هي جنين للحرب المقدسة، ويبدو أن الذي أثارها هو شعالة حمزة الذي له علاقة بالخارج، أما التدخل الخارجي أو محرضين من الخارج فلا أستطيع أن أؤكد ذلك".[5]

عرف الجنوب القسنطيني ثورة في سنة 1916، إن هذه الثورة تثير تساؤلات كثيرة: لماذا كانت الأوراس أكثر حدة في معارضة التجنيد من بقية مناطق الجزائر بحيث تطورت المعارضة إلى ثورة

---

[1] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، ط2، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1996، ص34

[2]M. Haddad, op.cit, p.69

[3] يحي بوعزيز **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص.ص 73-74

[4] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص.ص. 38-39.

[5] G.G.A, Rapport de l'Administrateur de la Commune mixte de la Mascara sur les évènements graves qui ont marqué la Conscription Indigène dans les Douars Communes des Beni-Chougran, 15 octobre 1914, A.N.O.M, 9H5

مسلحة؟ لماذا كانت في هذا التاريخ أي بعد عامين من الحرب العالمية، ولم تكن في السنة الأولى من الحرب كما حدث ذلك في الغرب الجزائري؟ أهي ثورة ذاتية أم مدفوعة ومدعمة من الخارج؟ كيف واجهت السلطات الفرنسية هذه الثورة في وقت كانت في حاجة للهدوء داخل مستعمراتها، وفي حاجة إلى الجنود الجزائريين؟

أجاب عن بعض هذه التساؤلات الكتاب الفرنسيون الذين اهتموا بالثورة وتحليلها، وكل كاتب يوجه أسباب الثورة في الاتجاه الذي يخدم أيديولوجيته ومصالحه. ولعل أول من كتب عنها المفتش دوبون (O.Depont) الذي حرر تقريرا في 454 صفحة،[1] حلل فيه أسباب الثورة، وكان تركيزه أكثر على الطرق الصوفية والمرابطين ودور رجال الدين في هذه الثورة، منطلقا من نظرته التي ترجع أسباب الثورات إلى تحريض الطرق الدينية، وفي كتاباته يحذر بشدة السلطات الفرنسية من المرابطين والطرق الصوفية والعامل الديني في قيادة الجماهير، كما يركز دوبون على العوامل الخارجية في هذه الثورة وهي الدعاية الألمانية والجامعة الإسلامية، ويؤكد كلامه الحاكم العام للجزائر(Lutaud) أمام النواب الماليين. وقد رد عليه آجرون(Ageron) [2] بشدة في عدة كتابات له. وحذر من تقرير دوبون وقال إنه كتبه لتبرير الإدارة المدنية ونصوصه متناقضة، ولايوجد لديه نقاش عميق ولاأدلة كافية، وردا على ذلك التقرير قدم آجرون إحصائيات على الطرق الدينية بالأوراس ومدى استجابتها للثورة. ومثال ذلك في بلدية بريكة وهي من أهم مراكز الثورة لايوجد بها ولازاوية وعدد الإخوان بها ضعيف جدا بل إن بعض المرابطين كانوا مؤيدين للفرنسيين. ويؤكد أن ثورة الأوراس قامت ضد التجنيد كما هو الحال في مناطق أخرى من الجزائر مثل القبائل الكبرى والظهرة وأطلقت عليها الإدارة الفرنسية بثورة التجنيد.

ولعل من المفارقات في تحليل ثورة الأوراس أن دوبون أرجع أسبابها إلى الطرق الدينية، فيقول إنها هي التي أعلنت الثورة. بينما يُرجع عبد الحميد زوزو[3]أسباب تأخر الثورة إلى سنة 1916 وإلى الطرق الدينية، لأنها كانت موالية للاستعمار، وكان شيوخها يقنعون الناس بعدم الثورة. لكن هذا

---

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، مرجع سابق، ص.44.

(2)***L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle***, Sindbal, Paris, p.p.112-116

(3)**الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)**، ج2، تر:مسعود حاج مسعود، دار هومة، الجزائر،2005، ص. 29

التأثير لم يستمر طويلا. فقد جاء رفض الناس في كل المنطقة لتسليم أبنائهم ويقول: إن الانتفاضة بدأت في أكتوبر في أولاد الرشايش. وفي استنتاج ذكي من عبد الحميد زوزو أن سبب مافعله دوبون يهدف إلى غايتين الأولى تبرئة ساحة الزوايا في أعين الناس لكي تستمر في أداء الوظائف الجديدة المسندة إليها وتعتيم التحولات الذهنية التي تحصل في الأوساط الشعبية نحو التكفل بمصيرها.[1]

ثم يرجعها آجرون إلى أسباب اقتصادية ويقول إنها بدأت منذ 1904 وفيما بين 1912و1916 حدث 17 اعتداء ضد أشخاص ويضاف إلى الأسباب الاقتصادية الجفاف في سنة 1914. كما أن بعض الأهالي الذين غرموا بعد ثورة 1871 وهاجروا إلى الأوراس استوطنوا هناك لكن الكولون أخذوا منهم أراضيهم فاتجهوا إلى الغابات وبدأوا في استثارة الكولون ابتداء من 1914.

أما وزير الحربية الفرنسي فكان يرى أن كثرة قتلى الرماة الجزائريين في جبهات الحرب بأوربا هو السبب في ثورة سكان الجنوب القسنطيني. فقد سجلت وزارة الحرب 7822 قتيلا و30354 جريحا و26112 أسيرا لغاية أكتوبر 1916 ولم ينس مصادرة أراضي السكان في بداية القرن بمروانة وعين التوتة وسريانة.[2] بينما يرى منييه(G. Meynier) [3] أن قطاع جنوب قسنطينة سريع التأثر بالدعاية وذلك لقرب باتنة من طرابلس، وعلى الرغم الحصار الفرنسي على التجارة الصحراوية، إلا أن العلاقات لم تنقطع. ففي بداية 1915 انتشرت الشائعات في تبسة أن الجيش التركي سيرسل 30000جندي إلى بن قردان، وقد حجزت في جنوب قسنطينة منشورات تتهم الفرنسيين بسرقة أراضي المسلمين، فانتشرت شائعات أن الجزائريين سيسترجعون أراضيهم بمساعدة الألمان، وهذا من الأسباب الرئيسية لثورة الأوراس.

إن المتأمل في هذه الأسباب يجد أنها كلها ساهمت في تهيئة سكان المنطقة للثورة، وكان قانون التجنيد الإجباري هو المحفز الأكبر على التمرد على القوانين الفرنسية الجائرة، وربما تأتي للجنود الفارين من الجيش الفرنسي والجرحى الذين عادوا إلى الجزائر لينقلوا صور المآسي التي تعرضوا لها في الحرب.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر...**، مرجع سابق، ص.45.

[3] op.cit, p.576

ووجدوا في حرب فرنسا مع ألمانيا فرصة للتحرر والانعتاق من الاستعمار الفرنسي، ولكنها لم تكن شاملة ولامنظمة بالقدر الكافي.

فقد بدأت الاحتجاجات والمظاهرات منذ 1908 ثم ظهرت بوادر التمرد في نهاية شهر فيفري 1912 تاريخ بداية تطبيق قانون التجنيد الإجباري، حيث أرسلت فرق عسكرية إلى المنطقة بعد إنذار تلقاه الحاكم العام (Lutaud) بأن هناك مشاكل في مقاطعة قسنطينة.[1] بقيت الاحتجاجات في السنوات التالية وازداد عدد الفارين من الجيش الفرنسي حيث كونوا مجموعات مسلحة معارضة للاستعمار. وكانت نداءات بعض الزعماء الجزائريين من أمثال ابن على بن النوي والشيخ مقدم زاوية زغانة للشباب مابين 25 و40 سنة أن يعلنوا الجهاد.[2]

ولم تتأخر القوات الفرنسية عن المجيء من قسنطينة ومن بسكرة، بآلاف الجنود معظمهم من السنغال والألزاس، استعملوا في خنق الثورة التي بدأت دائرتها تتسع. كما طبق الحصار الاقتصادي على المنطقة.[3]واستعملت السلطات الفرنسية كل قوتها لردع الثورة وصرح وزير الداخلية الفرنسي:"يجب أن نظهر للأهالي قوتنا العسكرية، كل العمليات يجب أن تنجز بواسطة القوة العسكرية الكفأة".[4] لقد استعمل الجيش الفرنسي وحشيته ضد الجزائريين فقد احرقوا المشاتي وأفرغوا المطامير من الحبوب وصادروا المواشي أوباعوها، لقد استنكر لهذه الأعمال حتى الفرنسيون أنفسهم ومنهم الجنرال (Moinier) الذي تأسف لما حصل في الأوراس من طرف الزواف الأوربيين هكذا علق قائلا: "في بلزمة حدثت طوارئ فعلا".[5]

المبحث الثالث: نهاية مرحلة

تعد فترة العشرينيات من القرن العشرين مرحلة انتقالية في الفكر الإسلامي، فبسقوط الخلافة انتقل الفكر الإسلامي الحديث –والذي كانت إشكاليته النهوض والتقدم–، إلى الفكر الإسلامي

---

[1]M. Haddad, op.cit. p.76.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق،ج2. ص.216.

[3] M.Haddad, op.cit. p

[4]Ibid, p.99

[5]Ch.R. Ageron, ***L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle***, op.cit. p.101

المعاصر والذي إشكاليته الرئيسية هي الهوية ومقتضياتها ووسائل حفظها.[1] وفترة العشرينيات بالنسبة للجزائر هي نهاية العمل الفردي[2] وبداية تشكل العمل الجماعي في شكل جمعيات وأحزاب ونوادي، وكان هذا هو الممهد للحركة الوطنية والتي تجلت بوضوح أكثر في بداية الثلاثينيات.

لذلك سنـدرس فترة العشـرينيات من جانبين مهمين: الأول إلغاء الخلافة وكيف أثرت على الفكر الحديث في الجزائر، والمطلب الثاني تطور فكرة الاستقلال من مطالب فردية وجمعيات في المهجر متأثرة بالجامعة الإسـلامية إلى مطالب أحزاب ذات اتجاهات فكرية مختلفة، وانتقال العمل من إطار العالم الإسلامي إلى العمل المغاربي ثم القطري.

المطلب الأول: مسألة الخلافة

1- إلغاء الخلافة: خرجت الدولة العثمانية من الحرب الكبرى منهزمة في 30أكتوبر 1918، إثر هدنة مدروز، بعد أن فقدت الولايات العربية التي كانت تابعة لها في قسـمها الآسـيوي، وقد نصت الهدنة على قيام بريطانيا باحتلال القلاع والاستحكامات في الدردنيل والبسفور،[3] وفي 15 ماي 1919 احتل اليونان أزمير بالاتفاق مع الحلفاء، ولم تجد نداءات فريد باشـا آذانا صـاغية. وقد نص مؤتمر الصـلح الذي عقد في 10 أوت 1920 على تخلي الدولة العثمانية لليونان عن أدرنه والمناطق المحيطة بها، وقُلصت السيادة العثمانية كما قُلص جيشها.[4] وقد حلت الدولة العثمانية لجنة الاتحاد والترقي وحل السلطان البرلمان. وأحس الأتراك بالإهانة من الأوربيين.

كان خلاص تركيا من الأناضـول حيث قاد مصـطفى كمال الحركة الوطنية. وتحمس أهل الأناضول لمقاومة المحتلين، وانقسم الأتراك بين مؤيد لمصطفى كمال ومؤيد للسلطان. وأخذت القوات

---

[1] زكي الميلاد، "جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي"، مقال سابق، ص.327.

[2] يسمى عبد القادر جغلول الفترة " من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية العشرينيات من القرن العشرين" ب "حقبة الفرديات"، حيث إن الاسـتعمار فكك بنى المجتمع الجزائري القديم، وولد قوى اجتماعية جديدة لم تعد قادرة على أن تطبق أي عمل سياسي إلا في نهاية العشرينيات من القرن العشرين. يراجع: **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، مرجع سابق، ص.222.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.220.

[4] كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص.687.

التركية في الأناضـــول بمهاجمة مواقع جيوش اليونانيين بتركيا وانتصـــرت عليها. واســـترجعت أرمينية في أواخر سـنة 1920، كما هزمت اليونان في معركة سـخاريا في أوت سـنة 1921، وتابع مصـطفى كمال تقدمه نحو تراقيا وإستانبول، فانسحب اليونان فجأة وعقد معهم هدنة في صيف1921، هلل المسلمون لانتصارات مصطفى كمال، واضطرت الدول الاستعمارية إلى توقيع معاهدة صلح في لوزان في نوفمبر 1922.[1]

شكل مصطفى كمال في 24 أفريل 1920حكومة وطنية كانت عاصمتها أنقرة،[2] ورأى أن الوقت مناسب لفصل السلطنة عن الخلافة، وجاء هذا الفصل بناء على اقتراح قدمه الدكتور رضا نور وزير الصـــحة والتعاون الاجتماعي وأحد مندوبي الترك إلى مؤتمر لوزان، فأعلن فصـــل الخلافة عن السلطنة في أول نوفمبر 1922، وهذا الفصل يعني جعل الخليفة مجردا من سلطانه واعتباره صاحب منصب ديني وشخصية روحية.[3] وأعلن مصطفى كمال في خطاب طويل[4] عن فصل السلطنة عن الخلافة، حيث استعرض تاريخ الخلافة في الإسلام، وفضل الأتراك في صيانتها. وقد أثار هذا القرار جدلا بين المسلمين، وأعطى أملا لتجديد الفكر السياسي الإسلامي،[5] لكن وبتوقيع معاهدة لوزان انسحبت قوات الحلفاء من تركيا، وأصدر المجلس الوطني قرارا، تكون أنقرة بموجبه هي العاصمة. وآخر ينص على أن تكون تركيا جمهورية برئاسة مصطفى كمال، وأختير عصمت إينونو رئيسا للوزراء، وفي 3 مارس 1924 أصـــدر مصـــطفى كمال قرارا بإلغاء الخلافة.[6] لقد كانت الطبقة المثقفة التركية الجديدة ترى أن خلاص البلد يكمن في فصـــل الدين عن الدولة، والواقع أن الخلافة كانت تجســـد الإدماج الكلي بين الدين والسياسة، وبالقضاء عليها قضي على الهيكل السياسي العتيق الذي لم

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.ص.228-230.

(2) احميده عميراوي، **ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص,26.

(3) محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.118 .

(4) نص الخطاب في **تقويم المنصور** لسنة 1342هـ، مطبعة العرب بتونس، ص-ص211-223 .

(5) حميد عنايت، **الفكر السياسي الإسلامي المعاصر**، تر: إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص.115.

(6) إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص.231.

يكن مؤهلا في ذلك الوقت لإجراء التغيرات اللازمة في المجتمع.[1] وسرعان ما أعلن أتاتورك محو الدين الإسلامي واللغة العربية وإعلان جمهورية تركية علمانية. لقد أخطأ مصطفى كمال بتجريد الدولة من دين الشعب وبدل أن ينقذ شعبه ساهم في إدخال الاستعمار الأوربي عليه، لأن الدستور الذي صادق عليه لم يكن صادرا من تقاليد وأفكار المجتمع بل كان غريبا عنه[2].

لقد أثارت مسألة الخلافة الجدل بين المسلمين، كما فتحت مجال النقاش في قضايا الفكر السياسي الإسلامي وعلى رأسها الخلافة ونظام الحكم. وسنتناول رد فعل الجزائريين على إلغاء الخلافة وتأثيره على فكرة الجامعة الإسلامية. فمن أوائل الجزائريين الذين اهتموا بمسألة الخلافة أحمد توفيق المدني، فهو لم يكتف بإبداء رأيه في المسألة بل كتب تحليلا معمقا، وفي هذا دليل على سعة ثقافته الدينية ومدى استيعابه لقضايا عصره،[3] فقد كان من مؤيدي الدولة العثمانية، ومن الداعين إلى وحدة المسلمين تحت ظلها، حيث يقول: "كنت ولازلت ولن أزال إلى آخر نسمة من حياتي مؤمنا إيمانا قاطعا بوحدة العالم الإسلامي...وكنت أرى أن الخلافة الإسلامية في إستانبول هي الأداة الصالحة لجمع الكلمة..."[4] فقد أبدى رأيه في مسألة الخلافة بعد مؤتمر لوزان، وكان مؤيدا لفصل السلطنة عن الخلافة، فكتب في تقويم المنصور: "قلنا وقال الناس جميعا أن تأسيس شعب لجمهورية بدل الملوكية حق من حقوقه، لايمكن لأي إنسان أن يتدخل فيه أبدا إنما الذي يريده المسلمون هو احترام الخلافة الإسلامية التي ابتدأ المسلمون عامة بعد الحرب الكبرى يلتفون حولها، عندما شعروا بوجوب التكاتف والتضامن وأنه لاحياة لهم إلا بالاتحاد".[5]

تابع أحمد توفيق المدني اهتمامه بمسألة الخلافة حيث أنشأ في تونس وبإيحاء من الحزب الدستوري "لجنة الخلافة" في سنة 1922، وكان أول نشاط للجمعية عقد اجتماع بتونس أسندت خلاله رئاسة الجمعية لأحمد توفيق المدني.[6] وتوجيه برقية إلى السلطان عبد المجيد، واستمرت

---

(1) علي مراد، **الإسلام المعاصر**، مرجع سابق، ص.120.

(2) احميده عميراوي، **ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص.28.

(3) محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.121.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص-ص. 242-243.

(5) أحمد توفيق المدني، "حوادث الخلافة " في **تقويم المنصور**، مطبعة العرب بتونس، 1343هـ، ص.185.

(6) محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.122.

الاتصالات بالسلطان. ويرى أحمد توفيق المدني أن العالم الإسلامي هو صاحب الحق في خلع الخليفة، أما الحكومة فمن حق أي شـــعب أن يختار نوع الحكومة التي يريد، وحل مســـألة الخلافة في رأيه أن يجتمع المسلمون في مؤتمر عام بإستانبول، ليقرروا حقوق الخلافة وواجباتها، ويجب أن لاتتدخل الدول الأجنبية في ذلك لأنها من شؤون المسلمين.[1]

لعل الكثير من المســلمين ومن الجزائريين أيدوا في البداية فصــل الســلطنة عن الخلافة لما رأوا ضعف الخليفة، واعتقدوا أنها أحسن وسيلة لعلاج الضعف السياسي للمسلمين، ومن بين الجزائريين الذين أيدوا هذا الإجراء الأمير خالد. ويرى الباحث محمد الشـــعبوني[2] أن موقفه هذا كان تابعا لتفكيره، حيث إن الأمير خالد كان يطالب السلطات الفرنسية بفصل الدين عن الدولة، وهو أحد مطالبه في الرسالة المشـهورة إلى الرئيس الفرنسـي هريو في عام 1924.لكن الشـعبوني لم يشـر إلى اختلاف الوضـع في الجزائر عنه في الدولة العثمانية، حتى وإن طالب الأمير خالد بفصـل الدين عن الدولة في الحالتين، ففي الجزائر كان التيار الإصـلاحي يطالب بفصـل الدين عن الدولة، والهدف منه إبعاد الإدارة الفرنسية عن التحكم في أمور المسلمين، لكي يحافظ الجزائريون على شخصيتهم العربية الإســـلامية؛ بينما في الدولة العثمانية فلم يعلن بعدُ عن النظام العلماني، وكان نظام الدولة يحترم الشريعة، لكن عندما أعلن إلغاء الخلافة اختلفت الأمور. عند ذلك عبر الأمير خالد عن استيائه مثل بقية المسلمين،[3] وسنرى في الصفحات القادمة، كيف سعى لحل مشكلة الخلافة.

ويرجع أيضـا محمد الشـعبوني[4] تأييد أبي إسـحاق أطفيش لفصـل السـلطنة عن الخلافة إلى انتمائه للإباضـــية، وهي التي لم تتحمس للخلافة العثمانية لأنها تؤمن كبقية الخوارج بأن يكون الحكم شـوريا انتخابيا حسـب رأيه. لكن أطفيش وبإعلان الكماليين إلغاء الخلافة انقلب ضـدهم وعبر عن ذلك بقوله: "أخذت الحركة الكمالية تبدو في شكلها الخبيث اللاديني وطفقت تحارب الإسلام وتهدمه

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، مصدر سابق، ص.ص.444-445.

[2] المرجع السابق، ص.122.

[3] المرجع نفسه. ص.171.

[4] المرجع نفسه، ص.122.

مااستطاعت، وتتهكم على أحكامه وآدابه.. إن هؤلاء نبذوا الإسلام وسخروا منه وعبثوا بشرفه وأخذوا يتدرجون إلى قطع آثاره...".[1]

ومن أبرز الجزائريين المهتمين بمسألة الخلافة عبد الحفيظ بن الهاشمي، فقد أبدى رأيه من خلال جريدته "النجاح"، وكان شديد الحرص على تضامن المسلمين ووحدتهم، قوي التشبث بالخلافة وذهب به حرصه على ذلك "إلى حد تبرير سلوك الكماليين عندما أصدروا أحكامهم المنافية للإسلام ضد الحجاب، وتعدد الزوجات. وطلب من الكتاب أن يقللوا من هجماتهم على الأتراك لأنه كان يعتقد بأن الذي يدفعهم إلى ذلك التهجم دسائس غربية يحيكها المبشرون والمستعمرون".[2] وعندما ألغى الكماليون الخلافة كتب: "اتفقت كلمة الجمهور على أن هذه العملية المنافية للأصول الإسلامية والمثيرة للسخط هي نتيجة مساعي إنجليزية في زوايا المجلس الكبير.."[3].

تتشابه مواقف الجزائريين من مسألة الخلافة وهو تأييد فصل السلطنة عن الخلافة، لكن بعد إعلان إلغاء الخلافة ظهرت آراؤهم واضحة في رفض هذا الإجراء، ومن علماء الجزائر الذين اهتموا بالمسألة وأبدى رأيه ليس في وقت الإلغاء فقط بل بعد عدة سنوات، هو الشيخ عبدالحميد بن باديس، فقد كان ابن باديس متسامحا مع الشبان الأتراك قبل إلغاء الخلافة حيث يقول: "كنا نغض الطرف عن شرورهم ومفاسدهم ساكتين عن ذكر مقابحهم، إبقاء على الوحدة الإسلامية، التي اتجهت نحوهم لما لشعث المسلمين حول سدة خليفتهم تأييدا للأمة التركية خادمة الملة التابعة لهم إرغاما لأعداء المسلمين"[4] لكن عندما تم إلغاء الخلافة عدها الفاجعة الكبرى يقول: "لئن تبرأنا منهم اليوم وعاديناهم فلأنهم تبرأوا من الدين وخلعوا خليفة المسلمين " وعدّ أن ذلك فيه أربع جنايات.[5] ويبدو أن التغيرات التي حدثت في فترة الثلاثينيات، جعلت ابن باديس يغير رأيه في مصطفى أتاتورك، فكتب في سنة 1938 وبعد وفاة أتاتورك مقالين الأول بعنوان: "الخلافة أم جماعة المسلمين" والثاني "مصطفى

---

[1] محمد الشعبوني، المرجع نفسه، ص.170، نقلا عن: أبو إسحاق اطفيش "الانقلاب التركي الأخير" في **المنهاج**، م.1، ج.3، 1925، ص.176.

[2] محمد ناصر، **المقالة الصحفية**، مرجع سابق، ص.ص. 178-779

[3] المرجع نفسه، نقلا عن **النجاح**، ع.150، 14 مارس 1924.

[4] المرجع نفسه، ص.180، نقلا عن **النجاح** 28 مارس 1924

[5] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.153.

كمال رحمه الله" وعده "أعظم رجل عرفته البشـــرية في التاريخ الحديث".[1] وناقش ابن باديس المآخذ على مصطفى كمال وهي: إلغاء الخلافة وإلغاء الطرقية ورفض مجلة الأحكام وترجمة القرآن، ورد عليها مبررا كل أعماله، ولقد استصغر ابن باديس ماقام به مصطفى كمال أمام ثورته الجامحة والجارفة.[2]

أثار موقف ابن باديس من مصـــطفى كمال أتاتورك اهتمام الباحثين فتتبعوا مواقفه بالتحليل، ومنهم الباحث محمد الشـعبوني فيرى أن تغير موقف ابن باديس بدأ منذ انعقاد مؤتمر القدس في سـنة 1931، ويستدل الشعبوني برأي الباحث أبي القاسم سعد الله في الموضوع، حيث يرجع سبب تغير موقف ابن باديس إلى تأثره بروح العصـــر وعداوة الغرب للدولة العثمانية فرأى أنه أنقذ ما تبقى من أراضـــي المســـلمين، ويبدو أنه –كما يقول- تأثر بالدعاية الغربية التي تجعل من أتاتورك ثائرا على التقاليد البالية. بينما الباحث أحمد صـــاري[3] فقد خص الموضـــوع بمقال، علل فيه تغير موقف ابن باديس، ويقول إن رأيه لم يأت جزافا، وإنما كان بســـبب الظروف الدولية والوطنية المحيطة به، ففي 1936 عاد النقاش حول مسـألة الخلافة بتوقيع معاهدة 1936 بين مصـر وبريطانيا. وظهرت أطماع الملك فاروق في تولي الخلافة فاستغل ابن باديس فرصـة موت مصـطفى كمال ليرد على أطماع الملك فاروق. كما أن للظروف الداخلية في الجزائر دورا في ذلك فالضـــغط الاســـتعماري الكبير على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث قمعت السلطات الفرنسية أعضاء الجمعية وأغلقت النوادي الثقافية وضـــيقت على التعليم العربي الحر، وتدهورت العلاقة بين جمعية العلماء ورجال الدين الرسميين شـــيوخ الطرق الصـوفية، فرأى ابن باديس من خلال ذلك صـحة تصـرف مصـطفى كمال وبخاصـة مع الطرق الصـــوفية التي كانت تســـيطر على الخليفة.[4] ويلاحظ فهمي جدعان جانبا مهما في موقف ابن باديس، فهو لم يعتقد أبدا أن تخلف المســـلمين يرجع إلى نظام الخلافة، كما اعتقد علي عبد الرازق، حيث يرى ابن باديس أن تقدم المســـلمين كان عندما "أخذوا بأســـباب العمران كما أمرهم دينهم، وعندما تركوها تأخروا في دنياهم وخالفوا مرضاة ربهم فعوقبوا عليه بالذل والهوان".[5]

---

[1] احمد صاري، مرجع سابق، ص.ص.67-68.

[2] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.254

[3] مرجع سابق، ص.67.

[4] المرجع نفسه، ص.74.

[5] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.348.

2- بدائل نظام الخلافة: لعل أول رد فعل من علماء المسلمين على إلغاء الخلافة بعد الاستنكار، هو الدعوة إلى اجتماع علماء المسلمين للنظر في المسألة، ومن أوائل من دعا إلى ذلك أحمد توفيق المدني، فقد أنشأ "لجنة الخلافة" في سنة 1922. وانقسم المسلمون في مسألة الخلافة، فمنهم من حافظ على ولائه للسلطان عبد المجيد، والمجمع عليه هو عقد مؤتمر للنظر في هذه المسألة، فظهرت جماعة محمد ماضي أبو العزائم بمصر ويؤيدهم الحزب الوطني، وكانوا يريدون أن يدرسوا طرق إبقاء الخلافة للسلطان عبد المجيد، أما جماعة العلماء الرسميين بالأزهر فأرادوا عقد مؤتمر بالقاهرة، لمبايعة السلطان فؤاد الأول بالخلافة. وفي الحجاز بايع أولاد حسين بن علي أباهم بالخلافة وسعى لعقد مؤتمر إسلامي ليصادق على بيعته. بينما أرسل مسلمو الهند وفدا إلى أنقرة لإبقاء الخلافة في تركيا بحيث يعلن المجلس الملي نفسه خليفة.[1]

كما أن الأمير خالد كان أحد الساعين إلى عقد مؤتمر الخلافة، وكان يعيش منفيا في مصر منذ 1924، فقد جاء في وثائق الخارجية الفرنسية أن الأمير خالد وجه في أكتوبر 1924 بيانا اشتكى فيه من الانقسامات التي تسود العالم الإسلامي آنذاك، وبين أنه أصبح من الضروري جدا عقد مؤتمر إسلامي بمكة لمعالجة قضايا المسلمين واقترح أن يكون في فيفري 1925، ووجه نداءه إلى لجان الخلافة لإرسال ممثليها للاجتماع، وصرح أنه سيمثل الجزائر في المؤتمر إلى جانب ترؤسه للجنة الخلافة بالإسكندرية،[2] ولكن تدخل السلطات الفرنسية أدى إلى نفيه من الإسكندرية إلى دمشق، بعد أن اتهمته المخابرات الفرنسية أنه كان يعمل لأجل مقاومة مشروع الملك فؤاد للترشح لمنصب الخلافة.

وكان مبارك الميلي من المتحمسين لفكرة مؤتمر إسلامي للخلافة وقد اعتبره كما يقول:"إما حجة لمن يقول أن الإسلام دين مدنية ورقي، أو دليلا عن من يتشدق بأنه عقبة كؤود في سبيل التقدم...فالأمة التي تشارك فيه سيحفظ لها التاريخ ذكرا جميلا، وأثرا حسنا علاوة على كون حضوره دليلا على تمسكها بدينها وعدم انسلاخها من جامعته" فمبارك الميلي كان يود أن يشارك الجزائريون

[1] أحمد توفيق المدني، "المسلمون ومشكل الخلافة" في **تقويم المنصور**، السنة الأولى، 1334هـ، ص,195.

[2] محمد الشعبوني، مرجع سابق، ص.218.

في المؤتمر، فقد كان يؤمن ب"الجامعة الإســـلامية".[1] ويريد أن يؤكد الجزائريون أنهم لاينتمون لغير العروبة والإسـلام، ومؤتمر الخلافة فرصـة سـانحة يتلقى فيها الاسـتعمار جوابا على مسـاعيه في مسـخ الهوية العربية الإسلامية للجزائريين. [2]

اجتمع المؤتمر الإسلامي بالقاهرة في يوم 25 مارس 1924، وأفتى ببطلان بيعة السلطان عبد المجيد ودعا إلى عقد مؤتمر آخر للبت فيمن يكون خليفة.[3] وقد تحمس لهذا المؤتمر من الجزائريين مبارك الميلي وكتب مقالا في جريدة الشـهاب حيث يقول: "إن لنا ثقة بالقائمين بالدعوة إليه والمجيبين لهم في عملهم وتبصـــرهم، فسـيكون لهذا المؤتمر في حياة الإســـلام وبعث ما تعطل من أحكامه من مرقده"[4]، ثم دعا علماء الجزائر لتشـــكيل جمعية وتتقدم للحاكم العام للاعتراف بها ثم تشـــكل وفد ليشـارك في المؤتمر. لكن لانعرف أنه كان شـيء من هذا. ونتيجة للخلافات الحادة بين المسـلمين فقد أجل المؤتمر عدة مرات وعقد بالقاهرة فيما بين 13 مارس 1926، وعقد مؤتمر آخر بمكة في 7جوان، ولم تسفر هذه المؤتمرات عن أي نتيجة. أما مؤتمر القدس الذي عقد في 7 ديسمبر 1931 موافقا ليلة الإسراء، فحسب أقوال مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وعبد العزيز الثعالبي أنه لم يكن الهدف منه إطلاقا معالجة مسألة الخلافة، والذي أشاع أنه مؤتمر للخلافة هم اليهود، ليزيدوا من تشتت المسلمين، وإنما عقد لأجل النظر في وسائل المحافظة على البقاع المقدسة الإسلامية ومسألة تضامن المسلمين، أما دراسـة مسـألة الخلافة في ذلك الوقت حسـب منظمي المؤتمر فهي تزيد في شـتات الآراء وتخلق نوازع وميولا ليس ظرفا مناسبا لذلك، فتحاشوا إعلان مناقشة مسألة الخلافة.[5]

---

[1] محمد ناصـــر، **المقالة الصـــحفية**...، مرجع ســـابق، ص.183، نقلا عن "مســـألة الخلافة" في **الحق**، 1926/04/2.

[2] المرجع نفسه، ص.183.

[3] احميده عميراوي، **ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص.29.

[4] "المؤتمر الإسلامي العام للخلافة" في **الشهاب**، 22 أفريل 1926.

[5] طغى على كتاب "خلفيات المؤتمر الإسـلامي بالقدس 1931" إثبات أن المؤتمر لدراسـة تضـامن المسـلمين لأجل قضية القدس وليس لأجل معالجة قضية الخلافة، يراجع: عبد العزيز الثعالبي، **خلفيات المؤتمر الإسـلامي بالقدس 1931**، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

فتح إلغاء الخلافة المجال أمام علماء المسلمين لمناقشة مسائل النظام السياسي الإسلامي في الظروف المستجدة، ومدى الاستفادة من النظم والقوانين الغربية، وهي المسائل التي أثارها جمال الدين الأفغاني من قبل، وإن كان طرحه بشكل نظري ، فإن مصطفى كمال قد احتج في فصله للخلافة عن السلطنة بأنها أصبحت غير صالحة للتطبيق، فيقول: "النقد الذي يوجهونه إلى إصلاحاتنا الأخيرة "فصل السلطنة عن الخلافة" تابع لفكرة انتزاعية غير واضحة هي مسألة "الاتحاد الإسلامي" ولم تتحقق في الواقع قط...أولئك المنادون بفكرة خليفة عالمي امتنعوا حتى الآن عن القيام بخطوة واحدة إيجابية، أو إبداء أي مساعدة ماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون أن نتحمل نحن الأتراك كل أمور الخلافة ونحمل ثقلها على كواهلنا ويكتفون حضراتهم فحسب باحترام مقام الخلافة المنيع؟ هذا انتظار بلا طائل".[1]

ومهما كانت حجج أتاتورك في فصل الخلافة عن السلطنة، فقد أعقبه بإلغاء الخلافة نهائيا وإعلان الحكم الجمهوري العلماني، وقد فتح الباب أمام الكثير من العلماء بمختلف اتجاهاتهم لإبداء آرائهم في المسألة، ولعل أكثر من أثار المسلمين بعد مصطفى كمال هو علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر، الذي دعا إلى أمرين: الأول فصل الشريعة عن النظام السياسي والأمر الثاني: جعل الخلافة ونظام القضاء نظما غير إسلامية، وحصر الإسلام في دائرة الروح فقط، واستعمال النظم والقوانين الغربية في تسيير شؤون الدول الإسلامية، وقد لخص علي عبد الرازق ذلك بقوله: "إن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة وعز" وإن الخلافة "ليست في شيء من الخطط الدينية ولا القضاء ولاغيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لاشأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم يذكرها ولاأمر بها ولانهى عنها، إنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة"،[2] ليس مجالنا نقد علي عبد الرازق وإنما أوردنا رأيه لتبيان مدى تأثير الفكر الغربي، والذي كان في نهاية القرن التاسع عشر يُناقش مدى الاستفادة منه، فإذا به يُطرح بعد ربع قرن بديل عن الخلافة والنظام الإسلامي.

---

[1] حميد عنايت، مرجع سابق، ص.118.

[2] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.341، نقلا عن علي عبد الرازق، **الإسلام وأصول الحكم**.

ومن الضـروري هنا معرفة رأي محمد رشـيد رضـا فهو يمثل آخر حلقة في مدرسـة الأفغاني، والمرحلة الأخيرة في الفكر الإسـلامي الحديث،[1] ولما له من علاقة وتأثير على المغاربة عامة والجزائريين بصفة خاصة. فقد كان اهتمام محمد رشيد رضا بالسياسة أبعد من الاهتمام الهامشي أو اهتمام رجال الدين في عصره، والذين انشغلوا عادة بالعقيدة والتربية، وقد ارتكز تفكيره السياسي على انتقاد نظام السـلطنة العثماني المطلق، وقد حاول أن يهادن أصـحابها بحثا عن التجديد في الخلافة العثمانية،[2] وكان موقفه بعد الحرب وسـيطرة الطورانية كموقف معظم علماء المسـلمين، وهو ضـرورة إيجاد قوة سياسية تتصدى للاستعمار، وبقي محمد رشيد رضا متعلقا بصورة مثلى للخلافة الإسلامية، ويرى محمد صالح المراكشي أنه "بعد إلغاء الخلافة كان تفكيره السياسي عاجزا على تصور نمط إسلامي في الحكم حديث يشاكل الأنظمة الديمقراطية في الغرب ويحقق مثل الإسلام العليا في عصره".[3]

فقد كان يكيف رؤيته للدولة مع التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها محاولا الدمج بين المثال الإسـلامي التاريخي والواقع. فقد كانت التغيرات التي تواجه الفكر السـياسـي الإسـلامي كثيرة، يصف ذلك وجيه كوثراني: " فمن مواقف الدولة العثمانية وتشعب هذه المواقف تبعا لمواقعها وأصولها الاجتماعية والثقافية، إلى مسـألة التماهي القومي وتعددية وتقلب أشـكال هذا التماهي من عثماني وإسـلامي إلى عربي وإقليمي وطائفي...إلى مسـألة الإصـلاح وعلاقته بأوربا، أي بالعلمانية والليبرالية من جهة وبالإسلام أي المؤسسات التراثية من جهة أخرى، إلى مسألة طبيعة الدولة في الشرق العربي والإسلامي، فكل هذه المسائل تجد صيغا لها في نصوص رشيد رضا...ارتبطت بمعاناة مثقف مسلم تمثل دور الفقيه "الرسمي" يبحث عن الصيغة المناسبة لمشروع دولة إسلامية بديلة...".[4]

لقد لعب تكوين وعقيدة محمد رشـيد رضـا الدينية دورا في ملامح تفكيره السـياسـي، ويرى المراكشـي أنه لم يخطر في ذهنه البتة أن يدرس ويستفيد من الأنظمة السياسية والديمقراطية في أوربا،

---

[1] زكي الميلاد، "الشـيخ محمد رشـيد رضـا وتحولات الفكر الإسـلامي الحديث"، في **الكلمة**، ع.24، السـنة السادسة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، صيف 1999. ص.8.

[2] محمد صـالح المراكشي، **تفكير محمد رشـيد رضـا من خلال مجلة المنار (1898–1935)**، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.207.

[3] المرجع نفسه، ص.209.

[4] وجيه كوثراني، **مختارات سياسية من مجلة المنار**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص. 61.

ويعي مزاياها ويلحقها بما عندهم، تفكير سياسي إسلامي، وحسب المراكشي أن النظم السياسية التي أصبحت مسيطرة تقوم على القومية والوطنية، بينما محمد رشيد رضا كان متمسكا بالجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين والخلافة الإسلامية، وأهمل في تفكيره الحركات الوطنية والقومية الناشئة والنظم البرلمانية، وكان متمسكا بالنظام الخلافي الديني رافضا أي تطور في هذا الباب.[1]

يؤكد محمد رشيد رضا على وحدة المسلمين وبخاصة بين العرب والترك، ويرى أن المتصدرين للزعامة السياسية ومقام أهل الحل والعقد هم ثلاثة: المقلدون والمتأثرون بالغرب وهناك حزب إصلاحي وسط يجمع بين فهم الدين والحضارة الغربية، وهم تلاميذ محمد عبده،[2] والصنف الأخير يصلح أن يكون مقام أهل الحل والعقد ويمكنه إزالة الشقاق من الأمة وإحياء منصب الخليفة وإقامة الحكومة الإسلامية الصحيحة، فالواجب في نظره على حزب الإصلاح أن يوجه كل قصده وهمه إلى بيان شكل حكومة الخلافة الإسلامية الأعلى بالنظام اللائق بالعصر.[3] واقترح أن يكون مركز الخلافة في منطقة وسطى مشتركة بين العرب والترك والأكراد كالموصل، وتكون رابطة وصل معنوي،[4] واقترح أن يقوم حزب الإصلاح بوضع نظام أساسي لحكومة الخلافة بما يقتضيه حال العصر، وينفذ برنامجها بالتدرج، ويوضع نظاما مؤقتا "لإمامة الضرورة" ويشرع في تنفيذ النظامين. مع إنشاء مدرسة لتخريج المرشحين للإمامة العظمى وينتخب أحد خريجيها للخلافة من قبل أهل الحل والعقد.[5]

وكان محمد رشيد رضا متفائلا فيما يتعلق بموقف الغرب من نموذج الخلافة الإسلامية الذي اقترحه. فظن أن الغرب لن يبالي بها. فدعاهم إلى عدم الخوف من إقامة خلافة إسلامية لأنها لن تتحول إلى جامعة إسلامية ضد الغرب، وإنما الذي كان يخشاه محمد رشيد رضا هو سيطرة الأحزاب

---

(1) محمد صالح المراكشي، **تفكير محمد رشيد رضا من خلال المنار**، مرجع سابق، ص.211.

(2) محمد رشيد رضا، **الخلافة**، الزهراء للإعلام العربي، 1988، ص.69.

(3) المصدر نفسه، ص.73

(4) المصدر نفسه، ص.86

(5) المصدر نفسه، ص.87

السياسية المتغربة في العالم الإسلامي، وقد صدق حدسه إذ كانت تلك الأحزاب من أشد المعارضين لإقامة خلافة إسلامية.[1]

عبر عبد الحميد بن باديس عن وجهة نظره حول منصب الخلافة، فبعد استنكاره للصورة التي آلت إليها الخلافة العثمانية، وكان من الرافضين لتولية الملك فاروق خليفة، على الرغم من تأييد علماء الأزهر له. فيعرف الخلافة بأنها "المنصب الإسلامي الأعلى الذي يقوم على تنفيذ الشرع الإسلامي وحياطته بواسطة شورى من أهل الحل والعقد من ذوي العلم والخبرة والنظر، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع"،[2] ويشرح ابن باديس تاريخ الخلافة أنه تولاها شخص واحد في صدر الإسلام ثم أصبح هناك خلفاء متعددون في الشرق والغرب للضرورة، أما إلغاء الأتراك للخلافة فقد ألغوا حكومة خاصة بهم وليس نظاما إسلاميا، بعد أن أصبحت الدول الغربية متخوفة من شبح الإسلام.

حذر ابن باديس من استغلال الدول الغربية للخلافة لزرع الفتنة بين المسلمين "ليس عجبا من تلك الدول أن تحاول ماحاولت وغاياتها معروفة ومقاصدها بينة، إنما العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم...كفى غرورا وانخداعا إن الأمم الإسلامية اليوم-حتى المستعبدة منها-أصبحت لاتخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم".[3]

يقسّم ابن باديس أمور المسلمين إلى ناحية سياسية دولية وناحية أدبية اجتماعية، ثم يقول "إن الناحية السياسية الدولية هي من شأن الدول المستقلة ولاحديث لنا عليها اليوم"، إنما علينا أن نهتم بعقيدة المسلم وأخلاقه وسلوكه، مع أي أمة كان وفي أي بقعة وجد وتحت أي سلطة، يتبين من هذا منهج ابن باديس في العمل وهو يشبه منهج محمد عبده حيث يبدأ بالتربية والعقيدة، لكن هدفه سياسي. وقد اتبع ابن باديس أسلوبا بارعا في خداع المحتلين من أجل البناء الأدبي وهو بناء لم يكن في الواقع مجردا من المضمون السياسي الأصيل.[4] وفي آخر المقال يبين أن النظام الإسلامي يختلف

---

[1] أحمد السالمي، "الإصلاح السياسي عند رشيد رضا بين بناء دولة إسلامية نموذجية وإقامة جامعة إسلامية"، في **الكلمة**، السنة السادسة، ع.24، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، صيف 1999. ص.76.

[2] عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، م.2،ج.1، ص.410

[3] المصدر نفسه، ص.411.

[4] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.346.

تماما عن المسيحية فهي ترجع ناحيتها الدينية للبابا، فلايوجد في الإسلام مثل هذا النظام. والمسلمون ليس لديهم هذا المنصب، وإنما لديهم جماعة المسلمين من أهل العلم والخبرة هي التي تقوم على الناحية الدينية والأدبية، ويصدرون ما فيه خير وصلاح، وهو يدعو هنا إلى تكوين هذه الجماعة، ويقول أنه اتصل بشيخ الأزهر لكنه لم يتلق الرد،[1] فهو حين يقول إن هذه الجماعة تعمل بعيدا عن السياسة والحكومات سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، فلا يريد بذلك فصل الدين عن السياسة، وحسب رأي فهمي جدعان أن هدفه من الجماعة إبعاد أمور المسلمين الجزائريين عن الإدارة الفرنسية، ولكن يبدو لي أن ابن باديس كانت نظرته أوسع من هذا فهو لم يخصص في كلامه عن جماعة المسلمين الجزائر فقط، بل في كل بلاد المسلمين حيث يقول "فعلى الأمم الإسلامية أن تسعى لتكون هذه الجماعة من نفسها بعيدا كل البعد عن تدخل الحكومات لا الحكومات الإسلامية ولاغيرها وقد كاتبت شيخ الأزهر بهذا المعنى.." فالمقصود إيجاد بديل عن الخلافة يتمثل في جماعة المسلمين، لكن ماذا يقصد ببعيدة عن الحكومات هل لاتؤثر فيها الحكومات أم لاتؤثر هي في الحكومات؟ وقد نجد الإجابة في آخر عبارة من مقاله "وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن خيال الخلافة لن يتحقق، وأن المسلمين سينتهون يوما ما – إن شاء الله– إلى هذا الرأي"،[2] أليس معنى هذا أن جماعة المسلمين هي بديل الخليفة ؟ وهو الرأي نفسه الذي ذهب إليه محمد رشيد رضا في إحدى مراحل مشروعه.

وفي مقال آخر لعبد الحميد بن باديس تحت عنوان "أصول الولاية في الإسلام" نشر بالشهاب جانفي 1938، رسم في هذا المقال أصول النظام السياسي الإسلامي من خلال خطبة أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" حين تولى الخلافة، "وضمنها أفكارا صارخة في الدعوة إلى استقلال الجزائر".[3] تتلخص الأصول التي استنتجها ابن باديس فيمايلي: الأصل الأول لاحق لأحد في ولاية أمر من أمور المسلمين إلا بتولية الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل. الأصل الثاني: أن يتولى أمور المسلمين الكفؤ وتقدم الكفاءة على الخيرية. واستنتج هذا من قول أبي بكر "لست بخيركم. الأصل الثالث: ليس معنى أن يتولى الحكم يصبح خيرهم وإنما الخيرية تنال بالسلوك

[1] عمار طالبي، المصدر السابق، ص.411.

[2] المصدر نفسه، ص.412.

[3] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص.346.

والأعمال. الأصل الرابع: حق الأمة في مراقبة أولي الأمر لأنها مصدر سلطتهم. الأصل الخامس: ضرورة التضامن بين الأمة وشد أزر ولي الأمر إذا ماكان على استقامة. الأصل السادس: حق الولي على الأمة في نصحه وإرشاده إذا ضل عن الحق، الأصل السابع: حق الأمة في مناقشة أولي الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ماتراه هي لامايرونه هم. الأصل الثامن: على من يتولى أمور الأمة أن يبين لهم الخطة التي يسير عليها بشرط ان ترضيهم. الأصل التاسع: لاتحكم الأمة إلا بالقانون الذي رضيته لنفسها، أما الحكام فماهم إلا منفذون، وليس لأي سلطة أخرى أن تتحكم فيهم بغير إرادته والأمة ملك لنفسها وليس ملكا لغيرها. الأصل العاشر:كل الناس أمام القانون سواء لافرق بين قويهم وضعيفهم. الأصل الحادي عشر: صون حقوق الأفراد والجماعات. الأصل الثاني عشر: حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق. فيؤخذ الحق من القوي ويعطى الضعيف حقه. الأصل الثالث عشر: شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة في صلاح المجتمع والاجتهاد في العمل. ويختم ابن باديس بقوله فأين الأمم المتمدنة من هذا؟ لقد استمد أبو بكر الصديق كل هذا من القرآن ويرى أن لا خلاص للمسلمين من الذل والاستعباد والانحطاط إلا بالرجوع إلى هذه الأصول.[1]

كان ابن باديس يراعي الظروف المستجدة في حياة المسلمين، فإن رفض شكل الخلافة العثمانية فقد دافع عن أصولها ومبادئها المستمدة من الشريعة الإسلامية. ففي وقت سيطر فيه الاستعمار وتشتت شمل المسلمين فمن غير الممكن إعادة الخلافة بشكلها الأول، وإنما على شكل جماعة للمسلمين. إن اقترح رشيد رضا وابن باديس وغيرهما جماعة المسلمين، فإننا نجد بعض دعاة الجامعة الإسلامية وبعد إلغاء الخلافة، أصبحوا ينادون بالوحدة العربية ومنهم شكيب أرسلان، فقد اقترح وحدة المشرق العربي، وعارضه في ذلك سليمان الباروني لأنه أبعد المغرب العربي عن المشرق، وعالج القضية ابن باديس في مقالاته، ومن هنا نجد أن تحول التفكير بالتدريج عن الوحدة الإسلامية، وفي فترة لاحقة أصبح النضال قطريا، ويقتصر على التضامن والتعاون العربي وليس الوحدة.

المطلب الثاني: تطور فكرة الاستقلال

تسببت سياسية الاتحاديين في فقدان الأمل في الوحدة الإسلامية، لكن من جهة أخرى قوت الرابطة العربية، وقبيل الحرب الكبرى ظهرت عدة جمعيات أنشأها المغاربة المهاجرون إلى المشرق

[1] عمار طالبي، مصدر سابق، ص.ص، 401-405

الإسلامي وأوربا، فظهرت عدة أسماء مثل صالح الخالدي وصالح الشريف وعبد العزيز الثعالبي والإخوة باش حامبة... وكان هدفهم هو إنشاء اتحاد مغاربي في إطار الجامعة الإسلامية. فقد تأسست جمعية الوحدة المغربية بمصر وكان يحركها صالح الخالدي، ولها علاقة بجمعيات أخرى باستانبول ومصر، وانتشرت الأخبار بأن نشاطها اتسع إلى المغرب العربي وهذا ما أثار تخوفات السلطات الفرنسية، وعلى الرغم من احتجاج صالح الخالدي عبر الصحف المصرية والتونسية، حيث بين أن عملها لايتعدى العمل من أجل مساعدة المغاربة، لكن السلطات الفرنسية حذرت منه لعلاقته السابقة بالثعالبي، ولنضاله لأجل الوحدة الإسلامية[1].

كما ظهر في الفترة مشروع عبد العزيز الثعالبي لأجل الوحدة المغاربية لكن السلطات الفرنسية عجلت بنفيه في سنة 1912 إثر حادث الترامواي، وأثناء نفي الثعالبي عمل إلى جانب علي باش حامبه على الاتصال بالجزائريين داخل الجزائر من أجل العمل المشترك للوحدة المغربية في إطار الجامعة الإسلامية،[2] فالتقى بالوفد الجزائري الأول بباريس ومن بين أعضائه ابن تامي، وقد خيب هذا آمال على باش حامبه لأنه لايحمل الفكرة الإسلامية فقال عنهم "فما أبعدهم عن الفكرة الإسلامية وكأن بينهم وبين العالم الإسلامي سور متين..." لكن الوفد الثاني كان ضمنه محمد ابن رحال، فقد أعجب به باش حامبه لإلمامه بالمسائل الإسلامية، واندهش لأصالته فقال عنه: "أتى إلى هنا مقلدا سبحته وبيده عصا يخيل إلينا موسى مارا بأرض فرعون...".[3]

ومن الجمعيات النشطة في أوروبا "جمعية استقلال الجزائر وتونس" وقد سبق الإشارة إليها، وكان على رأسها صالح الشريف التونسي وعلي باش حامبه، كما أن أخاه محمد أنشأ مجلة "المغرب" بسويسرا في سنة 1916، وكانت تندد بالاستعمار في الجزائر وتونس وطرابلس وتمولها السفارة العثمانية ويسحب منها ألف نسخة،[4] وبعد أن أعلن الرئيس الأمريكي ولسن عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، كتبت هذه المجلة تطالب بحق الجزائريين والتونسيين في تقرير مصيرهم، ونقلت تصريحات الساسة الفرنسيين في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان في سنة 1916، وقرارات مجلس النواب الفرنسي في

---

(1) أحمد بن ميلاد، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص.ص.148-149

(2) المرجع نفسه، ص150

(3) المرجع نفسه، ص.150

(4) M. Abdelmoula, ***Le mouvement…***, op.cit, p.228.

سنة 1917، والذي أعلن فيه عن بعده عن فكرة الاحتلال واستعباد الشعوب، وتأكيدات الحكومة الفرنسية أنها لن تتدخل في الحرب إلا للدفاع عن حريتها، وهذا معناه مبدأ احترام حقوق الإنسان قد تم القبول به دون استثناء، ثم يذكر المقال مدى ما عاناه الشعبان الجزائري والتونسي من الاستعمار "إن هذا الوضع لايمكن أن يدوم، فالشعبان الجزائري والتونسي يطالبان مثل سائر الشعوب بحق تقرير مصيرهم، إن استفتاء لأمم افريقيا الشمالية ضروري لتقرير مصيرهم في المستقبل. إنه حقنا ونحن نطالب به عاليا.."[1].

وعند انعقاد مؤتمر فرساي في جانفي سنة 1919 أرسلت إليه مذكرة من طرف لجنة استقلال الجزائر وتونس وكانت من توقيع: صالح الشريف التونسي ومحمد الخضر حسين ومحمد مزيان التلمساني ومحمد الشيبي التونسي ومحمد بيراز الجزائري وحمدان بن علي الجزائري ومحمد باش حمبه. وجاء في هذه المذكرة: "إن الشعب الجزائري-التونسي يطالب باستقلاله التام. وهو ينادي الضمير العالمي كي يعترف له بحق التصرف بحرية في مصيره ويعلم بمطالبه المشروعة مؤتمر السلام الذي سينعقد بعد عدة أيام لتعديل خريطة الكون وصياغة مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب".[2]

لكن هذه المطالب لم تجد الآذان الصاغية خاصة بعد هزيمة ألمانيا والدولة العثمانية اللتين كانتا تدعمانها، ومن هنا بدأت تضعف فكرة الاستقلال ضمن الوحدة الإسلامية، لتحل محلها فكرة الاستقلال في الإطار القومي ثم الاستقلال القطري، ومن أبرز الجزائريين الذين حملوا هذه الأفكار الأمير خالد. فهو يعطي لنا مثالا عن تحول الفكر السياسي في الجزائر، ويرى بعض الباحثين أنه أصبح تدريجيا رمزا لحركة وطنية إسلامية جزائرية،[3] أو نواة الحركة الوطنية،[4] ويمكننا أن نستشف من حياته ثلاثة معالم بارزة تدل على التطور الذي حدث خلال العشرينيات:

---

[1] عبد القادر جغلول، **الصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص. 205، نقلا عن العددين 3-4 من مجلة المغرب، أفريل 1918

[2] نص المذكرة ب:عبد القادر جغلول، المرجع نفسه، ص.ص.205-207، نقلا عن حقائق إفريقية الشمالية. وينظر أيضا: Abdelmoula, ***Le mouvement***, op.cit, p.256

[3] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص. 90

[4] محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج5، ص.128.

1-تأثر الأمير خالد بالجامعة الإسلامية: ولد الأمير خالد بدمشق في سنة 1875، وهو حفيد الأمير عبد القادر، ولاريب أن تربيته ومكانة أسرته في الشام وفي الجزائر قد أثرت في اتجاهه، بالإضافة إلى الأوضاع التي عاشها في المشرق في نهاية القرن التاسع عشر، فقد عاش في فترة رواج فكرة الجامعة الإسلامية، حيث كان معظم أفراد العائلة يؤيدونها، وقد أظهر شعوره الوطني منذ صغره حيث قال: " إنني عربي وسأبقى عربيا، لاأتخلى أبدا عن معتقداتي ولاعن مطامحي".[1] ورفض دخول المدرسة العسكرية الفرنسية إلا بإلحاح والده. وقد ضاعف أعمال العصيان حيث طلب صرفه من الخدمة العسكرية في ما بين سنتي (1912-1913)، ورفض ارتداء الزي الفرنسي الموحد في الجزائر، وناضل طوال حياته ضد سراب فرنسا، وأظهر تمسكه بالقيم الثقافية العربية الإسلامية،[2] وأثناء الحرب الكبرى غادر الجيش الفرنسي، وتذكر بعض المراجع أنه أثناء الحرب الكبرى انضم إلى منظمة سرية انشأها عبد العزيز الثعالبي هدفها إشعال نار الثورة، ومن أعضاء هذه المنظمة زعماء الأقطار المغاربية ومنهم سليمان الباروني، وعبد السلام بن نونة، كما انضم إلى هذه المنظمة السرية أبو اليقظان، وكان صالح بن يحي ضمن التشكيلات الفدائية السرية التي كان الثعالبي يكونها.[3]

تبنى الأمير خالد فكرة الجامعة الإسلامية مذهبا يجمع حوله إفريقيا الشمالية والعالم الإسلامي،[4] ويظهر اتجاهه هذا في 1919، حيث كانت تعتبره السلطات الفرنسية "عنصرا خطيرا والناطق باسم القومية الإسلامية الناشئة"،[5] وسمح له هذا الاتجاه بالفوز في الانتخابات لمدينة الجزائر سنة 1919، وقد نص قرار المجلس الذي طعن في الانتخابات أنه أقام دعايته على أرضية دينية وقومية. وأنه دعا إلى اتباع نهج النبي (صلى الله عليه وسلم)، ... وقدم على أنه قومي رغم

---

(1) محفوظ قداش وجلالي صاري، **المقاومة السياسية (199-1954)**، **الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، م.و.ك، الجزائر، 1987، ص.52.

(2) عبد القادر جغلول، **الصراعات الثقافية...**، مرجع سابق، ص.210.

(3) محمد ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، مرجع سابق، هامش ص.81.

(4) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص.369.

(5) محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)**، ج1، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص.119.

اعتراضـاته.[1] وقد اندهشـت جريدة العمل الفرنسـية (Action française)، من نجاح الأمير خالد وعدت تحركاته من مظاهر "الحرب المقدسة": "هناك موجة من التعصب الديني يبعثها في الجزائر المبهور بلقب الأمير الذي انتحله، وبالمبادئ الولسـنية، والذي يجر المسـلمين الجهلة في أخطر الحركات على الأمن العام والهيمنة الفرنسـية"،[2] وجاء في تقرير الحاكم العام إلى وزير الداخلية الفرنسـية بتاريخ 4 ماي 1920 حول الانتخابات "أنه قد تم طرح قضـية القومية الإسـلامية صـراحة". وفي اسـتجواب خص به الأمير الجريدة الإيطالية "لانازيون"[3] أوضـح أن الحرب العالمية الأولى قد خلقت ضـميرا إسلاميا " وأوضح أن "لجنة سرية" توجه العالم الإسلامي يقودها زعماء غامضون يعملون في صمت وفق خطة ستتطور مع الوقت" وختم كلامه "إن حركتنا ليست دينية، لكنها أساسا حركة سياسية لأن القضية قضية استقلال كل أقطار العالم الإسلامي".[4]وقد درس الشيوعيون حركة الأمير خالد وقالوا عنها إنها بعيدة عن الشيوعية لأنها دعوة لاتحاد كل المسلمين وتقديس اللغة والثقافة العربية.[5] لاشك أن مشـروع الأمير خالد يتجاوز الإطار المحلي لذلك نجد نشـاطه في قضـية الخلافة في سـنة 1924، حيث عقد مؤتمر الخلافة بمصر 1926، وكان الأمير خالد يأمل أن يلعب دورا أساسيا في القضية.

2- محاولة الإصـلاح داخل المنظومة الاسـتعمارية: لقد سبق أن أشـرنا إلى أنه ظهر في نهاية القرن التاسـع عشـر اتجاه جديد في الإصـلاح، وهو الإصـلاح داخل المنظومة الاسـتعمارية، ومن أبرز الداعين إلى ذلك سي محمد ابن رحال، وقد سار الأمير خالد على النهج نفسه تقريبا، ووجد الأرضية المناسبة لذلك فيما بعد الحرب العالمية الأولى، حيث بدأ الشـبان الجزائريون في تحركاتهم وسُـرّح الجنود، وعاد بعض العمال المهاجرين، وانتشـرت أخبار التقلبات الدولية، وقد حاول الأمير خالد في البداية إنشـاء "وفاق بين الجزائر وفرنسـا"، وخطوط برنامجه العريض أن تكون السـيطرة الفرنسـية مقبولة كواقع

---

[1] رسالة موجهة إلى الحاكم العام، 24 فيفري، 1920، نقلا عن محفوظ قداش، المرجع نفسه، ص.120

[2] محفوظ قداش، المرجع السابق، .135

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص.369

[4] يشير محفوظ قداش إلى أن الجريدة المذكورة قد نشرت مقالا للأمير خالد تحت عنوان "التنظيم الرائع للإسلام" وتم تقديمه على أنه واحد من الحركة الوطنية، وقادة حركة الجامعة الإسـلامية، لكن –كما يقول الكاتب– الأمير خالد كذب ذلك.

[5] محفوظ قداش، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص.140

لكن مقابل إلغاء النظام الاستثنائي ومساواة الجزائريين بالفرنسيين،[1] فقد نادى بتمثيل نيابي للجزائريين ووقف الأحكام الزجرية، وإنشاء جامعة جزائرية وجعل التعليم الإجباري بالعربية والفرنسية، وهو يعلم أن اللغة العربية تزيد من تمسك الجزائريين بدينهم وشخصيتهم العربية الإسلامية.[2] كما طالب بتطبيق القانون العام دون تميز، والمساواة بين الجزائريين والفرنسين في الوظيف.[3] وفي 22 أفريل 1922 خطب الأمير أمام الرئيس الفرنسي الإكسندر ميليراند أثناء زيارته للجزائر، حيث طالب في خطابه بحق الجزائريين في الحريات المدنية وبتقليد جميع المراكز من دون شروط، ذلك لأن الجزائريين حاربوا مع فرنسا زمن الخطر، وأكد على حق التمثيل النيابي،[4] لكن السلطات الفرنسية لم تكن راضية عن تحركات الأمير خالد، فألغت الانتخابات التي نجح فيها، وأمام إصراره على التعويض عن التجنيد، قررت السلطات الفرنسية نفيه في سنة 1923. ويرى أبو القاسم سعد الله أنه إلى سنة 1924 مازالت مطالب الأمير وانصاره معتدلة تطالب بالمساواة ولم تطالب بالاستقلال أو الثورة.

3-وطنية الأمير خالد والمطالبة بالاستقلال: أصبح الأمير خالد بعد رفض الإدارة الفرنسية لكل الحلول المطروحة كما يقول محفوظ قداش: [5] "يميل إلى إيديولوجية الوطنية بلمسات متتالية. وقد تصور الكفاح الثوري بأنه الطريق الممكن الوحيد، وهذه الوطنية إنما تعود إلى الإسلام وبالتالي ضرورة النهضة".[6] لقد كان منفى الأمير خالد مجالا آخرا للعمل في وسط العمال المهاجرين، فقد قام بجولة محاضرات في فرنسا أمام 12000 مستمع. من جزائريين وأهالي أمريكا الجنوبية والهند الصينية... انضم الأمير خالد إلى هؤلاء من أجل تحقيق مطالبهم وأخبرهم بأن قائلا: "لاتؤلفوا منظمات قائمة على السلالات "القوميات" ولكن تعاونوا مع إخوتكم الفرنسيين في النقابات والأحزاب التي تدافع

---

[1] المرجع نفسه، ص.119.

[2] يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين** 1919-1939، دار هومة، الجزائر، 2014، ص.62.

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص.370.

[4] يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص.64.

[5] عبد القادر جغلول، **الصراعات الثقافية**...، مرجع سابق، ص.213.

[6] مرجع سابق، ص.53.

عن قضيتكم".[1] ضاعف الأمير خالد اتصالاته مع المهاجرين والعمال خارج لجزائر، وبانتصار اليسار الفرنسي في سنة 1924 بعث الأمير رسالة إلى الرئيس الجديد هيريو حيث أضاف فيها مطالب جديدة مثل المطالبة بحرية الصحافة والتجمع وفصل الدين عن الدولة وأبدى اهتمامه بالقوانين الاجتماعية والعمالية.[2] لقد كانت مطالب الأمير خالد مبنية أساسا على الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية الإسلامية مع التركيز على جلب أكبر قدر ممكن من الإصلاحات، بغرض رفع ظلم السلطة الفرنسية على الجزائريين.[3] وفي سنة 1926 ظهر أول تنظيم حزبي ثوري انفصالي للحركة الوطنية الجزائرية، وهو حزب "نجم شمال إفريقيا" وكان بذلك الأمير كما وصفه بعض الباحثين جامع الجزائريين ووسيط للاستعادة التاريخية،[4] فقد استعادة جهاد الأمير عبد القادر بصورة تتناسب ومتغيرات العصر.

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص.365.

[2] يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص.69.

[3] فتح الدين بن أزواو، **البعد العربي الإسلامي في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر (1927-1962)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص.157.

[4] محفوظ قداش والجيلالي صاري، مرجع سابق، ص.213.

الفصل الرابع

المشروع الفرنسي لمواجهة الجامعة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يؤكد الباحثون على أن الصراع الذي كان بالجزائر في بداية القرن العشرين، كان بين قطبين هما الجامعة الإسلامية والمشروع الفرنسي الاستعماري الإندماجي، [1] وفي الواقع أن هذا الصراع كان منذ بداية الاحتلال، إلا أنه اتخذ أشكالا جديدة في نهاية القرن التاسع عشر، بسبب التأثيرات المشرقية، وتبني السلطان عبد الحميد الثاني لسياسة الجامعة الإسلامية. وقد بلغ قمته بالتقارب العثماني الألماني وأثناء الحرب الكبرى.

منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر بدأ تخوف فرنسا على مستعمراتها، فاهتمت بحركة الجامعة الإسلامية، ولعل من أوائل الفرنسيين الذين حذروا من خطرها الصحفي غبريال شارم (G.Charmes)، فقد كتب مجموعة مقالات ثم نشرها على شكل كتاب في سنة 1883،[2] حيث حذر بشدة من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، وقال: "إنها تتطور بسرعة وستكون نتائجها خطيرة على المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا"[3]. وعلى الرغم من وضعية اللاتوازن التي كانت تعيشها الدولة العثمانية إلا أن مشروع الجامعة الإسلامية –كما يرى الكاتب– يحمل بين طياته التطور الديني والوحدة بين المسلمين وهذا لايكون في صالح المستعمرات الفرنسية.[4]

تبين لنا من خلال بحثنا لحركة الجامعة الإسلامية أن أهدافها كانت محدّدة، وهي تشمل حركات متعددة، ومصلحين فرادى ومفكرين متعددين، لايربط بينهم نظام،[5] وإنما كانت تعتمد على الجانب العاطفي للمسلمين وإثارتهم لكسب دعمهم للدولة العثمانية في مواجهة التدخل الأجنبي. ولم يكن هذا خافيا على منظري الاستعمار فقد جاء في نشرية توصف بأنها محايدة (A.F): "أن الجامعة الإسلامية تهدف إلى تلبية تطلعات أعلى للمسلمين. ولكن تطلعات المسلمين مجتمعة لايمكن أن

---

(1) الطاهر عمري، مرجع سابق، ص.154.

(2) ***L'avenir de la Turquie, le Panislamisme***, Calmann Levy Edition, Paris, 1883 .

(3) Ibid, p.1.

(4) Ibid, p.p.3-4.

(5) عبد المجيد النجار، **مشاريع الشهود الحضاري**، ج3، مرجع سابق، ص.9 .

تشكل أدنى برنامج للجامعة الإسلامية".[1] لكن مخاوف الفرنسيين ازدادت بالتحالف العثماني الألماني وخاصة أثناء الحرب الكبرى، فازداد نشاط السلطات الفرنسية في مواجهة الجامعة الإسلامية. ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن الوسائل التي اتخذتها للمواجهة، وماهي الجوانب التي ركزت عليها، ومامدى نجاحها؟

المبحث الأول: الحصار الإعلامي

كان تعلق المغاربة بالمشرق لأسباب دينية وثقافية وسياسية واقتصادية... ولم يعرف العالم الإسلامي محاولة الفصل التام بين مشرقه ومغربه إلا مع الاستعمار الأوربي، وبالرغم من أن محاولة الفصل كانت مستحيلة، إلا أن السلطات الفرنسية اتخذت كل الوسائل الممكنة لهذه الغاية، فقد جندت الجواسيس والقناصل والمستشرقين والمبشرين والعلماء في مختلف التخصصات... لهذا الغرض، وأنشأت الجمعيات واللجان المتخصصة... لتنفيذ مشاريعها، ومن هنا نجد تركيزها على مراقبة الحج والصحف والطرق الصوفية والمهاجرين والعلماء والجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي، وهو ماسنتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: منع الحج

بالإضافة إلى الخلافة يمثل الحج رمزا لوحدة المسلمين، فقد جاء في كتاب حاضر العالم الإسلامي: "إن الوحدة الإسلامية قائمة على ركنين هما الحج والخلافة، وقد غلب على كثير من رجال الغرب وهْمٌ في الموضوع، فهم يخالون أن الخلافة لا الحج العامل الأكبر في وحدة المسلمين..."،[2] لكننا نجد في السياسة الفرنسية وتقاريرها قد استهدفت الحج، بينما أجلت مسألة الخلافة إلى مابعد الحرب الكبرى، حسب ما جاء في منشور إفريقيا الفرنسية.[3] فقد أخذت مراقبة الحجاج الجزائريين أو منع الحج مركز الصدارة في المشروع الفرنسي لمواجهة حركة الجامعة الإسلامية. وكان الحج قضية

---

[1] ***Renseignement coloniaux, A.F***, N°2, février 1906, p.18.

[2] لوثروب، مصدر سابق، م1، ج1، ص.289.

[3] A.F, N°10-12, octobre- décembre 1915, p.291.

سياسية منذ بداية الاحتلال، كما أنه لعب دورا في الوعي السياسي لدى الجزائريين،[1] وهو الأمر الذي كانت تخشاه السلطات الفرنسية.

وعلى الرغم من أن سياسة الحد من الحج أو منعه بدأت منذ 1838، إلا أنها مع بداية الجمهورية الفرنسية الثالثة عرفت تشددا أكثر، حيث خفض عدد جوازات السفر، وكان يشترط إذن الحاكم العام نفسه وطابعه،[2] لذلك تراكمت طلبات الإذن بالحج، ومازال الأرشيف الفرنسي يحتفظ بكم هائل منها.

اتسمت السياسة الفرنسية تجاه الحج منذ بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر بالمنع أو بالترخيص لعدد قليل من الحجاج تحت الرقابة الفرنسية، فقد اضطرت الإدارة الفرنسية إلى إيجاد مجموعة من النظم والقوانين اكتملت في سنة 1930. وبدا واضحا منذ بداية الثمانينيات سياسة منع الحج، وصدرت نشريات وقرارات دعمت هذه السياسة، وأهمها قرار 6 جويلية 1880، الذي صدر من قبل الحاكم العام قريفي (A.Grevy) يمنع بموجبه الحج، وحجته في ذلك الوضع الصحي السيء في الحجاز، وكذا بمبرر أن أوضاع الجزائر لم تكن تسمح بذلك، حيث يقول: "حتى لاينخرط الحجاج الجزائريون في الطرق الدينية، التي تجهر بعداوتها لنا، وحتى يمكن إجهاض أي فرصة للمحرضين ضد فرنسا، وهم اللاجئون إلى الدول الإسلامية أو المقيمون في الحدود الجزائرية الشرقية".[3]

ففي هذه الفترة كانت ثورة بوعمامة في الجزائر والتي يربطها بعض المؤرخين بثورة عُرابي بمصر وثورة المهدي بالسودان وبحركة الجامعة الإسلامية، ونشطت في الفترة نفسها الحركة السنوسية في الصحراء الكبرى حيث كانت تستقبل الحجاج واللاجئين إليها، كما ربطت الأوساط الفرنسية المختصة في شؤون السياسة التركية التحركات التي كانت في الجزائر وخارجها بسياسة الجامعة الإسلامية، والتي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، واستدلوا على ذلك بما كانت تنشره جريدة

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص.400.

[2] Laurent Escande, ***Le pèlerinage à La Mecque des Algériens pendant la domination française (1830-1962), Le poids de l'administration coloniale les enjeux du pèlerinage,*** *Mémoire D.E.A* .Université de Provence, Département d'Histoire, France, 1992-1993. P.45.

[3] Ch.R.Ageron, ***Les Algériens Musulmans et la France***, T1, op.cit, p.310.

"الجوائب" عن مساندة الجزائريين للسلطان، وهذا ماأكده بعض المسؤولين الفرنسيين المختصين في شؤون الأهالي مثل: دوبون[1] (Octave Depont) وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية فقد كثر الحج سريا في الفترة، وهو مايراه آجرون، ولايوجد أرشيف خاص بهؤلاء، لذلك يتعذر إعطاء معلومات أو إحصائيات دقيقة.[2]

لقد كانت فترة حكم لويس تيرمان (1882-1891) أشد رقابة على الحجاج، وحجته في ذلك وجود الوباء وتوتر الوضع الدولي، وفي الواقع أن تيرمان كان يوصي موظفيه بعدم الترخيص للحج خوفا على المصالح الفرنسية،[3] وأكد في فترة حكمه على التدابير التي اتخذتها سلطته حيث نصح أجهزته في سنة 1883 بمراقبة الميزابيين لأنهم ينتقلون بسهولة كبيرة.[4] وقد كان يتكلم عن خوف الأوربيين في الجزائر من عودة الحجاج الذين لايخضعون للحجر الصحي، فقد أعلن في 1889 أنه على الحجاج الجزائريين الذين يركبون السفن الفرنسية احترام الشروط الصحية، والقرار نفسه صدر عن وزارة الخارجية والمقيم العام الفرنسي بتونس، بالإضافة إلى عدم السماح للحجاج بالمرور دون وثائق صادرة في الجزائر.[5] كل هذه العراقيل والحجج لمنع الجزائريين من الاتصال بالمشرق. وقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية تضغط بشدة –حسب الوثائق الفرنسية– على السلطات الفرنسية في الجزائر، للسماح بالحج حفاظا على سمعة فرنسا. ففي سنة 1890لامت وزارة الخارجية الفرنسية الحكومة العامة بالجزائر بأنها هي الوحيدة التي تمنع الحج، فقد جاء في تقرير القنصل الفرنسي بجدة لوسيان لابوس (Lucien La Bosse) وتحت عنوان الحج ضرورة: "اعتقد أنه لابد من تشجيع الحج، فمن المفيد أن تبقى فرنسا ممثلة في كل البلاد التي يوجد بها مسلمون، بحيث يتحقق رعايانا من مدى ضعف الحكومة التركية التي لايمكن الاعتماد عليها في حال وقوع أي تمرد، ويكونون على اطلاع بأن الهنود المحميين من طرف الإنجليز، وسكان الملايو والجاويين من طرف الهولنديين، ومسلمي بخارى وكاسان سمرقند والصينيين الخاضعين للروس والمحميين من طرف فرنسا وكذا المصريين تحت الاحتلال

---

(1) Ibid, p.310.

(2) L. Escande, op.cit, p.29.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص.405.

(4) CH.R.Ageron, ***Les Algériens Musulmans et la France***, T1, op.cit, p.311.

(5) L. Escande, op.cit, p.49-52.

الإنجليزي يفهمون بأنهم ليســـوا الوحيدين –كما يعتقد بالجزائر– الذين يوجدون تحت طاعة حكومة مسيحية، وأن أمتعتهم وأرواحهم مهددة من طرف العرب المسلمين، من سلب ونهب وقتل عند أبواب جدة والمدينة، من دون أي حماية فعالة من جانب الحكومة التركية... وعند عودتهم إلى الجزائر يتحققون من الفرق بين قوة الأتراك وقوتنا".[1]

لذلك تغيرت هذه السياسة قليلا مع مجيء الحاكم العام كومبون (Jules Cambon) في سنة 1891حيث تحصل حوالي 1500 حاج على الرخص الضرورية، وبعد أن تأكدت الإدارة الفرنسية أنهم يملكون الموارد المالية الكافية ذهابا وإيابا. ثم منع الحج في السنوات الموالية بحجة وباء الكوليرا.[2] وفي 10 ديسمبر 1894 صدر قرار من الحكومة العامة، يرى بعض الباحثين أنه تنظيم للحج، ولكنه في الواقع عراقيل جديدة في طريق الحج، وينص هذا القرار على أنه يجب على الحاج أن يخضع لسلسلة من الرقابة قبل أن يصل إلى الحج، كما يجب عليه أن يثبت أنه ليس عليه ديون للدولة الفرنسية، ولن يؤثر ذهابه على المستعمرة، وأن لديه المبلغ الكافي لذهابه وإيابه وأيضا القيام بتحقيق حول عائلته تبين أنها ليست محتاجة إليه أثناء غيابه. ولايمكن أن يذهب عبر الموانئ من دون رخصة الحج.[3] وفي سنة 1896 سمح به حيث حج حوالي 1262 وهو رقم أقلق الســـلطات الفرنســـية، خوفا من التأثير الفكري، حيث كانت في هذه الفترة الحرب في البلقان على أشدها ونشط دعاة الجامعة الإسلامية. فلم يسمح بالحج إلا في سنة 1900 تحت ضغط وزارة الخارجية الفرنسية.[4]

لقد أدركت السلطات الفرنسية أنه من المستحيل منع الحج نهائيا، يقول آجرون "لكن الإدارة الفرنســـية جازفت بمخاطرة الاقتراب من ذلك... وكانت متخوفة من تجدد حرارة الإيمان التي تنبعث منها كراهية المسيحيين، وهذه المشاعر تتقوى بالحج"،[5] ولكنها طورت وسائلها للتحكم في الحجاج، ففي ســنة 1902 شــكلت مجموعة منهم لها قائد عينته الإدارة الفرنسية، وفي الســنوات الموالية منع

---

[1] محمد أمين، "موسم الحج سنة 1307هـ/1890م من خلال تقرير ديبلوماسي فرنسي"، **الدارة**، السنة 38، ع.4، 1433هـ/2012م ص.172.

[2] Ch.R.Ageron, ***Les Algériens Musulmans et la France***, T1, op.cit, p. 315

[3] L. Escande, op.cit, p.p.54-55.

[4] Ibid, p.p.59-60.

[5] Ch.R.Ageron, ***Les Algériens Musulmans et la France***, T1, op.cit, p.315.

الحج، للظروف الدولية آنذاك وأهمها ثورة الفتيان الأتراك، فقد أعلن الحاكم العام في 4 أكتوبر 1907 على استعداده لتسهيل الحج لذلك العام، لكنه في فيفري 1908 أصدر قرارا بمنع الحج، لأن حسب ماجاء في (La Dépêche algérienne) أن القناصل الفرنسيين بالمشرق قد حذروا من انتشار الكوليرا الموجودة رسميا في البحر الأحمر، وبعض الحالات تأتي مع الهنود، وزاد التخويف أنه خلال يومي 27-28 ديسمبر حدث في مكة 80 حالة وفاة وفي جدة 29 حالة وفاة، ومصر مهددة بالوباء، لذا رأى الحاكم العام ألايسمح بالحج بسبب الوباء.[1]

ومن الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية أن التصريح بالحج يعطى أو يرفض من طرف الحاكم العام، وفي أغلب الأحيان لاتعطى الرخصة، أو يصادف الحاج عراقيل إدارية وشروطا ثقيلة لمنحه جواز السفر. وهذا ماشجع الحج سريا دون إذن أو علم الإدارة الفرنسية،[2] وكانت السلطات الفرنسية تعاقب الحجاج السريين بعد عودتهم من الحج، فقد جاء قرار 10 ديسمبر 1894 ليؤطر شؤون الحج وشدد على إنزال العقوبات على الحجاج السريين ولكن النتائج كانت عكسية حيث ازداد الحج السري، وقدرت الإدارة الفرنسية عددهم ب 200 إلى 490 حاجا سنويا.[3] ولكن هذه الاحصائيات غير دقيقة، لأن الكثير من الجزائريين كانوا يتسللون عبر الصحاري والمناطق الجنوبية، حتى في سنوات المنع النهائي. تراوحت العقوبة على الحجاج السريين من شهرين إلى أربعة أشهر لتصل إلى ستة أشهر عقوبة في جميع حالات الخروج من الجزائر أو الهجرة من دون ترخيص، وتم تخصيص سجن "بوشبكة" لتنفيذ الحكم على الحجاج السريين بالنسبة لسكان الشرق الجزائري، وسجن "تادميت" بسيدي بلعباس بالنسبة لسكان الغرب الجزائري. لذلك كان بعض الحجاج يفضلون حياة الفقر والتشرد في الحجاز على العودة إلى الجزائر مع التعرض للسجن والذل.[4]

---

(1) A.F, N°2, Février 1908, p. 59.

(2) L. Esccande, op.cit, p.61.

(3) قبايلي هواري، **مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر** (1894-1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص.308.

(4) المرجع نفسه، ص. 309.

كما كانت رقابة السلطات الفرنسية للحجاج السريين خارج الجزائر، فقد جاء في تقرير القنصل الفرنسي بالإسكندرية بتاريخ 31 ماي 1912: "أن عددا من الجزائريين والتونسيين ذهبوا سريا إلى مكة، وأوقفوا في مصر وأدى ذلك صعوبات عدة بين حاكم الإسكندرية والقنصلية الفرنسية، وقد انفقت جمعيتنا الخيرية 489 فرنكا على هؤلاء" وطالب القنصل في التقرير الحاكم العام بتسديد هذا المبلغ، وأخبره "أن حاكم الإسكندرية أحضر مائة حاج جزائري إلى القنصلية، ومن غير الممكن ترحليهم".[1] كما أرسل القنصل الفرنسي في جدة صيحة تحذير إلى السلطات الفرنسية في تقرير رفعه إلى وزارة الخارجية حيث أحصى وجود 150 حاجا مشردا من دون إعانة، يتسكعون في شوارع جدة. ويبدو أن مسؤولية السلطات الفرنسية هي التكفل بترحيل هؤلاء وإعادتهم إلى الجزائر، حيث كانت تكلفة الواحد منهم لترحليه تقدر في سنة 1907 حوالي 75 فرنكا، ولم تكن مجانية وإنما يدفعها الحاج بعد عودته إلى الجزائر، لذلك كان الحجاج يتحايلون بإعطاء معلومات خاطئة هروبا من دفع الثمن.[2]

لم تجد السلطات الفرنسية بُدًّا وتحت ضغط وزارة الخارجية والقناصل الفرنسيين من إيجاد الحلول المناسبة –في نظرهم– حفاظا على سمعة فرنسا في المشرق، وحسب ما جاء في بعض التقارير: "وحرصا منها على احترام الدين الإسلامي أنشأت اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين "C.I.A.M"بمكة والمدينة فندقان لاستقبال الحجاج"،[3] وسميا ب"دار الضيوف"[4] فقد جاءت تفاصيل هذا المشروع في نشرية A.F[5] وشرحت أسباب ذلك حيث "تقوم سياسة فرنسا للأهالي على التسامح ونحن نسعى لنشر الحضارة بينهم" كما بينت النية الحقيقية في ذلك وهي مراقبة الأهالي من تأثيرات أعداء فرنسا وبخاصة ألمانيا والدولة العثمانية، اللتان أعلنتا الجهاد ضد فرنسا، فأرادت كسب المسلمين إلى جانبها. ويتساءل باسكال لوبوترما (Pascal le Pautremat) عن الهدف الحقيقي لهذا المشروع أهو سياسي أم إنساني بحت؟[6] بينما يشكك أبو القاسم سعد الله في إقامة هذين الفندقين حيث

---

(1) A.D.M.A.E, Nouvelle Série, Turquie, N°494 "1897-1914", Consulat de France à Alexandria Egypte, 22 Aout 1912.

(2) قبايلي الهواري، المرجع السابق، ص.315.

(3) Pascal Le Pautremat, ***La politique musulmane de la France au XX siècle***, Maisonneuve & Larousse, Paris, 2003. P.196.

(4) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2 مرجع سابق، ص.254.

(5) N°10, octobre- décembre 1915, p.291-

(6) P. Le Pautremat, op.cit, p.196.

يقول: "ليس لدينا برهان على أن هذه الدار كانت قد بنيت تحت سلطة العثمانيين، ومن المشكوك فيه السماح لفرنسا ببناء دار من هذا النوع في مثل تلك الظروف"،[1] ولكن الباحث هواري قبايلي[2] يؤكد وجود هذه الدار وكانت تابعة لـ"لجنة حبوس الحرمين" التي أنشأتها السلطات الفرنسية أثناء الحرب الكبرى لرعاية الحجاج، وقد حاول الحاج حمدي ممثل فرنسا الشرفي وقيّم دار إقامة الحجاج بالحرمين تقليص مدة إقامة الحجاج الجزائريين مع ضمان سرعة تنقلهم في الأراضي المقدسة، وذلك لتفادي تعرضهم للأفكار المعادية لفرنسا.[3]

لقد كان هدف فرنسا السيطرة على الحج أثناء الحرب الكبرى، وذلك لمنع انتقال أخبار المشرق إلى الجزائريين، وأيضا منع انتقال أخبار السياسة الفرنسية في الجزائر إلى المشرق والعالم. وكانت أيضا وسيلة للدعاية هدفها أن تثبت للمسلمين أن ألمانيا هي التي تسئ للمسلمين وليس فرنسا.[4] لذلك قامت السلطات الفرنسية بإرسال بعثات من الحجاج بعد ثورة 1916 وخروج الأتراك والألمان من مكة، واعطتها عنوانا براقا "الحج زمن الحرب"،[5] مهمتها ربط العلاقات الفرنسية مع الحجاز وتقديم الشكر للأمير الثائر، وتكونت هذه البعثة من 650 حاجا من إفريقيا الشمالية منهم 290 جزائريا، اختيروا بعناية من كبار الأعيان، وعلى رأسهم بعثة عسكرية بقيادة بريمون (Brémond) وبمشاركة قدور بن غبريط،[6] الذي أُمِر بعدم التعرض لمسألة الخلافة مع الشريف حسين، وحملتهم سفينة إلى ميناء جدة، أما الباقون فذهبوا برا.[7] حملت البعثة هدايا للشريف حسين مقدرة

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2 مرجع سابق، ص.254.

[2] مرجع سابق، ص.351.

[3] المرجع نفسه، ص. 368.

[4] P. le Pautremat, op.cit, p.205.

[5] قبايلي هواري، مرجع سابق، ص.164.

[6] ولد قدور بن غبريط في نواحي سيدي بلعباس وتعلم في مدرسة تلمسان "الشرعية الفرنسية" وأصبح مترجما في القنصلية الفرنسية بطنجة في سنة 1893، وقام بمهمات لدى الحكومة المغربية تحضيرا للاحتلال الفرنسي، وأرسله الفرنسيون في مهمات ديبلوماسية إلى روسيا، وكان في اللجنة التي خطت الحدود بين الجزائر والمغرب في سنة 1903.

[7] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** ...، ج2، مرجع سابق، ص.255.

بـــ1250.000 فرنك ذهبي معبرة له عن سرور الفرنسيين باستقلال الأماكن المقدسة.[1] وقد خطب الحاكم العام لوتو(Lutaud) في هذه البعثة قبل مغادرتها الجزائر، ونصحهم أن يعطوا صورة جيدة عن فرنسا، وإذا لقوا عملاء الأعداء فليكن جوابكم "لتحيا فرنسا".[2] كما تبعتها بعثتي مازيير (Mazièr) سنتي 1918 و1919، وكانت عبارة عن وفود رسمية من البلدان المغاربية تحميها بوارج بحرية، وأريد بها أن تظهر فرنسا بمظهر القوة الإسلامية في المنطقة.[3]

ومن وسائل فرنسا لإظهار إرضائها للمسلمين إنشاء جمعية الأوقاف والأماكن المقدسة الإسلامية، وكان رئيسها قدور بن غبريط، وهذه الجمعية وسيلة سياسية لنشر تأثير الفرنسي في الشرق، لكن مهمة الجمعية فشلت.[4]وتنازلت فرنسا عن الأوقاف المغاربية في الحرمين للدولة السعودية في سنة 1926. واستمرت السياسة الفرنسية بالسيطرة على تنظيم الحج لأهداف سياسية بالدرجة الأولى، من دون مراعاة لمصالح المسلمين الجزائريين.

المطلب الثاني: منع الصحف المشرقية

شكلت الصحف المشرقية والتونسية رافدا مهما لانتقال مؤثرات الجامعة الإسلامية والإصلاح والنهضة، وأخبار المشرق الإسلامي إلى الجزائر. لذا كان تركيز السلطات الفرنسية على الصحافة بالمراقبة أو المنع منذ نهاية القرن التاسع عشر. وكان المعبر الرئيس للصحف هو تونس، حيث كانت تنقل في حقائب المسافرين والحجاج والعلماء أو عن طريق البريد، وقد تنوعت مصادر هذه الصحف منها: مصر والشام وإستانبول والحجاز وتونس، ويوجد في الأرشيف الفرنسي وثائق مهمة وتقارير عن الصحف سواء تقارير القناصل الفرنسيين أو مالحاكم العام وحكام العمالات أو ورؤساء الدوائر والبلديات والشرطة الفرنسية، كما اهتموا بترجمة وتحليل المقالات التي تشكل خطرا عليهم وأنشأوا مصلحة خاصة بذلك. وسنتناول هنا أهم الصحف التي منعتها السلطات الفرنسية والمواضيع التي عالجتها.

---

(1) قبايلي هواري، مرجع سابق، ص.333

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** ...، ج2، مرجع سابق، ص.255

(3) قبايلي هواري، مرجع سابق، ص. 164

(4) L. Escande, op.cit, p.98.

1 – منع الصحف قبل الحرب العالمية الأولى: كان بداية خطر الجامعة الإسلامية على الفرنسيين يتمثل في الهجرة، والتي لها سلبيات على الاستعمار الفرنسي، منها إفراغ الأرض من السكان، والذين هم في حاجة إلى خدمتهم وتجنيدهم في الجيش الفرنسي. وفي اتصالهم بإخوانهم بالمشرق يشكلون قوة ضاغطة، وخطرا على مستقبل الاستعمار، وبخاصة إذا تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية. ومن أهم الجرائد التي كانت تشجع الهجرة: **المعلومات وثمرات الفنون والمهاجر**، ففي ملخص مترجم لمقال بجريدة **المعلومات** رقم 116، بتاريخ 17 ماي 1894، جاء فيه أن اللجنة الأساسية للهجرة في البلاد العثمانية تبحث عن الوسائل والطرق التي يمكن استعمالها لمتابعة وتشجيع هجرة المسلمين الجزائريين باتجاه الأراضي العثمانية ودراسة الشروط الضرورية لحياة مستقرة. وقد كان تعليق المترجم على المقال أن هذه الصحيفة قد أعطت المعلومات الضرورية والمختلفة للهجرة، ثم يقول: "لاشك أن لجنة الهجرة تتكون من شخصيات بارزة لايفهمون إلا أن العالم الإسلامي واحد، وهذه اللجنة تهتم بعملها وتوسعه".[1] أما **ثمرات الفنون** في عدد 122 بتاريخ 30 جوان 1899، تعطي معلومات وأرقاما عن عدد المهاجرين وتشجيع السلطان لهم حيث أمر بإسكانهم في بيروت وبورسة...[2] كما كانت جريدة **المهاجر** تلفت انتباه المسلمين إلى المؤامرات التي تحاك ضدهم وتحالفات الدول الأوربية، وحرب البلقان ونتائجها، ففي عدد يوم 30 سبتمبر 1912 نشرت نداء بعنوان "أيها العرب" اعتبرته فرنسا صيحة فزع تهدف إلى استنهاض العرب.[3] وكان اهتمام هذه الصحف بالمهاجرين وقيامها بنقل الأخبار إلى الجزائريين وتشجيع الهجرة ونشر الوعي... كل هذه الأمور هي في نظر السلطات الفرنسية خطر عليها، لذا كانت هذه الصحف الثلاث ممنوعة في الجزائر، وعبر عبد الله ركيبي عن ذلك بقوله: "فكل ما يمت للشرق بصلة كان محرما على الجزائر، السفر والتعليم كانا لايتمان إلا بالهجرة أو الهروب، والصحف كانت تصل إلى الجزائريين كالأشياء المحرمة المهربة، ومثلها الكتب التي حرم تدريسها أو الانتفاع بها، وبخاصة الكتب التي تدعو إلى يقظة الأمة العربية الإسلامية...".[4]

---

(1) G.G.A, Rapport 6em Bureau, 04/12/1899, 9H103, A.O.M, Aix en Provence

(2) Ibid

(3) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.198.

(4) عبد الله ركيبي، **قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر**، في: **الأعمال الكاملة للدكتور عبد الله ركيبي**، م3، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص.15.

ونظرا إلى أن النشاط الصحفي ظهر في المشرق وبخاصة مصر قبل الجزائر، فإن الصحف المصرية كان يتابعها المسلمون الجزائريون، ومن بينها: **المؤيد** و**مصباح الشرق** و**الهلال** و**الأهرام** و**الفلاح** و**العَلَم** و**الاستقامة** و**السلطنة** و**أبو الهول** و**اللواء**...، وقد أحصت وزارة الخارجية الفرنسية 117 جريدة عربية كانت تنشر في مصر في سنة 1904.[1] ومن بين الجرائد المصرية التي كانت تقرأ في الجزائر في سنة 1899جريدة المؤيد للشيخ على يوسف[2] وهو من زعماء الحركة الوطنية المصرية، وكانت السلطات الفرنسية ابتداء من هذا التاريخ تراقب هذه الجريدة ومسؤولها، ومنعت زيارته للجزائر.[3]

كتب هانوتو (G.Hanotaux) في سنة 1900 سلسلة من المقالات في جريدة (Journal) التي تصدر بباريس عن "الإسلام ومعارضته للتقدم"، ورد عليه محمد عبده في سلسة من المقالات نشرت في جرائد: المؤيد والأهرام والمنار، وقد كان رد فعل القنصل الفرنسي بالإسكندرية رفضه لنشر مقالات هانوتو لأنها تتناول المسائل الإسلامية، وتغذي الحركة الإسلامية، حيث جاء في تقريره "لقد سبق أن لفتنا انتباهكم في عدة مناسبات، وحذرنا الإدارة منذ سنة من اتجاه هذه المقالات سواء أكانت معادية للإسلام أم العكس، فإنها تعطي انطباعا سيئا عن فرنسا في كل العالم الإسلامي، كما أنها ذريعة للمسلمين للتنديد ب"الخطر الأوربي"، ويشير إلى أنه من بين ذلك مقال نشر في (Journal) بتاريخ 21-28 مارس 1900، وقد أثار مفتي مصر محمد عبده حيث رد على هذا المقال في المؤيد ، وهذه الصحيفة تظهر عداء للأوربيين ومن بينهم فرنسا. لذا نصح بمنع دخول المؤيد إلى الجزائر لأنه من مصلحة بريطانيا دخول مثل هذه الصحف إلى المستعمرات الفرنسية.[4]

---

(1) Ch.R.Angron, ***Les Algériens musulmans***....,T2, op.cit, p.914.

(2) صدرت جريدة **المؤيد** في سنة 1889، أسسها علي يوسف وأحمد ماضي، ثم خلصت لعلي يوسف، دعمها كثير من الأثرياء والعلماء والكتاب والسياسيين والأدباء، واشتهرت بسرعة، صاحبها من المتأثرين بجمال الدين الأفغاني، قال عنها أديب مروة: "كانت ذات خطة إسلامية تدافع عن حقوق المسلمين في كل مكان، من أشهر كتابها الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل..."أديب مروة، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

(3) Ibid, T2, p.914.

(4) A.D.M.A.E, *N°167, Turquie, Politique étrangère, Dossier général, relation avec les puissances, question d'Orient, Panislamisme,"1899-1900"*. Consulat Général de France en Egypte, 25 Avril 1900.

ونظرا لاتجاهها السياسي كانت المؤيد أشد خطرا في نظر الفرنسيين، فقد ورد في جريدة (La Dépêche de Constantine) في 25 أفريل 1900 أنه صـــدر قرار وزاري بمنع دخول المؤيد إلى الجزائر، "لأنهم من خلال هذه الجريدة يرفعون أصـــواتهم لصـــالح أولئك الذين هم ضـــحايا ســـوء المعاملة..."، لقد كانت **المؤيد** تنشر آراء الجزائريين حول السياسة الفرنسية وتُناقش في الجريدة. وهذا ماأثار القنصل الفرنسي في الإسكندرية حيث كتب "هناك اثنان من أعيان الجزائر بالقاهرة كتبا مقالا في المؤيد يهاجمان دون تردد، وبشكل غير لائق سياستنا في الجزائر وتونس".[1] وباطلاعنا على هذا المقال جاء فيه: أن الجريدة سبق لها أن نشرت في العدد 5343 مقالا لأحد الجزائريين جاء فيه: "إن القرن التاسع عشر أتى على هذا القطر الجزائري بنظامه الجديد وإصلاحه الراقي، ومامضى حتى تركه في انتظام فمسائله الآن جارية على منوال دستوري..." ورد عليه جزائري آخر في العدد 5375 من الجريدة نفسها "أن ماقاله الكاتب قول لايقبله صبي..."، ونشر في العدد 9 مارس 1908 مقال يقول صاحبه إنه سينتصر للحق، بطلب من جزائريين وتونسيين، بيَّنَ خلاله معاملة الحكام الفرنسيين للجزائريين والتونسيين بقسوة، ورد على المقال الأول في وصفه الجزائريين بالخسة والدناءة وقلة العفة وقلة التحضر. كما تناول مسألة التجنيد الإجباري، ومسألة استعمال اللغة الفرنسية بدل العربية في الجزائر... وغيرها من المسائل. ومن هذا نلاحظ أن المؤيد قد فتحت المجال للجزائريين لتبليغ أصواتهم للعالم وفضح السياسة الفرنسية الظالمة التي تريد تغطيها، وتجميل صورتها في المشرق الإسلامي وفي العالم.

سارت جريدة **اللواء المصرية** في طريق المؤيد، فقد كان يسحب منها 50000 نسخة باللغة العربية، وأصبحت تصدر باللغتين الفرنسية والإنجليزية ابتداء من 1907،[2] حذر أندرى سيرفيه (André Servier) السلطات الفرنسية من تأثير الحزب الوطني المصري عبر الصحف، حيث يقول: إن هناك غليان بتأثير مصر... هذه الإثارة صنعت نوعا من الروح التي بدأت تنتشر في المناطق الخاضعة للأوربيين... إنهم يحلمون بإقامة العقيدة الإسلامية، وبعث الخلافة وقد نشأت هذه الحركة

(1) A.D.M.A.E, *N°167, Turquie, Politique étrangère, Dossier général, relation avec les puissances, question d'Orient, Panislamisme,* "1897-1914", Consulat Général de France en Egypte, 9 Mars 1908.

(2) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***….,T2, op.cit, p.914.

التحريرية بمصر سنة 1908.[1] ويرى أن الحزب الوطني المصري بزعامة مصطفى كامل باشا هو تطبيق لمشروع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والهدف الحقيقي هو التحرر من سيطرة الأوربيين،[2] وأن الأفكار الوطنية للحزب الوطني المصري، تدخل بسهولة إلى تونس عبر الصحف التركية والمصرية على الرغم من منعها من طرف السلطات الفرنسية، لكنها في الجزائر قليلة.[3] لقد وجدت الجرائد المصرية المؤيد واللواء والمنار، والنداءات المصرية صدى في شمال إفريقيا، ويرى أنها أكبر خطر على مستقبل الفرنسيين في المنطقة.[4]

كانت اللواء تكتب كثيرا عن الجزائر وتدافع عن أقطار المغرب العربية في وجه الاستعمار، وكان عمر ابن قدور مراسلها في الجزائر،[5] وحسب رأي آجرون[6] أن اللواء أوقفت في سنة 1908 ولكنها غيرت اسمها إلى "**العَلَم**" واستمرت في اهتمامها بشؤون الجزائر.[7]كما أن جريدة "**العَلَم**" حسب تقرير الحاكم العام بالجزائر، أوقفت من طرف الحكومة المصرية لمدة قصيرة ثم عادت إلى الظهور من جديد، وعدّ الحاكم العام أن هذه الجريدة هي التي تنقل أفكار الجامعة الإسلامية إلى المغرب العربي، لهذا منعتها سلطة الحماية في تونس، ثم منعت في الجزائر، ففي قرار وزارة الداخلية بتاريخ 20 جوان 1911 أكد على مراقبة ومصادرة كل أعداد العَلَم التي تدخل إلى الجزائر.[8]

من خلال تقارير والي عمالة قسنطينة، وتقارير رؤساء الدوائر التابعة لها، تبين لنا أن هناك رقابة مشددة على جريدة العَلَم التابعة للحزب الوطني المصري، وفي رسالة من الحاكم العام إلى والي عمالة قسنطينة يقول: "إن جريدة العلم هي ضد السياسة الفرنسية في المغرب العربي، وهي تحمل روحا

---

(1) André Servier, *Le Périle de l'avenir, le Nationalisme musulman en Egypte, en Tunisie,et en Algérie,* Ed.2, M. BOET Editeur, Constantine, 1913, p.02.

(2) Ibid, p.10.

(3) Ibid, p.111.

(4) Ibid, p.53.

(5) عبد المجيد بن عدة، **الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008. ص.74.

(6) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***….,T2, op.cit, p.914.

(7) اما عبد المجيد بن عدة فيقول انها كانت موجودة في سنة 1910

(8) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M .Le Préfet du Département de Constantine, 20 Juin 1911, A.O.M, Aix-en- Provence.

خطيرة على فرنسا وسط الأهالي"، ويقول إنه طلب من وزير الداخلية منعها، وفعلا مُنعت بتاريخ 7 جويلية 1911.[1] ورغم المنع فإن مسؤول البريد بعنابة احتجز 32 عددا من الجريدة في 29 جويلية 1911، موجها إلى عبد العزيز تبيبل "Tabibel" بعنابة، وفي 7 أوت احتجز 32 عددا آخر موجها إليه أيضا، لذلك أمر الحاكم العام بحجز كل الجرائد الموجهة إلى تبيبل.[2]

ويمكننا أن نضيف إلى منشورات الحزب الوطني المصري الممنوعة في الجزائر، كتيب نشر من طرف محمد فريد بيك بعنوان "دراسة عن الأزمة العثمانية الحالية" نشر هذا الكتاب في جنيف ثم أعاد صاحبه نشره في جريدة القاهرة، وحسب تقرير الحاكم العام بالجزائر أن هذا الكتيب قام بنقد حاد لسياسة الحكومة الفرنسية للأهالي المسلمين الجزائريين. وربطها بضعف الحكومة التركية حيث مكنت للامتيازات الأجنبية، واستسلمت لهم. وهذا ماممكّن الاستعمار الإيطالي من ليبيا والنفوذ الفرنسي في سورية ولبنان، كما عالج الكتاب تهجير الأهالي الجزائريين إلى الصحراء، وانتهى بدعوة العثمانيين لطرد المسيحيين. وقد أصدر الحاكم العام أوامر شديدة إلى والي قسنطينة بمراقبة ومنع هذا الكتاب من الانتشار.[3]

إن الاستعمار الإيطالي لليبيا والفرنسي للمغرب وحرب البلقان وبداية النفوذ الأوربي في الشام والعراق، قوى الدعوة إلى الوحدة والتضامن بين المسلمين، وقد شهدت هذه الفترة بداية ظهور الصحافة العربية الجزائرية الوطنية، وبخاصة بعض الجرائد التي تهتم بقضايا المسلمين ووحدتهم مثل: ذو الفقار والفاروق والحق الوهراني... وعلى الرغم من الظروف المادية الصعبة ومضايقات الاستعمار فإنها كانت تُبلِّغ بعض أخبار المسلمين، وكانت تنقل بكثرة عن بعض الجرائد التي مُنِع دخولها الجزائر مثل جريدة الهلال العثماني، وهي جريدة صاحب امتيازها ومديرها عبد العزيز جاويش، وهو من أنشط دعاة الجامعة الإسلامية، فقد جاء في تقرير الحاكم العام بالجزائر إلى والي مقاطعة قسنطينة في 10 جوان 1912: "أن جريدة الهلال العثماني لاستانبول نشرت منذ مدة مقالات تنتقد فيها بشدة أعمالنا في المغرب العربي وفي شمال إفريقيا، ووجهة هذه المقالات هي الجامعة الإسلامية، فهي تثير

(1) Ibid
(2) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M.Le Préfet du Département de Constantine, 12 Septembre 1911, A.O.M, Aix-en- Provence
(3) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 01 Février 1913, A.O.M, Aix-en- Provence.

العاطفة الدينية تجاه قضايا المسلمين في مستعمراتنا، وتدفع إلى مقاومتنا" ثم يقول: "لحسن الحظ أن هذه الجريدة غير منتشـــرة في الجزائر".[1] ولكن في تقرير آخر يذكر أن هذه الجريدة وُجدت تُباع في قسنطينة: في كشك وتفل بن مسعود بشارع فرنسا، وفي كشك صالح بن قرتي بساحة أومال، وعند الحاج محمد بن حماده بشارع (Hachette). [2]

وباطلاعنا على عدد الجريدة الذي منع دخوله[3] نجد أن الجريدة تناولت قضـــايا الأمة الإســلامية بوعي كبير وطرحتها بقوة، منها قضــية جبل لبنان ومطالبة أهله بالإصــلاح واســتعانتهم بالدول الأوربية للضغط على الدولة العثمانية، بين لهم الكاتب وهو عبد العزيز جاويش أن الوقت غير مناســب للمطالبة بالحقوق، وبخاصــة أن إيطاليا تحارب الدولة العثمانية ثم طلب من المســلمين أن يأخذوا العبرة من الأوربيين الذين اتحدوا في وقت الأزمة.

وفي العدد نفســه من الجريدة نجد مقالا مهما يتعلق بالجامعة الإســلامية، حيث عالج ضــعف المسلمين، وبين أن من أسباب ذلك الفرقة، وهجرهم للدين والعلم، وإهمالهم لأكبر نعمة وهي "تأليف القلوب" والتي تخلى عنها الحكام والشــعوب، وهذا ما شــجع أعداء المســلمين على اســتعمارهم. ولاسبيل للنجاة في نظره إلا التمسك بالعروة الوثقى عروة "الجامعة الإسلامية"، ثم طرح طريقة عملية لتطبيق هذا المشروع حيث يقول: "كنا نسمع هذه الدعوة تتردد في كل مكان لكن لا أثر ظاهر، ولما أشرقت نور الدستور العثماني الزاهر حتى قوي أمل المسلمين، وأصبحوا ينظرون بفارغ الصبر ساعة خلاص العالم الإسلامي، لكن سرعان ماهاجمته نمور الغرب..." والحل العملي في نظره هو باختصار:

-أن على كل مسلم أن يضع بين عينيه أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص.

-على العلماء أن يعقدوا مؤتمرا إسلاميا بمكة أو الأستانة لبحث أدواء المسلمين الاجتماعية والدينية ووضع العلاج النافع لها.

-إيجاد مجلات دينية بلغات مختلفة يحررها العلماء وتوزع مجانا.

---

(1)G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 18 Juin 1912, A.O.M, Aix-en- Provence.

(2) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 11 Juin 1912, A.O.M, Aix-en- Provence.

(3) العدد 15 ماي 1912.

-العناية الزائدة بمدرسة المرشدين بانتقاء الأساتذة القادرين والطلبة الصالحين وتوزيعهم على الدول.

-الانتفاع بموسم الحج لنشر أفكار الجامعة الإسلامية.

هذه بعض النقاط الرئيسية التي طرحها عبد العزيز جاويش كخطة عملية للجامعة الإسلامية، ونرى أنها اهتمت بالجانب الإصلاحي والتوعوي أكثر من الجانب السياسي، وبخاصة أن الفترة عرفت سقوط حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

والطريقة نفسها في تحليل الأحداث وفي إيجاد الحلول نجدها عند الطيب بن عيسى صاحب جريدة "**المشير**" ثم جريدة "**الوزير**"، هذه الجرائد كانت ممنوعة من دخول الجزائر ففي مقال بالمشير بتاريخ 29 أكتوبر 1911 وبعنوان "نكبات عدوتنا إيطاليا في جزيرة سيليسيا "وتحت عنوان فرعي "الإسلام وأوروبا" يقول الطيب بن عيسى: "صعب على المسلمين في أزمة ضعفهم الاجتماعي وانحطاطهم العلمي أن يعرفوا مجاري السياسة العامة الأوربية حتى يهيئوا الأسباب للتوقي من أشرارها ويأخذوا الاحتياطات ضد هجماتها على الإسلام". ثم يشرح مخطط الاستعمار في أنه ينشر الدسائس الداخلية ويحدث المشاكل الخارجية حتى تتزعزع الدولة وتنهار...ويلوم السياسة العثمانيين لأنهم "مازالت تعانق آمالهم ألمانيا طورا وانجلترا حينا وفرنسا حينا آخر. فرابطة المسلمين وقوتهم في نظره هي الخلافة "وهي التي تجمع وحدتهم وتحكم رابطتهم الدينية وجامعتهم الجنسية وفي هذا الالتحام الطبيعي مايكفي لإجلال الدولة العثمانية وكافة المسلمين... كل خدش يلحق الأمة الإسلامية هو يثير عواطف الجامعة الإسلامية..." ثم يدعوهم إلى نهضة عامة وسياسية خاصة حيث يقول: "إذا كان المسلمون منعزلين عن السياسة فاليوم يوم نهضتهم ويقظتهم من ذلك النوم الطويل الذي ألفوا منه الهوان".

إذا استطعنا الاطلاع على بعض أعداد الجرائد التي منعت السلطات الفرنسية دخولها إلى الجزائر، فإن هناك جرائد أخرى وصفتها الدوائر الفرنسية ب"الخطيرة"،[1] لم نستطع الاطلاع عليها منها جريدة "**المشكاة**" والتي كانت تصدر بدمشق قبيل الحرب الكبرى، ويبدو أن هناك أوامر صارمة

[1] G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 2 Aout 1914 , A.O.M, Aix-en- Provence.

من الحاكم العام لمراقبة هذه الجريدة، ففي الأرشيف الفرنسي الخاص بعمالة قسنطينة تقارير كل دوائر المقاطعة عن مدى انتشار هذه الجريدة، وإن جاءت التقارير بنفي وجودها في المقاطعة، لكن يبدو أن البحث كان في نقاط البيع مثل الأكشاك أو مراكز البريد، بينما الطرق السرية فمن الصعب مراقبتها.

2-منع الصحف أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى: لقد كانت الحرب العالمية الأولى سببا في زيادة تشديد الحصار الإعلامي على الجزائريين، فقد أُعطيت الصلاحيات الكاملة للسلطة لعسكرية فقامت بمنع المنشورات من الكتب والجرائد والملصقات، وقوي هذا المنع بقانون 04 أوت 1914 الذي سمح للسلطات العمومية بمراقبة المنشورات والجرائد والمقالات الخاصة بالعمليات العسكرية التي يمكنها أن تؤثر على حالة الجيش أو الشعب.[1] حيث منعت نشر كل الجرائد داخل الجزائر، كما مُنع دخول كل الجرائد من الخارج، فقد أمر الحاكم العام بحجز كل الجرائد التركية كجريدة "الشباب التركي" التي كانت ترسل إلى العديد من الجزائريين وكذا الجريدة الألمانية "L'Agence Wolf" التي هي في نظرهم في غاية الخطورة.[2]

ولمراقبة الصحافة أنشأت السلطات الفرنسية مصلحة فحص مسبق ألحقت ابتداء من نهاية 1914 بحكومة باريس. واعتمدت من بداية 1916 من وزارة الحرب، ثم استبدل مكتب الصحف بمديرية عامة، خاصة بالعلاقات مع الصحف والتي اعتمدت في 22 سبتمبر 1917، وقد لعبت اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين "C.I.A.M" دورا مهما في تقصي المقالات التي تثير سخط المسلمين.[3]

وعلى الرغم من أن السلطات الفرنسية رفعت رسميا حالة الحصار والرقابة على الصحف ابتداء من 12 أكتوبر 1919، لكننا في الواقع نجد أن الرقابة بقيت مشددة إلى مابعد الحرب على الصحف المشرقية والتونسية، وبخاصة التي تخدم الجامعة الإسلامية والحزب الدستوري الحر التونسي، ولم يتوقف الأمر عند الرقابة أو المنع بل أنها قامت بمعاقبة المسؤولين عنها بالسجن أو النفي وعلى رأسهم عبد العزيز الثعالبي، فقد منعت كتابه "تونس الشهيدة". ففي مراسلة من الحاكم العام إلى والي مقاطعة

---

(1) P. Le Pautremat, op.cit, p.84

(2) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.342.

(3) P. Le Pautremat, op.cit, p.84

قسنطينة وبأمر من وزارة الخارجية الفرنسية يمنع انتشار هذا الكتاب.[1] ومن خلال التقارير الفرنسية لاحظنا أن الصحف التونسية كانت بعد الحرب أكثر انتشارا وأكثر منعا، فقد كانت ترسل عن طريق البريد إلى الجزائريين. مثال على ذلك في تقرير مسؤول الأمن بقسنطينة إلى والي المقاطعة أنه بتاريخ 1920احتجزوا 104 نسخة من الجرائد التونسية: **المنير** و**الوزير** و**الصواب**.[2] ولعل أهم جريدة منعت هي جريدة **الوزير** للطيب بن عيسى، وقد سبق أن أشرنا إلى عمر راسم الذي ذكّره بأصوله الجزائرية حين أنشأ جريدة "**المشير**" وتشير التقارير الفرنسية أنه زار الجزائر بعد الحرب[3] حيث ذهب إلى مقاطعة قسنطينة وكان البوليس الفرنسي ينظر إليه على أنه رجل يقوم بدعاية خطيرة،[4] فقد زار في جوان 1920 الجزائر لجمع الاشتراكات لجريدته، ويقول تقرير الحاكم العام إنه أثناء إقامته بالجزائر العاصمة التقى بالأهالي الناشطين في المجال السياسي ومنهم الأمير خالد والحاج عمار... ونجحت مشاوراته مع الميزابيين في دفع الاشتراكات لجريدة "الوزير" وفي طريقه إلى العاصمة مر بعنابة وقسنطينة وسانطارنو[5] (العلمة حاليا).

كانت جريدة "**الوزير**" تتناول كسالفتها "**المشير**" القضايا السياسية وتبين مساوئ الاستعمار وتدعو إلى النهضة والوحدة، ففي العدد 12 أكتوبر 1926، عالجت جريدة "الوزير" قضية وحدة المسلمين، فقارن الطيب بن عيسى بين الأوربيين وتعاضدهم وبين المسلمين وتشتتهم، حيث يقول: "نحن الذين أصبحنا من دون جامعة بعد أن شتت شمل جامعة الخلافة الإسلامية، فأصبح الخليفة

---

(1) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 30 Juin 1920, A.O.M, Aix-en- Provence

(2) G.G.A, Constantine B3/282/283, Chef de la sureté Départementale à M. Le Préfet du Département de Constantine, 27/09/1920, A.O.M, Aix-en- Provence.

(3) كان للطيب بن عيسى عدة زيارات إلى الجزائر حيث يقول: "رغبتنا تتجدد من حين إلى حين فتدعونا إلى زيارة جارتنا الجزائر وشقيقة تونس، والقيام برحلة كبرى متسعة النطاق تفوق رحلتنا الأولى الواقعة سنة 1920، ثم زيارتنا لعاصمتها مرتين في سنة 1923...ثم إعادة السفر إلى قسنطينة في سنة 1926.." محمد صالح الجابري، **خمس رحلات إلى الجزائر** (1904_1932)، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص.107

(4) G.G.A, Constantine B3/282/283, Commissaire de la police Sait-Arnaud, à M. Le Préfet du Département de Constantine, 4 janvier 1921.

(5) G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 30 Juin 1920, A.O.M, Aix-en- Provence, 2 décembre 1920.

مبعدا عن بلاده ومسقط رأسه والخلافة لاوجود لها في هذا العالم المحفوف بالرزايا، لهم جامعات كثيرة حافظوا عليها وشـــرعوا في الزيادة، ونحن لنا جامعة واحدة أبطلها م.كمال، ومن معه من الملحدين وسكتنا. وحتى المؤتمرين اللذيْن عقدا لهذا الغرض أحدهما لم يتناول موضوع الخلافة والآخر اكتفى بأن قرر لابد من الخلافة في الإسلام وكأننا نجهل هذا الأمر!؟ الفرق بعيد ياصاح بين حزمهم وتقاعسنا ونشاطهم وكلّنا، واتحادهم وتفرقنا، وائتلافهم واختلافنا، أين أبطال الإسلام وزعماء المسلمين؟"

ولعل الموضوع نفسه طرحته المنهاج والقبلة وتقويم المنصور لذلك منعت من دخول الجزائر، فقد قرر وزير الداخلية في 21 مارس 1926 منع وتداول وبيع ونشر جريدة المنهاج الصادرة بالقاهرة. وفي 18 فيفري 1926 منع وزير الداخلية تبادل وبيع ونشر "تقويم المنصور" المنشور بتونس، ومصادرة الأعداد المتداولة،[1] وذلك لأنه يمس السيادة الفرنسية، ومن الجرائد الممنوعة جريدة "**القبلة**" التي كانت تصدر بمكة[2] وتولى إدارتها الطيب العقبي لفترة، فقد أصدر وزير الخارجية قرارا بمنعها وتداولها، ونشر القرار بالجريدة الرسمية للحكومة العامة في جوان 1921، وعلى الرغم من ذلك كانت هذه الجريدة متداولة بين الجزائريين حسب رسالة من الوكيل العام، وقد اتهم الطيب بن صالح العقبي بنشرها، وحسب تقرير الوكيل العام الفرنسي في الجزائر أنه كان يكتب مقالات عنيفة في هذه الجريدة من أجل مقاومة الفرنسيين في شمال إفريقيا.[3] كانت جريدة "القبلة" من الصحف المؤيدة لثورة الشريف حسين ومضادة للاتحاديين الاتراك، ولها اهتمام كبير بالقضايا السياسية، وقضايا الاستعمار بصفة خاصة، وكانت تنشر أخبار العالم الإسلامي، وتنقل بكثرة عن الصحف الأخرى كعادة صحف الفترة.

من خلال بحثنا في منع السلطات الفرنسية دخول الصحف المشرقية والتونسية إلى الجزائر، وجدنا أن الصحف الأخطر على الاستعمار هي الصحف التي أنشأها جزائريون خارج الجزائر، مثل جرائد: المهاجر والمنهاج والوزير والمشير...أو الصحف التي كان يتعامل معها الجزائريون ويراسلونها

([1]) ينظر الملحق رقم (14)

[2] صدر اول عدد من القبلة في يوم 15 شوال 1334، وظهر اسم مديرها محب الدين الخطيب في العدد الثاني كتب عليها: "جريدة دينية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب" تطبع في المطبعة الأميرية بحارة الجياد بمكة المكرمة.

[3] G.G.A, Constantine B3/282/283, Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 05 Septembre 1921, A.O.M.

مثل: المؤيد واللواء والعَلَم والقبلة... حيث كانوا يفضحون السياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر، ولعل السلطات الفرنسية نجحت إلى حد ما في حصارها الإعلامي وبخاصة أثناء الحرب الكبرى. وبالرغم من ذلك نجد أعدادا من الصحف كانت تدخل الجزائر سريا، ويقرؤها العشرات بعيدا عن أعين السلطات الاستعمارية.

المطلب الثالث: مراقبة المهاجرين الجزائريين

إن تخوف الإدارة الاستعمارية من تأثير الجامعة الإسلامية، جعلها تشدد الرقابة على كل من يدخل الجزائر، فقد جاء في قرار 25 جانفي 1895 أنه ينبغي أن تركز الإدارة الجزائرية على ضرورة المراقبة الدائمة للأهالي بواسطة الشرطة، وكذا مراقبة المسلمين الأجانب الذين يدخلون ترابنا للإقامة أو السياحة".[1] تبين لنا من خلال تقارير القناصل الفرنسيين مراقبتهم لكل تحركات الجزائريين، فكل من يعود إلى الجزائر فهو مشبوه، وكان تركيزهم أكثر على النشطاء السياسيين وأتباع الطرق الصوفية وبخاصة الطريقة السنوسية. ويمكننا أن نذكر بعض الأمثلة لنرى مدى نجاح السلطات الفرنسية في رقابتها، ففي تقرير القنصل الفرنسي بدمشق إلى السيد وزير الخارجية الفرنسي "Pichon"[2]: " أن جمعية الأخوة الجزائرية التونسية بإستانبول بدأت بالدسائس ضد فرنسا حيث أسست فرعا لها بدمشق، ثم يذكر قائمة الجزائريين النشطاء في هذه الجمعية، ويقول إنهم يتلقون الدعم من تركيا، والسلطات المحلية أغمضت عينها نهائيا على نشاطهم، فهم ينشرون اتهاماتهم افتراء ضد فرنسا، ثم يذكر صورة سيئة لمعاناة الجزائريين الذين يتجولون هزيلي الأجساد يمدون أيديهم إلى القادم والرائح في شوارع دمشق، وعدد منهم من قدماء الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي، يظهرون آثار إصاباتهم، في كبرياء مبينين استغلال فرنسا لهم ثم تخليها عنهم..."وكان رد الحاكم العام على هذه الرسالة[3]: أنه أعطى تعليمات لولاة العمالات الثلاث لمراقبة الأفراد العائدين، والذين لهم علاقة بالأشخاص الذين ذكرهم القنصل الفرنسي في دمشق، ويخشى الحاكم العام أن يكون الإجراء دون نتيجة لعدم كفاية

[1] الطاهر عمري، مرجع سابق، ص. 155

[2] A.D.M.A.E, Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie, N°493, 6 novembre 1910

[3] A.D.M.A.E, Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie, N°493, 9 décembre 1910

المعلومات. فإنه من المستحيل تعيين مهاجر بسهولة اسمه "العربي" أو "الدراجي"،[1] وطلب الحاكم العام من القنصل اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة أولئك الجزائريين الذين هم في وضعية مزرية في سوريا إلى الجزائر.

ولعل شدة حرص السلطات الفرنسية على مراقبة الجزائريين خارج الجزائر يعود إلى عدة أسباب، فبالإضافة إلى تخوفها من انتقال التأثيرات المشرقية "النهضة والجامعة الإسلامية وكل الأفكار المناهضة للاستعمار" إلى الجزائر، كانت تعد الجزائريين المهاجرين هم رعاياها، فإن شجعت أو سمحت بالهجرة في بعض الفترات فإنها لم تسمح بالهجرة في بداية القرن العشرين وذلك لحاجتها إليهم. وقد خلق الجزائريون المهاجرون إلى الأراضي العثمانية أزمة ديبلوماسية بين فرنسا والدولة العثمانية، ففي الوقت الذي كانت فرنسا تعدهم رعاياها، رفضت السلطات العثمانية الاعتراف بذلك، ومنحتهم حق الجنسية العثمانية وبخاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، لأن الدولة العثمانية أيضا كانت في حاجة إلى الطاقة البشرية. وبقيت تلك الأزمة إلى الحرب الكبرى، وعلى الرغم من المساعي الفرنسية الكثيرة لتسويتها. ومن جهة أخرى ومن خلال الوثائق الفرنسية نجد أن كثيرا من الجزائريين لايملكون أي جنسية لافرنسية ولاعثمانية، وهذا هروب من التجنيد العسكري في البلدين. وبعضهم فضل العودة إلى الجزائر بتشجيع من السلطات الفرنسية حيث وفرت لهم السبل لذلك.

إن المطلع على وثائق الأرشيف الفرنسي يجد أن السلطات الفرنسية قد جندت قناصلها وشرطتها وجواسيسها وإدارتها، وكل طاقاتها لمراقبة الجزائريين المتنقلين بين الجزائر والمشرق، فتقارير هؤلاء إلى وزير الخارجية وإلى الحاكم العام تحمل أسماء شخصيات معروفة مثل خوالدية صالح...وغيره. وأسماء غير معروفة لدينا وهي مشبوهة لدى الإدارة الفرنسية، وأحيانا لايذكر الاسم وإنما الإشارة إلى أن هناك جزائريين عادوا من الحج ومروا بإستانبول أو بدمشق أو بالزاوية السنوسية بطرابلس، وتحركاتهم مشبوهة لدى الإدارة الفرنسية. ولعل الطريقة السنوسية كانت تشكل أكبر خطر على الفرنسيين،[2]

---

[1] وهم أسماء أشخاص جزائريون ذكرهم القنصل الفرنسي هكذا: "العربي والدراجي" مجردين "دون لقب"، وطلب من الحاكم العام بالجزائر مراقبتهم؟! ينظر الملحق رقم (5

[2] توجد بالأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية كم هائل من التقارير عن المهاجرين الجزائريين إلى أراضي الدولة العثمانية منها العلب: N°493, N°494،

أما الطريقة السنوسية فتقاريرها بأرشيف ماوراء البحر العلب:16H58. 16H57. 16H56منها ملف:

فقد جاء في بعض برقيات وزارة الخارجية الفرنسية تشديد الرقابة على تنقلات السنوسيين واتصالاتهم بالجزائريين منها "هل يوجد اتصال بين شيخ زاوية صفاقس والسلطان في القسطنطنية؟ وهل له اتباع في تونس؟ وهل يملك هؤلاء علاقات واتباع بالجزائر؟..."[1] وكمثال آخر عن التقارير الفرنسية ومراقبتها للجزائريين فقد كتب المقيم العام بتونس إلى وزير الخارجية الفرنسي[2] أن هناك ثلاثة جزائريين عادوا من الحج وفي طريق عودتهم زاروا الزاوية السنوسية في الجبل الأخضر، وقد أوقفتهم السلطات الفرنسية عندما وصلوا تونس ويريدون دخول الجزائر..." وأمثلة هذه التقارير كثيرة، فقد تكون هذه التحركات عادية أو لاأثر لها، لكن السلطات الفرنسية كانت تتوجس خيفة من أي علاقة أو اتصال بالخارج.

المبحث الثاني: الدعاية الفرنسية المضادة

من خلال تحليل الخبراء الفرنسيين لمفهوم الجامعة الإسلامية نجد أنهم أدركوا روحها في جانبها السياسي وهي "الوحدة" وخطرها على الاستعمار الفرنسي، كما أنهم درسوا إمكانية تحقيق مشروع الجامعة الإسلامية وكيفية مواجهته، فقد كتب (A.F) في سنة 1906[3] أنه يمكن تحقيق وحدة المسلمين وذلك ببعث قوى الإسلام وهذا لايكون إلا بطريقتين:

-الأولى تحالف القوى الدينية المتاحة.

- الثانية تحالف الدول الإسلامية.

يبدو أن القوى الدينية التي كانوا ينظرون إليها هي الطرق الصوفية، ومعظمها لم يعد لها تأثير يذكر، بل أصبحت أداة طيعة في يد الاستعمار. أما الدويلات التي يمكن أن تشكل أساسا للجامعة الإسلامية في البحر المتوسط –في نظرهم- هي تركيا أو المغرب الأقصى، ولكن حسب المقال أن الجامعة الإسلامية لايوجد لها قاعدة جادة في الدولتين، والتي يمكن أن تكون الدعم الفعال والضروري

Rapports sur Emissaires Senoussistes:
Algérie, Maroc, Tripolitaine, Oudai, Bornou, Damas, Benghazi, Djerboube…
Surveillance, arrestations, expulsion "1877-1892".

(1) Sirma, op.cit, p.42.

(2) A.O.M, Aix-en- Provence. 16H57, 4 Juin 1886.

(3) ***Renseignement coloniaux, A.F***, N°2, février 1906, p.20.

لفكرة عظيمة، ويقترح الكاتب الحل لمواجهة الجامعة الإسلامية في البحر المتوسط هي تشكيل مجموعات إسلامية جديدة أي تفتيت المسلمين، وهي الفكرة التي تجسدت في الثورة العربية، ثم إنشاء دويلات عربية بعد الحرب، وإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين.

من خلال هذه الدراسة وغيرها يتبين لنا أن فرنسا لم تكن تخشى فعلا الجامعة الإسلامية على الرغم من التهويل الإعلامي وتفخيم خطرها. لكن مخاوف فرنسا الفعلية ظهرت مع التحالف الألماني –العثماني، فقد أصبحت تواجه عدوا قويا، لذلك سخرت كل وسائلها للمقاومة، بإنشاء اللجان المختصة في الداعية، ووسائل الإعلام ورجال الدين، كل ذلك لإقناع الجزائريين بمساعدة فرنسا ضد ألمانيا. وسنتناول في هذا المبحث بعض وسائل الدعاية وأساليبها ومضمونها.

المطلب الأول: إنشاء اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين "C.I.A.M"[1]

منذ السنوات الأولى من القرن العشرين رأى الساسة الفرنسيون ضرورة إنشاء مؤسسات قادرة على إدارة شؤون المسلمين، وفي جوان 1906 أنشأ وزير المستعمرات (George Leygues) مصلحة مختصة ملحقة بإدارة إفريقيا متخصصة في شؤون المسلمين، ويرى (P. le Pautremat) أن ألفرد لو شاتلييه (Alfred le Chatelier) لم يكن راضيا عن المخاطر المحتملة بين الحضارة الغربية والإسلام ، لذلك اقترح على الحكومة الفرنسية إنشاء "اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين"،[2] فكان ذلك بقرار 25 جوان 1911، وبإنشاء هذه اللجنة حاولت الحكومة الفرنسية تشكيل تماسك كل الإدارات المسؤولة عن شؤون المسلمين، وذلك لدعم الوجود الفرنسي في بلادهم.[3] وكان تطوير هذه اللجنة هو أفضل وسيلة لمواجهة الدعاية الألمانية التركية كما ورد في A.F،[4] فقد جاء في هذه النشرية أن النائب (M. le Monzie) اقترح استغلال الجامعة الإسلامية في المؤسسات السياسية الفرنسية فعرف ما يسمى ب "الإسلام الفرنسي" وانطلاقا من هذا الاقتراح بادرت الحكومة إلى مشروع قانون لتعيين مستشارين مسلمين في "C.I.A.M"، وهذه اللجنة تعمل مع عدة وزارات: الخارجية والحرب والداخلية

(1) La Commission interministérielle des affaires musulmanes
(2)Op.cit, p.39-43
(3) Ibid, p.43
(4) A.F. N°10, octobre- décembre 1915, p.290

والمستعمرات، ولها معرفة جيدة بشمال إفريقيا وبأهدافها وكيفية التنفيذ.[1] وجُعِل على رأسها إدموند دوتي (E.Douté)[2] وينص مشروع قانون اللجنة على:

-أن تشمل أربعة مستشارين مسلمين يمثلون على التوالي: الجزائر وتونس والمغرب وإفريقيا الغربية.

-يترشح لهذا المنصب ثلاثة من علماء الشريعة الإسلامية وأعمارهم أكبر من أربعين سنة، ويشترط أن يكونوا قد عملوا على الأقل عشر سنوات في المجال القضائي في المستعمرات الفرنسية. ويعين كل واحد بنص قانوني ولمدة خمس سنوات.[3]

أرادت فرنسا من خلال هذه اللجنة التحكم في معظم نشاطات الدعاية الفرنسية، وأن تبين للمسلمين إرادة فرنسا الخيرة. ويرى لوبوترما (P. le Pautremat)[4] أنها اهتمت بجوانب كثيرة خاصة بالأهالي منها الناحية الاجتماعية والمرأة والعدالة الإسلامية، والتعليم بتعزيزه بمدارس فرنسية في المناطق التي لايوجد بها إلا التعليم الديني. وفي الجانب السياسي فتحت المجال لزعماء الأهالي للمشاركة في إدارة الشعب. حتى وإن سماها الفرنسيون إصلاحا فهي في الواقع نوع من التهدئة والإسكات لأن الظروف الدولية آنذاك كانت تضغط بقوة على فرنسا، وكان الجزائريون يتطلعون إلى حلول من خارج المنظومة الاستعمارية. كما اهتمت اللجنة بالتأثيرات المشرقية مثل الجامعة الإسلامية والقومية العربية، حيث درست الحلول التي يمكن بها منع التأثيرات المشرقية.[5] لذلك ضاعفت من مراقبة الحجاج أو العناصر الوطنية النشطة، واقترحت مشروع قانون ينص على إنشاء فندقين للحجاج التابعين للمستعمرات الفرنسية في إفريقيا.[6] وقد ازداد نشاط هذه اللجنة أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي سنة 1916 اقترح نائب الشؤون الإفريقية في وزارة الخارجية الفرنسية أن تضع مقرا للدعاية في القاهرة،

(1) Ibid, p.290
(2) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans….***, T.2, op.cit, p.1177
(3)A.F. N°10, octobre- décembre 1915, p. 290
(4) Op.cit, p.44
(5) Ibid, p.44
(6)**A.F**. N°10-12, octobre- décembre 1915, p.291

للتحكم في نشر الأخبار.[1] كما اهتمت بمراقبة الصحف، وأنشأت صحفا للدعاية واقترحت مشروع قانون بإنشاء مكتبات بجدة ومكة والقاهرة بحيث تكون بها كتب مختارة توجه الرأي العام الإسلامي.[2]

المطلب الثاني: استخدام الكتب والصحف والمنشورات في الدعاية

بدأ اهتمام فرنسا بمواجهة الجامعة الإسلامية عن طريق الدعاية الإعلامية منذ نهاية القرن التاسع عشر، وازدادت الدراسات المهتمة بالدولة العثمانية والنفوذ الألماني اتساعا في بداية القرن العشرين، وبخاصة بعد التقارب الألماني التركي وإعلان الحرب العالمية الأولى، وسنتناول في هذا المطلب بعض الأمثلة عن المواضيع التي كانت محل اهتمام الفرنسيين في دعايتهم المضادة للجامعة الإسلامية ثم الدعاية الألمانية –التركية أثناء الحرب الكبرى.

شكل خطر الإسلام هاجسا للكتاب الفرنسيين سواء عن طريق الكتب أو الصحف أو المجلات المتخصصة في قضايا المسلمين، وقد سبق أن أشرنا إلى الصحفي غبريال شارم ودراسته عن مستقبل تركيا وتحذيره من خطرها. كما أشرنا أيضا إلى أندري سرفييه(André Servier) وكتابه عن الخطر القادم ويقصد به الجامعة الإسلامية، ولعل التحالف الألماني العثماني حفز الفرنسيين أكثر للاهتمام بالقضية، حيث نجد ألفرد لوشاتلييه (Alfred Le Chatelier) وهو ضابط قديم مهتم بشؤون المسلمين والمجتمعات الإسلامية، وله عدة دراسات في الموضوع أهمها دراسته التي نشرت في سنة 1899 عن الإسلام في إفريقية الغربية وأعاد نشرها بمجلة العالم الإسلامي "R.M.M" في سنة 1910 حيث اقترح أن توجه السياسة الفرنسية نحو إفريقيا وشماليها بخاصة.

كما أنشأ لوشاتلييه مجلة العالم الإسلامي (R.M.M) التي اهتمت بدراسة شؤون المسلمين، المختلفة كما درست بعمق الدولة العثمانية تاريخيا، وأوضاعها السياسية وضعفها وعلاقتها بألمانيا. وركزت كثيرا على هذه العلاقة وتأثيرها على فرنسا ومستعمراتها، كما عالجت موضوع استعمال ألمانيا للدعاية الإسلامية لبلوغ أهدافها، وكان ذلك في عدة مقالات منها ماكتبه L.B عن "ألمانيا والإسلام"[3] حيث درس التطور السريع لألمانيا وعلاقتها بتركيا وبخاصة العلاقات التجارية، وقدم عرضا لبعض المقالات الصحفية حول تركيا وثروة السلطان وضعف الدولة العثمانية وابتعاد أنصار

(1)P. Le Pautremat, op.cit., p.86
(2) Ibid, p.86
(3) L.B, "***L'Allemagne et L'Islam***", **R.M.M**, 1909(8), p.253

السلطان عبد الحميد الثاني عن الحضارة الغربية، ومذابح الأرمن على يد الأتراك... فبين نقاط ضعف الدولة العثمانية وكيف استغلتها ألمانيا، ثم يقول إن معظم المقالات المتعلقة بتركيا وأوربا وآسيا " تبين لنا أن ألمانيا توسع وجودها في بلاد المسلمين وتحضر بعمق لمعرفة المغرب".

وتحت العنوان نفسه "ألمانيا والإسلام" كتب أوغستين بيرنارد (Augustin Bernard) [1] مقالا حيث يرى أن الإسلام هو أحد عوامل الحرب العالمية الأولى، والذي لايمكن تجاهله، ويحلل أيضا علاقة ألمانيا بالمسلمين انطلاقا من أقوال بيكر (M.Becker) المستشرق الألماني والأستاذ في جامعة بون (Bonn) الذي شرح في كراسة له الدعاية الألمانية، يبدو أن بيكر طرح أقواله بشدة، فشرح طبيعة العلاقة بين ألمانيا وتركيا، ورد على الصحافة الفرنسية التي اتهمت الألمان بالدعاية في شمال إفريقيا، فيقول: "إن خوف الفرنسيين من الألمان أحيانا يثير الضحك، فقد عنيت الصحافة الفرنسية ببعض الألمان جاءوا إلى تونس والجزائر...إن ألمانيا لادخل لها بالأثرياء الألمان الذين التقوا أثناء سياحتهم بسياسيين مسلمين، فإمبراطور ألمانيا ليس في حاجة إلى إثارة شمال إفريقيا. وألمانيا حسب بيكر ليست في حاجة إلى تركيا ولا إلى المسلمين، ولكن عندما تغزو ألمانيا أوربا وفرنسا عند ذلك تكون تركيا حليفا إقليميا مهما.[2]

يحلل بيرنارد طبيعة الجامعة الإسلامية وطبيعة سياسة ألمانيا الإسلامية، حتى يمكن مواجهتها أو تقليدها. فيرى أن المسلمين يتجهون نحو الاتحاد مع تركيا لمواجهة الأوربيين، والجامعة الإسلامية في نظره ليست تنظيما ولكن شعور وطموح ورد فعل الإسلام ضد أوربا. ويتعجب من أن المسلمين من الهند إلى المغرب الأقصى كلهم ينظرون إلى تركيا كمنقذ لهم، وتركيا وألمانيا تشجعان ذلك. يقول بيكر "أن فرنسا وعلى الرغم من المعرفة التي جمعتها عن الإسلام، إلا أنها فشلت في ردم الهوة بين المسلمين والمسيحيين... فالإسلام دين الحرية، لهذا عارض أسياد الجزائر منذ الأمير عبد القادر الاستعمار الفرنسي. والجزائريون الأكثر ثقافة بقوا معادين للفرنسيين... وسيأتي اليوم الذي يأخذ فيه المغاربة استقلالهم بمساعدة إخوانهم في الدين...".[3]

---

(1) "***L'Allemagne et l'Islam***", **A.F**, N°1-2, Janvier-Février 1915, p.17
(2) Ibid, p.18
(3) Ibid, p.18

من خلال المقال نرى أن بيكر يقلل من أهمية تركيا بينما يظهر قوة ألمانيا بكل ثقة، ويوافقه برنارد في ذلك حيث يقول:"نحن نتفق مع بيكر في أنه لاينبغي أن نبالغ في أهمية الأتراك، وكما نعلم أنه ليس لهم حق في الخلافة ومن جهة أخرى فإن ثورة الفتيان الأتراك فشلت في إنشاء دولة عصرية في تركيا..." وينتهي برنارد في تحليله لطبيعة العلاقة بين ألمانيا والإسلام أن ألمانيا أرادت مصالحها الاقتصادية والسياسية فاتخذت غطاء الجامعة الإسلامية لدفع المسلمين للثورة ضد فرنسا وبريطانيا.[1] يبدو جليا أن تخوف فرنسا لم يكن من السلطة التركية وإنما من ألمانيا ومن المسلمين في حالة اتحادهم أوثورتهم في المستعمرات الفرنسية. لهذا أرخت فرنسا قبضتها قليلا على الجزائريين وأبدت نيتها في الإصلاح وفي احترام ديانتهم.

كانت السلطات الفرنسية تمنع-ولو مؤقتا- كل المنشورات التي تسئ إلى المسلمين حتى لاتثيرهم، ومنها المقالات في الجرائد الساخرة وبخاصة التي تعتمد على الصور الكاريكاتورية مثل جريدة: (Le Rire)، فقد كان عمل "C.I.A.M" هي مراقبة مثل هذه المقالات، وإظهار احترامهم للإسلام، فقد نددوا بمقال نشر في جريدة (J'ai vue) جاء فيه: "بعد أربعة قرون تقوم المسيحية ضد الإسلام"، وكذلك كان للحاكم العام و"C.I.A.M" موقف من جريدة (Le Rire) حول مقال "ضربة في فاس" وإن عد بعض الكتاب الفرنسيين هذا من العمل الحضاري لفرنسا،[2] لكن الحقيقة أن فرنسا كانت لاتريد إثارة المسلمين في هذا الوقت الحرج، فقد كانوا يظهرون أنهم يحترمون الإسلام أما هجومهم فهو ضد السلطة التركية الحاكمة، لذلك سمح وزير الحربية الفرنسي بدخول الجرائد المصرية المعروفة بمعاداتها للأتراك.[3]

كما ركزت الدعاية الفرنسية على ضعف الأتراك وابتعادهم عن الإسلام وعدم خدمتهم له، وعدم أحقيتهم للخلافة، فكان السلطان ينعت أمام الجزائريين بأنه لعبة في أيدي الألمان وتركيا تنعت لهم بعدوة الإسلام وعدوة العرب،[4] ولهذا الغرض أنشأت السلطات الفرنسية في مارس 1916 بباريس جريدة "المستقبل"، كانت منذ عددها الأول تشن هجوما عنيفا ضد الأتراك وركزت في حملتها

---

(1) Ibid, p.19.

(2) P. Le Pautremat, op.cit., p.85.

(3) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***, T.2, op.cit, p.1177

(4) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص.248.

على مجازرهم في حق الشعوب ومنهم الأرمن، والمجازر التي قام بها جمال باشا في حق العرب. وكانت تسعى لتوسيع الهوة بين العرب والأتراك، حيث ساهمت في حثهم على الثورة العربية.[1]

لقد تفاجأت السلطات الفرنسية بشكل الدعاية الألمانية النشطة أثناء الحرب خاصة في العالم العربي.[2] فقد أبلغ وزير الخارجية الفرنسي(Gaston Doumergue) القنصل الفرنسي بمصر أن الألمان قد أوجدوا طرقا جديدة في الدعاية، ولإيقافها فإن السلطات الفرنسية قامت بدعاية مضادة عن طريق الجرائد العربية القديمة والجديدة.[3] وفي الجزائر أوقفت السلطات الفرنسية كل الجرائد الصادرة بالجزائر ومنعت دخول الجرائد عدا التي تخدم فرنسا. وأصدرت السلطات الفرنسية جريدة "أخبار الحرب" بمساعدة مترجمين مسيحيين من لبنان وسوريا،[4] وأسندت إدارتها إلى جون ميرانت (Jean Mérante) الموظف لدى الحكومة العامة بالجزائر، وكانت تكتب بلغة عربية ركيكة،[5] والهدف من "أخبار الحرب" والمنشورات التي كانت توزعها السلطات الفرنسية هي إعطاء انطباع للقوة العسكرية للحلفاء بشكل واسع في وسط الجزائريين،[6] كما استعانت ببعض الشعراء لتبيان قوة فرنسا وانتصاراتها في الحرب، وقد جمع ديسبارمي (Desparmet) مجموعة من هذه القصائد منها قصيدة قيلت في سنة 1337هـ/ 1917م:

باسم الاله نبدا قولي على فرنصا الجمهورية
انتصرت بها العالي والأنبيا والأوليا
بعد ان كان نجمها بالي راه طلع في الصبحيا
جيش فرنصا يازعمى منصور من زمان فايت

وقصيدة أخرى تسمى "مدحة" تصف انتصار فرنسا في معركة:

كبرت الملاحمه انتشبت الفرنسيس ثبت باليونيت خجل لالمان

---

(1) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص-ص. 377-380.

(2) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***, T.2, op.cit, p.1177.

(3) P. Le Pautremat, op.cit., p.79.

(4) Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***, T.2, op.cit, p.1177.

(5) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.374.

(6)Ch.R.Ageron, ***Les Algériens musulmans***, T.2, op.cit, p.1177.

الاتراك قعدوا يصلوا في استانبول جملوا	الكل أخذهم الندمـــــان
يطلبوا فرنسا تسامحهم هي لـــــيهم	عملت قبل فيهم الإحسان
ماتت كثرة من الألمـــــان الفسيـــان	مافينا كثـــرة نقصـــان
الحمد لله مـــــاضاع منا إلا القـليل	نصرنا مولانا الـــــرحمن
ضرب الليل علينا قبل والنصر حصل	مـــلكنا أرض الألمـــان

كما حرصـت فرنسـا من خلال دعايتها على إقناع الجزائريين أنها تحارب السـلطة الحاكمة في تركيا، وليس الشـعب التركي ولا المسـلمين، فبعد الهجوم البحري الألماني على السـواحل الجزائرية في4 أوت 1914 وجه الحاكم العام نداء إلى الجزائريين قائلا: "إن فخا نصـــب للإســـلام، ولكنكم سـتكتشـفون بنظرتكم البعيدة بولائكم المعتاد، أنكم سـوف لن تنخدعوا بهذه المناورات الألمانية إنكم سـوف تضـربون عرض الحائط بالاسـتفزازات النفاقية الألمانية والدولة العثمانية التي تريد أن تسـتغل عواطفكم الدينية". ثم سـألهم أن يكونوا مخلصـين لفرنسـا،[1] ومن خلال خطابه كان يبين حسـن سياسة فرنسا، كما استغل هو أيضا العاطفة الدينية لدى الجزائريين مستدلا بالأحاديث النبوية. وأراد اقناعهم أن الصـراع لايدور بين فرنسـا والإسـلام أو المجتمعات الإسـلامية، إنما المقصـود هو الحكومة التركية وحليفتها ألمانيا.[2]

تولى الدعاية الفرنسية في الجزائر بعض الصحفيين الفرنسيين ومنهم أندري سرفييه حيث كتب " (Le Peril de L'avenire)بالإضـــافة إلى مقالاته (La Nationalisme musulmane) وكتب (Panislamisme, Khalifan) حيث بين علاقة الألمان مع تركيا، وإرادة تتريك الشـــبان الجزائريين. كما كانت كتابات جون مليا (Jean Mellia) وبخاصـة كتابة (L'Algérie et la guerre) وسـيلة دعائية بالدرجة الأولى، وأيضـا أوغسـتن برنارد (Augustin Bernard) وجوزيف ديسـبارمي (J. Desparmet)، وعرف عن الأخير اهتمامه بالمجتمع الجزائري المسـلم حيث درس تطوره الديني والسياسي، فجمع الكثيرمن تراثه وبخاصة الشعر الشعبي والأمثال والقصص الشعبية، كما كتب عدة مقالات في المجلة الإفريقية "R.A" وإفريقية الفرنسـية"A.F" وكتب مقالا مطولا عن العاطفة التركية في الجزائر في نشـــريـات الجمعيـة الجغرافيـة للجزائر وشمـال إفريقيـا (*Bulletin de la Société de*

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص.249.

[2] Ali Merad, "Le Turcophilie…, p.347.

."*géographie d'Alger et de l'Afrique du nord*"، ويغلب على مقالاته طابع المرافعة عن الأوربيين في الجزائر والدفاع عن المصالح الاستعمارية، ومن الصحف الفرنسية التي اهتمت بموضوع الجامعة الإسلامية والنهضة العربية: Le *Temps, Akhbar, La Dépêche colonial*.

المطلب الثالث: استغلال رجال السلك الديني في الدعاية

تميزت السياسة الفرنسية منذ بداية الاحتلال بمحاربة الدين الإسلامي، فخالفت وعدها باحترامه، وبدأت مشاريعها بالقضاء عليه، فقامت بمصادرة الأوقاف والتضييق على التعليم العربي الإسلامي وتدجين القضاة ومراقبة المنشورات...، يقول ألفرد لو شاتلييه: "إن الإسلام في الجزائر فقد روحه...ففي ثمانين سنة صنعنا إسلاما فريدا من نوعه في العالم: إسلام من دون حبوس ومساجد إدارية وقوانين إحصاء وقضاة موظفون وحج برخصة..."[1].لكن مع بداية الدعاية الألمانية-العثمانية واستغلالهم للخلافة ولفكرة الجهاد في الحرب بدا للفرنسيين سياسة جديدة تجاه الإسلام، هي استغلاله في الدعاية وهذا مالفت انتباه البرلمانيين الفرنسيين فسموه "الإسلام الفرنسي"، وشعروا أن هذا "اكتشاف"[2]، لهذا السبب وتحت ضغط الظروف الدولية أرخت السلطات الفرنسية قليلا للمسلمين، ومن جهة أخرى كانوا متخوفين من هذه السياسة فقد جاء في A.F[3]: "يجب أن نتقدم بحذر فكل قضايا المسلمين حساسة حتى في وقت السلم".

وجدت فرنسا نفسها أمام الدعاية الألمانية –العثمانية التي اعتمدت على الثقل الديني للخلافة، مضطرة إلى إيجاد ثقل ديني يضفي على سياستها الإسلامية الشرعية، ويكسبها مكانة بين المسلمين،[4] فقد كثرت في الفترة التصريحات الموجهة والتصريحات المضادة لها والمناشير السرية وأخبار الحرب من الجنود والمهاجرين، فكانت فترة مشحونة ومتوترة يشوبها الغموض والالتباس في كثير من الأمور.

---

(1) P. Le Pautremat, op.cit., p.30.

(2) A.F. N°10-12, octobre- décembre 1915, p.291.

(3) Ibid.

(4) التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص. 348.

اتبعت فرنسا خطى ألمانيا في الدعاية حيث بدأت باستغلال رجال الدين، ولم يكن لها السيطرة سوى على رجال السلك الديني الرسميين، أو بعض شيوخ الطرق الصوفية، فقد جاء في رسالة من وزير الحربية الفرنسي إلى قائد القوات المسلحة بشمال إفريقيا والحاكم العام بالجزائر حول تأثير الدعاية الألمانية-التركية وكيفية مجابهتها حيث يقول: "اعتقد في الواقع أن الزعماء الدينيين هم الوحيدون الذين لهم تأثير في الرأي العام الإسلامي، وفي الرد على نداء تركيا والحصول على دعاية مضادة. نحصل عليها من الطرق الدينية بكل الوسائل الأقل شبهة في عيون الأهالي. ومن جانب الحكومة من طرف شخصيات الأهالي التي تشغل وظائف رسمية".[1]

يذهب كثير من الباحثين[2] إلى أن فرنسا حملت رجال الدين على كتابة فتاوى وتصريحات تنكر على تركيا انضمامها للحرب إلى جانب ألمانيا، وقد تولت نشرها مجلة العالم الإسلامي"R.M.M"[3].فقد جاء في الصفحة الأولى من هذا العدد وهي صفحة الفهرس"رسائل وشهادات تأييد رجال الدين المسلمين والشخصيات الإسلامية" وشملت كل إفريقيا الغربية وتونس والجزائر والمغرب، وكما هو معلوم أن فرنسا في مشروعها لمواجهة الجامعة الإسلامية شمل كل المستعمرات الفرنسية وحتى غير الفرنسية، لذلك جمعت هذه الشهادات ومعظمها من شيوخ الطرق الصوفية، وكان عددها بالنسبة لإفريقيا الغربية 28 رسالة تأييد بعضها على شكل شعر، بالإضافة إلى رسائل تأييد المهاجرين المسلمين من مختلف الأقطار إلى إفريقية الغربية، أما الرسائل الموجهة من الجزائر فعددها 15 رسالة ممضاة من طرف شيوخ أكبر الطرق الصوفية في الجزائر منها شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية الهامل ببوسعادة، وشيخ زاوية أولاد جلال، وعدة رسائل من شيوخ زوايا الطريقة التيجانية والمعروفة بتأييدها للفرنسيين منذ بداية الاحتلال، بالإضافة إلى شيوخ الطريقة القادرية بتقرت والشاذلية بقصر البخاري والدرقاوية والطيبية، وتكوك شيخ الطريقة السنوسية بأولاد شافع. وكان على رأس

---

(1) A.D.M.A.E, Le Ministre de la Guerre à Général Commandant de l'Afrique Nord En communication à Gouverneur Général, Série 8, Guerre 1914-1918, Bobine 75, Carton 1650.

(2) أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص-ص380-382. أحمد صاري، مرجع سابق، ص.ص26-27؛ الصادق دهاش، مرجع سابق، ص.ص.318-323، التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.348.

(3) Décembre 1914 (29).

الرسائل فتاوى ابن الموهوب المفتي المالكي بقسنطينة و عبد الكريم باشطرزي المفتي الحنفي بقسنطينة وجاء في نص الفتوى أن ثلاثة عشر من أعيان قسنطينة يؤيدونها منهم محمد بن الشيخ الفقون ومحمد مصطفى بن باديس "والد الشيخ ابن باديس" وعبد القادر بن الشيخ حسين، والسعيد عمران مقدم الطريقة الشاذلية، وهؤلاء جميعا قدموا نصائحهم للمسلمين الجزائريين بالإخلاص لفرنسا وإعانتها على أعدائها حيث يقول: "اسمعوا وأطيعوا واصدقوا تكونوا من المسلمين الكاملين العارفين..."[1] وينصحهم بعدم التدخل في السياسة كما أصدر أيضا مفتيا العاصمة اللذان لم يذكر اسمهما فتوى مشابهة تنصح المسلمين "بعدم اتباع شيطان الألمان"، وأعلنا أيضا خضوعهما لفرنسا ورغبتهما في الاستظلال بظلها.[2]

فمضمون هذه الفتاوى والرسائل والشهادات ينكر بالدرجة الأولى على تركيا انضمامها إلى صف ألمانيا، ومحاربتها فرنسا "صاحبة الأفضال" ورفضهم للحرب التي أعلنتها ألمانيا. وإن اختلف أسلوب هذه الرسائل فكلها يصب في قالب واحد وهو تأييد فرنسا، ويد الإدارة الفرنسية غير خافية فيها. فقد أخبرنا أوغسطين بيرك أن بعض موظفي السلك الديني في الجزائر كانوا من رجال المخابرات الفرنسية لذلك يتم اختيارهم بدقة.[3] ثم بقراءتنا لهذه النصوص نجد أنه لاتوجد إمضاءات هؤلاء على الرغم من وجود الختم في بعضها، ثم معظمها غير موثق بالتاريخ، والأغرب من هذا كله أن بعض الرسائل مؤرخة في فيفري ومارس 1915 بينما المجلة صدرت في ديسمبر 1914. ثم كيف جمع كل هذا العدد من الرسائل والشهادات في زمن قياسي في أقل من شهرين من إعلان تركيا الجهاد؟، مع بعد المسافات وبخاصة أن كثيرا من الزوايا موجود في الصحراء وفي غربي إفريقيا. ففي رسالة من الحاكم العالم بالجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 13 نوفمبر 1914 إشارة إلى صعوبة الاتصال بهم، يبدو منها أنهم بدأوا يفكرون في جمع تأييد كل أعيان الجزائر من قضاة ومنتخبين... وكانت تخوفاتهم كبيرة جدا من شيوخ الطرق الصوفية خاصة الكبرى منها الرحمانية والسنوسية، وجاء في الرسالة "إن الاتصال بالزوايا الأم للطرق الصوفية يستغرق وقتا وذلك لبعد المسافات..."،[4] ومهما يكن من أمر

---

(1) **R.M.M**, 1914(29), p.184.

(2) Ibib, p.179

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص.382.

(4) A.D.M.A.E, Le Gouverneur Général à Ministère des affaires étrangères, Série 8, Guerre 1914-1918, Bobine 75, Carton 1650.

فهؤلاء كانوا طوع الإدارة الفرنسية، ويستغرب أبو القاسم سعد الله أنهم إذا لم يكونوا موافقين فلماذا لم ينكروا؟ ولم يسمع أن أحدا منهم استقال من منصبه وظلوا في وظائفهم إلى أن ماتوا.[1]

كما سخرت السلطات الفرنسية رجال السلك الديني للرد على المنشورات المضادة لفرنسا، ومنها ماكتبه رابح بوكبوية والذي سمى نفسه "الحاج عبدالله" فقد فر من الجيش الفرنسي إلى المعسكر الألماني وانضم إلى صف الدعاية الألمانية التركية، وكتب "*L'Islam dans l'armée Française*"[2] وكتب أيضا "Les *Soldats Musulmans au service de la France*" شهّر في الكتابين بالمعاملة السيئة للجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي،[3] وقد تولى الرد عليه مفتي الأصنام ومدرسها بومرزاق الونوغي المقراني حفيد الحاج محمد بن أحمد المقراني، الذي أُلحق في سنة 1915 بالحكومة العسكرية الفرنسية بباريس كإمام لدى العساكر المسلمين، وشاركه في الرد عبد الرحمن القرطانجي الذي كان يشغل خطة عدل بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر وأُرسل هو الآخر إلى فرنسا كإمام.

كتبا الرد باللغة العربية ثم ترجم إلى الفرنسية بعنوان " *L'Islam dans l'armée Française*"[4] *ويبدو* من مقدمة الكتاب أن الكاتبين لم يقرآ النسخة الأصلية التي كتبها بوكبوية وإنما ترجمت لهما وكان الرد باللغة العربية، وينكر الكاتبان أن يكون "الحاج عبد الله" جنديا في الجيش الفرنسي، ويبدو أنه غير اسمه بعد فراره من الجيش. فقد ردا على كل النقاط التي أثارها الحاج عبد الله عن المعاملة السيئة للجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي، وبينا عدالة فرنسا ورحمتها بجنود الأهالي. وألحقا الكتاب بصور لمستشفى خاص بالعساكر المسلمين الجزائريين والتونسيين، كدليل على اعتناء

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص382

(2) Lieutenant el Hadj Abdallah, ***L'Islam dans l'armée Française, Guerre de(1914-1915)***, Constantinople, 1915.

(3) حسب منيبه اعتمادا على قول الحاكم العام:" أن رابح بوكبوية سليل مدينة ميلة، صهر قاضي المالكية بقسنطينة سي زبير علاوة بن الساسي، وهو من "الشبان الجزائريين" صديق موسى بن شنوف والمحامي مختار، وكان رابح بوكبوية ذكي جدا ومعتدل، وكان محترما من رجاله وقائده. وبتمرده من الجيش الفرنسي لحقه 78 جنديا وضابطا معظمهم من قطاع قسنطينة، وقد أثار هروبه هلعا وجدلا لدى السلطات الفرنسية" G.Meynier, op.cit, p.453

(4) Mokrani Boumezraq El-Ouennoughi, Katrandji Abderrahmane, ***L'Islam dans l'Armée Française***, traduction, s.i et s.d.

فرنسا بجرحى الجنود من الأهالي، وصورة لمسجد نوجاسورمارن وصورة لمقبرة للمسلمين، كما ألحق الكتاب بشهادات وفتاوى ورسائل بعض شيوخ الطرق الصوفية، ومفتيي المذهبين المالكي والحنفي بقسنطينة، والتي نشرت في مجلة العالم الإسلامي، وسبق لنا ذكرها.

ونظرا لفرار الجنود الأهالي من المعارك وانضمامهم إلى الجيش التركي والألماني، فقد أولت السلطات الفرنسية اهتماما كبيرا في الدعاية في وسط الجنود، كما كانت تراقب الرسائل التي ترسل إليهم وفي كثير من الأحيان تمنعها. وقد كانت السلطات الفرنسية تراقب الجنود المسلمين سواء في أوربا أم في المشرق العربي وفي إفريقيا، واستمرت المراقبة إلى مابعد الحرب، فقد كانوا يمنعون من الذهاب إلى مقاهي الذين لهم نفس جنسيتهم، أو المشاركة في الاجتماعات، كما منعت عنهم الجرائد المؤثرة، وراقبت تنقل الجنود الجزائريين والتونسيين بين بلدانهم وفرنسا. كما أنشأت مقاهي ونوادي خاصة بجنود الأهالي تدار من طرف فرنسيين لهم معرفة تامة بالأهالي. وفي سنة 1934 منع وزير الحرب تداول اليوميات والأسبوعيات ذات الاتجاه الإصلاحي والوطني مثل الأمة والشهاب.[1] فبعد أن كانت السلطات الفرنسية تتخوف من الجامعة الإسلامية أصبحت تتخوف من الإصلاح والوطنية.

المطلب الرابع: الاستشراق والتبشير

يعرّف إدوارد سعيد المستشرق بأنه "كل من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه ويسري ذلك سواء كان المرء مختصا بعلم الإنسان "الأنثروبولوجي"، أو بعلم الاجتماع أو مؤرخا أو فقيه لغة "فيلولوجيا" في جوانبه المحددة والعامة على السواء هو مستشرق، وما يقوم به هو استشراق".[2] وعرف مالك بن نبي المستشرقين بأنهم "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية"،[3] وينبغي الإشارة هنا أن الاستشراق له وجه مزدوج[4] فهناك

---

(1) P. Le Pautremat, op.cit., p.p.183-184

(2) إدوارد سعيد، **الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء**، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط.6، لبنان، 2003، ص.38.

(3) مالك بن نبي، **انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ط.1، دار الإرشاد، بيروت، 1969، ص.5.

(4) مولود عويمر، **مقاربات في الاستشراق والاستغراب**، ط.1، دار جسور، الجزائر، 2013، ص.ص.78-79.

مستشرقون شككوا في يقينيات المسلمين، واهتموا بالدراسات الإسلامية والتاريخ واللغة...وساهموا في ترسيخ الظاهرة الاستعمارية، وارتبط الاستشراق في كثير من الحالات مع التبشير، وكثير من المستشرقين مبشرين. وهناك من المستشرقين الذين قدموا خدمات جليلة للثقافة الإسلامية وخاصة المدرسة الاستشراقية الألمانية،[1] حيث نفضوا الغبار عن العديد من كتب التراث. ويرى مالك بن نبي أن الاستشراق نوعان: نوع هاجم المسلمين والنوع الثاني مدحهم، وكلاهما شر على المجتمع الإسلامي، سواء في صورة المدح والإطراء لأن فيه إبعاد عن واقعنا الحقيقي، أو في حالة الإقلال من شأننا، فينبغي أن نقف على بصيرة لمختلف أوجه الاستشراق.[2]

مايهمنا في الموضوع هو الاستشراق الذي رافق الحركة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وساهم في ترويض الشرق لقبول الاستعمار وبمساعدة المبشرين، وسنأخذ بعض مظاهر الاستشراق الفرنسي الذي اتخذته السلطات الفرنسية كوسيلة للتوسع والسيطرة ثم لمواجهة الجامعة الاسلامية. والمعروف أن المستشرقين الفرنسيين كانوا مرتبطين بالإدارة الفرنسية ارتباطا سياسيا، وكانوا يحصلون على الدعم من طرف لجنة إفريقيا الفرنسية، والتي كان مقرها بباريس، ومن قبل زعماء المعمرين أمثال يوجين إيتيان ومن الجامعات الفرنسية واللوبي الاستعماري عموما.[3]

كان اهتمام المستشرقين الفرنسيين منذ بداية الاحتلال بترجمة النصوص الإسلامية، ودراسة اللغة العربية ولهجاتها والبربرية ولهجاتها، وتاريخ الجزائر والمغرب العربي عموما مع التركيز على الفترة الرومانية. كما اهتموا بالفلكلور والإسلام كدين وعقيدة وتعليم وكتصوف ومرابطين وممارسات طقوسية.[4] وخلال الخمسين سنة الأولى من الاحتلال كانت دراساتهم استكشافية يتعلمون اللغة ويتعرفون على العادات والتقاليد لفهم المجتمع والتعامل معه، لكن مع نهاية القرن التاسع عشر، وبهزيمة فرنسا أمام ألمانيا اهتمت فرنسا بالتعليم العالي حيث أدخلت نظام "السمينار" الألماني، وأعيد تنظيم السربون، وأدخل كرسي اللغة العربية العامية بباريس ثم كرسي آخر للغة البربرية، وتحولت كلية الآداب

---

[1] للتوسع إنتاج المدرسة الألمانية: صلاح المنجد وآخرون، **المستشرقون الألمان، تراجمهم ومأأسهموا به في الدراسات العربية**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1978.

[2] مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين**...، المصدر السابق، ص. 25

[3] الطاهر عمري، مرجع سابق، ص.161.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، مرجع سابق، ص.42

بالجزائر إلى جامعة في سنة 1909. وعقد مؤتمر المستشرقين في 1905 وفي كل هذا دفع لحركة الاستشراق في الجزائر والمستعمرات الفرنسية.

في هذه المرحلة ظهر الخطر الألماني والجامعة الإسلامية فازداد اهتمامهم باللغة العربية واللهجات المحلية يقول أبو القاسم سعد الله إن فترة (1879-1930) عرفت انطلاقة كبيرة لدراسة اللهجات العربية بشكل لافت للنظر".[1] والواقع أنه لم يكن هذا الاتجاه خاصا بالاستشراق الفرنسي بل الاستشراق عامة واهتم باللغات الشرقية العربية وغير العربية. ويرجع اهتمام المستشرقين باللغة العربية لأدراكهم أنها من أهم الروابط التي تجمع المسلمين وتوحدهم، كما أنها لغة القرآن الكريم. فقد كان جهدهم منصبا على أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي ويحل محله الحرف اللاتيني، لقطع صلة العرب بدينهم وأدبهم ولغتهم، فادعى المستشرقون أن اللغة العربية لم تعد تصلح لتطور المجتمع وغير مواكبة للعصر، وأن اللغات العامية الدارجة أفضل حلا وأنفع شأنا وأكثر التصاقا بمعاشه وأفضل وسيلة لوحدة أبنائه.[2]لذلك أنشأت السلطات الفرنسية المدارس العربية –الفرنسية بهدف بث الثقافة الفرنسية عن طريق العربية الدراجة، وتكفل بتسييرها والتدريس بها مستشرقون ومبشرون. كما اهتموا باللهجات المحلية، فدرسوا لهجة كل مدينة وكل جهة تقريبا: تلمسان، ندرومة، بسكرة...، وظهرت قواميس اللهجات المحلية وحاولوا أن يجعلوا لها قواعد وكتبا وتمارين، وأخذ هذا التقسيم اللغوي يُوسع ويأخذ طابعا عرفيا سياسيا، فقسم الجزائريون في المجلس النيابي "اللجان المالية" إلى عرب وقبائل.[3]فقد كانت الحملة على اللغة العربية حملة على وحدة المسلمين ودينهم، وكانت أمنية المستعمرين أن يكون القرآن لاصلة له بالحياة بحيث يقرأه المسلمون من غير أن يفهموا منه شيئا.

كما اهتم المستشرقون بالتشكيك في الدين الإسلامي ومحاربته، فقد كان للغرب ولقرون طويلة نظرة خاطئة عن الإسلام، وكان تركيز المستشرقين على الممارسات الدينية الخاطئة للمسلمين ومظاهر التصوف والشعوذة...كما كانوا ينظرون إلى الإسلام بوجه العداء، والحل الوحيد في نظرهم هو تدمير هذا الدين الذي يقف في طريق توسعهم. وقد سبق أن ذكرنا أن من المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية وهاجموا الإسلام "أرنست رينان" فقد ألقى خطابه الافتتاحي في

---

[1] المرجع نفسه، ص.53.

[2] منذر معاليقي، **الاستشراق في الميزان**، ط.1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1997، ص. 32.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، مرجع ساق، ص.56.

الكوليج دو فرانس بعنوان "نصيب الشعوب السامية في تاريخ الحضارة"، وكان ذلك بتاريخ 23 فيفري 1862، حيث يقول: "في هذا الوقت المناسب الشرط الأساسي لتمكين الحضارة الأوربية من الانتشار هو تدمير كل ماله علاقة بالسامية الحقة، تدمير سلطة الإسلام الثيوقراطية لأن الإسلام لايستطيع البقاء إلا كدين رسمي وعندما يختزل إلى وضع دين حر وفردي فإنه سينقرض. هذه الحرب الدائمة، الحرب التي لن تتوقف إلا عندما يموت آخر أولاد إسماعيل بؤسا أو يرغمه الإرهاب على أن ينبذ في الصحراء مكانا قصيا، الإسلام هو النفي الكامل لأوربا، الإسلام هو التعصب، الإسلام هو احتقار العلم، والقضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي المرعبة، ضيق في الفكر الإنساني يغلقه من دون فكرة دقيقة، من دون كل عاطفة لطيفة، من دون بحث عقلاني ليضعه أمام حشو سرمدي".[1]

ومن المستشرقين الذين خدموا الإدارة الفرنسية في الجزائر وأظهروا حقدهم وكراهتهم لكل ماهو عربي أومسلم أو أهلي "ألفرد بيل" الذي تولى إدارة مدرسة تلمسان لمدة طويلة. وهناك مستشرق آخر جمع بين الاستشراق والتبشير هو "ألفرد لو شاتلييه"، فقد عمل في مناطق عديدة من الجزائر لتسهيل المد الاستعماري في الجنوب، وكانت له نظرة خاصة للإسلام حيث يرى أن الإسلام استيقظ بقوة من المغرب الأقصى إلى أفغانستان، وهو يفرق بين الإسلام الآسيوي والإسلام الإفريقي. كما أسس مجلة العالم الإسلامي "R.M.M" التي ضربت مثلا في السرعة والعمل الجماعي فأصدرت مابين سنتي 1906-1925 اثنين وستين (62) عددا وكتب فيها لويس ماسنيون وغيره من المستشرقين.[2] وقد صبغت مقالاتها في البداية بالصبغة العلمية ولكن بعد التوسع الاستعماري في شمال إفريقيا ظهر الاتجاه الحقيقي للمجلة فنشر ألفرد لو شاتلييه مقالا مطولا عن "فتح العالم الإسلامي" وتناول إرساليات التبشر والبروتستانتية، وقد لاحظ محررو جريدة المؤيد المصرية هذا التحول في اتجاه المجلة، لذلك قام محب الدين الخطيب ومساعد اليافي بترجمة مقال "فتح العالم الإسلامي" بعنوان "الغارة على العالم

---

[1] إبراهيم الفيومي، **الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994، ص.42.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، مرجع سابق، ص. 75.

الإسلامي" ونشر مسلسلا في المؤيد وتناقلته بعض الجرائد مثل الفتح والمنار المصرية والإخاء العثماني اللبنانية، ثم نشر على شكل كتاب.[1]

في هذا المقال يتناول مؤتمرات المبشرين وبخاصة مؤتمر القاهرة لسنة 1906 ومؤتمر "لكنو" بالهند سنة 1911، وينبغي الإشارة إلى المسائل التي تناولها المؤتمر الأخير وهي إحصاء المسلمين وحالتهم السياسية وارتقاؤها. وماطرأ على المسلمين من انقلابات سياسية بعد مؤتمر القاهرة، كما تناول مسألة الجامعة الإسلامية وقد لاحظ القسيس نلسن أن الجامعة الإسلامية قد ضعفت كثيرا بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، لكن روح التضامن بين المسلمين مازالت، ويتجلى ذلك في الحج فهو يجمع كل المسلمين، من عرب وهنود وترك وفرس... بالإضافة إلى مختلف المذاهب من السنة والشيعة...، وعلى الرغم من ذلك يرى أن"الجامعة الإسلامية لفظ وهمي لاثمرة له غير توليد الأحلام التي تقلق رجال السياسة"[2] بينما القسيس ورنز فيرى أن مكة والطرق الصوفية هي أكبر العوامل لجمع المسلمين. ورأى المؤتمرون ضرورة تكثيف الحملات التبشيرية لإضعاف وحدة المسلمين وإبعادهم عن دينهم، خاصة في إفريقيا السوداء. ومن هنا نرى أن التبشير والاستشراق قد اتفقا على محاربة الإسلام والسيطرة على المسلمين.[3]

لعل هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في سنة 1870 وظهور قوى دولية جديدة، وبداية يقظة العالم الإسلامي حتم على الساسة الفرنسيين تجهيز كل الطاقات للمواجهة، ومنها دعم الاستشراق والدراسات العربية الإسلامية، فقد ظهرت في فرنسا في سنة 1873 فكرة "مؤتمرات دورية عالمية للمستشرقين"، أسسها المستشرقون الفرنسيون بدعم كافة مستشرقي العالم، وعلى الرغم من أن أهداف المؤتمرات غير معلنة،[4] إلا أن تصريحات بعض المستشرقين تدل على هدفها فقد قال

---

[1] أ.ل. شاتوليه، **الغارة على العالم الإسلامي**، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، دار مدني، الجزائر، 2002.

[2] المصدر نفسه، ص.113.

[3] المصدر نفسه، ص.ص.114-116.

[4] المحسن بن علي بن صالح السويسي، **مؤتمرات المستشرقين العالمية، نشاتها، تكوينها، أهدافها**، أطروحة دكتوراه، قسم الاستشراق، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1998، ص.80.

(F. Guillén Râbles) في المؤتمر العالمي الخامس ببرلين في سنة 1881: "لنا دافعان يجبراننا على أن نولي اهتماما جديا فيما يتعلق بالدراسات العربية... فالأول ذو مصلحة أدبية تاريخية، والآخر سياسية اقتصادية أي مصلحة توسعية".[1]وفي المؤتمر الرابع عشر الذي عقد في الجزائر في 1905 قال رينان: "إن غزو فرنسا للجزائر سيكون مجدا لفرنسا لما للجزائر من ثروات معدنية.."[2].

ويعد المؤتمر الذي عقد بالجزائر ذو أهمية كبرى لأنه أول مؤتمر يعقد خارج أوربا، وللموضوع الذي تم اختياره، فقد تعمق أكثر من غيره من المؤتمرات السابقة وكثير من اللاحقة في الدراسات العربية الإسلامية. حضر المؤتمر ستمائة مشارك، وهو عدد ضخم مقارنة ببقية المؤتمرات، وحضره خمسون من الأهالي الجزائريين،[3] كما حضره عبد العزيز جاويش ومحمد فريد المصري وسلطان محمد ومحمد عسل...وغيرهم من المسلمين.[4]وقد أشار الحاكم العام شارل جونار في خطابه الافتتاحي "إلى كون نتائج أعمال المؤتمر سوف يكون لها تطبيقاتها في الميدان العملي"، إذ أنها تشكل دروسا للسياسيين والإداريين وحتى للمعمرين، إذ أنها بتوضيحها لتقاليد وعادات الشعوب الإسلامية تساهم في حل المشكلات العويصة التي تفرضها الاختلافات العرقية والدينية".[5]

وقد أخذ التعليم حظه في المؤتمر حيث قال M.Royer رئيس بلدية العاصمة: "إنه من خلال المدرسة تنطفئ أحقاد الماضي لدى المهزومين "يقصد الجزائريين" كما أن المدرسة هي التي تشكل عاملا في الإدماج".[6] فالتعليم هو الوسيلة الأكثر نجاعة في توجيه الجيل لذا كان تركيز المستشرقين والمبشرين عليها، وكذلك كانت محور اهتمام رجال الإصلاح المسلمين، ونفس الفكرة نجدها عند وزير التربية الفرنسي حيث قال في اختتام أشغال المؤتمر: "إن المعلمين في الجزائر أكثر من أي بقعة أخرى قاموا بعمل جد هام في سبيل إدخال اللغة والتفكير الفرنسيين في كل مكان".[7]

---

[1] المرجع نفسه، ص.109.

[2] المرجع نفسه، ص. 134.

[3] المرجع نفسه، ص.295.

[4] أنور الجندي، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، مرجع سابق، ص.113.

[5] R.A, N°49, 1905, p.p.265-266

[6] R.A, N°49, 1905, P300

[7] Ibid, p.301

ولعل حضور بعض الشخصيات المتأثرة الجامعة الإسلامية مثل عبد العزيز جاويش، أو من الجزائريين الغيورين على دينهم ولغتهم ووطنهم، جعل المناقشات حادة بين هؤلاء المسلمين وأولئك المستشرقين، فقد قدم محمد عسل كلمة عن اللغة العربية وقال إنها غنية بنفسها، ويمكن للإنسان أن يستغني بها عن غيرها في وضع أسماء المخترعات الحديثة.[1] أما عبد العزيز جاويش فقد قدم مداخلة نقد فيها آراء المستشرق الألماني "فولرس" متخليا عن مساهمته الأصلية التي كانت بعنوان: "الإسلام ديانة فطرية ودور المرأة المسلمة"، فمداخلة فولرس أحدثت ردة فعل غاضبة من المسلمين الحاضرين، حتى أنهم هموا بمغادرة قاعة المحاضرة، وطالب العديد منهم بترجمة تلك المحاضرة حتى يمكن الرد عليها بحجج قاطعة.[2]

وينقل لنا محمد فريد المصري تأثير رد عبد العزيز جاويش على فولرس حيث يقول: "لما انتهى الشيخ جاويش قام فولرس والخزي والعار باد على وجهه، وتقدم إلى الرئيس وطلب بصوت خافت أن يسحب موضوعه لكيلا ينشر في أعمال المؤتمر، وكذلك لاينشر تفنيد الشيخ جاويش.."،[3]كما قدم أحد موظفي الحكومة "روبر" بحثا عن عوائد العرب في مقاطعة وهران ونسب إلى الدين الإسلامي أمورا مشينة –كما ذكر ذلك محمد فريد– وتولى الرد عليه شاب جزائري يسمى محمد بن الحاج سعيد وطلب منه أن يقدم دليلا على مايقول، فقال الفرنسي : لم أقصد إهانة الدين الإسلامي، وطلب أحد مدرسي مدرسة تلمسان من الرئيس أن يسحب كل ماقاله "روبر" ولايدرجه في أعمال المؤتمر. يقول محمد فريد: "لقد أظهر الجزائريون في هذه الحادثة ما لم أكن أتوقعه منهم بالنسبة لقسوة الفرنسيين في معاملتهم، وأخشى أن ينتقموا منهم فيما بعد".[4]

تبين لنا أنه سيطر على مسار المؤتمر السبغة السياسية، كما بدا واضحا الصراع الفكري وتأثيرات الجامعة الإسلامية، فقد كان الحاكم العام هو الذي عين اللجنة التنظيمية للمؤتمر،[5] وانعقد تحت رعايته، وكانت مداخلات المستشرقين تقوم على الهجوم على الإسلام واللغة العربية، وقد

---

[1] أنور الجندي، **الفكر والثقافة**...، مرجع سابق، ص.114.

[2] المحسن بن علي، مرجع سابق، ص. 300.

[3] أنور الجندي **الفكر والثقافة**...، مرجع سابق، ص.114.

[4] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5] المحسن بن علي، مرجع سابق، ص. 295.

تصدت لها الأصوات الإسلامية القليلة الحاضرة في المؤتمر، ولاريب أن عقده في الجزائر كان له أهداف سياسية ومنها إظهار للعالم مدى عناية فرنسا بالدراسات العربية والإسلامية. ومنها مدافعة أفكار الجامعة الإسلامية والتي كانت منتشرة بكثرة في الفترة، وبدأت تأثيراتها تدخل الجزائر على من الرغم من الرقابة الفرنسية الشديدة، فأرادت السلطات الفرنسية التأثير على الفئة المثقفة من المسلمين، بعد أن اتخذت الوسائل اللازمة مع بقية فئات المجتمع، وأرادت أن تبين حسن نيتها في توجيه المسلمين إلى الحضارة الأوربية والتي هي أنسب لهم؛ لأن الإسلام واللغة العربية لم يعودا صالحين مع التقدم والحضارة الغربية في نظرها. ولكنه في الواقع هو توجيه المسلمين للسيطرة التامة عليهم فكريا وسياسيا واقتصاديا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــــاتمة

تبين لي من خلال دراستي لحركة الجامعة الإسلامية مايلي:

-أنها تقوم على أساسين وهما وحدة المسلمين والإصلاح بجانبيه السياسي والديني، وأصول هذه الأفكار موجودة في مبادئ الإسلام وتاريخه.

-كان الجزائريون قبل الاحتلال قد أبدوا آراءهم في الإصـــلاح بالدولة العثمانية، حيث دعوا إلى إصلاح النظم السياسية بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية، ولم يتأثروا بالتيارات الغربية في هذه الفترة.

-الجامعة الإســلامية كفكرة كانت موجودة لدى الجزائريين في بداية الاحتلال وبخاصــة حمدان خوجة الذي كانت كل مساعيه لربط المشكلة الجزائرية بالدولة العثمانية.

-شـــكل مشـــروع دولة الأمير عبد القادر أنموذجا تطبيقيا لفكرة الجامعة الإســـلامية في جانبها الإصلاحي، وقد سبق بذلك المشاريع الإصلاحية التي جاءت في نهاية القرن التاسع عشر.

-على الرغم من حرص الأمير على الوحدة الداخلية والتضـامن الإسـلامي، إلا أنه لم يكن يعلق أمله على الدولة العثمانية في مساعدة الجزائريين.

- كانت الجامعة الإسـلامية على شـكل أفكار منتشـرة في العالم الإسـلامي منذ بداية القرن التاسـع عشر، ثم أصبحت تشكل حركة لها دعاتها وأنصارها وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ثم تبناها السلطان عبد الحميد الثاني.

- اهتم الإصلاح الحديث بكبرى قضايا المسلمين. وقد ساهم الجزائريون فيه حيث كان تركيزهم على إصـــلاح القضـــاء والتعليم، وهي الجوانب الأكثر ارتباطا بالهوية العربية الإســـلامية، وكان للمؤثرات المشرقية وبخاصة الأفكار الإصلاحية لمحمد عبده دور في نموها وإثرائها.

-طرحت الحداثة الأوربية والاهتمام الأوربي بالعالم الشـــرقي كثيرا من القضـــايا، منها مايمس الدين الإسـلامي وتخلف المسـلمين وغيرها من القضـايا، وقد وجد دعاة الجامعة الإسـلامية أنفسـهم مجبرين على إبداء آرائهم في هذه القضـايا، وقد شـارك الجزائريون في الدفاع عن الإسـلام وأعطوا وجهة نظرهم في التخلف والتقدم، متأثرين في ذلك بمفكري المسلمين في الفترة.

- رغم الضـعف الذي كانت عليه الدولة العثمانية وعدم تقديمها المسـاعدات اللازمة للجزائريين، إلا أن أملهم ظل معقودا عليها، واستمر ذلك إلى سقوط الخلافة.

-ساهم الجزائريون في نشر أفكار الوحدة الإسلامية، وحاولوا ربط الجزائر بمحيطها العربي والإسلامي، وتفاعلوا مع التطورات الفكرية والسياسية التي كانت في بداية القرن العشرين.

- كانت هزيمة الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة وتحول تركيا إلى القومية والعلمانية، أحداثا مفصلية في تحول الفكر الإسلامي الحديث إلى الفكر الإسلامي المعاصر والذي يهتم بالهوية ومقتضياتها ووسائل المحافظة عليها، كما كان لها الأثر في تطور النضال السياسي المغاربي، والذي أصبح ينادي بالاستقلال، مستعينا في ذلك بالوحدة المغاربية بدل الوحدة الإسلامية.

- لم يكن خطر الجامعة الإسلامية بالشكل الذي صورته به وسائل الإعلام الفرنسية، وإنما كان هدفها هو تنبيه السلطات الفرنسية إلى ضرورة إحكام السيطرة على الجزائريين.

- كانت حركة الجامعة الإسلامية أكثر تأثيرا في الجزائريين في جانب الإصلاح الديني.

-فشل المشروع الوحدوي للجامعة الإسلامية في نهاية العشرينيات من القرن العشرين لأنه لم تكن هناك دولة ترعى المشروع وهو ماكان الأفغاني يبحث عنه. وظهر بدله الوحدة العربية، والوحدة المغاربية بالنسبة لدول المغرب العربي.

-على رغم الظروف التي كان يعيشها الجزائريون فإنهم قدموا لنا نماذج من دعاة الإصلاح لايقلون مكانة عن المشارقة، كما أن القمع الاستعماري الذي دفع بالجزائريين إلى الهجرة جعل منهم روادا في الحركات الفكرية والسياسية والتحريرية في تونس والمغرب والمشرق.

- لم تذهب جهود الجزائريين هباء فقد أنتجت حركة إصلاحية وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وحركة سياسية وعلى رأسها الأمير خالد الجزائري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (1)

تقرير جريدة المبشر عن الهجرة في سنة 1899

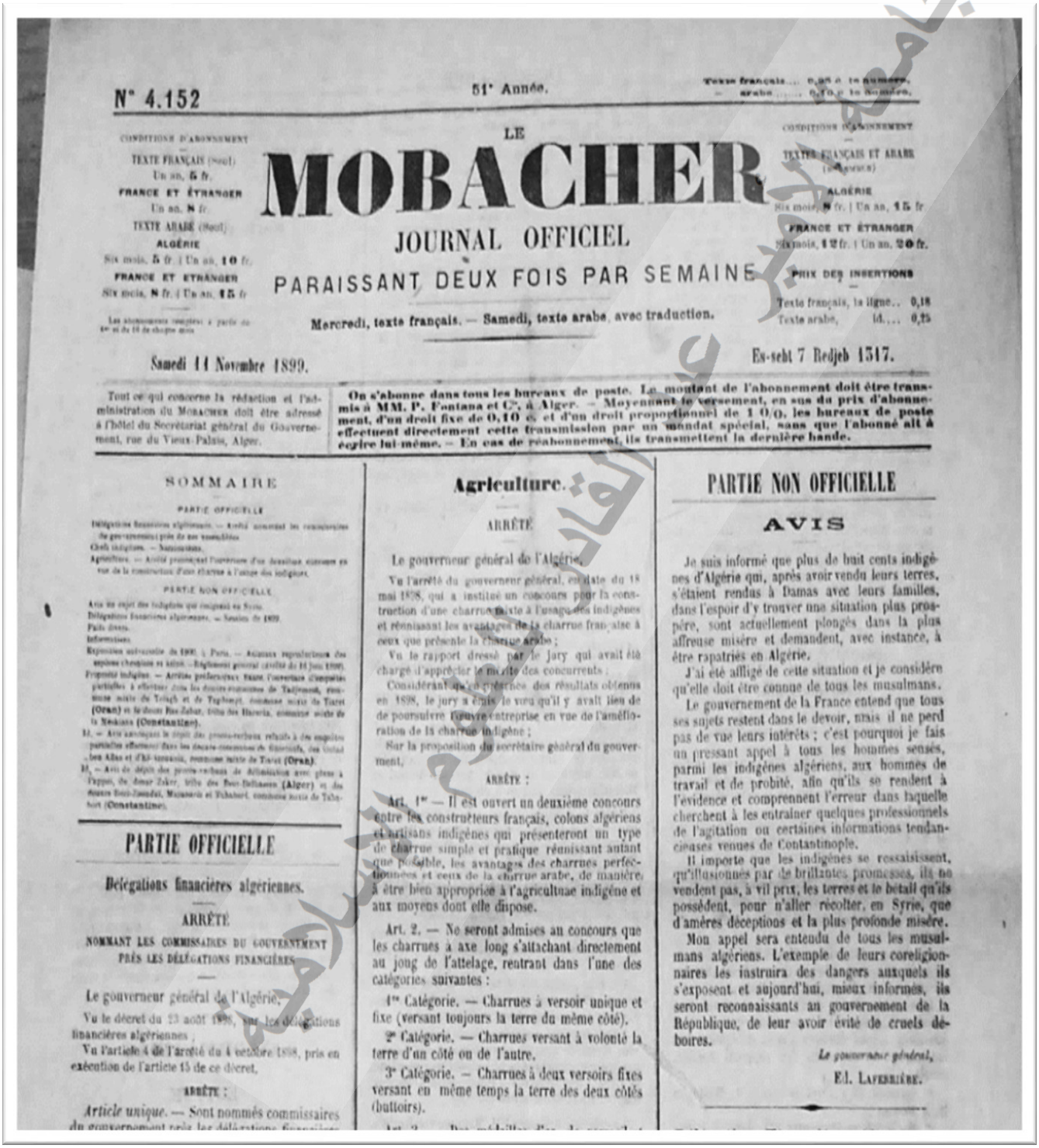

N° 4.152 — 51e Année.

LE
MOBACHER
JOURNAL OFFICIEL
PARAISSANT DEUX FOIS PAR SEMAINE

Mercredi, texte français. — Samedi, texte arabe, avec traduction.

Samedi 14 Novembre 1899. — Es-sebt 7 Redjeb 1317.

Tout ce qui concerne la rédaction et l'administration du MOBACHER doit être adressé à l'hôtel du Secrétariat général du Gouvernement, rue du Vieux-Palais, Alger.

On s'abonne dans tous les bureaux de poste. Le montant de l'abonnement doit être transmis à MM. P. Fontana et Cie, à Alger. — Moyennant le versement, en sus du prix d'abonnement, d'un droit fixe de 0,10 c. et d'un droit proportionnel de 1 0/0, les bureaux de poste effectuent directement cette transmission par un mandat spécial, sans que l'abonné ait à écrire lui-même. — En cas de réabonnement, ils transmettent la dernière bande.

SOMMAIRE

PARTIE OFFICIELLE

PARTIE NON OFFICIELLE

PARTIE OFFICIELLE

Délégations financières algériennes.

ARRÊTÉ
NOMMANT LES COMMISSAIRES DU GOUVERNEMENT PRÈS LES DÉLÉGATIONS FINANCIÈRES.

Le gouverneur général de l'Algérie,

Vu le décret du 23 août 1898, sur les délégations financières algériennes ;

Vu l'article 4 de l'arrêté du 4 octobre 1898, pris en exécution de l'article 15 de ce décret,

ARRÊTE :

Article unique. — Sont nommés commissaires du gouvernement près les délégations financières

Agriculture.

ARRÊTÉ

Le gouverneur général de l'Algérie,

Vu l'arrêté du gouverneur général, en date du 18 mai 1898, qui a institué un concours pour la construction d'une charrue mixte à l'usage des indigènes et réunissant les avantages de la charrue française à ceux que présente la charrue arabe ;

Vu le rapport dressé par le jury qui avait été chargé d'apprécier le mérite des concurrents ;

Considérant qu'en présence des résultats obtenus en 1898, le jury a émis le vœu qu'il y avait lieu de poursuivre l'œuvre entreprise en vue de l'amélioration de la charrue indigène ;

Sur la proposition du secrétaire général du gouvernement,

ARRÊTE :

Art. 1er. — Il est ouvert un deuxième concours entre les constructeurs français, colons algériens et artisans indigènes qui présenteront un type de charrue simple et pratique réunissant autant que possible, les avantages des charrues perfectionnées et ceux de la charrue arabe, de manière à être bien appropriée à l'agriculture indigène et aux moyens dont elle dispose.

Art. 2. — Ne seront admises au concours que les charrues à axe long s'attachant directement au joug de l'attelage, rentrant dans l'une des catégories suivantes :

1re Catégorie. — Charrues à versoir unique et fixe (versant toujours la terre du même côté).

2e Catégorie. — Charrues versant à volonté la terre d'un côté ou de l'autre.

3e Catégorie. — Charrues à deux versoirs fixes versant en même temps la terre des deux côtés (buttoirs).

PARTIE NON OFFICIELLE

AVIS

Je suis informé que plus de huit cents indigènes d'Algérie qui, après avoir vendu leurs terres, s'étaient rendus à Damas avec leurs familles, dans l'espoir d'y trouver une situation plus prospère, sont actuellement plongés dans la plus affreuse misère et demandent, avec instance, à être rapatriés en Algérie.

J'ai été affligé de cette situation et je considère qu'elle doit être connue de tous les musulmans.

Le gouvernement de la France entend que tous ses sujets restent dans le devoir, mais il ne perd pas de vue leurs intérêts ; c'est pourquoi je fais un pressant appel à tous les hommes sensés, parmi les indigènes algériens, aux hommes de travail et de probité, afin qu'ils se rendent à l'évidence et comprennent l'erreur dans laquelle cherchent à les entraîner quelques professionnels de l'agitation ou certaines informations tendancieuses venues de Contantinople.

Il importe que les indigènes se ressaisissent, qu'illusionnés par de brillantes promesses, ils ne vendent pas, à vil prix, les terres et le bétail qu'ils possèdent, pour n'aller récolter, en Syrie, que d'amères déceptions et la plus profonde misère.

Mon appel sera entendu de tous les musulmans algériens. L'exemple de leurs coreligionnaires les instruira des dangers auxquels ils s'exposent et aujourd'hui, mieux informés, ils seront reconnaissants au gouvernement de la République, de leur avoir évité de cruels déboires.

Le gouverneur général,

EL. LAFERRIÈRE.

المصدر: **A OM, 9H102**

ترجمة الملحق رقم (1)

علمت أن أكثر من 800 أهلي جزائري بعد مغادرتهم لأرضهم وذهابهم إلى دمشق مع عائلاتهم على أمل أن يجدوا وضعية مزدهرة أكثر لكنهم وقعوا في أوضاع سيئة جدا وطلبوا العودة إلى الجزائر، وقد تألمت كثيرا لتلك الوضعية، وترى الحكومة الفرنسية أن كل المسلمين يجب أن يقوموا بواجباتهم وهي لاتغفل عن مصالحهم، ولهذا السبب وجهنا نداء إلى كل العقلاء من الأهالي حتى يتحققوا ويفهموا الخطأ الذي يجرهم إليه دعاة الشغب وبعض المعلومات الكاذبة القادمة من القسطنطنية. يجب أن لا ينجروا وراء الوعود الكاذبة، ويبيعوا أراضهم ومواشيهم ويذهبوا إلى سورية لجني الخيبات المريرة، ندائي إلى جميع الجزائريين.

واليوم بما انهم لديهم هذه المعلومات سيكونون شاكرين للحكومة الفرنسية التي منعت عنهم المصير المأساوي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (2)

رسالة من أحد المهاجرين الجزائريين إلى الشام إلى ذويهم يدعوهم إلى الهجرة

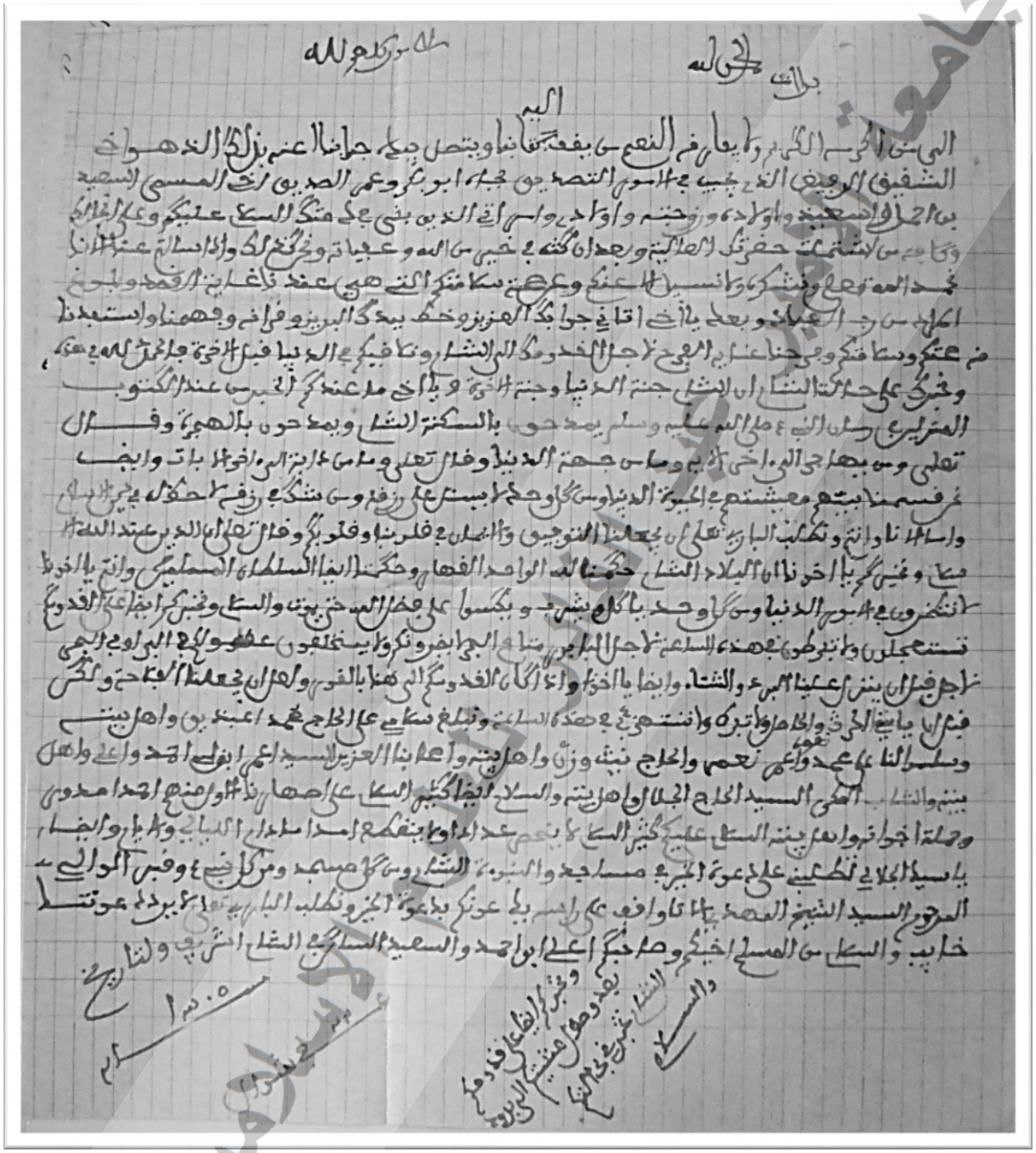

المصدر: AOM : 9H102

الملحق رقم (3)

جماعة من أهالي بريكة يطلبون الهجرة إلى الشام

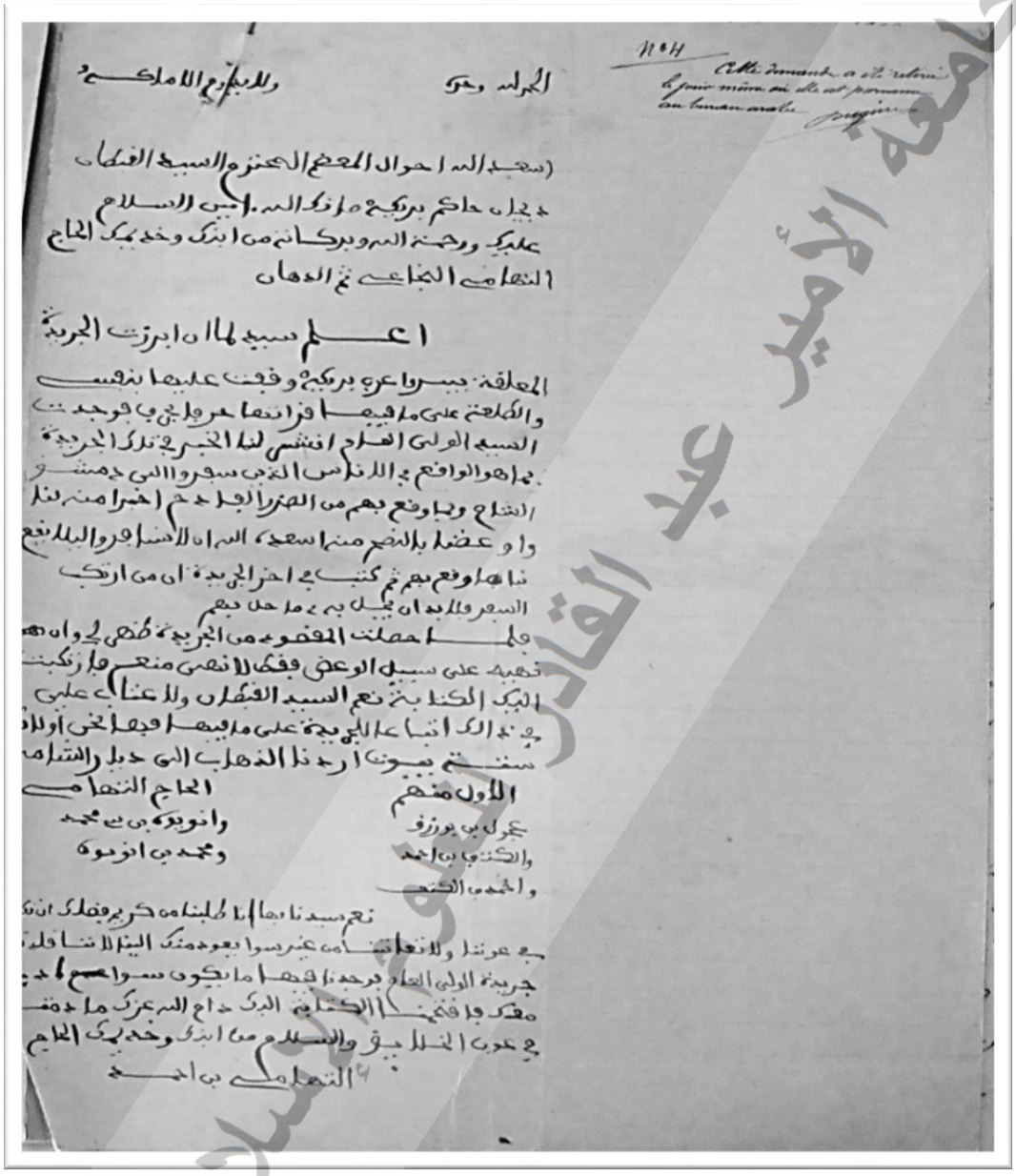

المصدر: **A.O.M . 9H102**

الملحق رقم (4)

تقرير عن زيارة الوزاني السنوسي إلى الجزائر 1893

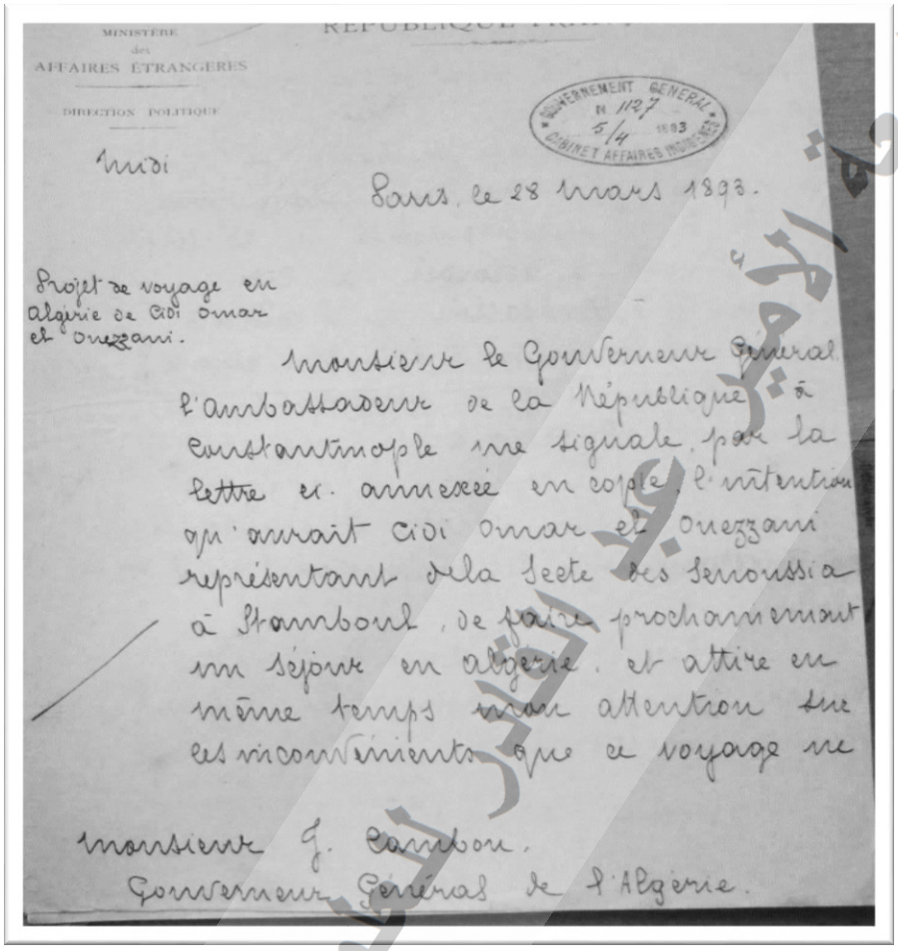
MINISTÈRE
des
AFFAIRES ÉTRANGÈRES

DIRECTION POLITIQUE

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
N. 1127
5/4
1893
CABINET AFFAIRES INDIGÈNES

Midi

Paris, le 28 mars 1893.

Projet de voyage en Algérie de Sidi Omar el Ouezzani.

Monsieur le Gouverneur Général, l'Ambassadeur de la République à Constantinople me signale, par la lettre ci-annexée en copie, l'intention qu'aurait Sidi Omar el Ouezzani représentant de la Secte des Senoussia à Stamboul, de faire prochainement un séjour en Algérie. Il attire en même temps mon attention sur les inconvénients que ce voyage ne

Monsieur J. Cambon,
Gouverneur Général de l'Algérie.

المصدر: AOM, 16H57

ترجمة الملحق رقم (4)

تقرير عن زيارة عمر الوزاني السنوسي إلى الجزائر 1893

مشروع زيارة سيدي عمر الوزاني يتكون ممن سبع صفحات مؤرخ بيوم 28 مارس 1898. جاء في الصفحة الأولى

من وزارة الخارجية الفرنسية إلى الحاكم العام بالجزائر

لقد بعث القنصل الفرنسي من استانبول برسالة فيما يتعلق بزيارة عمر الوزاني ممثل الطريقة السنوسية باستانبول إلى الجزائر، والذي ينوي الإقامة في الجزائر ولقد لفتت انتباهي تحركاته.

الملحق رقم (5)

نشاط الجزائريين في المهجر

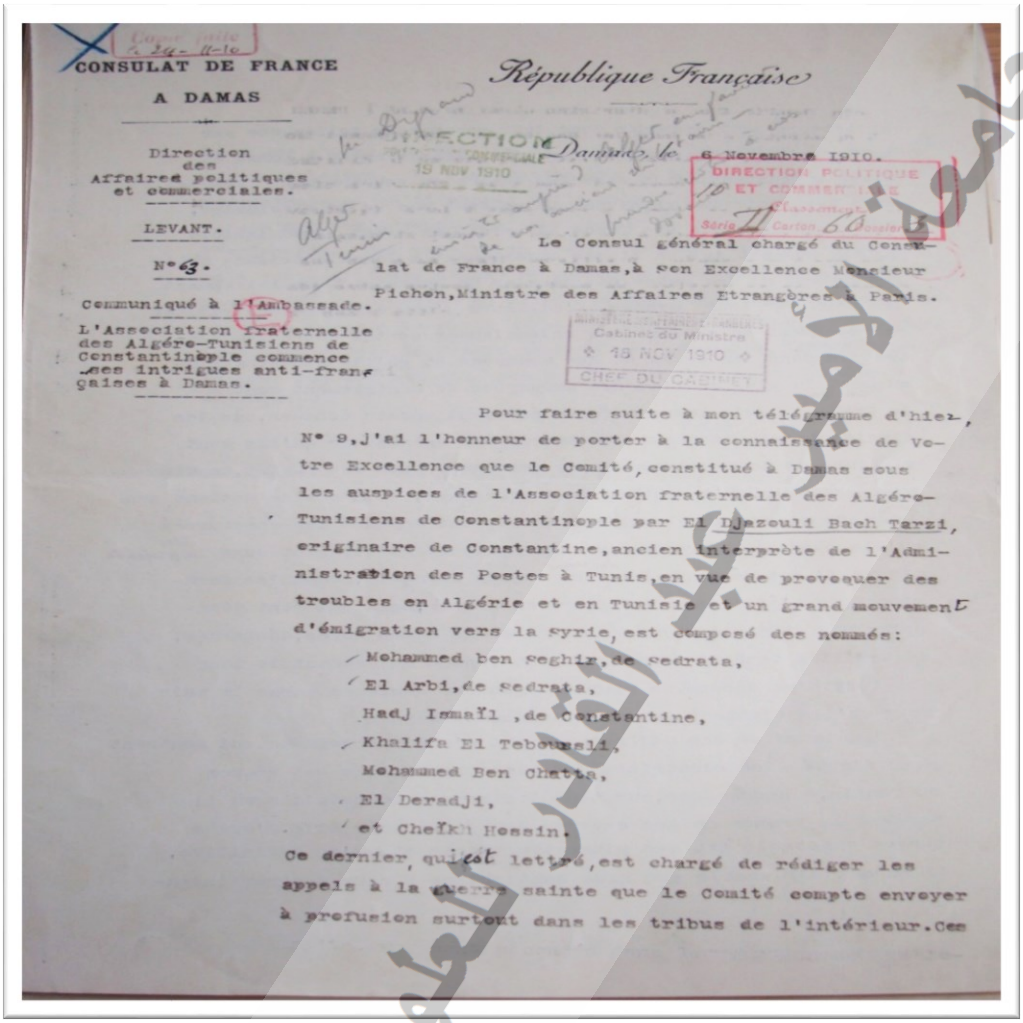

CONSULAT DE FRANCE
A DAMAS

Direction des Affaires politiques et commerciales.

LEVANT.

N°63.

Communiqué à l'Ambassade.

L'Association fraternelle des Algéro-Tunisiens de Constantinople commence ses intrigues anti-françaises à Damas.

République Française

Damas, le 6 Novembre 1910.

Le Consul général chargé du Consulat de France à Damas, à son Excellence Monsieur Pichon, Ministre des Affaires Etrangères à Paris.

Pour faire suite à mon télégramme d'hier, N° 9, J'ai l'honneur de porter à la connaissance de Votre Excellence que le Comité, constitué à Damas sous les auspices de l'Association fraternelle des Algéro-Tunisiens de Constantinople par El Djazouli Bach Tarzi, originaire de Constantine, ancien interprète de l'Administration des Postes à Tunis, en vue de provoquer des troubles en Algérie et en Tunisie et un grand mouvement d'émigration vers la Syrie, est composé des nommés:

- Mohammed ben Seghir, de Sedrata,
- El Arbi, de Sedrata,
- Hadj Ismaïl, de Constantine,
- Khalifa El Tebessi,
- Mohammed Ben Chatta,
- El Deradji,
- et Cheikh Hossin.

Ce dernier, qui est lettré, est chargé de rédiger les appels à la guerre sainte que le Comité compte envoyer à profusion surtout dans les tribus de l'intérieur. Ces

المصدر: A.D.A.E . N°493

ترجمة الملحق رقم (5)

القنصلية الفرنسية بدمشق — دمشق في 6 نوفمبر 1910

من القنصل العام الفرنسي بدمشق إلى السيد Pichon وزير الشؤون الخارجية بباريس، أعلم سيادتكم ان اللجنة التي أنشئت بدمشق تحت رعاية جمعية الأخوة الجزائرية التونسية باستانبول من طرف الجزولي باشطرزي من قسنطينة مترجم قديم في إدارة البريد بتونس تسبب باضطرابات بالجزائر وبتونس وحركة واسعة للهجرة إلى سوريا وتتكون من:

– محمد الصغير من سدراته والعربي من سدراته والحاج إسماعيل من قسنطينة وخليفة التبسي ومحمد بن شطة والدراجي والشيخ الحسن. والأخير رتب رسالة ونداءات تدعو على الحرب المقدسة.

الملحق رقم (6)

نشاط الجزائريين بالمهجر ومنع الهجرة

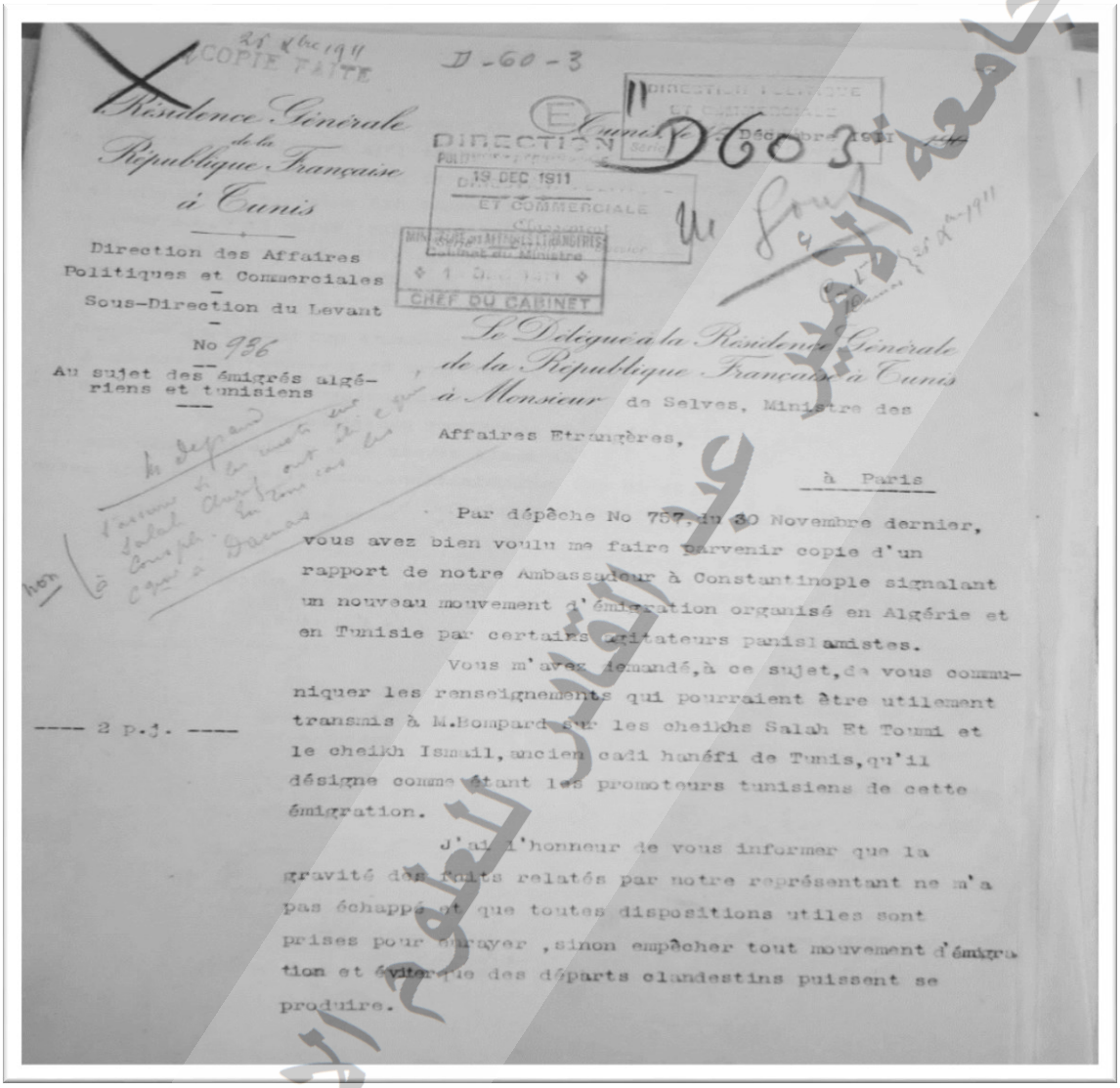

COPIE TAITE

D-60-3

Résidence Générale de la République Française à Tunis

DIRECTION

19 DEC 1911

ET COMMERCIALE

CHEF DU CABINET

D 60 3

Direction des Affaires Politiques et Commerciales

Sous-Direction du Levant

No 956

Au sujet des émigrés algériens et tunisiens

Le Délégué à la Résidence Générale de la République Française à Tunis à Monsieur de Selves, Ministre des Affaires Etrangères,

à Paris

Par dépêche No 767, du 30 Novembre dernier, vous avez bien voulu me faire parvenir copie d'un rapport de notre Ambassadeur à Constantinople signalant un nouveau mouvement d'émigration organisé en Algérie et en Tunisie par certains prédicateurs panislamistes.

Vous m'avez demandé, à ce sujet, de vous communiquer les renseignements qui pourraient être utilement transmis à M. Bompard sur les cheikhs Salah Et Toumi et le cheikh Ismail, ancien cadi hanéfi de Tunis, qu'il désigne comme étant les promoteurs tunisiens de cette émigration.

---- 2 p.j. ----

J'ai l'honneur de vous informer que la gravité des faits relatés par notre représentant ne m'a pas échappé et que toutes dispositions utiles sont prises pour surveiller, sinon empêcher tout mouvement d'émigration et éviter que des départs clandestins puissent se produire.

المصدر: A.D.A.E . N°493

ترجمة الملحق رقم (6)

المقيم العام الفرنسي بتونس إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي بتاريخ ديسمبر 1911 موضوع الرسالة هجرة الجزائريين إلى سوريا.

أرجو أان ترسل لي تقرير قنصلنا باستانبول عن الهجرة الجديدة التي نظمت ممن تونسيين وجزائريين خاصة من محرضي الجامعة الإسلامية، طلبت مني معلومات حول الموضوع والتي يمكن ان تفيد حول االشيخ سالم التومي، والشيخ اسماعيل القاضيي الحنفي القديم في تونس، وهو المروج للهجرة.

الملحق رقم(7)

تقرير عن زيارة محمد عبده للجزائر العاصمة وقسنطينة

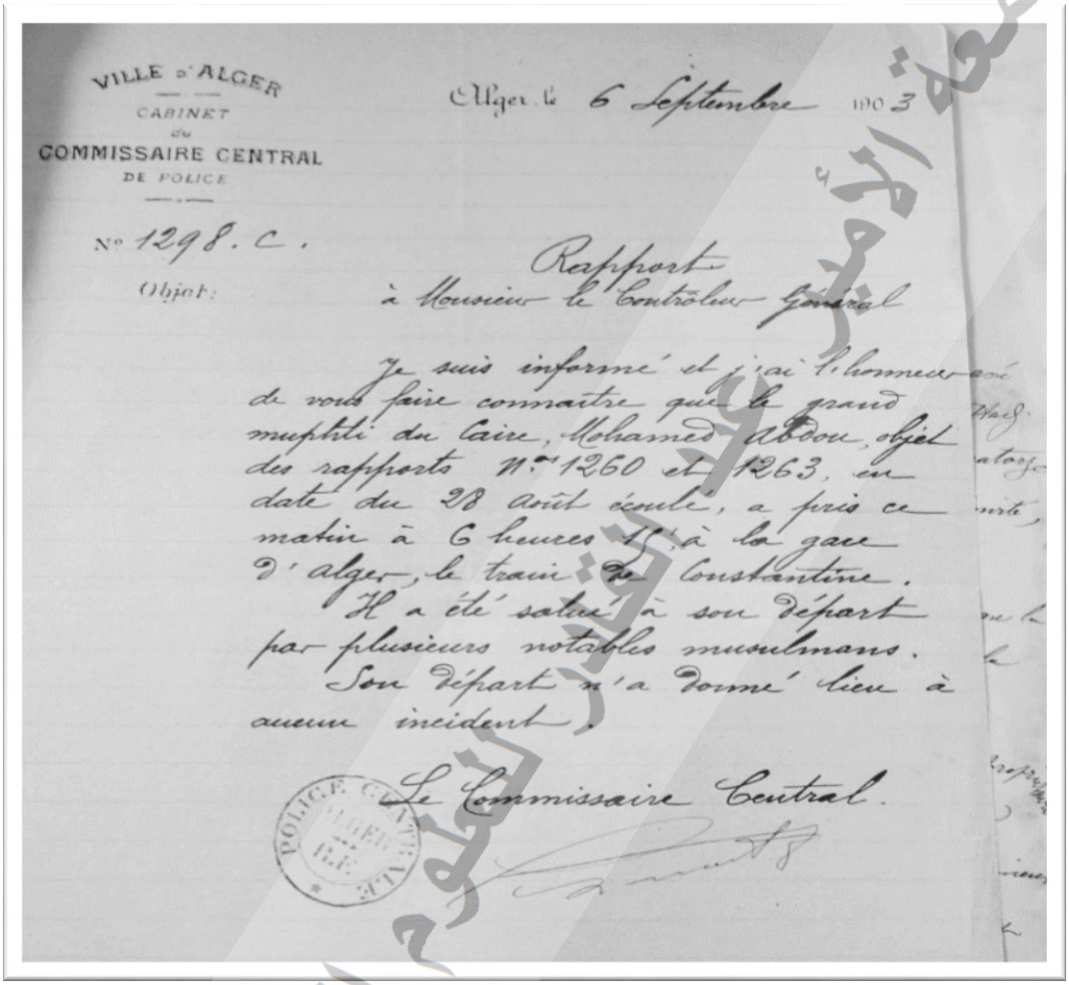

VILLE D'ALGER
CABINET
DU
COMMISSAIRE CENTRAL
DE POLICE

N° 1298. C.

Objet: Rapport à Monsieur le Contrôleur Général

Alger le 6 Septembre 1903

Je suis informé et j'ai l'honneur de vous faire connaître que le grand mufthi du Caire, Mohamed Abdou, objet des rapports N°s 1260 et 1263, en date du 28 août écoulé, a pris ce matin à 6 heures ¼ à la gare d'Alger, le train de Constantine.

Il a été salué à son départ par plusieurs notables musulmans.

Son départ n'a donné lieu à aucun incident.

Le Commissaire Central.

POLICE CENTRALE ALGER R.F.

A.O.M. 9H5

ترجمة الملحق رقم (7)

تقرير من ضابط البوليس إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 3 ديسمبر 1903

اعلمكم أن المفتي الكبير محمد عبده قد غادر هذا الصباح محطة الجزائر العاصمة في الساعة السادسة صباحا متجهها إلى قسنطينة وودعه في المحطة العديد ممن الأعيان المسلمين دون أي حوادث

الملحق رقم (8)

عنوان كتيب لصالح الشريف التونسي

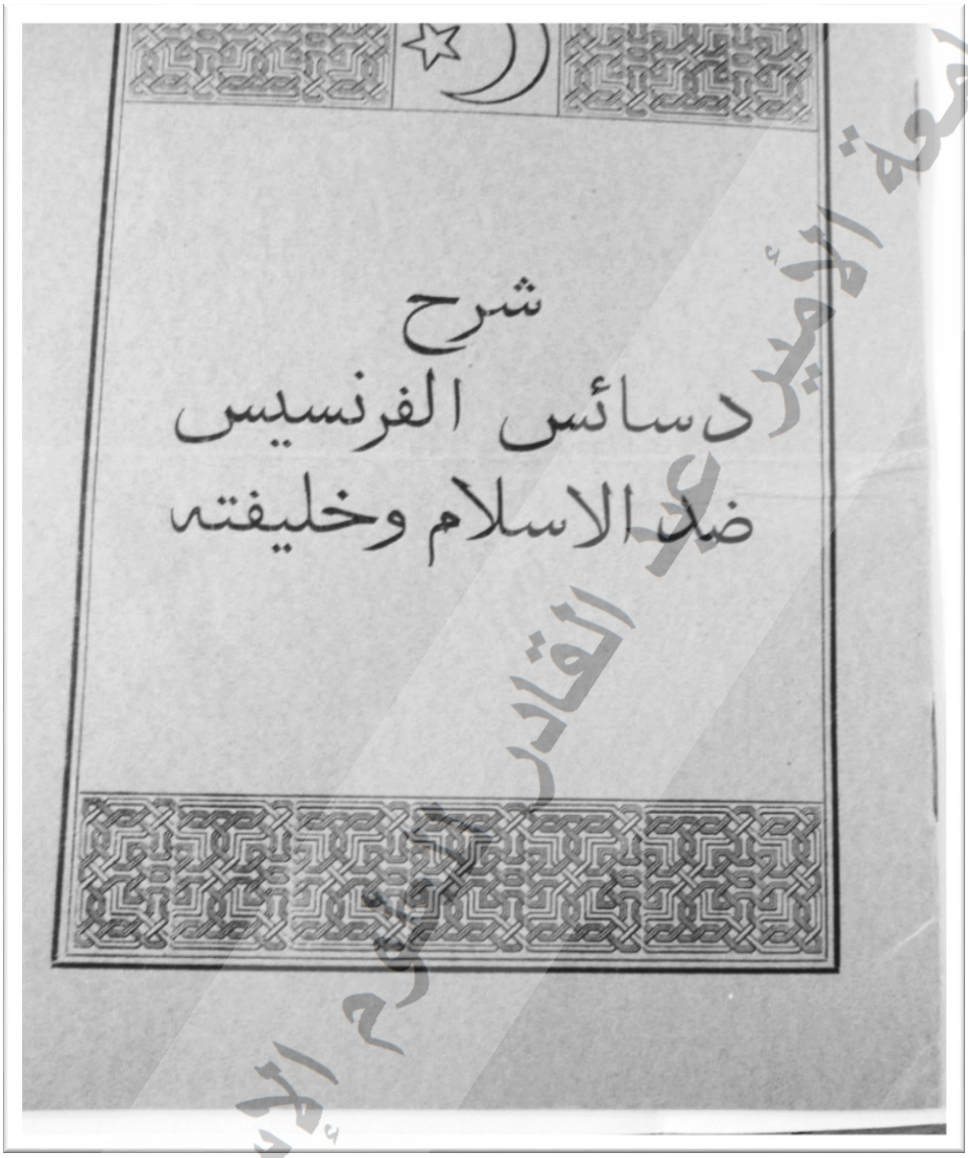
شرح
دسائس الفرنسيس
ضد الاسلام وخليفته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (9

من الشعر الذي انتشر أثناء الحرب الكبرى يدعو إلى الجهاد

الحمد لله وحده ولا يرى الا ملكه

الدرر السنية بمدح رجال الشاوية

الحمد للغني من لا يكرهه الابصار حمد ليس ينتهي باصاح فلعبارا
وحده لا شريك له شرف لنوار ايام لوجود الملك بازغ المنارا
الصلاة عليه ليل ونهار والرضى عن آله واهل الكهارا
والصحابة الذين طهرهم تطهار مرفاوا الكفار شيات العزا را
بالجهاد اشتعلوا مضوفيه لغار سرت نمدح فيهم ونقول بالجهارا
يا اهل الشاوية صولوا بالعز وسرار بالجهاد فالجدود قرنا المنهارا
سبت هذه الغناء ما لقى اديجور بعاناس العقو لفضال نمر
ناض الكافر بالعز وبضع بابور يعير على الموه وينقز الجمر
حط السكار وسار يجدع كل اجور حتى فات الحدود وطغى وتجبر
فاه عليه الهراج وتفلس وخسر

مشا يغيث ورجع فل الكنوس عجلان جاوجاب العسكر ونوه يكور صايح
ركب العساكر بشرياله كرامات حاب سعيوا ولقى لهوا والشمايم
بلكم حركت لومة كرجيه شعاة رتلوا البلاد اعبوا الملايين
فيه قتلوا عدد الخشوم عار الشعاض المظالم وفاتت خسارا
له ملعوا ثم الدار فذماذا ر لو يعرفوا يقوعلى الاسلام غارا
يا اهل الشاوية صولوا بالعز وسرار بالجهاد فالجدود قرنا المنهارا

الملحق رقم (10)

تقرير عن جريدة الهلال العثماني

G.G.A, Constantine B3/282/283

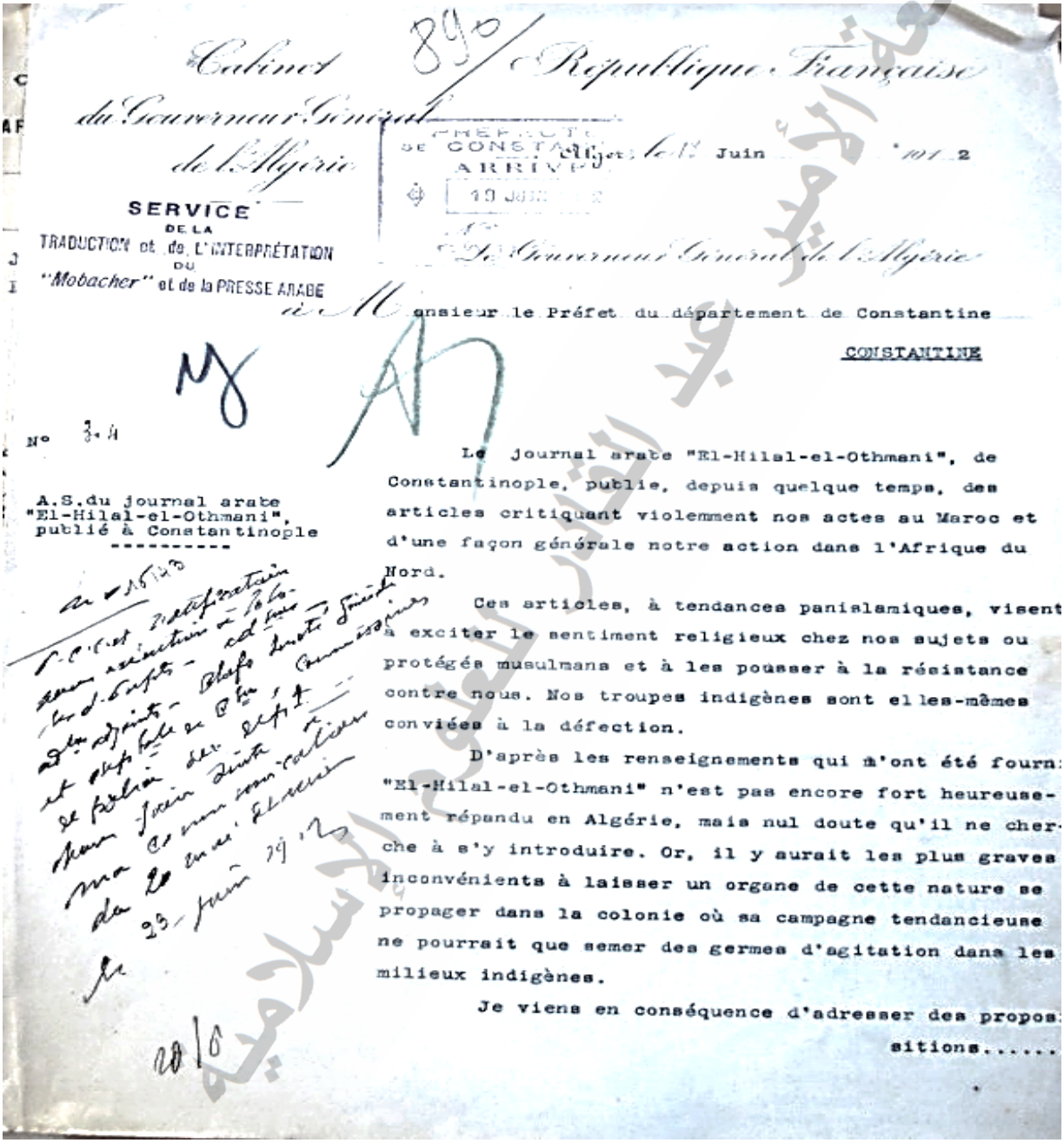

Cabinet du Gouverneur Général de l'Algérie

SERVICE DE LA TRADUCTION et de L'INTERPRÉTARIAT DU "Mobacher" et de la PRESSE ARABE

N° 890/

République Française

Alger, le 13 Juin 1912

PREFECTURE DE CONSTANTINE ARRIVÉE 19 JUIN

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le Préfet du département de Constantine

CONSTANTINE

N° 3.4

A.S.du journal arabe "El-Hilal-el-Othmani", publié à Constantinople

Le journal arabe "El-Hilal-el-Othmani", de Constantinople, publie, depuis quelque temps, des articles critiquant violemment nos actes au Maroc et d'une façon générale notre action dans l'Afrique du Nord.

Ces articles, à tendances panislamiques, visent à exciter le sentiment religieux chez nos sujets ou protégés musulmans et à les pousser à la résistance contre nous. Nos troupes indigènes sont elles-mêmes conviées à la défection.

D'après les renseignements qui m'ont été fourn: "El-Hilal-el-Othmani" n'est pas encore fort heureuse- ment répandu en Algérie, mais nul doute qu'il ne cher- che à s'y introduire. Or, il y aurait les plus graves inconvénients à laisser un organe de cette nature se propager dans la colonie où sa campagne tendancieuse ne pourrait que semer des germes d'agitation dans les milieux indigènes.

Je viens en conséquence d'adresser des propos: sitions.....

ترجمة الملحق رقم (10)

تقرير عن جريدة الهلال العثماني

نشرت جريدة الهلال العثماني باستانبول منذ مدة مقالات تنتقد بشدة أعمالنا بالمغرب الأقصى وبصفة عامة أعمالنا بشمال إفريقيا الشمالية، اتجاه هذه المقالات إسلامي تهدف بالضبط إلى الشعور الديني لحماية المسلمين، وتدفع إلى مقاومتنا، وتدعو أيضا جنود الأهالي إلى التمرد، ومن المعلومات التي جمعناها عن الهلال العثماني أنها لحسن الحظ ليست قوية في الجزائر وهي تسعى لتدخلها.

سيكون خطرا علينا إذا زرعت بذور الفتنة بين الأهالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تابع الملحق رقم(10)

جريدة الهلال العثماني

الهلال العثماني

G.G.A, Constantine B3/282/283

الملحق رقم (12)

تقرير عن الصحف الممنوعة

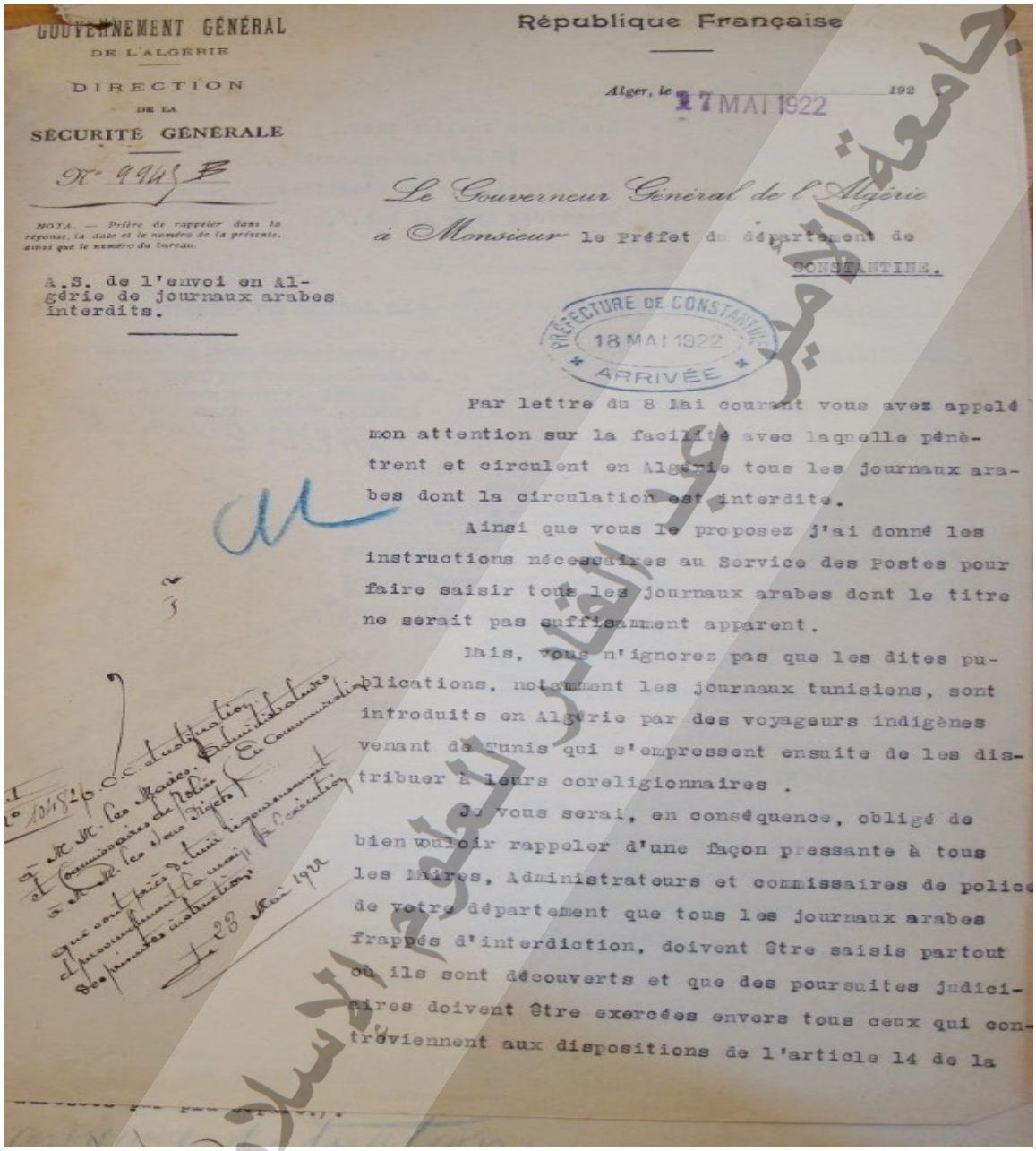

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
DIRECTION
DE LA
SÉCURITÉ GÉNÉRALE

N° 9945 B

NOTA. — Prière de rappeler dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du bureau.

A.S. de l'envoi en Algérie de journaux arabes interdits.

République Française

Alger, le 17 MAI 1922 192

Le Gouverneur Général de l'Algérie
à Monsieur le Préfet du département de CONSTANTINE.

PRÉFECTURE DE CONSTANTINE
18 MAI 1922
ARRIVÉE

Par lettre du 8 Mai courant vous avez appelé mon attention sur la facilité avec laquelle pénètrent et circulent en Algérie tous les journaux arabes dont la circulation est interdite.

Ainsi que vous le proposez j'ai donné les instructions nécessaires au Service des Postes pour faire saisir tous les journaux arabes dont le titre ne serait pas suffisamment apparent.

Mais, vous n'ignorez pas que les dites publications, notamment les journaux tunisiens, sont introduits en Algérie par des voyageurs indigènes venant de Tunis qui s'empressent ensuite de les distribuer à leurs coreligionnaires .

Je vous serai, en conséquence, obligé de bien vouloir rappeler d'une façon pressante à tous les Maires, Administrateurs et commissaires de police de votre département que tous les journaux arabes frappés d'interdiction, doivent être saisis partout où ils sont découverts et que des poursuites judiciaires doivent être exercées envers tous ceux qui contreviennent aux dispositions de l'article 14 de la

G.G.A, Constantine B3/282/283 ترجمة الملحق رقم (12)

رسالة من الحاكم العام بالجزائر إلى والي مقاطعة قسنطينة بتاريخ 17 ماي 1922

لفتم انتباهي إلى السهولة التي تخترق وتنتشر بها كل الصحف الممنوعة في الجزائر. وقد أعطيت التعليمات اللازمة لمصالح البريد لحجز كل الجرائد العربية. ولايخف عليكم أن كل الصحف التونسية بما في ذلك الممنوعة تدخل مع المسافرين القادمين من تونس.

نرى أنه يجب إلزام كل الإداريين وشرطة مقاطعتك بحجز كل الصحف الممنوعة

الملحق(13)

الوزير من الصحف الممنوعة في الجزائر

N° 213 (7me ANNÉE) — 20 CENTIMES ET A L'ÉTRANGER — عدد ٢١٣ (السنة السابعة) — ٢٠ صانتيما وفي الخارج ٢٥

الوزير

١٣٣٨

« EL-OUAZIR »

نشرة اسلامية مليه عمومية

TAIEB BEN AISSA

Directeur Rédacteur - Gérant

13, Souk Es-Serairie, 13 — TUNIS

Mardi 12 Octobre 1926

متى يرجع المبعدون ؟

أفكار وآراء

الملحق رقم (14)

تقرير عن العائلات الجزائرية المعارضة للتجنيد وموقف ابن سماية

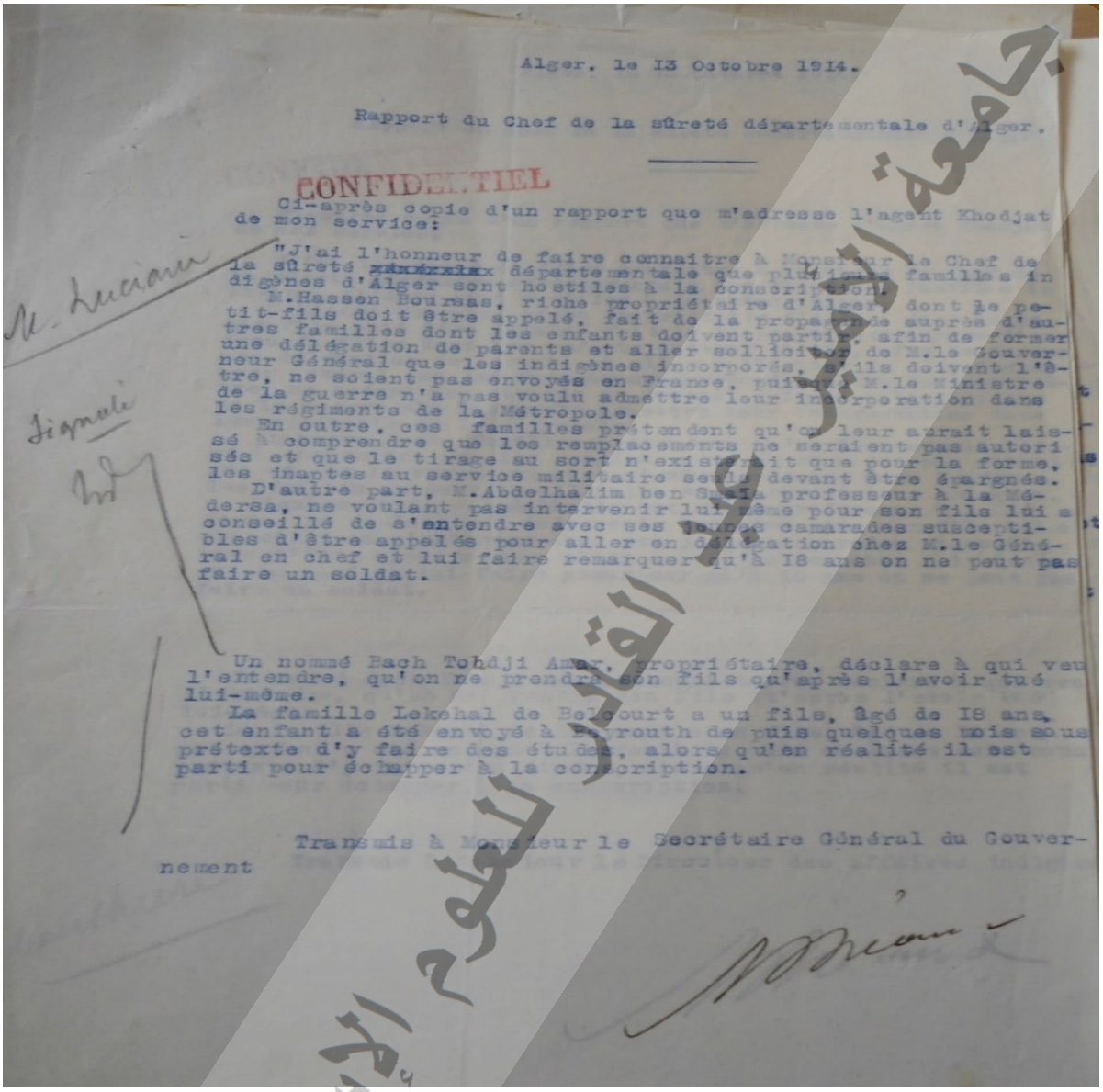

Alger, le I3 Octobre 1914.

Rapport du Chef de la sûreté départementale d'Alger.

CONFIDENTIEL

Ci-après copie d'un rapport que m'adresse l'agent Khodjat de mon service:

"J'ai l'honneur de faire connaitre à Monsieur le Chef de la sûreté départementale que plusieurs familles indigènes d'Alger sont hostiles à la conscription.

M.Hassen Boursas, riche propriétaire d'Alger, dont le petit-fils doit être appelé, fait de la propagande auprès d'autres familles dont les enfants doivent partir afin de former une délégation de parents et aller solliciter de M.le Gouverneur Général que les indigènes incorporés, s'ils doivent l'être, ne soient pas envoyés en France, puisque M.le Ministre de la guerre n'a pas voulu admettre leur incorporation dans les régiments de la Métropole.

En outre, ces familles prétendent qu'on leur aurait laissé à comprendre que les remplacements ne seraient pas autorisés et que le tirage au sort n'existerait que pour la forme, les inaptes au service militaire seuls devant être épargnés.

D'autre part, M.Abdelhalim ben Sma professeur à la Médersa, ne voulant pas intervenir lui-même pour son fils lui a conseillé de s'entendre avec ses jeunes camarades susceptibles d'être appelés pour aller en délégation chez M.le Général en chef et lui faire remarquer qu'à I8 ans on ne peut pas faire un soldat.

Un nommé Bach Tobdji Amar, propriétaire, déclare à qui veu l'entendre, qu'on ne prendra son fils qu'après l'avoir tué lui-même.

La famille Lekehal de Belcourt a un fils, âgé de I8 ans, cet enfant a été envoyé à Beyrouth depuis quelques mois sous prétexte d'y faire des études, alors qu'en réalité il est parti pour échapper à la conscription.

Transmis à Monsieur le Secrétaire Général du Gouvernement

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصدر **A.O.M 9H16**

ترجمة الملحق رقم (14)

تقرير عن العائلات الجزائرية المعارضة للتجنيد وموقف ابن سماية

اعلمكم أن كثيرا من العائلات الأهلية بالعاصمة هم معارضين للتجنيد الإجباري.

حسن بوراس من الأغنياء والملاكين والذي استدعي ابنه قام بالدعاية في وسط العائلات التي سيجند أبناؤها، حيث قاموا بتكليف نواب عنهم لرفع مطالبهم إلى الحاكم العام، كما طالبوا بمعرفة لماذا التعويض غير مسموح به.

ومن جهة أخرى فإن عبد الحليم بن سماية المعلم بالمدرسة، ولم يرد التدخل ولو لابنه والذي نصحه بأن يبقى إلى جنب رفقائه الشباب والتفاوض مع الحاكم العام، وأشار إلى ان الذين هم في عمر 18 لايجندون.

أما المسمى الباش خوجة عمار من الملاك قال أنه لايسمح بأخذ ابنه حتى وإن قتل في سبيل ذلك.

أما عائلة لخضر ببلكور فقد أرسلت ابنها والذي عمره 18 سنة إلى بيروت بحجة الدراسة ولكنه في الواقع هروبا من التجنيد

الملحق رقم(15) ا

نموذج عن الدعاية الألمانية العثمانية

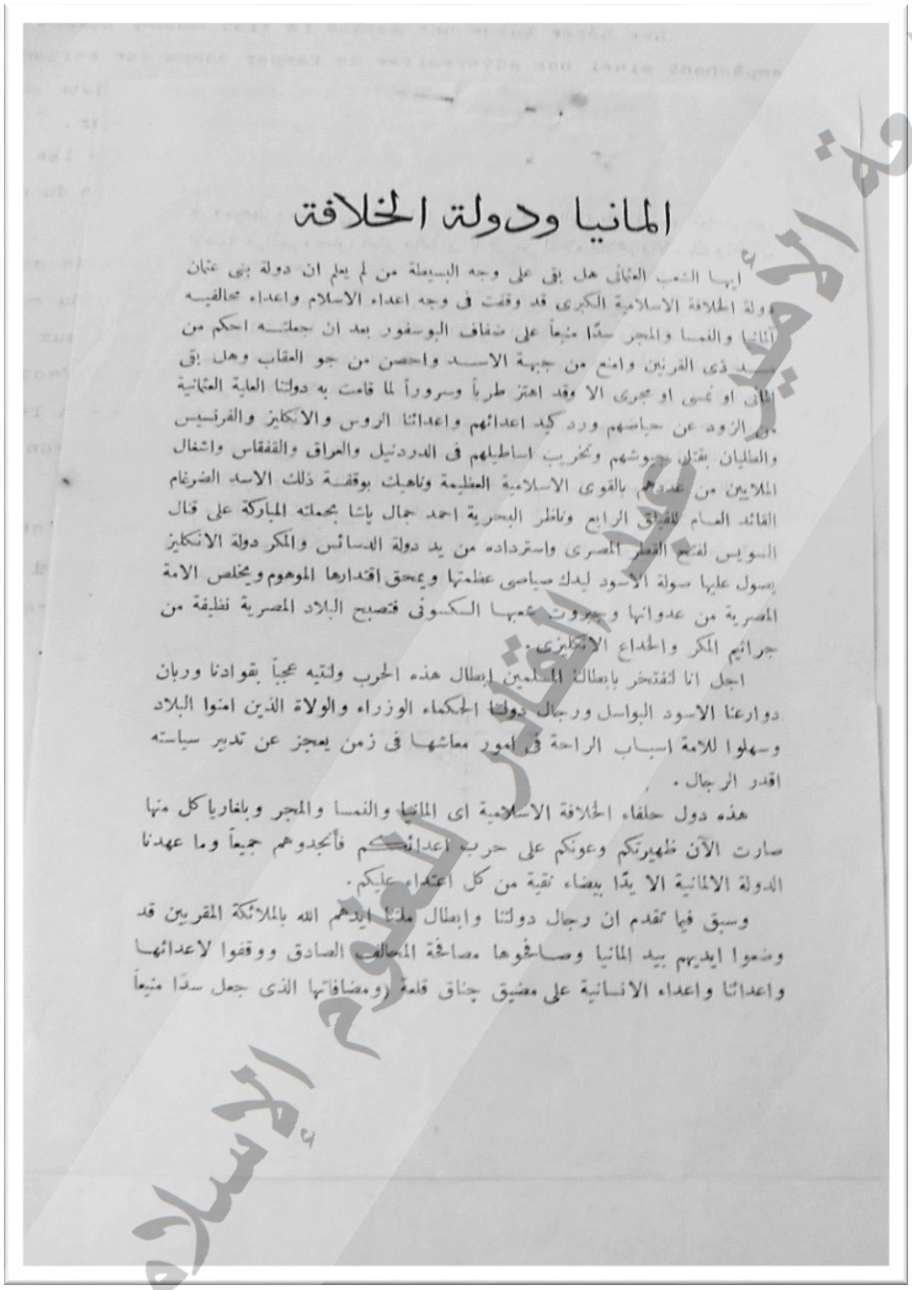

المانيا ودولة الخلافة

ايها الشعب العثماني هل بقي على وجه البسيطة من لم يعلم ان دولة بني عثمان دولة الخلافة الاسلامية الكبرى قد وقفت في وجه اعداء الاسلام واعداء محالفيه المانيا والنمسا والمجر سدًا منيعاً على ضفاف البوسفور بعد ان جعلته احكم من سد ذي القرنين وامنع من جبهة الاسد واحصن من جو العقاب وهل بقي لك او نحس او مجرى الا وقد اهتز طرباً وسروراً لما قامت به دولتنا العلية العثمانية من الزود عن حياضهم ورد كيد اعدائهم واعدائنا الروس والانكليز والفرنسيس والطليان بقتل جيوشهم وتخريب اساطيلهم في الدردنيل والعراق والقفقاس واشغال الملايين من عددهم بالقوى الاسلامية العظيمة وناهيك بوقفة ذلك الاسد الضرغام القائد العام للفيلق الرابع وناظر البحرية احمد جمال باشا بجملته المباركة على قناة السويس لفتح القطر المصري واسترداده من يد دولة الدسائس والمكر دولة الانكليز يسول عليها دولة الاسود ليدك صياصي عظمتها ويمحق اقتدارها الموهوم ويخلص الامة المصرية من عدوانها وجبروت ظلمها الكوني فتصبح البلاد المصرية نظيفة من جرائم المكر والخداع الانكليزي.

اجل انا لنفتخر بابطالنا المسلمين ابطال هذه الحرب ولثقتنا عجباً بقوادنا وربان دوارعنا الاسود البواسل ورجال دولتنا الحكماء الوزراء والولاة الذين امنوا البلاد وسهلوا للامة اسباب الراحة في امور معاشها في زمن يعجز عن تدبير سياسته اقدر الرجال.

هذه دول حلفاء الخلافة الاسلامية اي المانيا والنمسا والمجر وبلغاريا كل منها صارت الآن ظهيرتكم وعونكم على حرب اعدائكم فأنجدوهم جميعاً وما عهدنا الدولة الالمانية الا يدًا بيضاء نقية من كل اعتداء عليكم.

وسبق فيما تقدم ان رجال دولتنا وابطال ملتنا ايدهم الله بالملائكة المقربين قد وضعوا ايديهم بيد المانيا وصافحوها مصافحة المحالف الصادق ووقفوا لاعدائها واعدائنا واعداء الانسانية على مضيق جناق قلعة (ومضافاتها الذي جعل سدًا منيعاً

A .O.M 9H5

الملحق(16)

منع جريدة الفاروق

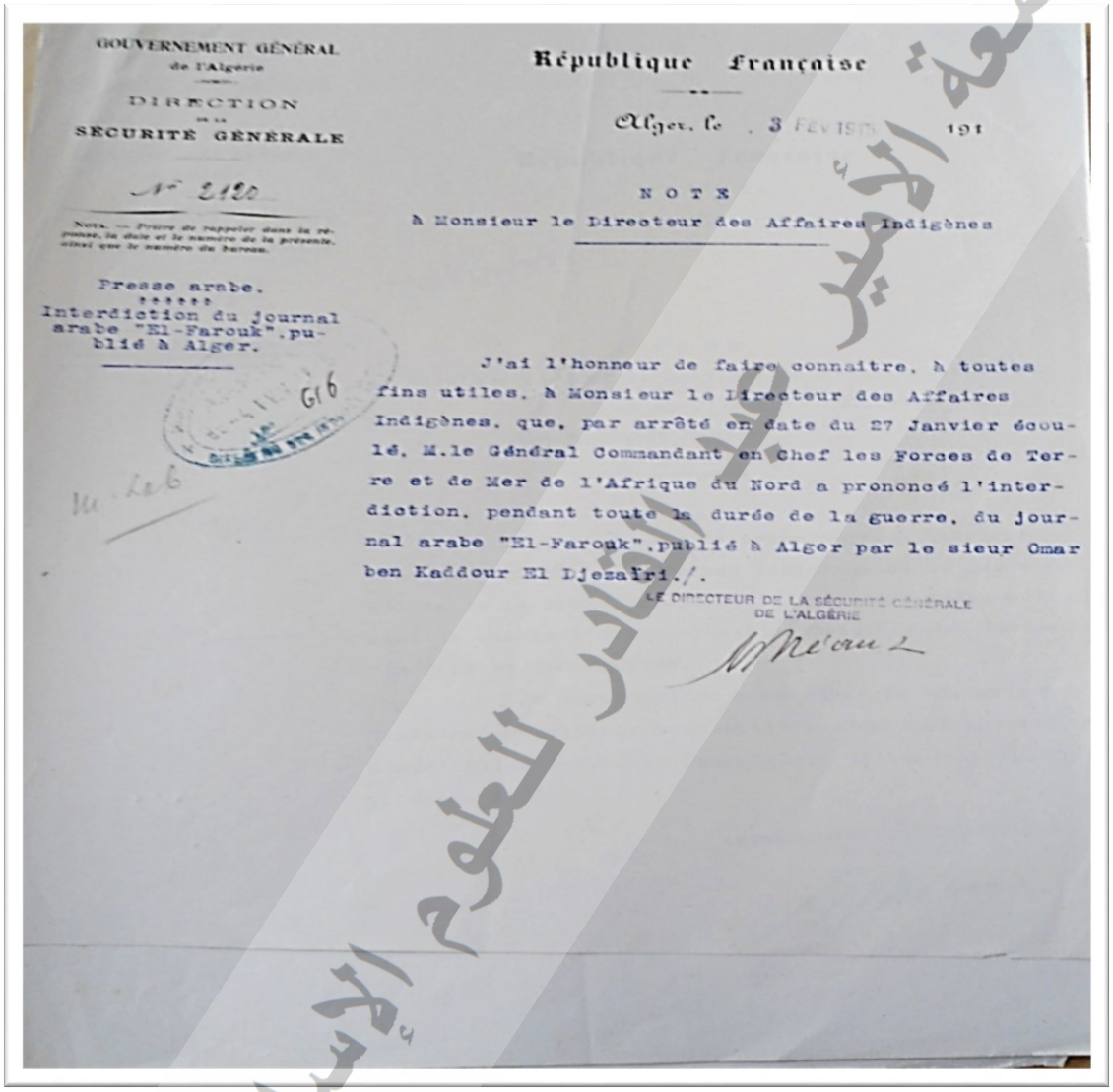

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
de l'Algérie

DIRECTION
de la
SÉCURITÉ GÉNÉRALE

N° 2120

Nota. — Prière de rappeler dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du bureau.

Presse arabe.
******
Interdiction du journal arabe "El-Farouk", publié à Alger.

République Française

Alger, le 3 FEVRIER 191

N O T E

à Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes

J'ai l'honneur de faire connaître, à toutes fins utiles, à Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes, que, par arrêté en date du 27 Janvier écoulé, M.le Général Commandant en Chef les Forces de Terre et de Mer de l'Afrique du Nord a prononcé l'interdiction, pendant toute la durée de la guerre, du journal arabe "El-Farouk", publié à Alger par le sieur Omar ben Kaddour El Djezairi./.

LE DIRECTEUR DE LA SÉCURITÉ GÉNÉRALE
DE L'ALGÉRIE

A.O.M . 9H5 .

ترجمة الملحق(16)

منع جريدة الفاروق

من الحاكم العام إلى السيد مدير شوؤن الأهالي، وفقا لقرار السيد الجنرال قائد القوات البرية والبحرية في شمال إفريقيا فإنه يمنع خلال الحرب الجريدة العربية الفاروق التي تنشر في الجزائر من طرف عمر بن قدور الجزائري.

الملحق رقم (17)

جريدة أخبار الحرب

الجزائر

أخبار الحرب

الجزائر

يوم ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٦ — مسددة ١٢٢ — ٣٤٢٥ — يوم اول مارس ١٩١٨ عام

في الجامع الجديد بالجزائر

حفلة لتذكار العساكر الوطنية البرية والبحرية المستشهدة في ميدان الشرف

اقيم احتفال ديني صباح امس التاسع بالجامع الجديد في « الجزائر » لتذكار العساكر البرية والبحرية الوطنية المستشهدة في سبيل فرنسا رتبته لجنة « الجزائر » الدينية الاسلامية بالاشتراك مع لجنة « التذكار الفرنسوي » بكل احتفال عجيبا تلوح عليه علائم الغيرة الوطنية الى اعلى درجة

وقد توافدت الجموع من الصباح ومع مساحته وامتداد طوله وعرضه لم يسع باكثرا الا مجموع اهالي الفرنسويين والوطنيين الذين دعاهم الى المحفى « ادآء واجب الشكر لابطال العسكريين الوطنيين الذين ماتوا مجاهدين في سبيل الوطنية الجامعة الامتين الفرنسوية والاسلامية

شرف سمو الوالي العام هذه الحفلة بحضوره محفوفا بجناب الجنرال نيبيل الحاكم الاكبر على عساكر افريقية الشمالية وجناب عامل العمالة وسائر اكابر الحكام المدنيين والعسكريين في « الجزائر » كما حضرها ايضا جناب السيد بروسي نائب (ديبوتي) قسم الجزائر الثاني

ومن جملة من حضرها من اعيان الوطنيين مع كثرتهم باشاوات واغوات وقياد وقاضيا محكمتي الجزائر والمدرسون في المدرسة والجوامع وغيرهم من ذوي الجنيسيات والاعتبار وحضرها ايضا ضباط وطنيون وكثير من الليراوير والصايحية

كانت بداية الحفلة بتلاوة سور قرآنية وختمتها اناشيد الدعآء والتضرع باصوات الترت في قلوب الحاضرين تاثيرا بليغا ثم قام الفقيه الشيخ السيد محمد بوقندورة مفتي السادة الحنفية وصعد المنبر والقى بالعربية خطبة عالية الافكار مملوءة حمية ووطنية انصت اليها الحاضرون من فرنسويين ومسلمين بشادان واعية وها فرنصها :

« يا سمو الوالي العام !

« يا جناب الجنرال الاكبر !

« يا سيداتي ويا سادتي !

« من مقاصد الاديان كلها ومقاصدها اتحاد مختلفها على واحد ملئوء الاعجاب والاشفاق في جانب الابطال العسكريين الذين ماتوا مجاهدين شهداء في ميادين القتال ونحن لا يسعنا ان نحتفل اليوم على كعبة نار التذكار الفرنسوي » حيث انها في كل سنة تساعدنا على ان نقيم في جامعنا حفلة اسلامية كبرى لتذكار العساكر البرية والبحرية الوطنية المستشهدة في سبيل فرنسا

« ان الدين الاسلامي يعجد بعشرات كتابه المقدس وباحاديث نبيه المكرم مجاهدة المجاهدين وبذلهم نفوسهم وبعد بانواع الهناء الموبد الابطال المستشهدين في سبيل الدفاع عن الوطن وحينئذ فكيف لا نفيض قلوبنا محبة واعترافا بالجميل لهؤلاء الصناديد الذين باراقة دمائهم اراء اخوانهم الفرنسويين زادوا في تاريخ دولتنا فرنسا العزيزة صفحات مجد عجيبة جديدة

« من قريب تتم اربع سنوات منذ اشتعلت نار هذه الحرب الطاحنة وعساكرنا الفرنسوية والوطنية تجاهد جنبا كتف عدو الجميع بحمية متضاعفة وبسالة متزايدة وكلها مدفوعة الى ذلك القتال بداعي محبة فرنسا ووطنها

« ولقد تكللت اعلام اولئك العساكر الشريفة بالمجد لانهم اشتهروا بانتصارات عجيبة هي انتصارات « لا مارن » و« ايزر » و« ايسن » و« شامبانيا » و« بردون » وكلها اسماء منقوشة الى الابد بحروف من الذهب في التاريخ وتقضي على العالم كله بالاعجاب بها وتشهد امام الاجيال القابلة ببطولية الجيوش الفرنسوية والوطنية وشهامتها العديمة النظير

« ان العساكر الاسلامية قد قامت في ميدان الحرب باعمال عظمى يضرب بها المثل ولنا بها افتخار حقيقي فانها اهرقت دماءها الشريفة محافظة على فرنسا ام وطننا وعلى الانسانية وبما عملت الا ما هو الواجب عليها وامتثالا لاحكام ديننا الذي يامرنا بمحبة دولتنا والقتال في سبيلها الى الرمق الاخير فالى من استشهد منهم في الحرب نوجه شكرنا من صميم الفواد في هذا اليوم العظيم يوم الاحسان والدعآء ممجدا لهؤلاء الشهدآء الاماجد الذين يبقون امرة في قلوبنا ما دمنا في الحياة وشكرا للجنة « التذكار الفرنسوي » على اهتمامها الينا لتخليد ذكرهم وذلك جزاؤهم من المخلوق اما الخالق سبحانه وتعالى فقد جازاهم عاجلا باسكانهم في برزخ رحمته الدائمة وسيتمتعون بالنعيم الابدي الذي اعده عز شانه من فيض فضله الواسع للشهدآء الذين قتلوا في السبيل المقدس سبيل الحق والعدل فليم بسلام هؤلاء الشهدآء الاعزآء الذين شرفوا امتنا بشجاعتهم العجيبة ورفعوا عواطفنا الوطنية الى اعلى درجة وذهبوا الى رحمة ربهم مدرجين في كفن مجدهم الذي لا يبلى على مر الدهور اما نحن فمحيط قبورهم بحسن التذكار ولا نتساهم طول الابد بالدعآء الصالح

« ان فرنسا لا تنسى ابناءها بما صبوا الشريف سالكة في هذه الحرب الهائلة المشتعلة في الدنيا طريق نصرة الحق والعدل والانسانية وبكل فخار تتذكر العساكر الوطنيين الذين سقطوا مع اخوانهم الفرنسويين شهدآء في ذلك السبيل المقدس

الملحق رقم (18)

منع جريدة القبلة

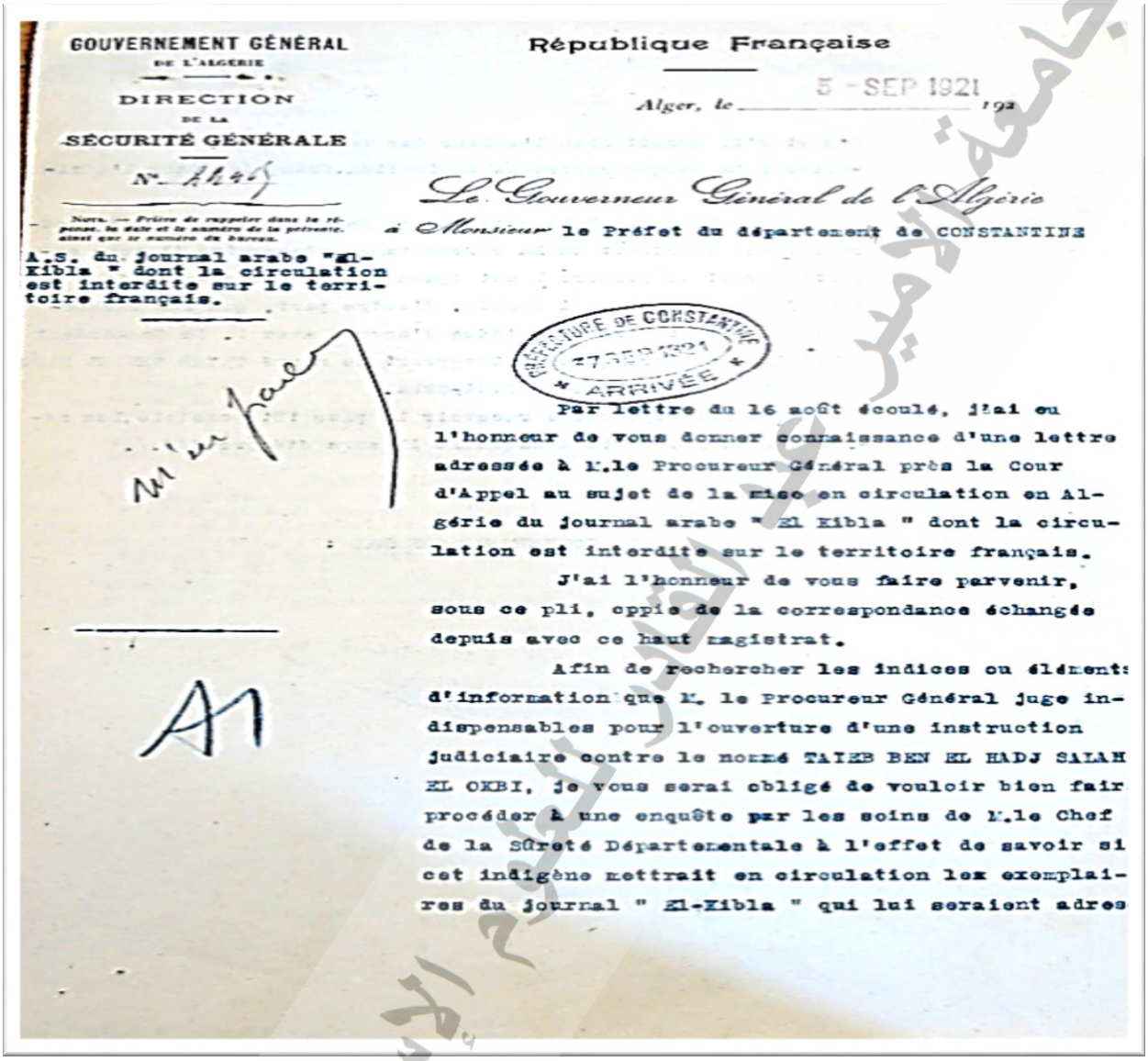

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
DIRECTION
DE LA
SÉCURITÉ GÉNÉRALE
N° 1845

Nota. — Prière de rappeler dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du bureau.

A.S. du journal arabe "El-Kibla" dont la circulation est interdite sur le territoire français.

République Française

Alger, le 5 - SEP 1921 192

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le Préfet du département de CONSTANTINE

PRÉFECTURE DE CONSTANTINE
17 SEP 1921
ARRIVÉE

Par lettre du 16 août écoulé, j'ai eu l'honneur de vous donner connaissance d'une lettre adressée à M.le Procureur Général près la Cour d'Appel au sujet de la mise en circulation en Algérie du journal arabe " El Kibla " dont la circulation est interdite sur le territoire français.

J'ai l'honneur de vous faire parvenir, sous ce pli, copie de la correspondance échangée depuis avec ce haut magistrat.

Afin de rechercher les indices ou éléments d'information que M. le Procureur Général juge indispensables pour l'ouverture d'une instruction judiciaire contre le nommé TAIEB BEN EL HADJ SALAH EL OKBI, je vous serai obligé de vouloir bien faire procéder à une enquête par les soins de M.le Chef de la Sûreté Départementale à l'effet de savoir si cet indigène mettrait en circulation les exemplaires du journal " El-Kibla " qui lui seraient adres

G.G.A, Constantine B3/282/283:

ترجمة الملحق رقم 18

اعلم سيادتكم أن السيد النائب العام للمحكمة قد منع انتشار جريدة القبلة في الأراضي الفرنسية. ةفي انتظار البحث عن الأدلة والمعلومات اللازمة فإن السيد الوكيل العام غير مسؤول عن فتح تحقيق قضائي ضد يسمى الطيب بن الحاج صالح العقبي، وعليه فإني آمرك بأن تكلف مسؤول الأمن بالمقاطعة لفتح تحقيق حول الأهالي الذين ينشرون جريدة القبلة

فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ

ابن المختار(الطيب):116،
ابن الموهوب(مولولد): 143، 173،174،178
ابن الهاشمي(عبد الحفيظ):254،
ابن باديس(المكي):127، 128، 129
ابن باديس(عبد الحميد):147، 163، 164، 183،
241، 242، 243، 249، 250،
ابن مهنا(صالح): 161، 162، 164، 165، 166،
ابن يحي(صالح): 168، 171، 178،
ابن يحي(عمر): 178
أتاتورك (مصطفى كمال): 240، 242، 245
أحمد الثالث (السلطان):33، 34
أرسلان (شكيب): 9، 106، 155،175، 197،
198، 203، 2

الأمير خالد: 176، 223، 240، 243، 253،
154، 255، 256، 257، 277، 302.
الأمير عبد القادر: 37، 43، 44، 46، 47، 61،
73، 75، 90، 92، 93، 99، 100، 101، 125،
134، 163، 216، 222، 254، 285، 301.
الأمير علي باشا: 75، 163، 199، 200، 216،
222.
الأمير محمد سعيد: 188، 207.
أوبنهايم: 213، 214، 215
أومليل(علي): 18، 179

ب

بايزيد الثاني السلطان:26، 86
بربروس(خير الدين): 27

الإبراهيمي(البشير): 137، 138، 173، 171، 185.
ابن الحفاف(علي): 125
ابن الخوجة(محمد بن مصطفى): 9، 11، 152، 153،
162، 165، 173،
ابن الشاهد(محمد): 160
ابن العنابي(محمد بن محمود):37، 38، 39 ، 42،
ابن تيمية: 78، 137
ابن رحال(محمد): 172،327، 180، 181،
ابن سماية(عبد الحليم):11، 152، 227،
ابن عاشور(محمد الطاهر): 147
ابن عبد الوهاب(محمد):
ابن عزوز(المكي):73، 151.
ابن غبريط (قدور):267، 268
ابن قدور(عمر): 166، 185، 194، 195، 208،
197، 216، 219، 222، 223، 241، 283،
الأشرف(مصطفى): 66، 148،
أطفيش: 138، 139، 140، 148، 151، 158،
164، 240.
الأفغاني(جمال الدين): 6، 8، 9، 17، 19، 22،
23، 24، 34، 36، 53، 65، 66، 67، 70،72،
73، 74، 79، 80، 81، 82 ، 87، 88، 102،
114، 142، 147، 152، 153، 156، 168،
169، 172، 174، 176، 175، 178، 179،
180، 198، 207، 245، 246، 271،187،
302
إقبال(محمد): 126، 127.

الباروني(سليمان):139، 140، 148، 218،149،
254

ح

الحداد(محمد): 17

الحشائشي: 106، 108، 109،

حوراني(ألبرت):82،

خ

الخالدي(سهيل): 100،

الخالدي(صالح بن عمار): 100، 188، 189، 251، 252،

الخضر حسين: 145،

الخطيب(محب الدين): 164، 196، 296

الخنقي(عاشور): 186، 143، 144، 145

خوجة(حمدان بن عثمان): 11، 37، 38، 39، 40، 41، (1، 52.

خير الدين التونسي: 37، 73، 186

د

دبوز(محمد علي): 12، 133، 137، 148، 153، 158،

الدراجي(عبد الله): 141

الدهلوي(ولي الله): 31

ديسبارمي(جوزيف):97، 219، 287، 288

الديسي(محمد بن محمد بن عبد الرحمن): 327

ر

راسم(عمر): 146، 152، 154، 155، 165، 166، 175، 178، 182، 227، 276.

رشيد مصطفى باش: 35،

رين(لويس): 108، 121،

رينان(أرنست): 56، 168، 169، 170، 172

ز

زروخي(إسماعيل):45

س

سرفييه(أندري): 179، 193، 201، 202، 284، 288،

برو(توفيق): 71، 186

بسمارك: 50، 51، 52، 53، 208، 209

بن نبي(مالك): 24، 33، 54، 100، 101، 104، 162، 158، 174، 234، 304

البهي (محمد): 101

بوخنتاش: 147

بوشوشة: 184،

بوكابوية(الحاج عبد الله): 231، 302، 204،

بونابرت(نابليون):48،

بيرم محمد (التونسي):93، 156،

بيرنارد(أوغستين): 295،

بيك الجزائري (محمد شريف): 183،

بيكر(كارل): 21

بيكر. م:295، 296،

ت

التليلي العجيلي): 11، 160، 163،

التليلي(البشير): 163، 204،

تيرمان(لويس): 110، 120، 263

ث

الثعالبي(عبد العزيز): 9، 148، 149، 150، 151، 155، 162، 251، 254،252.

ج

الجابري (محمد صالح): 12

الجابري(محمد عابد): 12، 23، 24.

جاويش(عبد العزيز): 152،157 ، 215، 274، 297، 298

جدعان(فهمي): 12، 255، 181، 182،

جعيط(هشام):148، 180،

جغلول (عبد القادر): 148، 220

الجندي(أنور): 66، 277

الجيلالي(عبد الرحمن): 152،

الجيلالي(محمد عابد): 154

301.262، 189، 191، 198، 260، 274،
280، 284،
عبده (محمد):6، 8، 9، 10، 11، 17، 22، 56،
79، 82، 83، 87، 88، 96، 155، 157، 158،
172، 173، 174، 175، 176، 181، 248،
249، 270، 301.
العروي(عبد الله): 18، 77
العزاوي(قيس جواد): 12، 27، 32، 35،
عزت باشا العابد: 73، 97
العقبي(الطيب): 183، 278،
عليش(أحمد بن محمد):141
عمارة(محمد): 20، 19، 24، 32، 65،
عميراوي(احميده): 12، 39، 40
العنق(بكير): 158،
العنق)عمر): 158
عويمر(مولود):12، 136، 137

غ

غانم (خليل): 169،
غليوم الثاني: 207، 209

ف

فرح(قيصر.أ):23، 89
فرنسوا الأول: 28،
فيرو(شارل): 120،
فيري(جول): 78

ق

قاري(ياسر عبد العزيز): 28، 29،
قنانش: 177، 233،
قيصر.أ.فرح:

ك

كامل(مصطفى): 175، 176، 180، 282،
كرستلو(آلان): 115، 146، 147، 155، 156،
الكواكبي(عبد الرحمن):194، 196،

ل

سعد الله (أبو القاسم): 12، 128، 144، 153،
155، 170، 193، 242، 257، 266، 291،
294،
سليمان القانوني:26، 27، 28، 30،
السنوسي(محمدبن علي): 19، 98، 103، 104،
105، 106، 107، 108، 109، 110، 111،
113، 114، 131، 132

ش

شارم (غبريال):20،10، 21، 260،
شاه(نادر): 260
الشدياق(أحمد فارس): 159، 160
الشريف محمد بن عبد الله: 161
الشعبوني(محمد): 160،
الشناوي(عبد العزيز): 160،

ص

صاري(أحمد): 10، 153، 160، 193، 242
صالح الشريف:152، 151، 193، 215، 216،
221، 222، 251، 252،
الصفايحي(إسماعيل): 193، 216
صفر(البشير): 216
الصيادي(أبو الهدى): 142، 143، 145، 159،
160

ط

طاهر الجزائري: 100، 195، 196
الطهطاوي(رفاعة رافع): 131
الطيب بن عيسى:147، 165، 275 ، 277

ع

عازوري (نجيب): 195
عبد الحميد الثاني:6، 8، 9، 12، 21، 22، 23،
53، 65، 66، 67، 70، 71، 72، 74، 80، 81،
84، 86، 102، 103، 105، 106، 111،
143،144 186، 185، 186، 187، 188،

نابليون (لويس): 139
ناصر بن شهرة: 121، 122، 124، 217ن
ناصر(محمد): 174، 181
النجار(عبد المجيد):
النيفر(صالح): 161،

هـ

هانوتو: 281،
هيغل: 72.
هيغو (فيكتور):72

و

الوزاني(عمر): 135،
الولهاصي(محمد البوحميدي):65،

ي

أبو اليقظان(إبراهيم): 169، 178، 185
لأمير عبد المالك: 215، 222، 223، 225
لوسياني:113،
لوشاتلييه(ألفرد): 293، 294، 295، 299، 306، 307
لونيسي(حمدان): 158، 167،

م

ماسينيون (لويس):20، 21، 307،
مترنخ(المستشار الألماني):
المجاوي(عبد القادر): 116، 148، 154، 157، 158، 168، 174،
محمد الفاتح: 28
محمد بن عبد الوهاب: 33، 34، 47
محمد رشيد رضا: 23، 101، ، 172، 105،116،176،178،182،209،259،260
محمد علي: 30، 34، 35، 36، 153
محمد فريد بيك: 172، 176، 180، 284، 309
محمد(صلى الله عليه وسلم):17، 21، 22، 58، 62، 93
محمود الثاني (السلطان):36، 41
محمود نديم باشا:124
محي الدين(بن الأمير عبد القادر): 116، 121 122، 123، 124
مدحت باشا: 38، 106
المدني(أحمد توفيق): 168، 228، 238، 252، 253، 256،
المدني(ظافر): 96،
مراد (علي): 18، 22، 25، 32، ، 94، 177، 187، 188، 211.
المراكشي(محمد صالح):259،260
مصطفى بن عزوز: 122،
المغازي(أماني بنت جعفر بن صالح):26،
المغربي(عبد القادر): 182،
الميلاد(زكي): 193،

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا –المصادر

1– الأرشيف

أ– أرشيف ماوراء البحر (**A.O.M, Aix- En- Provence. France**)

-G.G.A:

–16H56: -Mémoire sur la Confrérie musulmane de Senoussi par Henri Duveyrier, 1883

- Rapports sur Emissaires Senoussistes:
Algérie, Maroc, Tripolitaine, Oudai, Bornou, Damas, Benghazi, Djerboube…
Surveillance, arrestations, expulsion "1877-1892"

– **16H57** :-*Projet de voyage en Algérie de Sidi Omar el-Ouazzani, représenttant des Senoussya à IStamboul*, Le Gouverneur Général à M. Le Ministère des Affaires étrangères , 18 Avril 1893

- **9H59**: رسائل من المهاجرين الجزائريين إلى ذويهم يدعونهم إلى الهجرة، وطلبات الإذن بالهجرة

–9H102: 1899 رسالة من أهالي بريكة إلى الحاكم العام بتاريخ ديسمبر

–1899 مجموعة رسائل من أهالي المدية إلى الحاكم العام مؤرخة في شهري جوان وجويلية

- **9H102**: Le Préfet du Département d'Oran au Gouverneur général, 14 Octobre 1899

–9H5:Ministre des Affaire Etrangères, direction des Affaires politique et commerciale, 31 Octobre 1916," *la liste des Journaux et Brochures destinés a créer des troubles aux Indes, en Égypte, et dans les autres dépendances Orientales des Alliés a incites leurs Armes a la révolte, à Favoriser le Panislamisme et créer des sympathies Germanophiles dans des pays Orientaux"*,

- **9H16**: –Rapport du Commissaire Central d'Alger en date du 07/11/1914

–Rapport de l'Administrateur de la Commune mixte de Mascara sur les évènements graves qui ont marqué la Conscription Indigène dans les Douars Communes des Beni-Chougran, 15 octobre 1914

– **9H5**–ألمانيا ودولة الخلافة، احتقار الدين الإسلامي في الصفوف الفرنسوية :

- **9H103** :Rapport 6em Bureau, 04/12/1899,

Archives départementales de Constantine

−Constantine B3/282/283:

− Le Gouverneur Général à M .Le Préfet du Département de Constantine, 20 Juin 1911

- Le Gouverneur Général à M.Le Préfet du Département de Constantine, 12 Septembre 1911

- Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 18 Juin 1912

− Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 11 Juin 1912

- Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 01 Février 1913

- Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 2 Aout 1914

- Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 30 Juin 1920

- Chef de la sureté Départementale à M. Le Préfet du Département de Constantine, 27/09/1920

- Commissaire de la police Saint-Arnaud, à M. Le Préfet du Département de Constantine, 4 janvier 1921

- Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 30 Juin 1920

− Le Gouverneur Général à M. Le Préfet du Département de Constantine, 05 Septembre 1921

- Constantine, B2, 13/14, N°14 (1910-1914):

- Le Gouverneur Général (Service sécurité), 9/11/1912

- L'Administrateur de la Commune mixte d'Aine M'lila à Le M. Le Préfet du Département de Constantine,09/11/1912

-L'Administrateur de la Commune mixte de Djidjli à M. Le Sous-Préfet de L'Arrondissement de Bougie, 31/10/1912.

-L'Administrateur de la Commune mixte de Bône à M. Le Sous-Préfet de L'Arrondissement de Bône, 31/10/1912

-L'Administrateur de la Commune mixte de Morsott à M. Le Préfet du Département de Constantine,04/11/1912

ب– الأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية

Archives Diplomatiques, Ministère des Affaires Etrangères (la Courneuve)
(A.D.M.A .E)

-La politique du Sultan et le Panislamisme après la guerre Turco-Grècque, politique étrangère : relation avec les Puissance N°2, 27 October 1897.

− Affaires musulmanes, Guerre (1914-1918), Bob. 75, Carton.1650,

Télégramme, Alger 5 Novembre 1915.-

- Affaires musulmanes, L'Ambassadeur de France à Constantinople à M. Le Ministre des Affaires Etrangères, 14 Octobre 1914, Guerre 1914-1918, Bob.75, carton.1650.

- Affaires musulmanes, La Guerre (1914-1918), Bob.75, carton 1654. Bob 76, carton 1655.

− Correspondance politique et commerciale، Nouvelle Série, Turquie, N°494

"1897-1914", Consul de France à Alexandrie Egypte à M. Le Ministre des Affaires Etrangères, , 22 Aout 1912.

-N°167, Turquie, Politique étrangère, Dossier général, relation avec les puissances, question d'Orient, Panislamisme,"1899-1900". Consul de France à Egypte, 25 Avril 1900

- Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie, N°494, Ambassadeur de France à Constantinople à M. Le Ministre des Affaires Etrangères, 27/01/1913

-N°167, Turquie, Politique étrangère, Dossier général, relation avec les puissances, question d'Orient, Panislamisme, "1897-1914", Consul Général de France en Egypte, 9 Mars 1908.

- Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie, N°493, 6 novembre 1910

- Le Ministre de la Guerre au Général Commandant de l'Afrique Nord au Gouverneur Général, Série 8, Guerre 1914-1918, Bobine 75, Carton 1650.

- Le Gouverneur Général au Ministère des Affaires Etrangères, Série 8, Guerre 1914-1918, Bobine 75, Carton 1650

- Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, Turquie, N°494, Ambassadeur de France à Constantinople à M. Le Ministre des Affaires Etrangères, 27/01/1913

ج–أرشيف الوزارة الأولى التونسيةA.D.M.A .E :

-Ministre des affaires étrangère, consul général de France à Genève au Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères, le 25/01/1916, S.E.550. Do.30/16

2 : المخطوطات:

المكي بن باديس، **تقرير الأحكام الشرعية التي تناسب لصوص البوادي في الأوطان الجزائرية،**
المكتبة الوطنية الفرنسية : (L/ K8/1068. BNF) نسخة مخطوطة

3: المقالات:

أ–باللغة العربية

–جريدة **المبشر** العدد 11، نوفمبر 1889
–جاويش (عبد العزيز)، "ماذا يريد اللبنانيون"، **الهلال العثماني**، ع. 15 ماي 1912
–الجلالي (محمد بن العابد)، "عمر راسم" في **تقويم الأخلاق**، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، يناير 1927
–رضا (محمد رشيد)، الإصلاح المقترح على مقام الخلافة الإسلامية"،في **المنار**، المجلد1، الجزء39، 1898/12/6
–راسم (عمر) ، "الإسلام والمسلمون"، في **ذو الفقار**،ع. 3، 14 جوان 1914.
–راسم (عمر)، "النفس وماتريد"، في **مجلة الجزائر**، 15 نوفمبر، 1908
–ابن قدور (عمر)، "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار" في **الفاروق**، 2ماي 1913
–ابن قدور (عمر)، "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار" في **الفاروق**، 9 ماي 1913
–ابن قدور (عمر)، "الرفض الأخير"، في **المشير**، الأعداد:"30، 31، 32" جانفي 1911، تونس.
–ابن عيسى(الطيب)، "نكبات عدوتنا إيطاليا في جزيرة سيليسيا" في **المشير**، ع.29 أكتوبر 1911
– المدني (أحمد توفيق)، "حوادث الخلافة " في **تقويم المنصور**، مطبعة العرب بتونس، 1343هـ
– الميلي (مبارك)، "المؤتمر الإسلامي العام للخلافة" في **الشهاب**، 22 أفريل 1926
–"أسباب اختلاف العالم الإسلامي" في **الصديق**، ع.3، 19 أوت 1920
–"الإنسانية تتعذب"، في **الحق الوهراني**، ع.46، من 25–31 أوت 1912.
–"الأمير الصالح" في **الحق الوهراني**، ع31، من 20–27 جويلية، 1912
–الحق الوهراني، ع31، جويلية 1912

ب– باللغة الفرنسية:

الصحف:

-La Dépêche Algérienne, 31 Mai 1897
-la Dépêche Algérienne 31 Aout 1888
-La Dépêche de Constantine 25/ 04/1900

المقالات:

- Augustin Bernard : "*L'Allemagne et l'Islam*", **A.F**, N°1-2, Janvier-Février 1915
- Ben Ali Fakar **:** "*La représentation des Musulmans algériens",* **R.M.M**, N° 1-2, Vol:6, janvier-février 1909
Desparmet(J)**: «** *La Turcophile en Algérie* **»,** in **:** ***B.S.G.A.A.N****,* T22, 1917
-Démontés (Victor) : 'La conscription indigène', in **A.F,** N°10, Octobre 1908
-Géniaux (Charles)**,** « *La Kabylie* », in :**R.P,** juillet 1917**.**
-H.Marchand : "*L'exode des Musulmans Algériens*", in **R.Q.D.C,** T33, janvier – juin 1912.
- Lemoine (Paul) : « *Le Pèlerinage à la Mecque* » in **A.F**, N°2, Février 1908, p.59
-Meyier (Général) : *" La guerre sainte des Senoussya*", in **R.M.F**, T46, octobre-décembre, 1932.
- Meyreuil (André) : *"Le service militaire des indigènes"*, in **AF**, N°01, Janvier 1908
- Martin (Camille) :" *Le Conscription des indigènes"* , in **A.F**, N°6 juin 1912.
- L.G : "*Le Péril de l'Islam",* in ***:R.C, A.F***, N°2, février 1906, p.20
-L.B, "*L'Allemagne et L'Islam*", in **R.M.M**, 1909(8)
- *" Les Musulmans français et la guerre* ", in **R.M.M,** 1914(29).
- *" Pour l'Islam français* ", in : **A.F.** N°10-12, octobre- décembre 1915, p.290
- Les Congres d'Avril 1905 à Alger, in **R.A**, N°49, 1905
- R.M.M, t.3, Paris 1907
X, "Les courants politiques dans la Turquie contemporaine", in **R.M.M,** T21, 1912

4– المصادر المطبوعة

أ–باللغة العربية

–الإبراهيمي (محمد البشير)، **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، ج5، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

–الثعالبي (عبد العزيز)، **خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس** 1931، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988

-الأفغاني (جمال الدين)، **الوحدة الإسلامية والوحدة والسيادة**، مطبعة الأنوار، مصر، 1938

-(ـــــ،ـــــ) ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، ط.3، دار الكتاب العربي، 1983

- (ـــــ،ـــــ)، **سلسلة الأعمال المجهولة لجمال الدين الأفغاني**، تحقيق وتقديم: شلش علي، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1977

-الأمير (محمد)، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج.1، المطبعة التجارية، غرزوزي، الاسكندرية، 1903

-الأمير (محمد سعيد)، **مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي**، ط.1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للطباعة والترجمة والتوزيع، الجزائر، 1968.

-أمين (أحمد)، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب، بيروت، 1979

-بروكلمان (كارل)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، .1968

-البستاني (سليمان)، **عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**، تحقيق: خالد زيادة، ط.1، دار الطليعة بيروت، 1978.

-بيرم الخامس(محمد) ، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، ط.1، دار صادر، بيروت، المطبعة الإعلامية بمصر،1303هـ

-البيطار (عبد الرزاق)، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق: محمد بهجت البيطار، ط.2، دار صادر، بيروت، 1993

- تشرشل (شارل هنري)، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

-التميمي (عبد الجليل)، بحوث **ووثائق في تاريخ المغرب العربي، تونس، الجزائر، ليبيا، من 1816 إلى 1871**، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

-الثعالبي (عبد العزيز)، **خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس** 1931، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

-الحشائشي (محمد بن عثمان)، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق**، تر: محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988

-الحفناوي(أبو القاسم)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، بيير فونتانة، الجزائر، 1906

-خوجة (حمدان بن عثمان)، **أتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968

-(ـــــ،ـــــ)، **المرآة**، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982

-ابن الخوجة (محمد بن مصطفى)، **إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام**، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

-دي طرازي (فليب)، **تاريخ الصحافة العربية**، ج1، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913.

-الديسي (محمد بن محمد بن عبد الرحمن)، **ديوان منة الحنان المنّان**، ط.1، الجمعية الثقافية للعلامة محمد بن الرحمن الديسي، الجزائر، 2009

-رضا (محمد رشيد)، **تاريخ الأستاذ الإمام لشيخ محمد عبده "1849-1905"**، 4ج، ط.2، لدار الفضيلة، القاهرة، 2006.

-(ـــــ،ـــــ)، **الخلافة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988.

-بن زكري (محمد السعيد)، **أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر، 1903

-ستودارد (لوثروب) الأمريكي، **حاضر العالم الإسلامي**، تر: عجاج نويهض، 2م، ط.4، دار الفكر، بيروت، 1972.

-سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982.

-السلطان (عبد الحميد)، **مذكراتي السياسية**، ط.2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.

-صاريابي (يوسف)، **الجزائر في الوثائق العثمانية**، سيستام اوفسات، أنقرة، 2010.

-بن عبد الكريم (محمد)، **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

-عبده (محمد)، **الإسلام بين العلم والمدنية**، دار الشروق، القاهرة، 2012

-عمارة (محمد)، **مجموع الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن جمال الدين الأفغاني والحقيقة الكلية**، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

-العنابي (محمد بن محمود)، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، م.و.ك، الجزائر، 1983

-**كنز الرغائب في منتخبات الجوائب**، ج4، اعتنى به وجمعه: سليم فارس الشدياق، مدير الجوائب، مطبعة الجوائب الأستانة، 1295هـ.

-ل. شاتوليه(أ) ، **الغارة على العالم الإسلامي**، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، دار مدني، الجزائر، 2002.

- المحامي(محمد فريد بك)، **الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، ط.1، دار النفائس، بيروت،1981

- المجاوي (عبد القادر)، **إرشاد المتعلمين**، تحقيق وتقديم: عادل بن الحاج همال الجزائري، دار زمورة، الجزائر، 2011

-المخزومي (محمد باشا)، **خاطرات الأفغاني، آراء وأفكار**، ط.1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002

- المدني، (أحمد توفيق)، **كتاب الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

- المدني (أحمد توفيق) ، **حياة كفاح**، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009

- مروة (أديب)، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت

-ابن مهنا(الصالح)، **رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق**، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1904

-ابن نبي (مالك)، **مذكرات شاهد على القرن**، ط.4، دار الفكر، دمشق، 2006.

ب-المصادر المنشورة ابالغة الفرنسية:

Ben Habiles(Cherif), ***L'Algérie française vue par un indigène***, Fontana, Alger, 1914

Benrahal (Si M'hamed), L'***avenir de l'Islam et autre écrits***, Edition ANEP, Alger 2005

-.De Neveu (E), ***Les Khouan, Ordres Religieux chez les Musulmans de l'Algérie***, Ed.3, Adolphe Jourdan, Alger, 1913

-Garnier (Jean Paul)**, *La fin de l'Empire Ottoman, du Sultan Rouge à Mustafa Kemal,*** Plon, 1973.

- Lieutenant el Hadj Abdallah**, *L'Islam dans l'armée Française, Guerre de (1914-1915)***, Constantinople, 1915.

- Melia (Jean), ***L'Algérie et la Guerre (1914-1918)***, Librairie Plon, Paris, 1918

- Mokrani Boumezraq El-Ouennoughi, Katrandji Abderrahmane, ***L'Islam dans l'Armée Française***, traduction, s.i et s.d

-Rinn (Louis), ***Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie***, Librairie Adolphe Jourdan, Algérie, 1891
-Rinn (Louis), ***Marabouts et Khouan, étude sur l'Islam en Algérie***, Adlophe Jourdan, Alger, 1884.
- Rinn (Louis), ***Note sur L'Instruction publique musulmane en Algérie***, Fontana, 1882
- Servier (André), ***Le Péril de l'avenir, le nationalisme musulman en Egypte, en Tunisie et en Algérie***, 2Ed, Imprimerie M. BOET, Editeur, Constantine, 1913.
-Sirma (Sureyya), ***Bir kaç sahife tarih***, kapa asir ajans Dizgi –Baski- Cilt nur Matbaacilik, Konya. s.d
-Trumelet C. (Le Colonel), ***Les Français dans le désert***, Ed.2, Ainé Editeur.

ثانيا: المراجع

1-الكتب:

أ-باللغة العربية

-آجرون شارل روبير ، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ط.2، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982،

– الأشرف (مصطفى)، مصطفى الأشرف، **أعلام ومعالم، مآثر عن جزائر منسية**، دار القصبة، الجزائر، 2007

-أنطونيوس(جورج)، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1978

– أومليل (علي)، **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**، ط.1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب،1985

-باومر (فرانكلين-ل-)، **الفكر الأوروبي الحديث الاتصال والتغيير في الأفكار من (1600-1950)**، ج.3، تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989

-برو(توفيق)، **العرب والترك في العهد الدستوري (1908-1914)**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1991

-بني المرجة (موفق)، **صحوة الرجل المريض**، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت،1984

-البهي(محمد)، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، ط6، دار الفكر، بيروت، 1973

– بوحوش (عمار)، **التاريخ السياسي للجزائر**، من البداية لغاية 1962، دار البصائر، الجزائر، 2008.

- البوعبدلي (المهدي)، **الأعمال الكاملة، قسم التراجم**، ط.1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013

-بوعزيز (يحي)، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

-بوعزيز (يحي)، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، ط2، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996

-بوصفصاف(عبد الكريم) ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)**، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1981

-توران (إيفون)، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين**، (1830- 1880)، دار القصبة للنشر، الجزائر. 2005.

- الجابري (محمد الصالح)، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1920)**، الدار العربية للكتاب، تونس، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983.

- الجابري (محمد الصالح)، **خمس رحلات إلى الجزائر (1904_1932)**، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2004

- الجابري (محمد الصالح)، **الأدب الجزائري في تونس(1900-1962)**، ج1، بيت الحكمة، تونس، 1991.

-الجابري (محمد عابد)، **المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية**، ط.3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

-جدعان(فهمي)، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت

-جرانت(ا.ج). وهارولد تمبرلي، **أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين '1789-1950)**، تر: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1978.

-جعيط (هشام)، **أزمة الثقافة الإسلامية**، ط.2، دار الطليعة، بيروت، 2004

-جعيط (هشام)، **أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 1995

-جغلول (عبد القادر)، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، تر: سليم قسطون، ط.1، دار الحداثة، بيروت،1984

-جغلول (عبد القادر)، **تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية**، تر:فيصل عباس، ط.2، دار الحداثة، بيروت، 1982

-الجندي (أنور)، **تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، ط.1، دار ابن زيدون، بيروت، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1407هـ

-الجندي (أنور)، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965

-الجنحاني (الحبيب)، **دراسات في الفكر العربي الحديث**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990

- الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

-الحداد (محمد)، **حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 2002.

-حوراني (ألبرت)، **تاريخ الشعوب العربية**، 2ج، تر: نبيل صلاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

-حوراني (ألبرت)، **الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939**، تر: جميل عزقول، ط.4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986

-الخالدي (سهيل)، **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2015

-خرفي (صالح)، **في رحاب المغرب العربي**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

-خرفي (صالح)، **عمر بن قدور الجزائري**، م.و.ك، الجزائر، 1984.

-دبوز (محمد علي)، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

-الدعمي (محمد)، **الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت، 2006.

-الذوادي(زهير)، **تناقضات المشروع الإصلاحي لدى بيرم الخامس**، الأطلسية للنشر، تونس، 1998.

-ركيبي (عبد الله)، **قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر**، الأعمال الكاملة للدكتور عبد الله ركيبي، م3، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011

الزبيري (محمد العربي)، **الكفاح المسلح في عهد الأمير**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

-زوزو (عبد الحميد)، **محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية**، دار هومة الجزائر، 2004.

طهاري (محمد)، **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**، ط3، دار الأمة، الجزائر، 1999.

- سعد الله (أبو القاسم)، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى سنة 1850**، دار الغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، 2005

-سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، 5ج، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005

-سعد الله (أبو القاسم)، **محاضرات في تاريخ الجزائر، (بداية الاحتلال)**، ط.3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982

-سعد الله (أبو القاسم)، **أفكار جامحة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

-سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية** (1860-1900)، ج.1، ق.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

- سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج2، ط.4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

- سعيد (إدوارد)، **الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء**، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط.6، بيروت، 2003.

- سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ** الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988

-سعيدوني (ناصر الدين)، **عصر الأمير عبد القادر**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، الكويت، 2000

-سنو (عبد الرؤف)، **النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية (1877-1881)**، بلاد الشام والحجاز وكردستان وألبانيا، ط.1، بيسان للنشر، بيروت، 1978

- شكري (محمد فؤاد)، **السنوسية دين ودولة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948.

-الشناوي (عبد العزيز)، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.

-ابن أبي شنب (سعد الدين)، **النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري**، م.و.ك، الجزائر، 1986.

-الشوابكة (أحمد فهد بركات)، **حركة الجامعة الإسلامية**، ط.1، مكتبة المنار، الزرقاء، 1984

-صاري (أحمد)، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004.

صاري (الجيلالي)، **النخبة المثقفة الجزائرية، (1850-1950)**، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2008.

-الصلابي (علي محمد)، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط.2، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2004

-طالبي (عمار)، **ابن باديس حياته وآثاره**، م.2، ج.1، دار الأمة، الجزائر، 2009.

- ابن عاشور (محمد الفاضل)، **الحركة الأدبية الفكرية في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين**، بيت الحكمة، تونس، 2009

-(عبد) نادية ياسين، **الاتحاديون، دراسة تأريخيه في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر-1908)**، ط.1، دار عدنان، بغداد، 2014

- العجيلي(التليلي)، **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، (1876-1918)**، دار الجنوب تونس، 2005

- العروي (عبد الله)، **مفهوم الدولة**، ط.9، المركز الثقافي العربي، الرباط، 2011

- العروي (عبد الله)، **الأيديولوجية العربية المعاصرة**، ط.1، المركز الثقافي العربي، الرباط، 1995

-العربي (علي)، **الحاضرة**، السلسلة 8، المجلد 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995

- العزاوي (قيس جواد)، **الدولة العثمانية، قراءة جديدة في عوامل الانحطاط**، ط.2، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2003

-عمارة (محمد)، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976.

- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1914)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.

-عميراوي (احميده)، **دور حمدان بن عثمان خوجة في القضية الجزائرية، 1827-1840**، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1978

- عميراوي (احميده)، **ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الهدى، عين امليلة، 2003

- عميراوي (احميده)، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين امليلة، 2003

-عنايت (حميد)، **الفكر السياسي الإسلامي المعاصر**، تر: إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت

- عويمر(مولود)، **مقاربات في الاستشراق والاستغراب**، ط.1، دار جسور، الجزائر، 2013

- علال (الفاسي)، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط.7، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2010

-فرح (قيصر.أ.)، **السلطان عبد الحميد والعالم الإسلامي**، تر: محمد م. الأناؤوط، ط.1، دار جداول، بيروت، 2012

-فريمو (جاك)، **فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران**، تر: هاشم صالح، ط.1، دار الأرض للنشر المحدود، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، 1991

- الفيومي (إبراهيم)، **الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994

-قداش (محفوظ) وجيلالي صاري، **المقاومة السياسية 199-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، م.و.ك، الجزائر، 1987

-قداش (محفوظ)، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939**، ج1، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011

-قنان (جمال)، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 2005.

- قنان جمال، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993

-قنان (جمال)، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

-قنان (جمال)، **دراسات في التاريخ المعاصر**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009

-قنانش (محمد)، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2005.

-قنانش (محمد)، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

-كوثراني (وجيه)، **مختارات سياسية من مجلة المنار**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 1980

-كوران (أرجمند)، **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ط.2، تر: عبد الجليل التميمي، تونس، 1974

-مالكي (امحمد)، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

-المحجوبي(علي)، **النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان**، سراس للنشر، تونس، 1999

-المحجوبي (علي)، **العالم العربي الحديث والمعاصر، تخلف فاستعمار فمقاومة**، ط.1، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003

-مراد(علي)، **الإسلام المعاصر**، تر: محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994

-المراكشي (محمد الصالح)، **الإيديولوجية والحداثة**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت

-المراكشي (محمد الصالح)، **تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار (1898-1935)**، الدار التونسية للنشر، م.و.ك، الجزائر، 1985

- معاليقي (منذر)، **الاستشراق في الميزان**، ط.1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1997.

-مناصرية (يوسف)، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية (1830-1954)**، دار هومة الجزائر، 2014.

مناصرية(يوسف)، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919-1939)**، دار هومة، الجزائر، 2014.

-الميلاد (زكي)، **من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2004

-الميلاد (زكي)، ومحمد مسعود إدريس، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية (1892-1940)**، ج.1، بيت الحكمة، تونس، 1991

- ناصر (محمد بن صالح)، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ط.3، منشورات ألفا، الجزائر، 2006.

-ناصر (محمد)، **الصحف العربية الجزائرية، من 1847 إلى1939**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980

-ناصر (محمد)، **المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها (1903-1931)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978

-ابن نبي (مالك)، **شروط النهضة**، تر: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط.4، دار الفكر بيروت، دار الفكر، الجزائر، 1979.

-ابن نبي (مالك)، **انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ط.1، دار الإرشاد، بيروت، 1969

-ابن نبي (مالك)، **وجهة العالم الإسلامي**، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986

-النجار (عبد المجيد)، **مشاريع الإشهاد الحضاري**، ج3، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

-الندوي (أبو الحسن)، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، ج.2، تر: سعيد الأعظمي الندوي، ط.1، دار القلم، دمشق، 2002

-نوار (عبد العزيز)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت

-الندوي (أبو الحسن)، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، ج4، تر: سعيد الأعظمي الندوي، ط1، دار القلم، بيروت، 2002.

-هلال (عمار)، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)**، دار هومة، الجزائر، 2007

-ياغي (إسماعيل أحمد)، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط.1، مكتبة الكعيبات، الرياض، 1996

- يحي (جلال)، **التاريخ الأوربي الحديث حتى الحرب العالمية الأولى**، ج.2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت.

ب- باللغة الفرنسية:

-Abdelmoula (Mahmoud), ***Le Mouvement Patriotique de la libération en Tunisie et le Panislamisme (1906-1920),*** *Editions MTM, Tunis, 1999*

- Abdelmoula(Mahmoud), ***Jihad et colonialisme la Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918),*** Ed Tiers-Monde, Tunis, 1987

-Abdelmoula (Mahmoud), ***La Tunisie, le Maghreb et le Panislamisme pendant la Grande Guerre "L'impôt du Sang***", Ed: MTM, Tunis, 2007

-Ageron (Ch.R.)***, Les Algériens musulmans et la France (1871-1919***),T1, P.U.F, Paris, 1968

Ageron (Ch.R), ***L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle***, Sindbal, Paris.

-Bardin (Pierre), ***Les Algériens et les Tunisiens dans l'Empire Ottoman de 1848 à1914***, Editions du CNRS, Paris, 1979 .

-Julien (Charles André), ***Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871***), Casbha éditions, Alger, 2005

- Hellal(Amar), ***Le mouvement réformiste algérien, les hommes et l'histoire, 1831-1959***,O.P.U, Alger, 2002

−Garnier (Jean Paul),**La fin de l'Empire Ottoman, du Sultan Rouge à Mustafa Kemal,** Plon, Paris, 1973
- Le Pautremat (Pascal), ***La politique musulmane de la France au XX siècle***, Maisonneuve & Larose, Paris, 2003.
- Nouschi (André), ***La naissance de nationalisme algérien***, les Editions de Minuit, Paris, 1962.
-Merad (Ali***), L'Empire Ottoman et l'Europe***, Publisud, Paris, 2007
- Milza Pierre, ***Les Relations internationales de 1871 à1914*** , 2Ed, Librairie Armand Colin, Paris, 1968.
-Ihaddaden (Zohir), ***Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'en 1930***, Ed2, les Editions Ihaddaden, Alger, 2003
- Meynier (Gilbert), ***L'Algérie révélée, la Guerre de 1914-1918 et le premier quart du XX siècle***, Librairie DROZ, Genève, 1981
−Nouschi (André), ***La naissance du nationalisme algérien***, les Editions de minuit, Paris, 1962.
-Tlili (Béchir), ***Crises et mutations dans le monde islamo-méditerranéen contemporain (1907-1918), T1-Fondement et positions des réformismes,*** P.U.T, 1978
-Tlili (Béchir), ***Nationalisme, Socialisme , et Syndicalisme dans le Maghreb des années 1919−1934*** , 2T, P.U.T, 1984.
Triaud (Jean-Louis), ***Les Légende noire de la Sanusiyya, Une Confrérie musulmane saharienne sous le regard française (1840-1930)***, Editions de la Maison de sciences de l'homme, Paris, 1995.

2- المقالات

أ- باللغة العربية

-أمين (محمد)، "موسم الحج سنة 1890/1307 من خلال تقرير ديبلوماسي فرنسي"، **الدارة**، السنة 38، العدد الرابع، 1433هـ، 2012م
-أحمد (محمد)، "التطور التاريخي للعلاقات الألمانية السعودية في ثلاثينيات القرن العشرين، في ضوء الوثائق الألمانية"، **مجلة جامعة دمشق**، م.26، ع4/3، دمشق، 2010.
-(أوغلو) إكمال الدين إحسان وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج.1، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث والفنون والثقافة، استانبول، 1999

-أومليل (علي)، "ماهو الإصلاح بمفهوم إسلامي"، **الإصلاح والمجتمع في المغرب في القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، أيام دراسية من 20 إلى 23 أفريل، 1983.

-بوشنافي (محمد)، "الداي علي خوجة وإصلاحاته (1817-1818)"، **عصور**، جامعة وهران، ع.3، السنة 2، جوان 2003.

-بونقاب مختار، "انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري"، **المواقف**، منشورات المركز الجامعي محمد استانبولي بمعسكر، ع.3، ديسمبر 2008.

-ثنيو (نور الدين)، "هجرة الجزائريين إلى المشرق بين السياسة والدين"، **سوسيولوجية الهجرة الجزائرية بين الماضي والحاضر**، مطبعة إسكندر، قسنطينة، 2009

- الجواهري (عماد أحمد)، رؤى النهضة في الفكر العربي مراجعة نقدية لإشكالياتها"، **كان التاريخية**، السنة الرابعة، ع.11، مارس 2011.

-الحداد (محمد)، الأمة بين الجغرافية الذهنية والواقع السياسي"، **التفاهم**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينة سلطنة عمان. السنة التاسعة، صيف 2011.

-خرفي (صالح)، "الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة بالمشرق"، **الثقافة**، ع. 26، أفريل-ماي، 1975

السالمي (أحمد)، "الإصلاح السياسي عند رشيد رضا بين بناء دولة إسلامية نموذجية وإقامة جامعة إسلامية"، **الكلمة**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ع.24، السنة السادسة، صيف 1999

-سنو (عبد الرؤوف)، " العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة"، القسم الأول، **تاريخ العرب والعالم**، العدد 73-74، بيروت، 1984

-سنو (عبد الرؤوف)، " العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878)، روسيا ومشاريع تقسيم الدولة العثمانية، القسم الثاني، **تاريخ العرب والعالم**، العدد 76/75، بيروت، 1985، ص.ص. 34-47.

- سنو (عبد الرؤوف)، "الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين"، **الاجتهاد**، ع.46/45، السنة 11، بيروت، 2000.

- سنو (عبد الرؤوف)، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي"، **بحوث مهداة إلى منير إسماعيل**، تنسيق محمد مخزوم وأحمد حطيط، بيروت، 2002.

السيد (رضوان)، الهجرة والفتوحات ودار الإسلام والمتغيرات"، **التفاهم**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينة سلطنة عمان، السنة التاسعة، صيف 2011.

-سعيدوني (ناصر الدين)، "صدى كفاح عمر المختار في الجزائر"، **الثقافة**، السنة 10، ع.56، مارس أفريل 1980.

-شاطو (محمد)، "السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية "1792-1830"، **المواقف**، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات جامعة معسكر، ع.3، 2008.

-صاري (أحمد)، "النخبة الجزائرية ما بين الولاء للخلافة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية"، **التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا في القرن العشرين**، أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جوان، 2001.

صاري (أحمد)، "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع.2، مارس، 2003

-طرشون (نادية)، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام بين عامي 1898-1899 من خلال التقارير الفرنسية، تقرير محافظ المدية وتقرير لوسياني"، **عصور**، ع.1، 2002

-الطيبي (عبد الحكيم)، "جمال الدين الأفغاني"، **جمال الدين الأفغاني والمشروع الإصلاحي**، مجموع مقالات المؤتمر الدولي للسيد جمال الدين الأفغاني الأسد أبادي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط.1، مديرية النشر والمطبوعات، طهران، 2004.

-عويمر (مولود)، "الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة"، **مجلة الوعي**، العدد المزدوج (3-4)، أفريل—ماي 2011.

-عيساوي (احمد) "الداعية المصلح القطب الشيخ محمد أطفيش وكتابه القيم شامل الأصل والفرع، **الشيخ القطب أمحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة الموسوعي المصلح المجدد**، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، جويلية، 2010.

غالم (محمد)، "الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، جامعة الجزائر، ع.5، 1988

-الغاشي (مصطفى)، "فكرة الجامعة الإسلامية من خلال النور اللامع في بيان الأصل الجامع لإبراهيم السنوسي"، **العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية المتوسطية**، ط.1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، 2005

-كرستلو(آلان)، "المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر"، **الثقافة**، ع. 61، يناير فبراير، 1981.

-كرستلو (آلان)، "حول بداية النهضة في الجزائر" **الثقافة**، ع.46، أغسطس/سبتمبر، 1987

-كعوان (فارس)، "القاضي المكي بن باديس القسنطيني (1820-1890)، وموقفه من قضايا عصره"، **كان التاريخية**، السنة6، ع 20، جوان 2013.

مناصرية (يوسف) ، "الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي"، في **حولية المؤرخ**، ع1، 2002

-مهديد (إبراهيم)، "مقاومة الجزائريين بالهجرة، عمالة وهران أنموذجا"، **عصـــور**، الســـنة "، ع. 5/4، ديسمبر 2003

مهديد (إبراهيم)، "الصـــراع حول الهوية والانتماء العربي الإســـلامي من خلال الصـــحافة الجزائرية: الحق الوهراني أنموذجا (1911-1912)، **البحث التاريخي**، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ع.4، 2006

-الميلاد (زكي)، "جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإســـلامي"، **جمال الدين الأفغاني، عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي**، وقائع الحلقة الدراسية، عمان الأردن، 19 نوفمبر 1998

-الميلاد (زكي)، "الشيخ محمد رشيد رضا وتحولات الفكر الإسلامي الحديث"، **الكلمة**، ع.24، السنة السادسة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، صيف 1999.

-ناصر (محمد)، عمر راسم المصلح الثائر، **الثقافة**، ع.34، السنة6، سبتمبر1976

-ناصر (محمد)، "رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قدور الجزائري"، **الأصالة**، ع.59/58، 1978

-ابن نبي (مالك)، "مشكلة الحضارة"، **الأصالة**، السنة السابعة، ع55/54، فيفري مارس 1978.

- هلال (عمار)، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا، فيما بين 1903-1906"، **الثقافة**، السنة 17، ع. 99، 1978

- هانيبه(بيير)، "صالح الشريف التونسي، قومي من شمال إفريقيا أثناء الحرب العالمية الأولى"، **حوليات الجامعة التونسية**، جزيران 1985

-ونتن (مصطفى)، "التعريف بالشيخ محمد بن يوسف أطفيش"، **الشيخ القطب أمحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة الموسوعي المصلح المجدد**، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، جويلية 2010

ب– باللغة الفرنسية

- « Origines et voies du réformisme en Islam », in : ***Annales de l'Institut d'études orientales***, Université d'Alger, T.18/19, 1960 /1961

- Merad (Ali):" *La turcophile dans le débat national en Algérie au début du siecle (1911-1918) "* in :**R.H.M**, N°31-32, décembre 1983

3– الرسائل الجامعية:

أ– باللغة العربية

–ابن أزواو(فتح الدين)، **البعد العربي الإسلامي في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر (1927–1962)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012–2013.

–دراوي(محمد)، **الجزائر وحركة الجامعة الإسلامية** (1876–1924)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008.

-دهاش(الصادق)، **المشروع الوحدوي التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين فيما بين 1876– 1919**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009

-ابن عدة (عبد المجيد)، **الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008.

– السويسي(المحسن بن علي بن صالح)، **مؤتمرات المستشرقين العالمية، نشأتها، تكوينها، أهدافها**، أطروحة دكتوراه، قسم الاستشراق، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1998

–الشعبوني (محمد)، **موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة 1914–1926**، شهادة التعمق في البحث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1991–1992

-العلوي (محمد عبد الهادي)، **الهجرات الخارجية من وإلى سورية في العصر العثماني (1831–1916)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة دمشق، 2002.

–عمري (الطاهر)، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900–1940)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004

-(قاري) ياسر عبد العزيز، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. 2002

-الماجري (عبد الكريم)، **دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي الإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى**، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، 1977.

-(المغازي) أماني بنت جعفر بن صالح، **دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، ط.1، دار القاهرة، القاهرة، 2007.

- هواري (قبايلي)، **مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

-هويدي (مصطفى على)، **الحركة الوطنية في إقليم طرابلس الغرب خلال فترة الحرب العالمية الأولى**، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1418هـ.

ب-اللغة بالفرنسية:

- Laurent Escande, ***Le pèlerinage à La Mecque des Algériens pendant la domination française (1830-1962), le poids de l'Administration coloniale et les enjeux du pèlerinage,*** Mémoire D .E.A sous la direction de M. le Professeur Robert ILBERT, Université de Provence, Département d'Histoire, Université de Provence, 1992-1993.

-Haddad, (Mostefa), ***Etudes des mouvements de résistance et d'opposition du Constantinois du premier quart du XX siècle(1900-1925)***, thèse de Doctorat de 3em cycle d'histoire, Faculté des lettres U.E.R méditerranée université de Provence (Aix-Marseille1), 1978.

4-القواميس والموسوعات

أ-باللغة العربية:

-بدوي(عبد الرحمن)، **موسوعة المستشرقين**، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.

- البعلبكي(منير)، **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

-الزبيدي (محمد مرتضى)، **المعجم المختص**، ط.1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2006

-الزركلي(خير الدين)، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر أعلام الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، 8ج، دار العلم للملايين، بيروت، 2002

-عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام على العصر الحديث**، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980.

-الكيالي (عبد الوهاب) وآخرون، **الموسوعة السياسية**، 7ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.

–ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، مصر، د. ت

ب–باللغة الفرنسية:

-The Encyclopedia of Islam new Edition, edited by: C.E. Bosworth, Van Denzel, and others, Volume 8, Leiden, 1995

-Le Petit Larousse illustré, Paris, Larousse, 2007

5–المواقع الإلكترونية:

http://www.ottomanarchives.info

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء **3**

المختصرات: **4**

مقدمة **5**

مدخل: الإصلاحات في الدولة العثمانية والتوسع الاستعماري في ممتلكاتها **15**

1- تحديد المفاهيم **16**

2 -ضعف الدولة العثمانية وبداية الإصلاح **24**

3-المشاريع الإصلاحية الجزائرية: **35**

4- التوسع الاستعماري وتقسيم الدولة العثمانية **44**

الفصل الأول علاقة الجزائريين بالجامعة الإسلامية في نهاية القرن 19 ..... **59**

المبحث الأول: أسس الجامعة الإسلامية **60**

المطلب الأول: وحدة المسلمين 63

المطلب الثاني: الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي 72

المبحث الثاني: الدعم المشرقي للجزائريين **83**

المطلب الأول: دعوة الجامعة الإسلامية وهجرة الجزائريين 83

المطلب الثاني: دعم الثورات الجزائرية 90

المبحث الثالث: الحركة السنوسية والجامعة الإسلامية **96**

المطلب الأول: علاقة السنوسية بالدولة العثمانية 98

المطلب الثاني: علاقة الجزائريين بالسنوسية 101

الفصل الثاني الإصلاح الحديث وتأثيرات الجامعة الإسلامية **108**

المبحث الأول: السياسة الفرنسية في الجزائر **109**

المطلب الأول: محاربة القضاء الإسلامي 111

المطلب الثاني: سياسية فرنسا التعليمية 113

المبحث الثاني: أفق الإصلاح الإسلامي الحديث **116**

المطلب الأول: المطالبة بإصلاح القضاء 117

المطلب الثاني: المطالبة بإصلاح التعليم 123

المبحث الثالث: التأثيرات المشرقية وبداية الإصلاح الحديث 131

المطلب الأول: دور العلماء والطلبة 131

المطلب الثاني: تأثير الصحافة المشرقية والتونسية 149

المبحث الرابع: موقف الجزائريين من قضايا المسلمين 156

المطلب الأول: في الدفاع عن الإسلام 157

المطلب الثاني: تحليل واقع المسلمين 163

الفصل الثالث 172

الجامعة الإسلامية من أجل التحرر 172

المبحث الأول: المسلمون بين الوحدة والتشتت قبل الحرب العالمية الأولى 173

المطلب الأول: تداعيات عزل السلطان عبد الحميد الثاني 173

المطلب الثاني: الجزائريون في الدفاع عن أراضي الدولة العثمانية 184

المبحث الثاني: تفاعل الجزائريين مع الجامعة الإسلامية 193

المطلب الأول: تأثر الجزائريين بالدعاية الألمانية –العثمانية 194

المطلب الثاني: الجزائريون أثناء الحرب العالمية الأولى 208

المبحث الثالث: نهاية مرحلة 219

المطلب الأول: مسألة الخلافة 220

المطلب الثاني: تطور فكرة الاستقلال 233

الفصل الرابع المشروع الفرنسي لمواجهة الجامعة الإسلامية 240

المبحث الأول: الحصار الإعلامي 242

المطلب الأول: منع الحج 242

المطلب الثاني: منع الصحف المشرقية 249

المطلب الثالث: مراقبة المهاجرين الجزائريين 260

المبحث الثاني: الدعاية الفرنسية المضادة 262

المطلب الأول: إنشاء اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين..... 263

المطلب الثاني: استخدام الكتب والصحف والمنشورات في الدعاية..... 265

المطلب الثالث: استغلال رجال السلك الديني في الدعاية 270

المطلب الرابع: الاستشراق والتبشير..... 274

الخـــــاتمة 282

المــلاحق 286

فهرس الأعلام 308

قائمة المصادر والمراجع 313

فهرس الموضوعات..... 337

ملخص الأطروحة باللغة العربية:..... 341

ملخص الأطروحة باللغة الإنجليزية 344

ملخص الأطروحة باللغة الفرنسية:..... 347

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الأطروحة باللغة العربية:

تعد الجامعة الإسلامية من المشاريع الإصلاحية الحديثة، التي واجهت الاستعمار الأوروبي والضعف الداخلي للمجتمعات الإسلامية باجتهادات جديدة، كما عالجت كبرى قضايا المسلمين خاصة السياسية منها، ولم تغفل عن القضايا الدينية والاجتماعية. ظهرت الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومن روادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده كما حمل مشروعها عدة شخصيات إصلاحية وسياسية منهم السلطان عبد الحميد الثاني.

ظهرت الجامعة الإسلامية في فترة سيطرة استعمارية، وكان من أولويات الحركات الإصلاحية هي التحرر من الاستعمار، وقد ركزت الدراسات على الجانب التحرري أو الوحدوي للجامعة الإسلامية، وبالتالي أغفلوا بعض الشيء الجانب الإصلاحي، وكانت دراساتهم حول المشرق الإسلامي، وأغفلوا المغرب العربي، لذلك خصصت الدراسة لمساهمة الجزائريين في الإصلاح الحديث بجوانبه الوحدة والإصلاح بفرعيه الديني والسياسي.

ولمعالجة الموضوع سننطلق من أن الإصلاح " العودة إلى الدين" كان موجودا في العالم الإسلامي قبل القرن التاسع عشر، لكن التحولات التي حدثت في أوروبا وفي العالم الإسلامي طرحت إشكالية تطوير الإصلاح لمواجهة المشاريع الاستعمارية. ولم يتوقف الأمر عند الإصلاح الداخلي بل طرحت فكرة الاستفادة من الغرب وتجديد النظم السياسية والقانونية بمايتناسب والقضايا المستجدة. كما طرحت فكرة الوحدة والتضامن بين المسلمين بمساعدة الدولة العثمانية.

ننطلق أيضا من أن الجزائر جزء من العالم الإسلامي، والأخير كان يعاني الضعف السياسي والهجوم الاستعماري والتخلف في شتى الميادين. والجزائر هي أول بلد عربي إسلامي سقط بيد الاستعمار، وقد بذل الجزائريون مجهودات إصلاحية لمواجهة هذا الوضع، قد تكون سابقة للمشاريع المشرقية، انطلاقا من هذه القناعة والتي اعتمدناها كخلفية فكرية موجهة لمقاربات الموضوع، لم تمنعنا من الاقتناع أن هناك لجوء جزائري إلى المشرق أو تأثير مشرقي في الجزائر. لذلك بقدر ما سندافع عن وجود إصلاح جزائري ذاتي، بقدر ما سنثبت وجود صلات وتأثيرات مشرقية ومغاربية وهذا يعود إلى التراث والتاريخ والدين المشترك، فالإشكالية الرئيسية التي أردنا معالجتها هي: مدى تفاعل الجزائريين مع تطورات الفكر الإسلامي من خلال دراستنا لحركة الجامعة الإسلامية.

قسمنا بحثنا إلى مدخل وأربعة فصول أساسية، تناولنا فيها الإصلاحات في الدولة العثمانية ثم تناولنا إشكالية هل هناك إصلاح جزائري داخلي قبيل الاستعمار، ثم بعد نزول القوات الفرنسية؟ وبينا في الفصل

الأول أسس الجامعة الإسلامية عند بعض روادها الذين كان لهم تأثير في الجزائر، كما درسنا علاقة الجزائريين بالمشرق الإسلامي ومدى استجابتهم لدعوات الجامعة الإسلامية، كما بينا بعض نشاطاتهم في المشرق الإسلامي، ومدى دعم الدولة العثمانية للثورات الجزائرية. كما درسنا الحركة السنوسية ودورها في ربط الجزائريين بالدولة العثمانية وبالمشرق الإسلامي عموما. أما الفصل الثاني: فقد درسنا فيه تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، وأفق الإصلاح الإسلامي الحديث في الجزائر وتأثيرات الجامعة الإسلامية، ثم تناولنا سبل انتقال المؤثرات المشرقية إلى الجزائر. وموقف الجزائريين من قضايا المسلمين التي كانت مطروحة في الفترة. أما الفصل الثالث: فقد تطرقنا فيه إلى العمل السياسي والوحدوي للجامعة الإسلامية ومدى تأثر الجزائريين بذلك، ونشاطهم في الجامعة الإسلامية لأجل التحرر. أما الفصل الرابع: فخصصناه للوسائل التي اتخذتها السلطات الفرنسية لمنع تأثر الجزائريين بحركة الجامعة الإسلامية.

تبين لنا من خلال دراستنا لحركة الجامعة الإسلامية، أنها تقوم على أساسين وهما وحدة المسلمين والإصلاح بجانبيه السياسي والديني، وأصول هذه الأفكار موجودة في مبادئ الإسلام وتاريخه، وكان الجزائريون قد دعوا إليها في بداية الاحتلال الفرنسي، وازدادت انتشارا في العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر. ثم أصبحت تشكل حركة لها دعاتها وأنصارها وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني محمد عبده، ثم تبناها السلطان عبد الحميد الثاني.

إن كان القرن التاسع عشر هو قرن الحداثة والمد الاستعماري بالنسبة لأوروبا فإنه بالنسبة للعالم الإسلامي كان قرن النهضة والإصلاح الحديث، وقد ساهم الجزائريون في الإصلاح الحديث حيث كان تركيزهم على إصلاح القضاء والتعليم، وهي الجوانب الأكثر ارتباطا بالهوية العربية الإسلامية، وكان للمؤثرات المشرقية خاصة الأفكار الإصلاحية لمحمد عبده دورا في نموها وإثرائها.

إذا كان دعاة الجامعة الإسلامية في المشرق الإسلامي يسعون إلى تعديل النظم السياسية ومحاربة استبداد الحكام، فإن الجزائريين، وبحكم وضعيتهم الاستعمارية، كانوا يسعون إلى التحرر، لذا كان تركيزهم على طلب مساعدة الدولة العثمانية وعلى تضامن المسلمين لحل قضيتهم، وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية لم تقدم المساعدات اللازمة للجزائر، إلا أن أملهم ظل معقودا عليها، واستمر ذلك إلى سقوط الخلافة. كما ساهم الجزائريون في نشر أفكار الوحدة الإسلامية، وحاولوا ربط الجزائر بمحيطها العربي والإسلامي، وتفاعلوا مع التطورات الفكرية والسياسية التي كانت في بداية القرن العشرين، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى كان المغاربة قد ساروا أشواطا في نشاطهم السياسي حيث أصبحوا ينادون بالاستقلال، مستعينين في ذلك بالوحدة المغاربية بدل الوحدة الإسلامية.

لقد أثارت حركة الجامعة الإسلامية مخاوف الساسة الأوربيين خاصة الفرنسيين والإنجليز، حيث بادروا إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة في مستعمراتهم، وقد واجهت السلطات الفرنسية منذ نهاية القرن التاسع عشر نشاط حركة الجامعة الإسلامية، وكان الصحفيون الفرنسيون من أوائل المنبهين إلى خطرها، ولكنهم بالغوا في ذلك تنبيها لضرورة السيطرة التامة على الجزائريين. فاستخدمت السلطات الفرنسية كل الوسائل لمنع الجزائريين من الاتصال بالمشرق، بمراقبة الحج والصحف والمتنقلين إلى خارج الجزائر. كما سخرت إدارتها وشرطتها ومفكريها لهذا الغرض، واستغلت رجال الدين الرسميين لإقناع الجزائريين بعدالة فرنسا وخدمتها للإسلام، ردا على الدعاية الألمانية.

وفي النهاية نصل إلى أن الجزائريين سلكوا كل السبل التي تتناسب وشخصيتهم العربية الإسلامية من أجل التحرر من الاستعمار الفرنسي، فتفاعلوا مع التطورات الفكرية التي حدثت في العالم الإسلامي، وسعوا لربط الجزائر بمحيطها المغاربي والعربي والإسلامي، ورغم الظروف التي كان يعيشها الجزائريون فإنهم قدموا لنا نماذج من دعاة الإصلاح لايقلون مكانة عن المشارقة، كما ان القمع الاستعماري الذي دفع بالجزائريين إلى الهجرة جعل من هؤلاء روادا في الحركات الفكرية والسياسية والتحريرية في تونس والمغرب والمشرق. ولم تذهب جهود الجزائريين هباء فقد أنتجت حركة إصلاحية وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وحركة سياسية وعلى رأسها الأمير خالد الجزائري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الأطروحة باللغة الإنجليزية:

The Algerians and Pan-islamism 1876-1930

Pan-islamism is considered to be one of the modern reformist projects . It faced European coloniolism and the internal weakness of islamic societies. It addressed the mane islamic concerns especially the political ones and did not ignore the social and religous issues.

Pan-islamism appeared in the second half of the nineteenth century , from its pioneering man we have Jamal Eldin Alafrani and Mohamed Abdou . Its project was also supported by several reformists and political man including the Sultan Abdelhamid the second.

Pan-islamism appeared at the periode of the colonial domination so the priority of the mouvement was the liberation from colonialism. Studies have focused on liberation and union of the islamic world thus they overlooked a littel bit the reformist side . They also focused on the islamic mashreg and neglected a little bit the arabic magreb , so i devoted this study to the contribution of algerians to modern reformist with its deferent aspects : unity , reform , religous and political aspects .

In order to adress the subject we start from the fact that reform is a ‘’return to religion ‘’ which was present in the islamic world prior to the nineteenth century Transformations that occurred in Europe and the islamic world raised the problematic issue of reform in order to face the colonial projects . The matter did not stop at the internal reform but ideas of benefiting from the west , and renew the poletical and leagal systems rised . Ideas of unity , solidarity between muslems with the help of the otoman state have also emerged .

We proceed from the fact that Algeria is a part of the islamic world , which was suffering from political weakness , colonial attacks and under developement in various fields . Algeria is the first islamic arab country to fell in colonialism. Algerians have spent great reformist efforts to face the situation which maybe prior to the mashereg projects.

Staring from the previous statement which we took as a background theoretical bases in order to studie the topic but this did not prevent us from the conviction that there are some influences from the mashereg on the algerians. So as much as we defend the idea that there is an algerian personal reform we also defend the fact that there are relations and influences from the mashereg on the maghreb this is due to the commune history, religion and so on..

The problematic that we intend to investigate is : to what extent algerians interacted with the islamic intelectual thoughts throught the studie of Pan-islamism ? We divided our work to an introduction and four chapters in which we studied the reform in the otoman state then we looked at the problematic of

wether there is an internal algerian reform prior to colonialism . After the landing of the frensh troupes.

In the first chapter we studied the foundations of Pan-islamism throuth some of its pioneering man who had influences in Algeria. We also studied the relationship of algerians with mashereg and to what extent they respond to Pan-islamism we proved that they have some activities in the islamic mashereg and to what extent the otoman state supported the algerian revolutions . We studied the Snousi mouvement and linking the algerians with the ottoman state and the islamic mashreg in general .

In the second chapter we studied the evolution of frensh policy in Algeria and the algerian islamic reform we studied also the effects of Pan-islamism then we dealt with ways of transmission through oriental influences on Algeria. The position of algerians with regard of islamic issues at that period.

In the third chapter we discussed the political work and the union claimed by the Pan-islamism to what extent algerians were influenced by that and their activities at the Pan-islamism towards the liberation of Algeria.

Chapter four dealt with the means taken by the french authorities the prevent the influence of algerian by the mouvement of islamic league.

It apears from our studie of the mouvement that Pan-islamism is based on two foundations which are : the unity of muslems, and reform with its two sides the political and the religous ones. These ideas are found in the principals of islam and its history . Algerians at the begining of frensh_occupation use it. Those principals were widely spread in the islamic world starting from the mid nineteenth century then, it became a mouvement which has its advocates and supporters and its leaders such as Jamal Eldin Alafrani and Mohamed Abdou then it was adopted by the sultan Abdealhamid the second.

If the nineteenth century for Europe was the century of modernity and the spread of colonialism it was for the muslem world the century of renaissance and modern reform. Algerians have contributed to modern reform they focused on education and justice which were closely related with the identity of islam and arabs .The influence of the mashereg ideas and especially those of Mohamed Abdou heve had a great impact on its developpement and growth. If the advocates of Pan-islamism in the mashereg seek to adjust the political system and fight the tyranny of rulers. Algerians because they were suffering from colonialism they seek for freedom sot hey focused on asking the otoman state for help and also they asked muslems for solidarity in order to resolve their case . Dispite the fact that the ottoman did not provied the necessarry help but algerians continued to ask until the fall of the ottoman khalifat.

Algerians have also contributed to the spread of ideas of the islamic unity. they tried to Link Algeria with *it's* islamic *environment* and they interacted with

the political and intelectual developpement that were at the *beginning* of the *twentieth* century.

At the end of the first world war moroccans have *achieved* a lot in *terms* of political activities they were asking for freedom of the united magreb instead of the islamic unity.

Pan-islamism stirred the fears of the europeans especially the French and the British so they took many precautions in their colonies in order to face Pan-islamism.Frensh authorities have used all means to prevent algerians from Panislamism to achieve so they monitored the hajj, the newspapers and they used their thinkers, police and clergy to persuade algerians of the frensh justice and that they are servicing islam in responce to the german propaganda.

In the end we get to the ideas that algerians have used all ways that fit their personality as arabs and muslems in order to be free from the frensh colonialism. Algerians have interacted with the intelectual and political developements that occured in the muslem world and tried to link Algeria to it dispite the conditions they experianced under the frensh colonialism.

Algerians have provided us with models of reforms that have no less state us then those proposed by the masherg. Algerian efforts were not in vain they provided us with reformist *movement* at its head we have Abde Alhamid Ibn Badis they also provided us with political mouvement and one of it pioneer was the Prince Khaled of Algeria.

ملخص الأطروحة باللغة الفرنسية:

Les Algériens et le Panislamisme 1876-1930

Le panislamisme est l'un des projet de réforme moderne qui a affronter le colonialisme européen et la faiblesse interne des societés musulmanes, avec de nouvelles approches. Il a également traité de grands problèmes dans les pays musulmans, notamment des questions politiques, sans perdre de vue les causes religieuses et sociales. Le panislamisme est apparu durant la seconde moitié du dix-neuvieme siècle. Parmi ses pionniers on peut citer Jamal eddine al afghani et Mohamed Abdou ainsi que le sultan Abdelhamid II.

Le panislamisme est apparu durant la periode de la domination coloniale. A cette époque, les mouvements de réforme avaient pour priorité de se liberer du colonialisme. Les études concernant le panislamisme se sont focalisées sur l'idée de l'unitarité et la libèration, en nègligeant quelque peu l'aspect réformiste, et elles se sont plus interessées au panislamisme en Orient. Pour cela, notre étude est consacrée à la contribution des Algériens dans le mouvement réformiste moderne, elle se concentre sur la notion de l'unité et sur les réformes, tout en englobant les aspects religieux et politique.

Nous commençons par l'idée qui stipule que la réforme étant défini comme le retour à la religion, existait dans le monde islamique avant le dix-neuvieme siecle, mais les changements qui se sont produits en Europe et dans le monde musulman ont soulevé le problème du développement de la réforme pour faire face aux projets coloniaux. Cette réforme ne devait pas se limiter à l'interieur, mais plutot benificier des progrès de l'Occident et renouveler les systemes politiques et juridiques afin d'etre en adequation avec les nouveaux enjeux. L'idée de l'unité et la solidarité entre les musulmans avec l'aide de l'Empire ottoman a également été évoquée.

L'Algérie fait partie du monde musulman, et celui-ci souffrait de faiblesse politique ,d'attaques colonialistes et de sous-développement dans divers domaines. L'Algérie est le premier pays arabo-islamique qui était coolonisé. Les Algeriens ont fourni beaucoup d'efforts réformiste afin de faire face à cette situation, ce qui peut etre consideré comme un précédent pour les projets reformistes en Orient. Cette conviction que nous avons adopté comme toile de fond intellectuelle pour étudier notre sujet, ne nous a pas empeché de considérer qu'il y a eu un recours algerien vers l'orient, ou une influence orientale en Algerie. C'est pour cela qu'en meme temps que nous allons défendre l'existence d'une réforme propre à l'Algerie, nous allons également démonter l'existence de liens et d'effets orientaux et magrebins, et cela est du à l'histoire et la religion commune.
La problematique principale que nous voulons aborder est l'étendu de

l'interaction des algeriens avec les developpement de la pensée islamique à travers notre étude du panislamisme.

Nous avons réparti notre travail sur quatre chapitres en plus d'une introduction. Nous y avons traité les réformes dans l'Empire ottoman, la problèmatique de l'existence d'une réforme interne algérienne avant le colonialisme, puis après la venue des troupes françaises.

Nous avons montré dans le premier chapitre, les fondements du panislamisme chez certains de ses pionniers qui ont eu l'influence en Algérie. Nous avons également étudié la relation des Algérien avec l'Orient musulman, et comment ils ont répondu aux appels du panislamisme. Nous avons également aborder une partie de leurs activités dans l'Orient musulman et l'ampleur du soutien de l' Empire ottoman aux révolutions algériennes. Comme nous avons étudié le mouvement Senussi et son rôle pour rapprocher les Algeriens à l'Empire ottoman et à l'Orient musulman.

Dans le deuxième chapitre nous avons étudié l'évolution de la politique française en Algérie, et l'horizon de la réforme islamique moderne en Algérie et les effets du panislamisme. Puis nous avons abordé les moyens de transmission des influences orientales vers l'Algérie. Ensuite, la position algérienne sur les questions des musulmans qui ètaient d'actualité à l'époque. Dans le troisième chapitre nous avons étudié le travail politique et d'union du panislamisme et son l'étendu de son effet sur les Algériens, ainsi que leur activisme, au sein du panislamisme, pour la libération. Le quatrième chapitre a été consacré aux moyens utilisés par les autorités françaises pour empêcher les Algériens d'etre influencè par le panislamisme.

Nous avons constaté dans notre étude que le panislamisme se basait sur deux principes, à savoir l'unité des musulmans et la réforme politique et religieuse. L'origine de ces idées existe dans les principes de l'Islam et son Histoire. Et les Algeriens ont appelé à ces idées au début de l'occupation française. ces concepts ont connu une grande propagation dans le monde musulman à partir de la moitié du dixneuvieme siecle. Et c'est devenu ensuite un mouvement qui avait beaucoup de pionniers et de partisans, à leur tete Jamal dine Alafghani, Mohamed Abdu, ensuitece mouvement fut adopté par le Sultan abdelhamid II.

Si le dix-neuvieme siècle est le siècle de la modernité et de la marée coloniale Pour l'Europe, il est pour le monde musulman le siecle de la renaissance et de la réforme moderne, qui a porté sur les grandes questions des musulmans.Les Algériens ont participé à la réforme moderne en se focalisant sur les réformes du système judiciaire et de l'éducation, qui sont le plus étroitement associé à l'identité arabo-musulmane. Les idées réformistes privées de

Mohammad Abdu avaient un role prépondérant dans la croissance et l'enrichissement de ces réformes.

Si les partisans de panislamisme dans l'Orient musulman visaient la modification des systèmes politiques et la lutte contre la tyrannie des gouvernants, les Algériens quant à eux, et à cause de la domination coloniale cherchaient à se libérer du colonialisme. C'est pour cela qu'ils demandaient l'aide de l'empire Ottoman et la solidarité des musulmans afin de se débarasser de l'occupation française. Et malgré que l'empire ottoman n'a pas fourni les aides nècessaires pour l'algerie, mais les algeriens n'ont pas perdu espoir jusqu'à la chute du califat.

Les Algériens ont également contribué à la diffusion des idées de l'unité islamique, et ont essayé de relier l'Algérie à son environnement arabe et islamique. Ils ont également interagi avec les développements intellectuels et politiques du début du vingtieme siècle. A la fin de la Première Guerre mondiale,les Marocains avaient accompli de grands progrès dans l'activité politique où ils ont commencé à réclamer l'indépendance, en s'édant de l'unité du Maghreb à la place de l'unité islamique.

Le panislamisme a suscité les craintes des hommes politiques européens, notemment les Français et les Britaniques, qui ont pris les précautions nécessaires dans leurs colonies.Les autorités françaises ont ait face depuis la fin du dix-neuvième siècle aux activité du mouvement panislamique. Et les journalistes français étaient les premiers à alerter du danger de ce mouvement, mais ils exagéraient leur alerte afin de susciter un contrôle complet des Algériens.

Les autorités françaises ont utilisé tous les moyens pour empêcher les Algériens d'établir des contacts avec l'Orient, et ce en controlant le pelrinage (Hajj), les journaux, et les voyageurs vers l'extérieur de l'Algérie. Elles ont consacré leurs administrations, leur polices ainsi que leurs penseurs à cette fin. Et elles ont utilisé les religieux officiels pour convaincre la polulation que la France est jsute et travaille au service de l'Islam, en réponse à la propagande allemande.

En fin de compte nous arrivons à la conclusion que les algeriens ont utilisé tous les moyens en concordance avec leur personnalité arabo musulmane afin de se libérer du colonialisme français. Ils ont interagi avec l'évolution intellectuelle dans le monde islamique, et ont tenté de relier l'Algérie avec ses environnements Maghrebin, arabe et musulman. Et en dépit des conditions vécu par les Algériens, ils nous ont offert des modèles de partisans de la réforme qui n'ont rien à envier aux Orientaux. L'oppression coloniale subi par les Algériens et qui les a pousser à émigrer a fait d'eux des pionniers dans les mouvements intellectuels, politiques

et libertaire en Tunisie, au Maroc et en Orient. Les efforts des Algériens n'ont pas été vain, puisqu'ils ont donné naissance au mouvement réformiste dirigé par Cheikh Abdelhamid Ben Badis et au mouvement politique, dirigé par le prince Khaled.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية